

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

المزامير

مز 135 – مز 151

2009م

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: المزامير (مز 135- مز 151).
المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.
الطبعة: الأولى 2009م.
الناشر: كنيسة الشهيد مار جرجس - بسبورتنج.
المطبعة: الأنبا روبس بالعباسية.
رقم الإيداع:

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ

شخصك العجيب وأعمالك تدفعنا للتسبيح!

يُعتبر المزموران 135 و 136 مزموري تسبيح، كان اليهود يسبحان بهما في الخدمة الصباحية يوم السبت، وأيضًا في عيد الفصح. وكانا يدعيان "الهلليل العظيم". هذا المزمور هو دعوة للتسبيح لاسم الله العظيم العامل دومًا لحساب شعبه، وذلك مقابل الأوثان الجامدة التي بلا حياة.

يرى البعض أن هذا المزمور وإن كان ليس من مجموعة مزامير المصاعد مثل المزمور السابق (مز 134)، غير أنه توجد أفكار مشتركة بينهما، بل وعبارات مشتركة بينهما، والاثنتان يحثان على التسبيح. غير أن المزمور السابق يحمل حثًا على التسبيح دون تقديم دوافع هذا الحث، أما هنا فيشير إلى أعمالٍ معينة لله تدفعنا نحو تسبيحه.

المزمور السابق موجه إلى اللاويين وحدهم، أما هذا المزمور فموجه إلى الكهنة واللاويين، وإلى كل الشعب، بل وإلى خائفي الرب [20].

1. دعوة للتسبيح 1-3.
2. دوافع التسبيح 4-18.
- أ. اختياره لنا شعبًا له 4.
- ب. إله الخليفة القدير 5-7.
- ج. إله التاريخ 8-14.
- د. إله البهجة الأبدية 15-18.
3. ختام تسبيحي 19-21.

1. دعوة للتسبيح

ما يطلبه الله من شعبه هو التسبيح، ليس لأنه محتاج إليه، ولا لأنه يطلب لنفسه مجدًا، وإنما بالتسبيح يهب سرورًا لشعبه، ويجعلهم أشبه بالملائكة. جاء في 2 أي 5: 13 عندما تم بناء الهيكل وأُحضر تابوت العهد، استجاب الرب لتسبيحهم بحضوره المجيد الذي وهبهم بهجة حقيقية.

هذا التسبيح هو من عمل اللاويين وأيضًا الشعب.

يفتح المرتل هذا المزمور بالدعوة للتهليل والتسبيح أربع مرات [1-3]، كما يختمه دعوة لمباركة الرب أربع مرات [19-20]. ويقدم لنا الدوافع التالية لتسبيحه:

1. من أجل صلاحه: ليس من لسان في هذا العالم أو في الحياة الأبدية يستطيع أن يُعبر عن صلاح الله. كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نلمس صلاحه في حياتنا العملية كحقيقة نتمتع بها، فنسبحه بقلوبنا وكلماتنا وسجودنا، بل وبكل حياتنا.

إدراك صلاحه يحول حياتنا إلى قيثارة، يعزف عليها روح الله القدوس بلا توقف!

2. اختياره لنا شعباً له [4]. بحبه الفائق يعتز الله بالإنسان كما بالبشرية ككل، يحسب كل واحدٍ كما الجماعة كلها كنز الذي يعتز به ويحفظه له، مع أنه ليس بمحتاجٍ إلينا في شيء!

3. إله الخليقة القدير [5-7]: يعتني بالخليقة لحسابنا، ويحركها لإشباع احتياجاتنا. يتعامل حتى مع الرياح والعواصف التي تثور ضدنا، ليجعلها في خدمتنا لبنياتنا.

4. إله التاريخ [8-14]. لن تتحرك أحداث التاريخ جزافاً، بل لتحقيق خطته الخلاصية لأجلنا.

5. إله البهجة الأبدية [15-18] يحول البشرية إلى شبه كائنات سماوية، لا تعرف إلا الفرح والتهليل السماوي!

هَلُّوياً. سَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ.

سَبِّحُوا يَا عِبِيدَ الرَّبِّ [1].

يرى البعض أن الإشارة إلى " اسم الرب " هنا تعني التسبيح لجوهر الله غير المحدود، وإن كان غير مدرك، كما لقداسته وصلاحه وبكونه الحق المستحق كل تسبيح.

❖ إذ يقول النبي: "سبحوا"، يعلم اليهود أن الرب لا يُسر بذبائح الحيوانات، لكنه يشاء ذبيحة التسبيح. أما قوله: "اسم الرب" فيدل على أن جوهر الله غير مدرك، إنما يُسبح اسم الرب الذي به يصير العظام.

الأب أنسيمس الأورشليمي

يرى القديس أغسطينوس أننا كعبيد نلتزم بالتسبيح لإلهنا من أجل محبته لنا وعطاياه التي لا تُحصى، فكم بالأكثر يليق بنا أن نفعل هذا وقد وهبنا أن نتمتع بالبنوة له، لنا حق الدخول في أحضانه.

❖ إنكم لا تفعلون شيئاً زائداً بتسبيحكم ربكم بكونكم عبيداً.
يلزمكم أن تسبحوا الرب إلى الأبد بكونكم عبيداً له، كم بالأكثر يليق بكم أيها العبيد أن
تسبحوا الرب، لكي تقتنوا فيما بعد ميزة الأبناء؟

القديس أغسطينوس

الواقفين في بيت الرب،

في ديار بيت إلهنا [2].

يرى البعض أن هذه العبارة خاصة بالكهنة واللاويين، وإن كان بيت الرب كان يضم
أيضاً الكثير من الشعب، يأتون إليه كل يوم. أيضاً يقف الشعب كله تقريباً في بيت الرب في
الأعياد السنوية. جاءت العبارتان 19 و 20 تدعوان بيت إسرائيل وخائفي الرب أو الأتقياء أن
يباركوا الرب.

أما عن قوله: "الواقفين"، فيعني المنتصبين بالاستقامة، والمقربين على أساس الإيمان
المستقيم، هؤلاء يستحقون أن يسبحوا الرب.

وقوله: "بيت الرب" و"ديار الرب" يعلم اليهود ألا يصنعوا شيئاً مما يليق بعبادتهم خارج
البيت أو الدار التي عينها الرب لهم.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرثل حصر التسييح باسم الرب على الواقفين في
بيت الرب، في دياره، لأن اليهود كانوا سريعي النقلب، وهو بهذا يحفظهم من الشركة في عبادة
الأوثان، بمنعهم من تقديم الذبائح والتسابيح في المعابد الوثنية. يريد الله أن يحفظ شعبه من
الاشتراك في العبادة مع الوثنيين بأية صورة، الذين كانوا يتعبدون تحت كل شجرة خضراء وعلى
الجبال والتلال والمرتفات الخ.، لهذا حصر العبادة الجماعية في الهيكل، خاصة التسييح
الجماعي وتقديم تقدمات وذبائح.

ويرى القديس أغسطينوس أن الله يهبنا بركة التسييح أينما وجدنا، فكم بالأكثر تُحسب
بركته أن يدخل بنا إلى بيته لنسبح له مع ملائكته!؟

❖ مرة أخرى يحثهم على تقديم ذبيحة التسييح هذه؛ إنها ذبيحة وتقديمة لله. لذلك يقول في
موضع آخر: "أسبح اسم الله بتسييح، وأعظمه بحمد. فُيستطاب عند الرب أكثر من ثورٍ بقرٍ
ذي قرنين وأظلاف" (مز 69: 30-31).

¹ On Ps. 135 (134).

الآن يشير بطريقة ثابتة إلى البيت والديار، مقيدًا الجماعة بمكانٍ معينٍ، دون أن يسمح لهم أن يجولوا خارجًا.

ها أنتم ترون أنه منذ البداية كانت وصيته أن يتعهدوا بناء (خيمة الاجتماع) إلى النهاية، مبطلاً الدنس وعبادة الأصنام التي قد تتأثر بها كل التجمعات في نقطة واحدة، فلا يجولوا في كل مكان بمطلق العنان بطريقةٍ جامحةٍ، ولا يحولون البساتين والينابيع والهضاب والتلال إلى ذرائع للدنس، بتقديم ذبيحة في هذه الأماكن وسكب سكائب على المرتفعات. لهذا السبب كان يحكم بالموت لمن يقدم ذبيحة خارج الهيكل، قائلاً: "من لا يقدم التقدمة ويتم الذبيحة في الخيمة يرتكب جريمة سفك دم" (راجع لا 17: 4). هذا هو تفسير أن تتم التجمعات في ذلك الموضع، إنما لكي يسمعوا ويسلكوا باعتماد، ويحفظوا من الأفكار الخاطئة. الآن يأمرهم أن يرتلوا ويسبحوا (في بيت الرب)، لأن التسبيح الموجه لله كان بالنسبة لهم فرصة للتقوى.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كونوا شاكرين يا من كنتم في الخارج، وها أنتم في الداخل. إذ كنتم واقفين، هل كان هذا بالأمر الهين بالنسبة لكم أن تسبحوا ذلك الذي أقامكم حين كنتم في الخارج، وجعلكم واقفين في بيته كي تعرفوه وتسبحوه؟

هل هذه عطية قليلة أن تقفوا في بيت الرب؟... إن فكر أحد هكذا يكون جاحدًا!

القديس أغسطينوس

سَبِّحُوا الرَّبَّ، لِأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ.

رَبِّمُوا لِاسْمِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ حُلُوٌّ [3].

الله هو الصلاح عينه، من جهة يهب الحياة للصالحين الذين يلتصقون به، ويحول حتى الشرور التي تلحق بأتقيائه إلى صلاحهم وبنيانهم. الله نفسه هو مصدر عذوبة ومسرة للخليقة التي تلتصق به، سواء من السمايين أو البشر.

يليق بنا أن نسبح الله، ليس من أجل معاملاته معنا فحسب، بل ومعاملاته مع الآخرين، وفوق هذا نسبحه من أجل شخصه هو، فهو حلو! هو مصدر كل عذوبة حقيقية

¹ On Ps. 135.

² On Ps. 135 (134).

وسعادة أبدية لمن يلتصق به. كلما قدمنا تسبحة بإخلاصٍ نتمتع بعذوبة الله بالأكثر، ونختبر السعادة الحقيقية. يقول المرتل: "سبحوا الرب، لأن الترنم لإلهنا صالح، لأنه مُلذ. التسبيح لائق" (مز 147: 1)، وأيضًا: "في يمينك نَعَمُّ إلى الأبد" (مز 16: 11).

يبدأ بالحث على التسبيح من أجل المنفعة، فإنه صالح ورحوم وحنان، فالتسبيح يطهر النفس، ويرفع العقل إلى فوق، ويقدم لنا تعليمًا صالحًا خاصًا بمفاهيم سليمة عن الحياة الحاضرة والعتيدة. هذا والتسبيح بلحنه الجميل يدفع النفس إلى الحياة المقدسة، ومن جانب آخر، خلال التسبيح نتلمس حلاوة اسم الله وعذوبته.

❖ الترنم يلذذ المسامع، ويفرح القلوب، ويخشع القلوب، وذلك إذا كان ترتيلها بورعٍ وحسن نظام، وليس بصياح.

الأب أنسيئس الأورشليمي

يقصد بكلمة "ذاك" الله نفسه، فهو حلو في أعماقنا.

إن كنا نستعذب طعام الجسد فنحسبه حلواً، ونشكر من صنعه، وأيضًا من قدمه، كم

بالحري نشكر من يقدم لنا طعام الملائكة السماوي؟

إن كان الله يرسل طعام الملائكة ليأكله الإنسان (مز 78: 25)، وهو سماوي وحلو،

فكيف تكون عذوبة الله نفسه وحلاوته، وعذوبة التسبيح والشكر له.

يقدم لنا الدافع للتسبيح وهو "لأن الرب صالح". يقول القديس أغسطينوس إن كلمة

"صالح" التي تخص الله تختلف تمامًا عن نفس الكلمة حينما تخص الخليفة. فعندما أتم الخليفة

قيل إنه رأى كل شيء حسنًا (صالحًا) جدًّا، فماذا يكون الخالق نفسه؟

❖ إلى أي مدى يمكننا أن نتحدث عن صلاحه؟

من يمكنه إدراك في قلبه أو فهمه كيف يكون الله صالحًا؟

لنرجع إلى أنفسنا وفي داخلنا فنتعرف عليه، ونسبح الخالق على أعماله. على رجاء

أننا نستطيع أن نتأمله عندما يتتقى قلبنا بالإيمان وبعد ذلك يفرح في الحق.

لنرى أعماله، فلا نعيش دون التسبيح له.

القديس أغسطينوس

¹ Cf. St. John Chrysostom: On Psalm 135.

² On Ps. 135 (134).

2. دوافع التسبيح

يبدأ المرتل هذه الدوافع باختياره لنا شعباً له، قبل أن يتحدث عنه كخالقٍ ومدبرٍ للكون وإله التاريخ. فإن الخليفة والتاريخ ورعاية الله الفائقة غايتها الحب الإلهي الذي به تشعر البشرية أنها لله، والله لها. هذا هو شعور كل مؤمنٍ حقيقي: "أنا لحبيبي، وحبيبي لي" (نش 6: 3).

أ. اختياره لنا شعباً له

لَأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِذَاتِهِ،

وَإِسْرَائِيلَ لِخَاصَّتِهِ [4].

في حبه العجيب للبشرية، يود أن يقيم منهم خاصة له، ينسب نفسه إليهم، فيحسب نفسه إله إسرائيل، كما يحسب نفسه إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. قيل: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك، لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (تث 7: 6). كما قيل: "فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة" (خر 19: 5-6).

كثيراً ما يشير الكتاب المقدس إلى اختيار اليهود كشعبٍ له في العهد القديم (تث 7: 6، 7؛ مز 33: 12؛ عا 3: 2).

جاءت كلمة "خاصته" في الترجمة السبعينية: "ميراثاً له"، وبت ترجمها البعض "كنزه". إنه يعتز بمؤمنيه، ويحسبهم كنزه الثمين. كأعضاء في جسده، ينظر إلينا بكوننا لؤلؤة ثمينة للغاية لا تُفقد بثمرٍ.

حقاً، إن من يشاق إلى الالتصاق به، يدخل كما في قرابة، يقف في دهشة متسائلاً: "ولماذا اختارني أنا؟" هذا الشعور المفرح يجعل من الإنسان متعبداً لله في مخافة مع فرح عجيب!

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله يُسر بالتسبيح ككنزه، ليس من أجل كثرة عدد المسبحين، وإنما من أجل فضائلهم.

❖ الآن، ما هو معنى: "ككنزٍ له"؟ كثراتٍ، كفيضٍ من خيرات (خاصة به)، حتى إن كانت الأمة صغيرة في العدد، فإنه يختارها كثروته، ناظراً لا إلى قلة العدد، بل إلى الفضيلة التي

قصد أن يقودهم إليها ويختاروها .

القديس يوحنا الذهبي الفم

ب. إله الخليقة القدير

نسبح الله كخالق، لأنه خلق المسكونة من أجل الإنسان محبوبه. هو كلي القدرة، يحرك الطبيعة لأجل بنيان الإنسان وإشباع احتياجاته المادية والروحية والنفسية.

لَأَنِّي أَنَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ،

وَرَبَّنَا فَوْقَ جَمِيعِ الْآلِهَةِ [5].

كل أمة تعتز بإلهها أو آلهتها بالرغم من جمود هذه الآلهة، وعجزها التام عن العمل. أما الله الحي فهو فوق الكل، ليس من مجالٍ للمقارنة بينه وبينهم.

قد يعجب الإنسان كيف يتحدث المرثل عن الرب أنه عظيم، ثم يعود فيقارن بينه وبين آلهة الأمم، ويقول إنه فوق جميع الآلهة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنه ليس من مجال للمقارنة، لكن المرثل يستخدم هذا من أجل ضعف عقل المستمعين، فقد ارتبطوا بالعبادة الوثنية وكرموا، لهذا كان يلزم مقارنة الله الحي بهذه الآلهة الجامدة التي بلا حياة لإنقاذ هذه النفوس الضالة؟

إلهنا عظيم في حبه وفي تواضعه وفي رعايته لنا في الأمور الكبيرة والصغيرة. في

تقديرنا لمحبهه الفائقة لنا نرتل، قائلين: "كم أنت عظيم يا مخلصي؟!"

إنه فوق كل الرؤساء والحكام والقادة والأوثان، "له على ثوبه وعلى فخذيه اسم مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ 19: 16).

كُلُّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ،

فِي الْبَحَارِ، وَفِي كُلِّ اللَّجَجِ [6].

الله القدير بإرادته وحدها يحقق كل شيء، هو يقول فيكون. ليس من إرادة فوق إرادة الله، هذه الإرادة تعمل لصالح خليقته التي تقبل عمله فيها.

إنه ملك السماء والأرض، يجلس على عرش المسكونة كلها. ضابط الكل، يوجه كل

شيء، ويفعل كل شيء حسب مسرته.

¹ On Psalm 135.

❖ إنه كلي القدرة، لذا ما يريدته يتحقق¹.

❖ لا تقدر الإرادة البشرية أن تمنع (الله) من أن يعمل ما يشاء، فإنه حتى بالإرادات البشرية يتم هو إرادته عندما يريد أن يحققها².

القديس أغسطينوس

❖ ألا تعلمون أنه ليس فقط في خلق الأمور التي على الأرض، بل وخلق قوات السماء أيضًا، تكفي إرادته المجردة لتحقيق ذلك³.

❖ ألا ترون القوة التي فيها كل الكفاية؟ ألا ترون مصدر الحياة؟ ألا ترون القدرة التي لا تقاوم؟ ألا ترون السمو الذي لا يُقارن؟ السلطان الذي لا يعترض سبيله موضع ما؟ ألا ترون أن كل شيء سهل وبسيط بالنسبة له؟ يقول: صنع ما شاء. أسأل: أين؟ "في السماوات وعلى الأرض"، أي ليس فقط هنا في الأسفل، بل وفي السماء؛ وليس فقط في السماء وإنما على الأرض أيضًا. وليس فقط على الأرض، وإنما أيضًا في البحار وكل الأعماق⁴.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أراد كل الأشياء أن تُخلق فكانت. أراد للعالم أن يبقى فاستقر⁵.

الأب يوحنا الدمشقي

بإرادته الصالحة لم يتركنا معوزين شيئًا، فإن عطاياه لا تُوصف! رعايته في كل

صباح جديدة!

❖ من يقدر أن يعدد أعمال الرب في السماء وعلى الأرض وفي البحر وفي اللجج؟ مع ذلك إذ لا نستطيع إن ندركها بأكملها، يلزمنا أن نقبلها بإيمان دون تساؤل⁶.

القديس أغسطينوس

❖ يا سيدي، ليتنا دائمًا لا نقبل بخفةٍ تكدير الأفكار الشريرة، وأن نشور ونتكدر نحو قربنا، لأن هذا من عمل الشيطان ليس إلّا. وماذا فعلنا بالآية: "طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة،

¹ Sermon 214: 6.

² Admonition and Grace, 14: 45.

³ On The Incomprehensible Nature of God, homily 2: 30.

⁴ On Psalms 135.

⁵ Orthodox Faith, 2: 29.

⁶ On Ps. 135 (134).

لأنه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة" (يع 1: 12)؟

لقد كتبتُ ذلك لمحبتك ليس لاحتياجك إلى التعلّم، لأنك لو بحثت في الكتاب المقدس ، فإنه ستكون لك رزانة وفطنة أكثر ممّي أضعافاً، لأنني بائسٌ وضعيفٌ، ولي فقط الاسم مع جهالة. ولكنني من وجع القلب والحب المضاعف لله "كتبتُ إليك بدموع كثيرة" (2 كو 2: 4).

فعل الله يثبت قلبك في مخافته ، ذاك الذي خلق السماء وثبتها (إش 5: 42 السبعينية). ولعله يؤسس بنيانك على الصخرة الثابتة "الذي أسس الأرض على المياه" (مز 135: 6 السبعينية). ولعله ينتهر التجارب ، ذاك الذي "انتهر الرياح والبحر" (مت 8: 26).

ولعله يُبعد عنك نسيان الوصايا ، ذاك الذي أبعد المشرق من المغرب (مز 103: 12).

لعله يُشفق على نفسك "كما يتراءف الأب على البنين" (مز 103: 13)، ولعله يُنير قلبك ذاك الذي أضاء الأشياء التي كانت مظلمة (أنظر 2 كو 4: 6).

القديس برصنوفوس

المُصْعِدُ السَّحَابَ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ.

الصَّانِعُ بَرُوقًا لِلْمَطَرِ.

المُخْرِجُ الرِّيحَ مِنْ خَزَائِنِهِ [7].

الله هو واضع القوانين لكل الطبيعة، فإن كانت تسير حسب الناموس الذي وضعه لها الله، فلا يليق أن نتجاهل أن كل الخليقة في يده يحركها حسبما يشاء، سواء حسب النواميس التي وضعها أو ضدها إن أراد.

كل الأمور تسير بتدبير إلهي، حتى قطرة واحدة من الأمطار. كما أن قوة الله ليست خارجة عنه، فهي تحمل سماته غير محدودة، أبدية، ولا تُقاوم، ولا يمكن فهمها بفكرنا البشري . كثيراً ما يشير السحاب إلى النفوس المقدسة لله، لأنها تحظى بالتخلص من ثقل الخطايا، فتصير خفيفة كالسحاب، تحلق في السماويات، أما الأشرار فيسبب ثقل الخطايا يصيرون كالرصاص الذي يغوص في عمق المياه.

¹ W. Macdonald: Believers Bible Commentary, Thomas, Nelson, 1917, Ps. 135.

تشير البروق إلى روح الاستنارة التي يهبها إيانا روح الله القدوس.
ويشير الريح إلى الروح.

وكأننا نشكر الله ونسبحه، لأنه يقيم منا نحن الذين نسلك على الأرض سحابًا مقدسًا
ينعم بعربون السماء، ويفتح بصيرتنا الداخلية، فتتعرف على أسرارهِ، كما يهبنا روحه القدوس
عاملاً فينا، كما من خزائنه الإلهية. هذا هو موضوع تسبيحنا له، إنه ينزع عنا خطايانا، ويهبنا
برّه، ويقيمنا كملائكته المنيرين، ويجعلنا هيكلًا له وروحه القدوس ساكنًا فينا.

❖ يُقال عن الرسل إنهم سحاب، لأنهم بحرارة شمس البرّ الذي هو ربنا يسوع المسيح، رُفِعوا
من الأرضيات إلى السماويات. كما قال بنفسه له المجد: أنتم لستم من العالم، بل أنا
اخترتكم من العالم.

أما البروق فهي التعاليم التي أضاعت المسكونة، وجلبت علينا رحمة الله مثل مطرٍ.

الأب أنسيْمُسُ الأورشليمي

❖ هنا يعجب المرثل من رعاية الله للإنسان، فمن أجله يسمح للمياه أن تتبخّر في أماكن بعيدة
(المحيطات) لتصير سحابًا، ويسير السحاب في الجو كما في رحلة حتى يبلغ مكانًا ما
وتسقط الأمطار. كأن المرثل يقول إن الله يعول الإنسان، فيهبه مياهًا من أماكن بعيدة،
ويأتي بها إلى حقله ومدنه، ويقدم له هذا الماء .

❖ يرى المرثل كأن الله يبعث بالرياح من مخازنها لصالح الإنسان .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لنترك الآن الأرض والأرضيات، ونطلق في الهواء على أجنحة العقل. من هنا سأحملك
إلى أعلى وأعلى، إلى موضوعات سماوية، السماء نفسها وما فوق السماء. إن الكلمات
تتردد في الاقتراب من مرحلة ما وراء السماوات، ومع ذلك سنقترب منها على قدر ما
تستطيع الكلمات أن تعبر عنه.

من الذي أوجد الهواء بهذه الغزارة، ووزعه ليس حسب المرتبة أو الثروة، فإنه ليس هناك
حدود تحتجز الهواء وتكتمزها داخلها. ولا يخضع توزيعه للسن، لا بل توزيعه مثل توزيع
المن والسلوى، يوجد ما يكفي الجميع، وأنصبة الجميع متساوية (خر 16: 14-16).

¹ On Psalms 135.

² On Psalms 135.

تمتطي جميع المخلوقات ذات الأجنحة الهواء، وتتخذة الرياح عرشاً لها. هو الذي يعطي فصول السنة توقيتها، ويعطي الحياة للحيوانات، أو بالأحرى يحفظ الحياة في أجسادها. تعيش أجسادنا في الهواء، وينتقل الكلام عن طريقه. والضوء وما يظهره الضوء لنا موجود في الهواء، كما أن تيار البصر يسري فيه.

لننظر إلى ما يأتي بعد الهواء، فليس للهواء السيطرة على كل ما يُعتقد أنه تابع له،

ماذا عن مخازن الرياح (مز 135: 7)، وخزائن الثلج "البرد" (أي 38: 22)؟

ومن ولد قطرات الندى؟ (أي 38: 28) ومن بطن من خرج الثلج؟ (أي 38: 29) من

يَصِر (يربط) المياه في السحب؟ (أي 26: 8)

المعجزة هنا أنه يربط شيئاً طبيعته التدفق بكلمته في السحب، ومع ذلك فهو يصب

بعضه على وجه الأرض كلها للجميع (مت 5: 45) في الفصل المناسب، وهو لا يطلق

مخزون الماء كله، فقد كان التطهير الذي تم في أيام نوح كافياً، وحقاً فإن الله لا ينسى

وعده بعدم تكرار الطوفان (تك 9: 8-17). وفي نفس الوقت لا يمنع الماء، وبهذا الشكل

فإنه لا يجعلنا نحتاج لإيليا ثانٍ لِنهَي الجفاف (1 مل 17: 1-18: 45). "إذا أغلق

السماء، من ذا الذي يمكنه أن يفتحها" يقول الكتاب (أي 12: 14، 2 أي 7: 13). وإذا

فتح كوى السماء، من ذا الذي يغلقها؟ (مل 3: 10) من الذي يستطيع أن يتحمل شدة

الجفاف والظوفان لو لم يتحكم الرب في الكون كله بضوابطه وموازينه (أي 28: 25)؟

أيها الفيلسوف إنك تهدر كالرعد هنا على الأرض، مع أنك لا تملك البريق الذي يمكن

أن تعطيه لك بضع شرارات من الحق؟ كيف تفسر البرق والرعد؟¹

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ "من هو أب للمطر؟! ومن ولد قطرات الندى؟!" (أي 38: 28)

من اكتنز الهواء في السحب، وربطها لتحمل مياه الأمطار، فتأتي ذهبية اللون (أي

37: 22) من الجنوب، بنظامٍ واحدٍ تارة، وفي شكل دوائر متعددة وأشكال متباينة تارة

أخرى؟!

من يحصي الغيوم بالحكمة (أي 38: 37)، إذ قيل في أيوب: "من يعرف انفصال

السحاب؟!" (أي 37: 16 LXX)

¹ العظة اللاهوتية الأولى: عظة رقم 27 عظة تمهيدية ضد أتباع يونيموس، 28.

من هو "المخرج الريح من خزائنها" (مز 135: 7)، وكما قلنا قبل: "من ولد قطرات الندى؟ ومن بطن من خرج الثلج؟!" (راجع مز 135: 7؛ أي 28: 38) فإن مادتها ماء، وقوتها كالحجر! في وقت ما يصير الماء ثلجًا كالصوف (راجع مز 147: 16)، وأخرى يذرية صقيعًا كالرماد، وثالثة يهيب مادة حجرية.

إنه يحكم الماء كما يريد. طبيعة الماء واحدة، لكن عمله متعدد في القوة، فيعمل في الكرمة صخرًا يفرح ق لب الإنسان، وفي الزيتون زيتًا يلمع وجهه، وفي الخبز يسند قلب الإنسان (مز 104: 15)، ويوجد في كل أنواع الفاكهة التي خلقها الله.

القديس كيرلس الأورشليمي

ج. إله التاريخ

نسبح الله، لأنه إله التاريخ، لا يحدث شيء ما مصادفة، إنما هو ضابط التاريخ، سواء على المستوى الجماعي أو الكنسي، أو الشخصي لكل مؤمن.

يشهد التاريخ عن التدخل الإلهي في حياة الكنيسة كما المؤمن، ليطمئن الإنسان من جهة المستقبل أنه في يد الله. اختار المرتل من بين أحداث التاريخ ثلاثة أحداث هامة، وهي: أ. الضربات العشر، ليؤكد أن الله، وإن سمح بالشر، لكنه لن يترك مؤمنيه في قبضة الشر أو الأشرار الطغاة.

ب. وهزيمة الملكين سيحون وعوج في بداية المعارك التي دخل فيها الشعب قديمًا. ج. وأخيرًا دخول أرض الموعد إشارة إلى التمتع بكنعان السماوية.

الَّذِي ضَرَبَ أَبْكَارَ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبُهَائِمِ [8].

بعد أن سبح المرتل الله لأجل أعماله العجيبة الخاصة بالطبيعة التي من صنع يديه، وتسير حسب رعايته الإلهية، الآن يسبح الله من أجل معاملته في التاريخ. تبرز قوة الله في معاملته مع شعبه في العهد القديم خلال الضربات العشر، وتبلغ القمة في الضربة الأخيرة الخاصة بقتل الأبقار، وعبور البحر الأحمر.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم في ضرب أبكار المصريين يعن الله لطفه ومحبه لشعبه كما أيضًا للمصريين أنفسهم ولكل الأمم:

أ. كما أن الأب يحمل أحد أطفاله على ركبتيه أو على ذراعيه لكي يدفع بقية أولاده

¹ راجع مقال 12: 16، والقديس الذهبي الفم 12: 2. Statues

أن يجروا إليه، فيقدم لهم نفس الرعاية كما مع هذا الطفل، هكذا اهتم الله بشعبه المتألم من مرارة العبودية، فسمح بضرب أبكار المصريين الذين سخروا شعبه في مذلة، ليعلن الله حبه لكل البشرية. كل من يلتصق به يتمتع بهذا الحنو الإلهي الذي قدمه لشعبه.

ب. في هذا التصرف أيضاً أعلن اهتمام الله بالمصريين، فقد بدأ بتأديبهم بضربات خفيفة، وإذ أصروا على عنادهم سمح بتأديبات أقسى فأقسى، لعلهم يتوبون. ومن جانب آخر ليكونوا درساً وعبرة لمن يُصر على العناد.

لم يبدأ الله الضربات بموت الأبقار، إنما بالخلاتق الأخرى كالحوانات، لعلهم يرتدعون.

ج. أكد لهم الله بكل الطرق أن هذه الضربات لم تحدث مصادفة كما يظن البعض، إنما هي تأديب من قبل الله لإصلاحهم.

د. لم يقتل كل أبناء المصريين تاركاً لهم الآخرين ليعطيهم رجاء التوبة.
و. سمح بضرب أبكار البهائم مع أبكار المصريين ليؤكد لهم أن هذه البهائم عطية من الله للإنسان، فإن فسد الإنسان، فما الحاجة لهذه البهائم التي خلقها الله لخدمة الإنسان؟

أُرْسِلَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ فِي وَسْطِكَ يَا مِصْرُ،

عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى كُلِّ عِبِيدِهِ [9].

الله الذي صنع آيات وعجائب في وسط مصر ليخلص شعبه من عبودية فرعون، لا يزال يعمل بلا انقطاع من أجل خلاص نفوسنا من عبودية إبليس، ليدخل بنا لا إلى أرض الموعد، بل إلى السماء عينها.

"في وسطك يا مصر": يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يقصد بذلك وسط مصر مكانياً، وربما يعني أنها في وسط المصريين لكي يتحير كل المصريين، فيقف الكل في حيرة ودهشة متسائلين: ماذا وراء هذا الحدث؟ فيدرك الكل أنه لتأديبهم.

❖ إن قلت إن فرعون هو الذي كان عاصياً على الإسرائيليين، ومانعاً لخروجهم، فلماذا ضرب الله جميع أبكار المصريين؟ نقول: لولا أن جميعهم كانوا متفقين في الرأي وفي مسلكهم، لقاموا على ملكهم، وألزموه على إطلاقهم. هذا قد ظهرت حقيقته أخيراً عندما مات أبكارهم، إذ قاموا كلهم بساقٍ واحدة، وألزموا فرعون على إطلاقهم. إذن كان يمكن حدوث هذا قبل امتحانهم.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

الَّذِي ضَرَبَ أُمَّمًا كَثِيرَةً،

وَقَتَلَ مُلُوكًا أَعْرَاءَ [10]

كان الشعب في مواجهة أمام أمم كثيرة وملوك عظماء. انتصر عليهم شعب الله دون خبرة عسكرية، لأنهم لم يكونوا طرفاً في المعركة، إنما كان الرب نفسه طرفاً فيها. أبرز قوته في رعايته للمؤمنين، فهو سلاحهم الذي لا يُقهر، يهزم الأعداء بكونهم رمزاً لإبليس المقاوم للحق.

سِيحُونَ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ،

وَعُوجَ مَلِكِ بَاشَانَ،

وَكُلَّ مَمَالِكِ كَنْعَانَ [11].

لماذا أشار إلى النصر على سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان، مع أن الشعب انتصر على ممالك أخرى أيضاً؟

1. كانا في مدخل كنعان، يمثلان أول مقاومة قوية ضد إسرائيل (عد 21: 21-25).

2. كانا على رأس الأمم والقبائل القوية.

3. اتسم هذان الملكان وجنودهما بأنهم عمالقة من جهة قامتهم الجسمية وبنيانهم (تث 3: 11؛ عا 2: 9).

وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ مِيرَاثًا،

مِيرَاثًا لِإِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ [12].

صارت الأرض ميراثاً للشعب ليس باستسلام الوثنيين وهزيمتهم، وإنما كعطية مجانية للهاربين من مصر (كرمز للفساد في ذلك الحين) من قبل الله، سبق فوهبها لأبائهم (تك 17: 8؛ 28: 13؛ 35: 12).

يَا رَبِّ اسْمُكَ إِلَى الدَّهْرِ.

يَا رَبِّ دِكْرُكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ [13].

أعمال الله مع شعبه لا يقدر الزمن أن يمحوها، إنما تبقى شهادة دهريّة لاسم الله التقدير الصالح (مز 30: 4؛ 102: 12). اسم الله هنا يمثل الله نفسه.

❖ "يا رب اسمك إلى الدهر. يا رب ذكرك إلى جيل فجيل". بمعنى أن مجدك لا ينقطع. لا شيء يسيء إليه، لا شيء يعترضه، بل بالحري هو أبدي، لا يتغير ولا يتزعزع، دائم الازدهار. الآن ما هو معنى: "ذكرك إلى جيل فجيل"؟ ذكرك هو بلا نهاية ولا حدود.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ صنع الرب هذا ليس اعتناءً بالإسرائيليين فقط، بل ابتغاءً جذب الناس كلهم إلى معرفته والإيمان به.

الأب أنسيئوس الأورشليمي

يرى القديس أغسطينوس أن دافع تسبيحنا هو تذكرنا لعمل الله معنا من دورٍ إلى دورٍ، أو من جيلٍ إلى جيلٍ، بمعنى أننا الآن إذ تمتعنا بالمعمودية صرنا أولاد الله، فنسبحه لأنه دخل بنا إلى هذا الجيل، وإذ ننتظر مجيئه نلتقي معه على السحاب مع ملائكته، فنذكر عمله معنا في الحياة الأبدية. في الجيل الحالي ننعّم بدعوته لنا كأولاد الله، وفي الجيل القادم نتمتع بإكليل المجد.

❖ "من جيل إلى جيلٍ آخر". الجيل الذي فيه صرنا مؤمنين، مولودين ثانية بالمعمودية، والجيل الذي سنقوم فيه من الأموات ونعيش مع الملائكة إلى الأبد. ذكرك يا رب هو فوق هذا الجيل، وفوق ذاك الجيل القادم، فإننا لا ننسى أنه يدعونا الآن، ولا ننسى أنه يكللنا هناك.

القديس أغسطينوس

لَأَنَّ الرَّبَّ يَدِينُ شَعْبَهُ،

وَعَلَى عِبِيدِهِ يُشْفِقُ [14].

هذه العبارة مقتبسة من تثنية 32: 36. جاءت الكلمة العبرية المترجمة هنا " يدين " تعبر عما يخص العدل الإلهي، فالله عادل ورفوف، مملوء حنوًا. فهو يبرئ شعبه إن التصق به بالحق وكان مخلصًا في عهده معه. يترفق بعبيده، لكنه لا يهادن الخطية. إنه لا يحابي! يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله يدين شعبه فيؤدبهم، وإذ يستجيبون للتأديب يعود فيكافئهم ويعزيهم.

ربما يعني أنه يدين الأشرار حتى وإن كانوا من شعبه، ما داموا مصرين على عنادهم،

¹ On Psalms 135.

² On Ps. 135 (134).

ويعزي من يلتصقون به.

❖ أعني أن الرب يقاصص شعبه، ويدينه على جرمه، ويلحق به جريرة خطاياها، ثم يعفو عنه، ولكن ليس من أجل استحقاقه، بل من أجل أنه شعبه وعبده. وأيضًا بمعنى أن الرب يجازي ظالميه (ظالمي شعبه) ويشفق على عبده.

الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ نسبح الله، لأنه بالفعل يدين شعبه الآن، إذ يقول: "الدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمي الذين يبصرون" (يو 9: 39). يصير المتكبرون عميانيًا، والمتواضعون مستنيرين. لذلك " يدين شعبه ". لقد تحدث إشعيا عن الدينونة: "يا بيت يعقوب، هلمّ فنسلك في نور الرب" (إش 2: 5).

القدّيس أغسطينوس

د. إله البهجة الأبدية

أَصْنَامُ الْأُمَمِ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ،

عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ [15].

بعد أن تحدث عن سلطان الله، وأشار إلى عمله في السماوات وعلى الأرض وفي البحار وكل الأعماق، وعن اهتمامه بشعبه وكل الأمم، أظهر أن الله هو إله الكل ويعتني بالعالم، عاد ليسخر بالأصنام. إنه يهاجم طبيعتها ذاتها، فالأصنام لا تعني شيئًا سوى أنها بلا حياة وجامدة، ومع هذا فمن السخافة أن يضع الإنسان رجاءه فيها. شتان ما بين الله خالق الإنسان من العدم، وبين الأصنام التي هي من صنع يدي الإنسان، فهي أقل منه. إنها من الفضة والذهب، قابلة للضياع والدمار.

❖ لذلك اقبلوا تعليم الكتاب المقدّس. لو قال الكتاب: "أصنام الأمم فضة وذهب، عمل أيدي الناس" (مز 135: 15)، فهو لا يحرم السجود أمام الأشياء الغير متحركة، ولا عمل أيدي الإنسان، ولكن فقط أمام هذه الصور التي هي عمل الشيطان.

لقد رأينا أن الأنبياء سجدوا أمام ملائكة، ورجال، وملوك، وهؤلاء الذين لم يعرفوا الله، وحتى أمام عصا. داود يقول "ونسجد عند موضع قدميه" (مز 99: 5) وإشعيا يتكلّم عن

¹ On Ps. 135 (134).

اسم الله "السماء هي عرشي، والأرض موضع قدمي". (إش 66: 1) إنه من الواضح للجميع أن السماء والأرض من المخلوقات. موسى وهارون وكل الشعب تعبدوا أمام أشياء مصنوعة بالأيدي. بولس صوت الكنيسة الذهبي قال في الرسالة إلى العبرانيين: "لأن المسيح لم يدخل إلي أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة، بل إلي السماء عينها" (عب 9: 24) بمعنى أن الأشياء المقدسة القديمة، الخيمة، وكل شيء فيها كانت مصنوعة بأيدي، ولا يمكن لأحد أن ينكر أنها كانت مبدلة.

القديس يوحنا الدمشقي

لَهَا أَفْوَاهٌ وَلَا تَتَكَلَّمُ.

لَهَا أَعْيُنٌ وَلَا تُبْصِرُ [16].

لَهَا آذَانٌ وَلَا تَسْمَعُ.

كَذَلِكَ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهَا نَفْسٌ! [17]

سبق أن أشير إلى الأصنام وسماتها في المزمور 115: 4-8 إنها تعجز حتى عن أن تتنفس، فكيف يمكنها أن تعين من يتعبد لها؟!

❖ بما أن الشياطين كانت تدخل في الأصنام وتحركها، وتخطب الناس من داخلها، لذلك قال النبي: لا تظنوا أنها ذات نفس وكلام، بل هي مصنوعة من ذهب وفضة وعديمة النفس والحس، وهي عمل أيدي الناس.

الأب أنسيمنس الأورشليمي

مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا،

وَكُلُّ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا [18].

الذين يصنعون الأصنام يصيرون مثلها عميان روحياً وصم وبكم بل وأموات. يرى الأب أنسيمنس الأورشليمي أن التماثيل في العبادة الوثنية حملت صوراً شنيعة غير لائقة تكشف عما في قلب صانعيها وأفكارهم، وفي نفس الوقت يستخدمها الشيطان لحث العابدين لها على ممارسة هذه الرجاسات، فيصيرون على مثال التماثيل نفسها. حقاً لكل فئة عملها الخاص فالشعب غير الكهنة غير اللاويين، والكل معاً يسبحون

¹ عن الصور المقدسة، الدفاع الأول، 26، 27.

الله ويمجدونه.

❖ غاية تعبنا ونهاية قصدنا أن نتشبه بإلهنا على قدر إمكاننا، وأما الذين يعبدون الأصنام، فيكونون مثل منحوتاتهم التي هي عمل أيادٍ بشرية. لأنها صور بشائع وقبائح التي فعلها المصورون وعديمة النمو والحواس. بهذه الأقوال يهجو النبي حماقة عابديها والمتكلمين عليها. أما الشيطان فكان يتكلم من داخلها ليحثهم على صنع بشائع.

الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ "مثلها يكون صانعوها، وكل من يتكل عليها". تأملوا ما هي الآلهة التي من هم على شبهها يكونوا في نوع من اللعنة. إلهنا ليس هكذا. أقصد أن الغاية العظمى للفضيلة تقود الإنسان إلى قمة الأمور الصالحة، أن يكون شبه الله قدر المستطاع. في حالتهم، على العكس، يقول إن العبادة والآلهة ذاتها من نوع تجعلهم مثلهم يحملون أقصى شكل اللعنة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. ختام تسبيحي

يختتم هذا المزمور التسبيحي بالقول عن الرب "الساكين في أورشليم". سرّ تسبيحنا سكنى الله في أورشليم الجديدة، في كنيسة المسيح كما في قلب المؤمن. يقول حزقيال النبي: "يهوه شاما Shamma"، أي الرب هناك.

يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ بَارِكُوا الرَّبَّ.

يَا بَيْتَ هَارُونَ بَارِكُوا الرَّبَّ [19].

مباركة الرب أو التسبيح له هو عمل عظيم، خلاله تتحقق الوحدة بين الفئات من كهنة ولاويين وأتقياء، وكل بيت إسرائيل الروحي الجديد.

❖ بقوله بيت إسرائيل وبيت هرون وبيت لاوي وخانفي الرب يدل على أن التبريك للرب ليس على نسقٍ واحدٍ من الكافة.

الأب أنسيمس الأورشليمي

يَا بَيْتَ لَأَوِي بَارِكُوا الرَّبَّ.

يَا خَانْفِي الرَّبِّ بَارِكُوا الرَّبَّ [20].

¹ On Psalms 135.

يقودنا التأمل في عظمة الله وعظمة معاملته معنا إلى الاستيقاظ الداخلي الملتهب بالحب نحو التسبيح له. نباركه بمعنى أننا نكرمه ونسبحه ونخضع له ونسجد له.

مُبَارَكُ الرَّبِّ مِنْ صِهْيَوْنَ،

السَّاكِنُ فِي أُورُشَلِيمَ. هَلُّوِيَا [21].

كما بدأ المزمور بهللويا، هكذا أيضًا انتهى. فالتهليل هي بداية عملنا ونهايته؛ بل يمثل

كل حياتنا.

من وحي مز 135

تسبيحك حلو يا مخلصي العجيب!

❖ لك الشكر يا خالقي المحب.

نفسي تغوص في لجة أعمال محبتك.

لم تدعني معوزًا شيئًا من أعمال كرامتك!

تبقى نفسي متهللة بخالقها وراعيتها العجيب.

كعبدٍ لك تتهلل نفسي،

فماذا وأنت تهيني روح التبني؟

تحملني في أحضانك كابنٍ لك!

❖ إذ أقف عند أعتاب بيتك، تمتلئ نفسي سرورًا،

فماذا وأنت تدخل بي إلى مقدسك السماوي؟!

في ديارك الأبدية تشترك أعماقي مع طعماتك في التسبيح!

في ديارك أسمر عيني على بهاء مجدك.

في ديارك أنعم بما لم تره عين،

ولم تسمع به أذن،

ولم يخطر على قلب بشر!

حقًا، صالح أنت يا الله، وحلو!

❖ تسبحك نفسي، لأنك اخترتني لك!

أنت لي وأنا لك يا حبيب.

أذوب في حبك العجيب،
ولا أطلب معك سوى أحضانك!

❖ تسبحك نفسي يا أيها الأب الحكيم القدير.

كل ما تشاء تفعله.

وما هي مشيئتك إلا أن تخلص نفسي،

وانعم بشركة الأمجاد السماوية؟

قدير في أعمالك، حكيم في تدبيرك، حلو في أبوتك.

ماذا أطلب بعد؟

❖ من أجلي تُصعد السحاب من أقاصي الأرض.

وتصنع البروق للمطر

وتخرج الريح من خزائنه.

أنت وحدك تقيم من الترابيين الأرضيين سحاباً مقدساً.

بروحك تبرق في داخلي، فأعين نور مجدك.

تفتح خزائن حبك،

فيعمل روحك القدوس في بني البشر

لكِ التسبيح من أجل أعمالك اليومية معنا.

لكِ التسبيح من أجل الأمجاد التي تعدها لنا.

لكِ المجد من جيل إلى جيل.

نمجدك يا من أقممتنا أبناء لكِ.

لكِ المجد يا من تقودنا إلى سماواتك لنكون مع ملائكتك!

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

تسبيح محبة الله الحانية

هذا المزمور هو قطعة تسبيح رائعة تتعش النفس وتلهبها بنيران محبة الله وحنانه نحو كل الخليقة، خاصة الإنسان. يدعو بعض اليهود "الشكر بالعظيم" أو "الهليل العظيم"، وذلك من أجل طابعه المفرح والتهليلي الفريد في كل سفر المزامير.

يفتح هذا المزمور باب الرجاء أمام المؤمن، فلا يشك في مراحم الله، بل يشعر أن الخلاص ليس ببعيدٍ عنه.

ليس من شيء نقدمه لمجد الله، وينزع عنا اليأس المحطم للنفس البشرية سوى الشكر الدائم لله على مراحمه الأبديّة. هذا وإن كانت الصلاة لازمة مادام فينا نفس، فإن الشكر الدائم يسكب مسحة من الفرح السماوي على الصلاة.

كان التسبيح بهذا المزمور يمثل جزءًا من العبادة اليهودية اليومية، كما كان يستخدم في الاحتفال التعبدية في السنة الجديدة، وأيضًا في عيد الفصح اليهودي إذ يشير إلى الخروج.¹ يقوم خورسان بتسبيح هذا المزمور، الأول يرسم الجزء الأول من كل عبارة، والثاني يجاوبه: "لأن إلى الأبد رحمته". ليس في هذا التكرار الباطل الذي حذرنا منه السيد المسيح (مت 6: 7). إنما علته الشعور بالعجز الكامل للتعبير عن حقيقة رحمة رب الأرباب والدخول إلى أعماقها. ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم في هذا التكرار أن النفس تشبه الأرض التي تحتاج إلى سقي مستمر، لتأتي بثمار البرّ والقداسة. يتم هذا السقي بمياه التسبيح المتكرر. إنه ليس بالتكرار الممل، إنما هو دعوة للتعرف على مراحم الله التي يجب أن تكون أمام أعيننا على الدوام، وأن تكرر الترنم بها غير مضمّن. حنوه وأمانته ومراحمه لن تتقطع ولا تفتّر.

يرى الدارسون للتلمود أن تكرار العبارة "لأن إلى الأبد رحمته" 26 مرة يطابق الـ 26 جيلًا من الخليقة إلى استلام الشريعة في سيناء.²

اعتادت الكنيسة الأولى الصلاة بهذا المزمور، ولا تزال تسبح به الكنيسة في التسبحة اليومية (الهوس الثاني). فقد جاء في سيرة البابا أنثاسيوس الرسول إذ كان الشعب يقضي سهرة

¹ Believer's Bible Commentary, Ps. 136.

² Rabbi Avrohom Chaim Feueur, Tehillim, Psalms - A New Translation with a Commentary Anthologized from Talmudic, Midrashic and Mesorrah Publications Ltd., 1985, p.1607.

في الصلاة والتسبيح تحت قيادة البابا، حاصر الجند الكنيسة، وقاموا بالهجوم عليها، لكن الشعب كان يردد هذا المزمور بصوتٍ كالرعد، مكررين "لأن إلى الأبد رحمته" 26 مرة. بقي البابا على كرسيه حتى انصرف الشعب، واختفى البابا وسط الظلام، ولجأ إلى أصدقائه دون أن يصيبه ضرر.

تتجلى رحمة الله في الآتي:

1. إنه الإله الفريد العجيب [3-1].
2. خالق كل شيء من أجل الإنسان [4-9].
3. المعتني بمؤمنيه بيدٍ شديدة [10-24]. واهب النصر على قوات الظلمة؛ وهو في السماء مشغول بنا ونحن بعد على الأرض.
4. رعايته تحتضن الأرض والسماء [25-26]، إذ هو محب لكل خليقته، خاصة العاقلة.

1. رب الأرياب الصالح 3.-1
2. الخالق المبدع 9.-4
3. المنقذ 15.-10
4. القائد 16.
5. المحارب 22.-17
6. المعين 23.
7. المخلص 23.
8. المعتني بنا 24.
9. السماوي 26.

1. رب الأرياب الصالح

احمَدُوا الرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [1].

افتتح المرتل هذه التسبحة بإبراز أن موضوع التسبيح والشكر هو الله نفسه، بكونه الصالح. وصلاحه فريد ومطلق. إنه يهوه الحاضر في وسط شعبه، الحافظ العهد، القائد الحقيقي، أعظم وأقدر من كل القادة البشريين، وكل الطغمان السماوية .

صالح كخالقٍ أوجدنا من العدم، وخلق كل ما نحتاج إليه.
صالح كمخلصٍ، فإن أصابنا ضرر أو فساد بسبب خطايانا يبقى الصالح الذي يُصلح
ما أفسدناه.

صالح كقائدٍ، يبعث قادة، بل ويود أن يقيم من كل إنسانٍ قائداً، ويبقى هو القائد الخفي
القادر أن يدخل بنا إلى أحضانه.

صالح كمحاربٍ، فهو نصير الضعفاء والمظلومين والذين ليس لهم من يسندهم.
صالح كمعينٍ، يرعى خليفته، ويهتم بكل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياتنا، حتى بكسرة الخبز
التي نحتاج إليها.

صالح كسمويٍ، يسكن في السماء لا ليعتزل الأرضيين، إنما يود أن يجعل منهم أشبه
بطغمة شبه سماوية، ويُعد لهم أماكن في السماء، لكي يأتي ويأخذهم، ويهبهم شركة أمجاد
سماوية.

يعلق القديس أغسطينوس على تعبير: " لأن إلى الأبد رحمته "، قائلاً بأن الله يهب
رحمته لقديسيه ومؤمنيه، أما كونها أبدية فلا يعني أنهم سيكونون بائسين، وينقلهم من البؤس
إلى السعادة الأبدية. إنما برحمته ينقلهم هنا على الأرض من البؤس إلى السعادة. يبدأون أن
يكونوا سعداء هنا، هذه السعادة لا تتوقف ولا تنتهي، بل تستمر أبدياً. فإننا نصير أتقياء بعد أن
كنا أشرازاً، وأصحاء بعد أن كنا فاسدين، نصير أحياء بعد أن كنا أموات، خالدين بعد أن كنا
هالكين، سعداء بعد أن كنا بائسين، هذا من فضل رحمته.

❖ إنه صالح، لا يهبنا صلاحاً مؤقتاً، بل رحمته دائمة إلى الأبد. بمعنى أن النفع الذي يقدمه
لكم، إنما يمنحه برحمته أبدياً .

القديس أغسطينوس

❖ الآن، ماذا يعني بـ "إلى الأبد"؟ يقول إنه لا يمارس لطفه في وقت ما، ويكف عن ذلك في
وقت آخر، يُظهر رحمة في وقت، ويتوقف في وقت آخر. وذلك كما يحدث مع الكائنات
البشرية، الذين يعوقهم الانفعال، ويوقفهم البخل، أو يتوقفون بالدخول في محاكمٍ أو يرفضون
بسبب ضغط الانشغال بالأعمال. الله ليس هكذا، وإن كان يستخدم الرحمة بطرقٍ كثيرةٍ

¹ On Ps. 136 (135).

متنوعة. فهو دومًا رحوم، ولن يتوقف عن الحنو على الكائنات البشرية .

القديس يوحنا الذهبي الفم

المؤمن المُخلص في علاقته بالله، أينما تطلع سواء في أعماقه أو في الخليقة المحيطة به أو في علاقته بإخوته أو تطلعاته نحو الأبدية، تتغنى نفسه بصلاح الله الفائق، وتتلامس معه في عذوبة صادقة دائمة، مع تهليل روحي عميق.

احْمَدُوا إِلَهَ الْآلِهَةِ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [2].

يرى القديس أغسطينوس أن الكتاب المقدس يستخدم أحيانًا تعبير "إله" أو "رب" عن بعض المخلوقات مثل الإنسان. كما يستخدم الوثنيون مثل هذين التعبيرين عن الأصنام، لهذا يميز المرتل الله بكونه إله الآلهة ورب الأرباب.

غالبًا ما تُستخدم كلمة "إله" أو الله للتعبير عنه بكونه القدير والقوي صاحب السلطان المطلق، وكلمة "رب" للتعبير عنه بكونه حاضرًا وسط شعبه، يحتضنهم كأبناء له، ويسكب فيض حبه فيهم لبنيناهم أبدًا.

❖ يُقال آلهة عن الصديقين والأبرار، لأنهم آلهة بالوضع (التبني) والتمتع... وهو الإله الواحد بالطبيعة (وليس بالوضع) خالق كافة الآلهة.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ الإنسان البار يتهم نفسه عندما يبدأ أن يتكلم. فإن كان البار يتأهب لاتهام نفسه، كم بالأكثر يكون الخاطيء؟

"اشكروا إله الآلهة". يشير النبي إلى هؤلاء الآلهة الذين قيل عنهم: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم" (مز 82: 6) .

القديس جيروم

احْمَدُوا رَبَّ الْأَرْبَابِ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [3].

❖ يُقال "أرباب" على القوات السماوية الملائكية، لكن الرب الحقيقي هو رب الأرباب.

¹ On Psalms 136.

² Homilies on Psalms, Homily 47 on Ps.135 (136).

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ ربما نسأل: من هم هؤلاء الآلهة والأرباب الذي قيل إن الله الحقيقي هو إلههم وربهم؟ نجد في مزمور آخر مكتوباً أن حتى البشر يُدعون آلهة (مز 82: 1؛ 6: 7). ذكر الرب هذه الشهادة في الإنجيل، قائلاً: "أليس مكتوباً في ناموسكم إنكم آلهة" (يو 10: 34)... ذلك ليس لأنهم جميعاً صالحون، وإنما لأن كلمة الله صارت إليهم... أيضاً دُعي الملائكة آلهة¹.

القديس أغسطينوس

2. الخالق المُبدع

الصَّانِعَ الْعَجَائِبِ الْعِظَامِ وَحَدَهُ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [4].

هنا يؤكد الكتاب أن الله وحده هو خالق السماء والأرض، بكونه الخالق المُبدع. تكشف الخليفة عن حكمته وقدرته ورعايته الإلهية.

يكشف لنا المرثل في العبارات التالية هذه العجائب العظام التي صنعها الله وحده.

وهي خلقة السماء والأرض، ورعايته لخليقته خاصة الإنسان، مع طول أناته يؤدب ويذل المتكبرين، ويسند الضعفاء والمظلومين. يهتم بالأمر حتى تقديم خبزٍ لكل إنسانٍ، ويدبر أمور السمائيين.

يرى القديس أغسطينوس أن المرثل يشكر الله على العجائب التي صنعها بنفسه

وحده، بكونه الخالق، وبعد ذلك يشكره على الأعمال التي صنعها خلال الملائكة والبشر مثل ضرب مصر وأبكارها [10] وما ورد بعد ذلك.

❖ لم يقل "الذي صنع العجائب" بل "الصانع"، مظهرًا أنه يقدم هبات بلا توقف، صانعًا عجائب ومحققًا أمورًا محيرة!... هذه العجائب تتحقق ليس فقط بسلطانه، وإنما أيضاً برأفته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الصَّانِعِ السَّمَاوَاتِ بِفَهْمٍ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [5].

¹ On Ps. 136 (135).

² On Psalms 136.

مسكين الإنسان الذي يؤله نفسه، ويقيم من عقله ناقدًا لأعمال الله.
يقول القديس أغسطينوس إن كلمة "بفهم" إما تعني أن الله خلق السماوات التي نحن ندركها ونفهمها قدر استطاعتنا، أو أن الله بحكمته وفهمه خلق السماوات كما جاء في المزمور
104: 24.

كما يقول لقد ذكر كلمة "بفهم" هنا فقط، لكنها تُفهم ضمناً بالنسبة لكل ما صنعه الله بالنسبة للمخلوقات الأخرى.

❖ هؤلاء هم السماوات، الذين يعلنون مجد الله (مز 19: 1)؛ يلتحفون في صورة السماوي، لا في صورة الأرضي (راجع 1 كو 15: 49).

القديس جيروم

❖ هذه الأشياء (السماء والأرض والأنوار الخ) تُظهر سلطانه وحكمته، كما تعلن عن رأفته العظيمة، بكونها قوية وجميلة ودائمة، تعلن عن قوته وحكمته. أما أنه خلقها لأجلنا ولكي نستخدمها، فتعلن عن رأفته وصلاحه. ألا ترون كيف أن رحمته إلى الأبد؟ أعني أنه لم يخلق هذه لعشرة سنوات أو عشرين أو مئة أو مئتين أو لألف سنة، إنما خلقها لتبقى كل أيام حياتنا.

ولكي يوحي لنا بذلك أكثر، ختم كل عبارة: "لأن إلى الأبد رحمته".

ما هو بحق مدهش أنه خلقها في البداية، وعندما عصاه البشر، لم يحرمهم من هذه الأشياء. فما أعطاه لهم عندما لم يخطئوا تركه لهم حتى بعد أن أخطأوا، ولم يوقف عملها بعد الخطية.

لم يخلق سماءً واحدة بل وأخرى مظهرًا من البداية أنه لا يتركنا على الأرض، بل سينقلنا إلى هناك... لقد أعدّ لنا المساكن. كان النبي مدرّكًا هذا، لذلك أضاف إلى كل عبارة: "إلى الأبد رحمته"، متأثرًا برأفته الحانية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الْبَاسِطُ الْأَرْضَ عَلَى الْمِيَاهِ،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [6].

¹ Homilies on Psalms, Homily 47 on Ps.135 (136).

² On Psalms 136.

يدعي بعض الملحدِين أنه لم يكن وقت ما كانت فيه المياه تغطي كل الأرض، غير أن الكتاب المقدس والعلم السليم يؤكدان أنه ما كان يُمكن أن توجد يابسة يعيش عليها الإنسان دون تدخل مراحم الله .

أحد العجائب العظمى لمراحم الله أن يظهر سطح الأرض، وإن تنحصر المياه في المحيطات والبحار .

يرى القديس أغسطينوس أن تعبير المرثل عن الأرض المبسوطة على المياه يشير إلى الأرض أو اليابسة وقد أحاطت بها المحيطات في العالم. وذلك مثل وجود مدينة تحيط بها المياه من كل جانب، فنقول إنها مبنية على المياه، لأنها هي أعلى في المستوى من المياه، وذلك يختلف عن التعبير بخصوص مركبٍ مثلاً فوق المياه.

يرى القديس جيروم أن هذه العبارة تشير إلى المعمودية.

❖ "الذي يثبت الأرض على المياه" (راجع مز 136: 6). إن كان قد قيل عن الأرض إنها تستقر على المياه، تحفظ اتزانها على البحار، إلا أنه قد أسس أرضنا وثبتها في المعمودية. لم يقل المرثل أنه أصدع أو رفع أرضنا، أو جعلها تصعد إلى السماء. فإن المعمودية تغفر الخطية، كمن تحرر النفس من السجن. إنها لا تستطيع أن تمنح ملكوت السموات، فإن لم يقبل الإنسان الإيمان والأعمال الصالحة لا يستطيع أن يتأكد من الخلاص .

القديس جيروم

❖ "المتبث الأرض على المياه". لاحظوا أيضًا حنوه في هذا الأمر أيضًا. فإننا إذ نحن قابلون للموت وفي عوزٍ شديدٍ، لم يتركنا في هذا الوضع، إنما أعطانا مسكنًا مناسبًا مؤقتًا، وملاً الأرض بمثل هذه الأعمال العجيبة لحنوه .

القديس يوحنا الذهبي الفم

الصَّانِعُ أَنْوَارًا عَظِيمَةً،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [7].

الأنوار العظيمة هي الشمس والقمر والكواكب، هذه التي كان كثير من الأمم يعبدونها بسبب ضيائها. هنا يظهرها النبي كخليقة الله العظيمة وهبها لنا من أجل رحمته.

¹ W. S. Plumer, P. 1150.

² On Psalms, homily 47 on Ps. 135 (136).

³ On Psalms 136.

الشَّمْسَ لِحُكْمِ النَّهَارِ،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [8].
الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [9].

❖ كيف تكون الشمس لحكم النهار؟ لأنه حيثما تحمل الشمس النور حولها، وهي فوق الأفق، تضع نهاية للظلمة وتجلب النهار... والقمر إذ يكمل دورانه 12 مرة يتم مرور عام، وإن كان يحتاج أحياناً إلى شهرٍ إضافي ليضبط توقيت المواسم، كما كان اليهود وقدماء اليونانيين يقيسون السنة قديماً¹.

القديس باسيليوس الكبير

3. المنقذ

الخالق العجيب لم يخلق لنا كل شيء ويتركنا، لكنه هو أيضاً المخلص القدير. لكي يخلص شعبه من عبودية فرعون استخدم كل وسيلة لكي يتوقف فرعون ورجاله عن العنف والقسوة، وأخيراً سمح بقتل أبنائهم، وامسك بيد قوية شعبه، وقادهم إلى الحرية. لتحقيق ذلك شقّ لهم البحر، وجعل لهم أرضاً يابسة في وسطه ليعبروا. عبروا في إيمان، وأما جيش فرعون فغرق إذ عادت المياه إلى وضعها الطبيعي. هذا الحدث هزّ العالم إلى أجيال طويلة، أما الخلاص الذي قدمه لنا بتحريرنا من عبودية إبليس لنعبر إلى الفردوس، فهزّ السماء والأرض، ويبقى موضوع تسبيحنا وتسييح الطغمات السماوية المحبة لنا أبدياً.

الَّذِي ضَرَبَ مِصْرَ مَعَ أَبْنَائِهَا،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [10].

كثيراً ما يشير الكتاب المقدس إلى الضربات التي حلت على مصر لتحرير شعب الله من العبودية، والعبور بهم إلى أرض الموعد، لتأكيد اهتمام الله بالشؤون البشرية في الوقت المناسب، وبحكمة إلهية فائقة، ولما حمل ذلك من رمزٍ لعمل السيد المسيح الخلاصي والعبور بنا إلى كنعان السماوية.

¹ Hexameron, 6: 8.

❖ يكرر على الدوام الأعجوبة التي حدثت في مصر، وذلك بسبب جحودهم ونسيانهم لها، بالرغم من سماعهم عنها مرارًا وتكرارًا. فإن الرحمة لم تكن بعلامة تافهة، إنما حررتهم من السبي والعبودية، وقدمت أسسًا ثابتة عن معرفة الله للأُمُور المستقبلية¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ البحر الأحمر الذي تقبل الإسرائيليون الذين لم يخافوه، هذا الذي خلصهم من الشرور التي أضمرها لهم المصريون المقتفون آثارهم، كان - وكل تاريخ الخروج - رمزًا للخلاص الذي يتم في المعمودية.

مصر في الحقيقة ترمز هنا إلى العالم الذي نمارس فيه شقاءنا بالحياة الشريرة التي نعيشها، والشعب هم الذين يستتبرون (يعتمدون)، والماء هو واسطة الخلاص للشعب يمثل المعمودية. فرعون وجنوده رمز للشيطان وأعدائه.

القديس ديديموس الضريير

❖ ضرب بالعصا، وشق البحر للشعب العظيم، وصوّر الصليب بذلك العبور المملوء عجبًا. من يقدر أن يقسم البحر بالعصا، ما عدا موسى الذي حمل سرّ ابن الله؟ شقّ البحر، وبرهن كيف يشق ابن الله أبواب الهاوية، وصار جسرًا للموتى وعاشوا. عبر العبرانيون، وصوّرت صورة للعبور العظيم، لأن الابن يجذب ويعبر الناس عند أبيه.

غرق المصريون، وصاروا نمطًا للشياطين الدنسين عندما غرقهم ابن الله في اللجة. صوّر فرعون الذي كان يتجبر كلويثان، وجعله شبيهًا للعدو الذي رضه بصليبه. صعد من البحر، وقاد القطيع الذي مات ذئبه، ورسم الراعي الذي جلب قطيعه من السالبيين.

القديس مار يعقوب السروجي

وَأَخْرَجَ إِسْرَائِيلَ مِنْ وَسْطِهِمْ،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [11].

¹ On Psalms 136.

· De: Triantate 2:14. PG 39:697 A.

· الميمر 79 على البرقع الذي على وجه موسى (خر 34: 33-35) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

لم يتحقق تحرير بني إسرائيل من عبودية فرعون بأحداث طبيعية، إنما بتدخل يد الله العجيبة بقوة ومراحمه الفائقة.

بِيَدِ شَدِيدَةِ وَدِرَاعِ مَمْدُودَةٍ،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [12].

❖ تقال يد الله عن فعله، وذراع الله عن قدرته الإلهية.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

الَّذِي شَقَّ بَحْرَ سُوفٍ إِلَى شُقُقٍ،
لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [13].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "الذي شق البحر الأحمر إلى أقسام". يرى القديس يوحنا الذهبي الفم والأب أنسيْمُس الأورشليمي أن الله فتح لا طريقاً واحداً بل اثني عشر طريقاً، كما وهبهم شجاعة أن يسيروا في هذه الطرق، وقد صارت المياه كحوائط مرتفعة، حاجزة.

ويرى الآباء أن ما حدث قديماً مع شعب بني إسرائيل يحدث الآن في المعمودية.

❖ إنه شقٌّ أيضاً بحكمة هكذا، فإن نفس المعمودية تكون للبعض حياة، ولآخرين موتاً... أخرج شعبه المتجدد خلال جرن التجديد. "ودفع فرعون وقوته في البحر الأحمر". بسرعة يحطم خطايا شعبه وجرمه هناك بالعماد.

القديس أغسطينوس

❖ عندما ترك الشعب مصر بإرادته، وهربوا من سلطان ملك مصر بعبورهم الماء، أهلك الماء الملك وكل جيشه. أي شيء أكثر وضوحاً من هذا كرمز للمعمودية؟! فالشعوب تخلص من العالم بواسطة الماء، إذ يتركون الشيطان الذي كان يطغى عليهم، فيهلك في الماء.

العلامة ترنتليان

❖ يريد (فرعون وجنوده) أن يصلوا إليك، لكنك إذ تنزل في المياه تخرج منها إنساناً صحيحاً سليماً، حيث تغتسل فيها من نجاسات الخطيئة لتصعد إنساناً جديداً مستعداً للتسبيح بالنشيد

¹ On Ps. 136 (135).

² De Baptismo 9.

الجدید (إش 42: 10) .

العلامة أوريجينوس

وَعَبَّرَ إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِهِ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [14].

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن من مراحم الله أنه شق لهم طريقًا أو طريقًا في البحر، وهنا تظهر أيضًا قوة الله وسلطانه. لكن هذا لا يكفي. إنما من مراحمه إنه وهبهم ثقة للعبور دون تَحَوُّفٍ وارتباكٍ لئلا ترجع المياه إلى وضعها الأصلي أثناء عبورهم هذا الطريق غير المعتاد والغريب. كانوا في حاجة إلى روح عالية وسامية لتحقيق العبور.

وَدَفَعَ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتَهُ فِي بَحْرِ سُوفٍ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [15].

إن كان الله من أجل رحمته أراد أن يحرر شعبه من مظلة العبودية، فسمح بسلسلة من الضربات تزداد حزمًا وشدة، مع هذا لم يرجع فرعون ورجاله عن العنف، لذلك سمح لجيشه بالغرق في البحر الأحمر الذي هو نفسه وسيلة خلاص لشعبه. هذا التأديب حتى وأن بلغ إلى الموت، فإن الله يبقى ينتظر أن يأخذ العالم درسًا، فلا يسقط فيما سقط فيه فرعون ورجاله. فالله لا يشاء موت الخطاة، بل أن يرجعوا إليه ويحيوا. ❖ ليس بدون سبب عوقب الجيش، بل بالحري إذا اشتركوا في الخطايا، وسعوا وراءهم، نالوا عقوبة وجزاء .

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. القائد

الَّذِي سَارَ بِشَعْبِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [16].

رحلة البرية التي دامت قرابة أربعين عامًا فريدة ومذهلة. إن كان الله قد أرسل موسى لقيادة شعبه ومعه هرون، فإن القائد الحقيقي الذي سار بالشعب في البرية هو الله. إنه القائد الفريد، قاد شعبه في البرية لمدة أربعين عامًا. لم تكن لهم طرق مرصوفة ولا خرائط، ولا مظلات

¹ In Exod., hom 5:5.

² On Psalms 136.

تحميهم من حرارة الشمس، ولا طعاماً يعدونه، كان هو كل شيءٍ بالنسبة لهم. لم يعوزهم شيئاً. أما رحلتنا إلى السماء خلال عبورنا هذه الحياة، فهي موضوع رعايته الفائقة، حتى يحملنا من وادي الدموع، ويدخل بنا إلى الأحضان الأبدية.

❖ "الذي سار بشعبه في البرية" هكذا يقودنا نحن أيضاً خلال قحط هذا العالم القفر حتى لا نهلك فيه .

القديس أغسطينوس

❖ هذا الأمر ليس بأقل أهمية من قيادتهم لعبور البحر، لأنه إن كانت الأرض قد تُركت جافة، وكان يمكن أن توقف الموكب بأن تصير مستقفاً، لكن تبقى متاعب أخرى كثيرة كافية أن تبتلعهم، وتدخل بهم إلى الموت: الجوع والقفر والعطش والحرارة الشديدة ووحوش البرية وعدم وجود ضروريات الحياة. الآن تعلمون كم من الأمور يحتاج إليها الإنسان من أغذية، ومنعشات وملابس كافية، وأحذية وأمور كثيرة توجد في المدن، ولا توجد في برية مرعبة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

5. المحارب

قام أيضاً بقيادتهم في الحروب، كقائد للمعركة، ليدخل بهم إلى أرض الموعد، ويقدمها لهم ميراثاً.

إنه يقودنا كل أيام غريبتنا، يحارب عنا عدو الخير ويحطم كل خطئه، ليكلنا ويهبنا السماء ميراثاً أبدياً، حيث نحيا معه وبه، وننعم بالشركة مع الطغمة السماوية أشبه بطغمة من طغماتهم، يُسرون بنا، ونحن نُسر بهم.

الَّذِي ضَرَبَ مَلُوكًا عَظْمَاءَ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [17].

❖ "الذي ضرب ملوكاً عظاماً"، أولاً ضرب فرعون الذي هو رمز إبليس، وبنفس الطريقة ضرب جيشه .

القديس جيروم

¹ On Ps. 136 (135).

² On Psalms 136.

³ On Psalms, homily 47 on Ps. 135 (136).

وَقَتَلَ مُلُوكًا أَعْرَاءَ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ: [18]

❖ "الذي ضرب ملوكًا عظماء"، "وقتل ملوكًا مشهورين". وهو أيضًا يضرب ويقتل قوات الشيطان المميّنة لأجلنا¹.

القديس أغسطينوس

سِيحُونُ مَلِكِ الْأُمُورِيِّينَ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [19].

من بين الملوك ذكر سيحون وعوج، لأنهما كانا مشهورين بالقوة وحصانة مدنها. هذا ويرى البعض في الملكين وبلديهما إشارة إلى القوات الشريرة التي تهاجم المؤمنين. يرى القديس أغسطينوس أن المرثل اختار الملكين سيحون وعوج، لأنهما يحملان معاني رمزية تكشف عن حماية الله لنا. فسيحون يشير إلى تصويب سهام عدو الخير التي لن تصيبنا مادامنا نحتمي تحت جناحي الله، كما يشير إلى المرارة التي يود عدو الخير أن يسكبها في نفوسنا، لكن الله يحول المرارة إلى عذوبة النصر.

أما عوج فمعناه "كومة معًا" وباشان معناها ارتباك. هذا هو عمل عدو الخير أن يجمع فينا أكوامًا من الارتباك، الأمر الذي يزيله الله من قلوب أولاده!

❖ "سيحون ملك الأموريين" الانطلاقة غير الصائبة" للسهم، "والتجربة النارية" يبطلهما، لأن هذا هو معنى "سيحون". وهو ملك أولئك الذين يسببون مرارة، لأن هذا هو معنى الأموريين².
القديس أغسطينوس

وَعُوجُ مَلِكِ بَاشَانَ،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [20].

وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ مِيرَاثًا،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [21].

مِيرَاثًا لِإِسْرَائِيلَ عَبْدِهِ،

¹ On Ps. 136 (135).

² On Ps. 136 (135).

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [22].

❖ يعطي أولئك الذين ملك عليهم إبليس ميراثًا لنسل إبراهيم، أي للمسيح .

القديس أغسطينوس

❖ جاء التمتع بهذا الإحسان مضاعفًا: النصر على العدو، وصيرورتهم سادة على ممتلكاتهم. ها أنتم ترون أيضًا علامة قوة عظيمة، ليس فقط استبعاد السكان، وإنما أيضًا النجاح في شغل أرضٍ غريبة والسيطرة عليها. ولكي يظهر ذلك بأكثر وضوح أنهم صاروا سادة على مثل هذه الأشياء، لا باستحقاقاتهم، بل بصلاح الله وحده، أضاف: "الذي في مذلتنا ذكرنا" [23]، موضحةً أنه ليس بأعمالنا الصالحة، ولا بانجازاتنا الحسنة، وإنما بمذلتنا .

القديس يوحنا الذهبي الفم

6. المعين

الَّذِي فِي مَذَلَّتِنَا ذَكَّرَنَا،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [23].

يقدم لنا المرثل صورة للرب المعين لنا في وسط الشدة. لقد ذكر شعبه حين كانوا قلة في العدد، بلا قدرة على الدفاع عن أنفسهم، وبلا خبرات. كثيرًا ما كان الشعب ينسى الله ويلتصق بالشر، فيفقد سلامه وحريته ويسقط تحت مذلة المستعمرين لهم. وعندما يرجع الشعب بالتوبة إلى الله يجده منتظرًا إياه ليخلصه برحمته. ولعل فترة القضاة تقدم لنا صورة حية متكررة لهذا الموقف.

❖ "الذي في مذلتنا ذكرنا". لم يقل المرثل إنه ذكرنا في حكمتنا، أو في غنانا، أو في تعليمنا، إنما ذكرنا في تواضعنا. إنه يهب مصادر قوة للممتازين، ومع هذا ما لم يقتنِ الإنسان التواضع لا يكون مقبولاً لدى الله. يقاوم الله المستكبرين، ويعطي نعمة للمتواضعين (يع 4: 6) .

القديس جيروم

❖ ليثبت الآن قلبي في الرب، وهو يذل مبغضينا، يرفع مذلتنا، ويخزي أعداءنا الذين تجبروا

¹ On Ps. 136 (135).

² On Psalms 136.

³ On Psalms, homily 47 on Ps. 135 (136).

علينا مجاناً .

القديس يوحنا سابا

7. المخلص

وَنَجَّانَا مِنْ أَعْدَائِنَا،

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ [24].

مادامنا في الجسد لن يتوقف عدو الخير عن محاربتنا بكل وسيلة، إذ بطبيعته التي أفسدها يحمل عداوة وحسداً نحو الإنسان. يود العدو أن يشاركه الإنسان مصيره الأبدي، أي الهلاك، لكن الرب لا يترك الإنسان محبوبه، باذلاً حياته لأجل خلاصه. الله لا يريد مذلة الإنسان، لكن الإنسان في غباوته وتهاونه يلتصق بالشر، فيدخل تحت ضغوط كثيرة، ويسوده الأعداء من الداخل والخارج. مع هذا فإن الله يطلب فرصة لخلاصهم من هؤلاء الأعداء.

❖ عصا موسى كان بها يرعى غنم حميّه، وبها جعله الله يضرب فرعون وكل المصريين المضادين لأمته، وهي تشير إلى التواضع (مذلتنا) الذي به يمكننا أن نغلب الشيطان عدونا وجميع جنوده المصريين العقلين، وذلك أن الضدّ بضده أبداً يُغلب. لأن البرد بالحر الذي هو ضده يُغلب، والحرّ كذلك بالبرد. ولما كان الشيطان متعظماً، فبالتواضع يُغلب. بالتواضع غلبه الرب الذي لبس صورة العبد، وسلك كل طريق التواضع حتى قهر المتعظّم؛ وعلمنا أنه هكذا تقهره. بالتواضع تخلص منه ومن جنوده أعدائنا، كما يقول النبي داود: "إنه بتواضعنا ذكرنا الرب، وخلصنا من أعدائنا" (مز 136: 23-24). وفي مزمور آخر يقول: "حافظ الأطفال هو الرب. اتضعت وخلصني" (مز 115: 6). يعني أن الذي يتواضع ويجعل نفسه كالطفل، لا معرفة له بإفراز الخير من الشر، ويستشير في كل ما يعمل، هو بالحقيقة يخلص من حيل الشرير.

القديس مار افرام السرياني

8. المعنتي بنا

الَّذِي يُعْطِي خُبْرًا لِكُلِّ بَشَرٍ،

^أ الرسالة السابعة عشرة: 1 (ترجمة الرب سليم دكاش اليسوعي).
تفسير خر 4: 9-6.

لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتَهُ [25].

الله الذي يهتم بفراخ الغربان وطيور السماء وحيوانات البرية، لا يكف عن أن يقدم للإنسان حتى خبزه اليومي.

هنا يبرز النبي أن الله ليس عنده محاباة، هو محب لكل البشر، يهتم حتى بالخبز لكل إنسان! وكما يقول المرثل: "الرب صالح للكل، ومراحمه على كل أعماله" (مز 145: 9). يرى القديس جيروم أن المرثل هنا يسبح الله، لأنه يهب للإنسان اليوم الخبز النازل من السماء، خبز الغد. أي يختبر الإنسان عربون الشبع الروحي الذي نناله بصورة كاملة غداً أو في الحياة الأبدية.

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "الذي يعطي طعاماً لكل ذي جسد". ويرى الأب قيصريوس أسقف آرل، أن المرثل هنا يشير ليس للبشر فقط، وإنما لكل ذي جسد، في البشر والحيوانات والطيور. ويعلق على تقديم الطعام حتى لذوي الجسد الروحي مثل الملائكة والشياطين. فللملائكة طعامهم، وللشياطين أيضاً طعامهم الخاص بهم.

❖ "الذي يعطي طعاماً لكل ذي جسد". إن كان كل مخلوق يطلب طعاماً له، أليست الحيوانات الروحية تطلب طعاماً لها؟ ما هي الحيوانات الروحية، إلا الذي سبق أن أشرنا إليهم، أي الشيطان وملائكتهم؟ وأي طعام يطلبونه من الرب سوى الناس المهملين والفاترين والمتعششين لسفك الدماء، والمتكبرين والشهوانيين والطماعين؟ هؤلاء بالحق هم طعام الحيوانات المفترسة الروحية، لأنهم بأعمالهم الشريرة يعوضون الشيطان عن خسارته لنفسه. كما أن حياة القديسين تتعش المسيح، هكذا على العكس فإن أعمال الأشرار تُطعم الشرير. لماذا تطلب الحيوانات المفترسة الروحية طعاماً لها من الله؟ لأن آدم عندما أخطأ قيل له: "أنت تراب وإلى تراب تعود"، كما قيل للشيطان (الحية): "تراباً تأكلين". هل الأرض التي نسير عليها يأكلها الشيطان يا إخوة؟ لا، إنما البشر ذوي الفكر الأرضي والشهواني والمتكبر، الذين يحبون الأرض، ويضعون كل رجائهم فيها. وإنهم يتعبون بكل طاقاتهم من أجل منافع جسدية، لا بل من أجل مثل هذه الملذات، ونادراً ما يفكرون في خلاص نفوسهم، بل ويفكرون في ذلك تماماً. البشر الذين مثل هؤلاء هم يبحث عنهم الشيطان!

الأب قيصريوس أسقف آرل

¹ Cf. On Palms homily 46 on Ps. 135 (136).

² Sermon 136: 7.

❖ "الذي يعطي طعامًا لكل بشرٍ" ، أي لكل جنس البشرية، وليس لإسرائيلي وحده، وإنما للأمم أيضًا. قيل عن هذا الطعام: "جسدي هو مأكّل حق" ¹.

القديس أغسطينوس

7. السماوي

احمّدوا إلهَ السّمَاوَاتِ،

لأنّ إلهي الأبديّ رَحْمَتُهُ [26].

أعماله العجيبة التي استعرضها المرثل، تشغل فكر الله بكونه إله السماوات المحب للإنسان الأرضي، حتى يرفعه إلى سماواته.

في بداية المزمور يدعو الله "إله الآلهة" و"رب الأرباب"، وهنا يدعو "إله السماوات"، فهو ينسب نفسه لمؤمنيه الحقيقيين السالكين بالروح، فيدعوهم تارة آلهة، وأخرى أرباب، وثالثة سماوات.

يرى البعض أن هذه العبارة الختامية للمزمور تعتبر ملخصًا وافيًا ورائعًا لكل المزمور، تعبّر عن روح المزمور ومنهجه.

من وحي مز 136

يا لعذوبة مراحمك الأبدية!

❖ مع كل صباح مراحمك جديدة يا إلهي المحبوب!

نصيبي هو الرب،

قالت نفسي الملتصقة بمراحمك.

❖ شخصك يا إلهي يسحب كل أعماقي.

قلبي وفكري وعواظي وكل كياني تسبحك.

صالح أنت يا رب في كل أعمالك ومعاملاتك معي!

❖ أنت إله الآلهة ورب الأرباب.

المطلق في قدرته وحكمته ومحبته.

¹ On Ps. 136 (135).

أوجدتني من العدم لأحمل صورتك.

تبقى في سماواتك ترعاني،

أتلامس معك، فأجذك قريباً جداً مني!

❖ بحكمتك أوجدت لي الشمس تنير لي،

فأرى أعمالك العجيبة.

أنت هو شمس البرّ تشرق في داخلي،

فتقيم من قلبي سماءً جديدة.

يرف روحك القدوس على قلبي،

فتقيم من بريتي فردوساً سماوياً!

❖ تفتح لي طريقاً وسط البحر،

فأسير كما على اليابسة.

تحوط حولي كسورٍ، فلا يتسلل إبليس إليّ.

تحميني من أعدائي المرئيين وغير المرئيين.

❖ تقودني في برية هذا العالم كل أيام غربتي.

تُشبع كل احتياجاتي فلا أعتاز إلى شيء.

لا احتاج إلى علامات في الطريق،

ولا إلى خرائط ترشدني،

ولا إلى مظالٍ تحميني من حرارة الشمس،

ولا إلى نور يكشف لي الطريق.

أنت هو الطريق الحق يقودني إلى الاتحاد بك.

أنت هو أكلي وشربي وزادي في الطريق.

أنت هو حصني، تظللني بصليبك من شمس التجارب.

أنت هو النور الحقيقي،

فلا يكون للظلمة موضع في طريقي!

❖ لن يكف إبليس وكل قواته عن المقاومة.

في حسده لا يطيق أن أصير أيقونة لك.

من يدافع عني سواك،
أيها الجبار محطم قوات الظلمة.
أنت قائد المعركة وواهب النصر.
أنت تعد لي الأكاليل،
وتُسر بخلاصي ومجدي.

❖ إلهي ماذا أقول عن مراحمك اليومية.
تقودني دومًا لأنعم بالأبدية.
تعد لي مكانًا لتأتي وتأخذني معك.
قلبي وفكري وكل طاقاتي تصرخ إليك:
تعال أيها الرحم الحبيب!
ليس لي من يشغل قلبي سواك!

أَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّبْعُ وَالثَلَاثُونَ

إِنْ نَسَيْتَكَ يَا أُورُشَلِيمَ!

يسجل لنا المرتل مشاعر الذين كانوا في السبي، خاصة الذين كانوا يقودون التسبيح في أورشليم. وقد طُلب منهم أن يرنموا بإحدى تسابيحهم التي كانوا يسبحون بها في الهيكل بأورشليم. لم يكن ممكناً لهم وهم محرومون من التمتع بالهيكل أن يسبحوا بفرح وتهليل في أرض السبي. هذا وما كانوا يمارسونه في هيكل الرب المقدس، كيف يمكن أن يمارسوه في أرض نجستها عبادة الأوثان! لذلك جاء المزمور يمثل قمة الشعور بالمرارة. وأما مفتاح المزمور فهو الكلمتان: "أذكر" و"أسبح".

يرى البعض أن هذا المزمور سجله داود النبي، متنبأ بما سيحدث لشعبه حين يؤخذ إلى السبي البابلي. ويرى آخرون أنه وُضع بعد العودة من السبي بقليل، سجله أحد المرنمين في الهيكل. إنه صرخة كل مؤمن حين يشعر أن عدو الخير أسره بالخطايا، وأفقدته التمتع بالمقدسات الإلهية، فيندب المؤمن حاله، طالباً الخلاص من الله محرر أولاده من سبي الخطية.

1. بكاء على أنهار بابل 3-1
2. حب قلبي لأورشليم 6-4
3. بابل المُخرِبة 9-7

العنوان

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "داود وإرميا" أو "داود لأجل إرميا".

❖ توهم قوم مما جاء في العنوان أن هذا المزمور وضعه إرميا النبي عند ذهابه إلى بابل مع المسيبيين. لكن الأمر ليس كذلك، بل يُقال أنه كتب لإرميا لكي يقرأه دائماً في أيام السبي، أو لأنه شبيه بمراثيه، أو لأن كلمة إرميا وتأويلها المرميين والمطروحين للسبي.

الأب أنسيمس الأورشليمي

1. بكاء على أنهار بابل

عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا.

بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَ مَا تَذَكَّرْنَا صِهْيُونَ [1].

يقصد المرتل بأنهار بابل القنوات التي كانت تخرج من نهري دجلة والفرات، وذلك

لاستخدامها في الري والشرب، وكانت هذه القنوات أو الترع كثيرة. كما كان اليهود يجتمعون كثيرًا بجوارها للعبادة أو الراحة (حز 1: 1؛ 3: 15). غالبًا ما كانوا يجتمعون في أيام السبت عند إحدى هذه القنوات للصلاة، حتى يمارسوا الغسلات أثناء عبادتهم. يكشف المزمور عن المرارة التي حلت بالشعب الذي حُرِمَ من بلده، وصار مسبيًا كعبيد للبابليين.

كانوا يتذكرون الهيكل والحرية التي فقدوها والفرح الروحي الذي لم يعرفوا قيمته إلا بعد الحرمان منه. وإن مارسوا الصلاة لكن كان من الصعب وأحيانًا من المستحيل أن يعرفوا على القيثارات ليرنمو بالمزامير والتسابيح. صاروا في أرض نجستها العبادة الوثنية. يتطلعون إلى مياه أنهار بابل، فيرون فيها صورة لأنهار دموعهم ومرارة نفوسهم. وكأنهم يرددون مرثاة إرميا النبي: "سكبت عيناى ينابيع ماء على سحق بنت شعبي. عيني تسكب ولا تكف بلا انقطاع، حتى يشرف وينظر الرب من السماء. عيني توتر في نفسي لأجل كل بنات مدينتي" (مر 3: 48-51). كما يقول: "يا ليت رأسي ماءً، وعيني ينبوع دموع، فأبكي نهارًا وليلاً قتلى بنت شعبي" (إر 9: 1).

إن كانت "بابل" تعني "بلبله" أو "ارتباك". فإن من تريكه مشاغل هذا العالم لا يدخل الفرع إلى أعماقه، ولا يقدر أن يسبح الله في أعماقه.

يرى العلامة أوريجينوس أن أنهار بابل تشير إلى حياة اللهو والاستهتار، حيث تفيض مجاري اللذة، ونستحم وسط أمواج عدم العفة. في هذا الجو لا نستطيع القيام، بل نبقى جالسين في رخاوة، حتى نذكر صهيون أي الكنيسة بشريعة الله التي لها وجبال الكتاب المقدس عندئذ نبكي على بؤسنا¹.

ويرى القديس أغسطينوس في هذا المنظر، حيث كان المسييون يجلسون في انسحاق بجوار أنهار بابل، صورة رمزية لمن سباهم حب العالم وشهواته، فصاروا في السبي يكون على ما بلغوه من مذلة.

ويميز القديس أغسطينوس بين الذين يجلسون على أنهار بابل أو مياه بابل أي بجوارها وبين الذين يجلسون أو يغتسون فيها أو تحتها في أعماقها. فالجالسون على الأنهار يكون في حزنٍ على ما بلغوه بسبب سبي الخطية، أما الذين في داخل المياه، فهم الذين يغرقون في المذلات ولا ينالون السعادة، وفي نفس الوقت لا يطلبون التحرر من شهواتهم. يقول عن

¹ In Lev. 15.

هؤلاء إنهم سيكون على حرمانهم من السعادة، لكنهم يفرحون أيضاً بملذات ومباهج بابل، أي فرح العالم الشرير وشهواته.

❖ لاحظوا "مياه (أنهار) بابل". مياه بابل هي كل الأشياء التي تُحب هنا وتزول... يدرك بعض مواطني أورشليم المقدسة سبيهم.

لاحظوا كيف تُسرّع شهوات الناس المتنوعة ورغباتهم الطبيعية وتسحبهم هنا وهناك، وتلقي بهم في البحر. يرون ذلك ولا يلقون بأنفسهم في مياه بابل، إنما يجلسون ويبيكون إما من أجل الذين سحبتهم شهواتهم بعيداً، أو من أجل أنفسهم الذين أهّلوا أنفسهم ليلقوا في بابل، فيجلسون أو يصيرون في مذلة.

آه يا صهيون المقدسة، حيث يقف فيك الجميع بثبات ولا يسيلون (كالماء).

من الذين ألقونا بطيشٍ في هذا (المجرى المائي)؟

لماذا تركنا الذي أسسك (الله) وجماعتك (المقدسة)؟...

لنجلس بجوار مياه بابل وليس تحتها. ليكن هكذا تواضعنا حتى لا تبتلعنا.

القديس أغسطينوس

❖ وإن كنا قد سقطنا من الفردوس خلال خطأنا، غير أننا نتذكر سعادتنا السابقة، ولن ننساها.

القديس جيروم

❖ "على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون". عظيم هو اشتياق الناس للمدينة، وعظيمة هي شهوتهم للعودة. أقصد عندما كانت لديهم الخيرات بين أيديهم استمروا في المظاهر وارتكاب المساوئ، لكنهم إذ فقدوها صار شوقهم أن يقتنوها.

هذا هو السبب الذي لأجله استبعدهم، لكي ما يفودهم إلى هذا الاشتياق. هذه هي

طريقة الله في الغالب، عندما نفسد ولا نقدّر خيراته، ينزل بنا إلى حد الحرمان منها، وخلال

الفقدان تعود أحاسيسنا إليها، ونطلب التمتع بها مرة أخرى.

الآن، لماذا جلسوا بجوار الأنهار؟ إنهم كمسبيين كانوا تحت التحفظ بعيداً عن مناطق

العدو، لهم مناطق خاصة خارج الأسوار والمدن.

¹ On Ps. 137 (136).

² On Psalms, homily 48 on Ps. 136 (137).

³ On Psalms 137.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن إذ ذُبح الشيطان، ذاك الطاعي على العالم كله، فإننا لا نقترَب من عيدِ زائل يا أحبائي، بل من عيدِ خالدِ سمائي، ليس في ظلالِ نَتَبِينِ العيدِ، بل نأتي إليه في الحق. لأنهم إذ شعبوا بلحم حمل أبكم أكملوا العيدِ، وإذ دهنوا قوائم أبوابهم بالدم، طلبوا العون ضد المهلك، لكننا نحن الآن إذ نأكل من كلمة الآب، ولنا أعتاب قلوبنا مختومة بدم العهد قال: "أنظروا، لقد أعطيتكم أن تدوسوا على الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو 10: 19). لأن الموت لن يسود فيما بعد، بل منذ الآن عوضاً عن الموت توجد الحياة. قال ربنا: "أنا هو الحياة" (يو 14: 6). حتى امتلأ كل شيء بالفرح والسرور. وكما هو مكتوب: "الرب يملك، فلتفرح الأرض".

لأنه عندما ملك الموت، بكينا إذ كنا جالسين على أنهار بابل (مز 137: 1) ونحن، إذ شعرنا بمرارة السبي (للموت)، لكن الآن وقد بطل الموت ومملكة الشرير، فإن كل شيء مملوء بالتمام والفرح والمسرة. يجب علينا أن نقترَب إلى هذا العيدِ، لا بملابس قذرة، إنما نرتدي عقولاً (ثياباً) نقية، إذ نلبس ربنا يسوع (رو 13: 14)، حتى نستطيع أن نحتفل بالعيد معه.

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ مكتوب أيضاً: "اخرجوا من بابل؛ اهربوا من أرض الكلدانيين" (إش 48: 20). يُنذر العبراني بكلمات النبي، لا لكي يهرب حقاً من أرض البابليين، وإنما من سيرتها الأخلاقية، إذ كان العبرانيون في أرض بابل، وظهروا بسلوكهم الأخلاقي أنهم رحلوا عنها. عن هؤلاء يقول المرتل إنهم جلسوا على أنهار بابل (مز 137: 1).

هم مكثوا فعلاً في أرض بابل، لكنهم لم يكونوا في رذائلها المخزية. وفي خضم تلك النقائص المشينة بكوا وتابوا، لأنهم سقطوا عن تابوت الإيمان والعبادة النقية وعن الفضيلة واستحقاقات آباءهم. النفس التي تخرج تسير بكلمته (أي في طاعة لها)، إذ تطلب الكلمة. القديس أمبروسيوس

عَلَى الصَّفَصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا [2].

¹ Paschal Letters, 4.

حينما يشعر الإنسان بأنه لا يستخدم آلة موسيقية لمدة طويلة، غالبًا ما يحفظها في عبوة، ويضعها على رفٍ مرتفعٍ وبعيدٍ، هكذا فقد الشعب أمله في عودة سريعة، فعلقوا قيثارتهم على أشجار الصفصاف العالية. فلا حاجة لهم لقيثارات وقد زال الأمل عندهم في عودة الفرح للترنم، وربما سقطوا في اليأس تمامًا.

يرى **القديس جيروم** إن هذا الشجر الذي علقوا عليه قيثارتهم يدعى "الحور الرجراج" بطبيعته عقيم بلا ثمر، ويُقال إن من يشرب جرعة من زهره أو يأكله يصير عقيمًا. وهو يحمل صورة رمزية، فإنه يليق بالإنسان أن يستخدم جسده بحواسه المتعددة كألة موسيقية يعزف عليها تسبحة لله. فإن كانت أحاسيسه عقيمة، يكون كمن علق جسمه على هذا الشجرة، فلا يقدم تسبحة للرب. هذا وقد قيل أن هذا الشجر متى سقط منه غصن وغُرس بالقرب من المياه يبدأ ينمو في الحال. هكذا الإنسان الشرير إذ سقط بجوار مياه الأسفار المقدسة وأنصت لكلمة الله من إنسانٍ قديسٍ، تنتعش نفسه وتهتدي إلى التوبة.

ويقول **الأب أنسيمس الأورشليمي** إن المسبيين علقوا الآلات الموسيقية التي كانوا يستخدمونها في التسبيح حين كانوا في أورشليم، ولما كان الصفصاف شجرًا عديم الثمر، فإنه حيث لا يوجد ثمر الروح لا يمكن ممارسة التسبيح. وأيضًا أن بذور الصفصاف إذا سُحقت وشُربت لمدة أيام ينزع هذا المشروب الرغبة في العلاقة الجسدية، ويجعل شاربه عقيمًا. وكأن من أراد أن يصير آلة مسبحة لله يلزمه أن يضبط شهواته.

❖ **لنفهم** هنا الأشجار العقيمة تنمو على مياه بابل. هذه الأشجار التي ترتوي بمياه بابل، ولا تأتي بثمرٍ، مثل الناس الشرهين والطماعين، الذين بلا ثمر الأعمال الصالحة. مواطنو بابل لهم مثل هذه الحكمة، هم أشجار هذه المنطقة، يقتاتون بملذات الأشياء الزائلة، كمن يرتوون بمياه بابل¹.

القديس أغسطينوس

❖ **"على الصفصاف علقنا آلاتنا"**. في ترجمة مختلفة "قيثاراتنا" وأخرى "أعودنا". لماذا أخذوا الآلات الموسيقية معهم عندما ذهبوا إلى السبي وهم لا يحبون استخدامها؟ هذا كان بتدبير الله أيضًا حتى يذكرهم حتى في الأماكن الغربية بحياتهم السابقة، وتوخز ضمائرهم عند

¹ On Ps. 137 (136).

رؤيتهم آلات الليتورجيا العجيبة¹.

❖ يقول: "علقتنا أعودنا" (مز 137: 2)، وذلك على الصفصاف الذي كان يوجد في هذا البلد (بابل)، لكنهم ولا بهذه الآلات استطاعوا التسبيح. ونحن أيضاً حتى وأن كان لنا فم ولسان، وهما عضوا الكلام، لا نستطيع أن نتكلم بجرأة، إن بقينا عبيداً للخطية، التي هي أكثر قسوة من كل البرير².

القديس يوحنا الذهبي الفم

لَأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلْنَا الَّذِينَ سَبُّونَا كَلَامَ تَرْنِيمَةٍ،

وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا:

رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيُونِ [3].

كان المسييون يتذكرون ما حذرهم منه الأنبياء قبل سبيهم، فكانوا يعلقون قيثارهم على الصفصاف، لأنهم لا يستخدمونها، ويكون على عدم سماعهم لأقوال الله لهم خلال الأنبياء. أما الذين سبوهم، فكانوا يطلبون منهم أن يسبحوا إلههم، إما رغبة في الاستهزاء بهم وبإلههم، أو كنوع من حب الاستطلاع.

لا نعجب إن كان البابليون يطلبون ممن سبوهم وأذلوهم أن يرنموا إحدى تسابيحهم التي كانوا يتغنون بها في أورشليم. فإنهم لم يشعروا بالمُر الذي حل بهم، أو لعلمهم طلبوا ذلك كنوع من السخرية بهم.

يدهش القديس يوحنا الذهبي الفم من المسييين، هؤلاء الذين حين كانوا في بلدهم يستخفون بالأنبياء، الآن وهم في السبي يكون ولا يريدون أن يكسروا الشريعة، ويقدمون تسابيح في أرض غريبة. لقد انتفع الأعداء أنفسهم من ذلك، إذ أدركوا أن المسييين لم يهتروا بالسبي، فيكسروا الناموس، إنما تذكروا صهيون. لم يكن بكاؤهم باطلاً، بل صار هذا هو عملهم. لقد اجتمعوا معاً لينوحوا ويرثوا حالهم. كأنهم يقولون للأعداء: "وإن سبيتم أجسامنا، لكن لا سلطان لكم على أفكارنا. يختم الذهبي الفم تعليقه على هذه العبارة، قائلاً: [ألا ترون هذا الروح ذا القيم السليمة بسبب الضيق، فقد سما بالمتاعب!]³

ربما يتساءل البعض: لماذا اخذوا آلات التسبيح إلى أرض السبي، وهم يعلمون أنه لا

¹ On Psalms 137.

² Homilies on Rom. Hom 7.

³ On Psalms 137.

يجوز لهم أن يسبحوا تسابيح صهيون في أرض غريبة؟ يرى الأب أنسيمس الأورشليمي أن هذا حدث بسماح من الله لكي برويتهم لها يحزنون على ما وصلوا إليه، فيرجعون إلى الرب، أو لكي تلتهب قلوبهم شوقاً وحنيناً للعودة إلى وطنهم خلال التوبة.

❖ "سألنا الذين سبونا كلام تسابيحنا". فإن الأرواح الشريرة التي خدعتنا وقادتنا إلى الأسر في استخفاف تهزأ بنا: "قدموا لنا كلمة إيمانكم، افعلوا هذا كما اعتدتم وأنتم تسبحون تسبحة الله حين كنتم في أورشليم".

القديس جيروم

2. حب قلبي لأورشليم

كَيْفَ تُرَنِّمُ تَرَنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ [4]

حسب اليهود أن الترنم في أرض السبي أمر غير لائق، وأنه لأمر سخيف أن يطلب منهم من سبواهم هذا. فمن جهة كيف يسبحون الترانيم التي كانت تُقدم في المقدسات الإلهية في أرض دنسة، ومن جانب آخر كيف يفعلون هذا كأنهم قد نسوا وطنهم؟! لعل الله سمح لهم بهذا، لكي يتذكروا أنهم قد نسوا الهيكل بإرادتهم حين كانوا في بلادهم، الآن ها هم في أرض مدنسة بالأوثان، جاعوا إليها مسوقين بغير إرادتهم.

إن الحاجة الحقيقية لا العودة إلى أورشليم الأرضية، بل عودة القلب إلى رب أورشليم القادر أن يقيم من قلوبهم مقدساً يسكن فيه، ويملاه بفرح الروح.

يقول القديس غريغوريوس النزينزي إنه يليق بنا أن نفكر في الله حتى أكثر من تنفسنا، وإن ننشغل به. غير أنه يلزمنا أن نعرف الوقت المناسب والحدود اللاتقة لكل عمل . يسجل لنا القديس جيروم مشاعره وهو ملتزم بالخروج من روما إلى الشرق، وكأنه قد خرج من أرض الغربة مع أن الغرب وطنه، وانطلق إلى مدينته في الشرق. لقد شعر أنه كان من الصعب أن يسبح الله في أرض الغربة.

❖ أكتب إليك في عجالة أيتها السيدة العزيزة أسيليا *Asella*، فإنني ذاهب لأبحر، وقد ابتلعتني الحزن والدموع، إلا أنني أشكر الله أنه حسبني أهلاً لكراهية العالم (لي) . صلي من أجلي، لكي أرى أورشليم مرة أخرى بعد بابل... كنت غيباً حين أردت أن أسبح تسبحة الرب في

¹ On Psalms, homily 48 on Ps. 136 (137).

² Against the Eunomians, Theological Oration 1 (27).5.

أرضٍ غريبة، وأن أترك جبل سيناء وأطلب معونة مصر. لقد نسيت أن الإنجيل يحذرنا إذ من ينزل من أورشليم يسقط عليه اللصوص للحال ويُنهَب ويُجرح ويُترك ليموت (لو 10: 35-30).

القديس جيروم

❖ "كيف نسبح تسبحة الرب في أرضٍ غريبة، نحن الذين ارتبطنا بالخطايا، وسقطنا من أورشليم إلى بابل؟ لا يستطيع أحد أن يسبح الرب إن كان غير أمينٍ، إذ يليق بالخطي أن يحزن على خطاياها، لا أن يسبح الرب."

❖ أتريدون أن تذكروا الرب على الدوام؟ مارسوا أعمال اليمين (الأعمال المقدسة).
"ليلتصق لساني بحنكي، إن لم أذكرك!" لأفقد القدرة على الكلام تمامًا، وقوة العمل، إن لم تكن ذكراك (يا الله) حاضرة في قلبي."

القديس جيروم

❖ على أي الأحوال يجدر بنا أن نسعى إلى انسحاق القلب الصادق، الذي يهدف نحو الفضيلة والاشتياق إلى ملكوت السماوات، ولا يكون هدفه مجرد تذكر الشر المميت. فالإنسان بالتأكيد يختنق من روائح البالوعات الخائفة طالما قبل الجلوس بجوارها أو يستنشق نتانتها."

الأب بينوفوس

❖ لا يجوز لأي شخص وهو في الخطية (متهاونًا). .. أن يشترك في الأسرار. .. فإن داود يقول في مزموره: "على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا... كيف نرزم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟" (مز 137: 2، 4) إن كان الجسد لازال يقاوم الذهن، ولا يخضع لإرشاد الروح القدس، فإنه لازال في أرض غريبة، لم يخضع لكفاح المزارع، لهذا لن يأتي بثمار المحبة والاحتمال والسلام... فإذا كانت التوبة غير عاملة فيك، فخير لك ألا تتقدم للأسرار، لئلا تحتاج إلى توبة عن هذه التوبة غير العاملة، ولكنك محتاج إلى تلك الكلمات "انقضوا، انقضوا حتى الأساس منها" (مز 137: 7).

¹ Letter 45 to Asella, 6.

² On Psalms, homily 48 on Ps. 136 (137).

³ On Psalms, homily 48 on Ps. 136 (137).

⁴ Cassian: Conferences, 20:10.

يواسي داود هذه النفس البائسة قائلاً: "يا بنت بابل الشقيّة!" حقاً إنَّها شقيّة لأنَّها بنت بابل، حيث رفضت بنوَّتها لأورشليم أي السماء (وتمسَّكت بالخطيَّة بابل أرض السبي). ومع ذلك فإنَّه يدعو لها بالشفاء قائلاً: " طُوبَى لِمَنْ يُكافئُكَ مكافئَتَكَ الَّتِي جَارَيْتَنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمَسِّكُ أَطْفَالَكَ، ويدفنهم عند الصَّخْرَةِ!" (مز ١٣٧: ٩). أي يدفن أفكارها الفاسدة المضادة للمسيح. فقد قيل لموسى: "خلع نعليك من رجلِك" (خر ٣: ٥). فكم بالأولى يلزمنا نحن أن نخلع من أرجلنا الروحيَّة رباطات الجسد، وننظِّف خطواتنا من كل ارتباطات العالم؟!

القديس أمبروسيوس

❖ بالتأكيد لا، يا أصدقائي وإخوتي، فإني ما زلت أدعوكم "إخوة"، بالرغم أن شعوركم وموقفكم ليس أخويًا.

بالتأكيد لا يمكن أن تقبل هذا الرأي، لا يجب أن نكون مثل الخيول العنيفة الجامحة التي تُلقَى براكبها أرضًا، فنطرح العقل عنا، والتي تلفظ اللجام من فمها، ونفعل مثلها، فنلفظ التمييز والإفراز الذي يكبحنا ويتحكم فينا لفائدتنا، فنجمع بعيدًا عن مسارنا.

لنكن مناقشاتنا في داخل حدودنا، ولا تحملنا إلى مصر أو تجرنا إلى آشور. لنحذر من أن "نرم ترنيمة الرب في أرضٍ غريبة" (مز 137: 4). وأعني بهذا ألا نتناقش أمام أي نوع وكل نوع من السامعين، وثنيين أو مسيحيين، أصدقاء أو أعداء، متعاطفين أو عدائين، فإن هؤلاء يراقبوننا ويتريصون بنا، ويتمنون أن تصبح شرارة أي اختلاف بيننا حريقًا، ويشعلون الحريق، ويحركون المراوح كي يزداد اشتعالًا، حتى يرتفع اللهب إلى عنان السماء، ودون أن ندري. فإنهم يرفعون اللهب إلى أعلى من الأتون المتقدة في بابل (دا 3: 20). وحيث أنه ليس لديهم قوة في تعليمهم، فإنهم يبحثون عنها في ضعفنا.

ولهذا فإنهم مثل الذباب الذي يستقر على الجروح، يقفون على كوارثنا، أو بالأحرى على أخطائنا.

علينا ألا نتغاضى عن أفعالنا أكثر من هذا، وعلينا ألا نهمل اللياقة في هذه الأمور. وإذا كنا لا نستطيع أن نحسم خلافاتنا ومنازعاتنا تمامًا وفورًا، فعلينا على الأقل أن نتفق على أن نتحدث بالحقائق الروحية بالاحترام الواجب، ونناقش الأمور المقدسة بطريقة مقدسة، ولا نذيع على أسماع المستهزئين ما لا يجب إذاعته.

¹ Concerning Repentance 2:104-107.

يجب ألا نكون أقل احترامًا وتبجيلًا من أولئك الذين يعبدون الشياطين، ويبجلون القصص والأشياء الخارجة عن اللياقة. إن هؤلاء مستعدون للتضحية بدمائهم قبل أن يفشوا كلمات معينة لغير المؤمنين بعقائدهم. ويجب أن ندرك أنه كما توجد معايير معينة للياقة والاحترام في الملبس والطعام والضحك والمظهر، فإن هذا ينطبق أيضًا على الكلام والصمت، خاصةً عندما نقدم تكريمًا خاصًا " للكلمة" (كلمة الله) عندما نستعمل هذا اللفظ كأحد ألقاب الله وصفاته. وحتى جدالنا يجب أن يكون محكومًا بقواعد .

القديس غريغوريوس النريزي

❖ طالما الإنسان موجود في بابل لن نستطيع أن نخلص؛ حتى ولو تذكرنا أورشليم، فإنه سوف يئن ويتهد، قائلًا: "كيف نرزم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟" (مز 137: 4).

طالما نحن في بابل لن نستطيع أن نسبح الرب، لأن الآلات التي تستخدم في توصيل النغمات للرب، معلقة دون استخدام، لذلك يقول النبي: "على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضًا عندما تذكرنا صهيون، على الصفصاف في وسطها علقنا أعودنا (قيثاراتنا)".

طوال وجودنا في بابل، تظل قيثاراتنا معلقة على الصفصاف ؛ لكن إذا جئنا إلى أورشليم حيث "رؤية السلام"، فإن القيثارات التي كانت قبلاً معلقة بلا استخدام، ترجع مرة أخرى إلى أيادينا ونظل نعزف عليها بلا توقف مسبحين الله.

كما قلنا في البداية، إن النفس دائماً موجودة في المكان الذي يحمل اسمها؛ كما أن نفس الخاطئ توجد في بابل، فإن نفس البار توجد في اليهودية . مع ذلك فإنها (نفس البار) توجد أيضاً في أماكن مختلفة داخل اليهودية نفسها، بحسب حياتها ودرجة إيمانها: قد تكون موجودة في "دان" التي يشغل أطراف اليهودية، أو في مواقع أفضل من دان، أو في وسط اليهودية، أو في الأراضي المجاورة لأورشليم، أما النفس الأكثر سعادة فتكون في وسط مدينة أورشليم.

من جهة أخرى، الإنسان الخاطئ الذي ارتكب أفضح أنواع الجرائم يكون في بابل، بينما الذي ارتكب خطايا أقل يكون في مصر .

العلامة أوريجينوس

¹ العظة اللاهوتية الأولى: عظة رقم 27 عظة تمهيدية ضد أتباع يونيموس، 5.

عظات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا ترجمة جاكولين سمير كوستي، L.II:1.

❖ انظروا إلي تعظيم المادة، التي تحتقروها! ماذا يمكن أن يكون أحقر من شعر الماعز الملون؟ أليس الأزرق والبنفسجي والأحمر كلّها مجرد ألوان؟ انظروا إلى عمل صنعة الإنسان بصيح كاروبين! ألم تكن خيمة الاجتماع صورة في كل شيء؟ "وانظر فاصنعها على مثالها الذي أظهر لك في الجبل" (خر 25: 40)، ومع ذلك وقف كل الشعب حولها وتعبدوا!

ألم يوضع الكاروبان حيث يستطيع كل الشعب أن يراهما؟ ألم ينظر الشعب إلى تابوت العهد، والمنارة، والمائدة، والقسط الذهبي، وعصا هارون، وسقطوا في تعبد؟ أنا لا أعبد المادة، أنا أعبد خالق المادة، الذي أصبح مادة من أجلي، أخذًا مسكنه في المادة، وتمامًا خلاصي من خلال المادة. "والكلمة صار جسدًا، وحل بيننا". إنّه واضح لكل إنسان أن الجسد مادة، إنها مخلوقة. أنا احبي المادة، وأقترب منها باحترام، وأعبد هذا الذي جاء خلاصي عن طريقه. أكرمها، ليس مثل الله، ولكن لأنها ممثلة من النعمة والقوة الإلهية. لو كنتم ترفضون الصور بسبب الناموس، فلماذا لا تحفظون السبت، وتمارسون الختان، لأن الناموس يطلب هذه الأشياء. يجب أن تراعوا الناموس، ولا تحنقلوا بعبور المسيح من أورشليم. ولكن يجب أن تفهموا إنكم لو حفظتم الناموس، فالمسيح لن يفيدكم في شيء (غل 5: 2). لقد حان الوقت لك أن تتزوج زوجة أخيك وتقيم نسلًا له (تث 5: 5)، وأن لا ترنموا للرب في أرض غريبة (مز 7: 13: 4) ولكن كفانا من ذلك! "قد تبطلت عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، وسقطتم من النعمة" (غل 5: 4).

القديس يوحنا الدمشقي

❖ كيف لا نكون سوى حيات، ونحن لا نطيع الله، بل نعيش في العصيان الذي دخل إلينا بواسطة الحياة؟ وأنا لا أستطيع أن أعرف كيف أبكي وأنوح على شقاوتنا هذه كما يليق، ولا أعرف كيف أصرخ بصوت عالٍ باكيًا أمام الله الذي يستطيع وحده أن ينزع مني الخطأ المزروع فيّ. "كيف أرنب ترنيمة الرب في أرض غريبة؟" (مز 137: 4).

القديس مقاريوس الكبير

إِنْ نَسَيْتُكَ يَا أُورُشَلِيمُ،

^أ عن الصور المقدسة، الدفاع الثاني، 14.

تَسَى يَمِينِي [5]

يحمل هذا المزمور نوعًا من التبكيت للذين استقرت مشاعرهم وتبلدت، فأرادوا البقاء في أرض السبي لمصالح مادية شخصية.

كان المسيبيون يشعرون أنهم أنسوا أورشليم يحل الفالاج (الشلل) باليد اليمنى، حتى لا تعزف على القيثارة. كما يحل باللسان، فيصير الإنسان أخرس.

هذا هو حال من ينسى وطنه السماوي، أورشليم العليا، فإنه يصير عاجزًا عن التمتع بالفرح الحقيقي، تُصاب يمينه بالفالاج، فيعجز عن العمل اللائق به كابن لله، ويعجز لسانه عن القدرة على الكلام، فلا يستطيع الدخول في حوار مع مخلصه، وبالتالي يفقد لذة العمل الروحي عذوبة التسبيح!

يرى **القديس أغسطينوس** أنه يليق بنا أن نذكر أورشليم السماوية، لكن لا يكفي ذكرها، إنما نذكرها ويلتهب قلبنا شوقًا إليها بحبٍ خالصٍ. فإن الأشرار يذكرون أورشليم أي الكنيسة أو المؤمنين، لكنهم يشعرون بأن المؤمنين يغلبونهم روحياً، فلا يحبونهم بل يودون الخلاص منهم في بغضةٍ شديدةٍ بلا سبب.

❖ انتبهوا كيف تسكنون في وسطهم يا شعب الله، يا جسد المسيح، يا جماعة المتجولين، أبناء العز، لأن بلدكم ليس هنا، بل في موضعٍ آخر (السماء)، لئلا تحببهم، وتصارعوا لأجل بلوغ صداقتهم (مع قوات الظلمة)، وتحشوا أن تثيروا استياءهم، فإن بابل تبدأ تجد لذتها فيكم، وتنسوا أورشليم.

❖ **"يلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك"** يقول: ليتني أكون أبكم إن كنت لا أذكرك. فإنه أية كلمة أو أي صوت يصدر عن من لا ينطق بترانيم صهيون؟ فإن لساننا هو ترانيم صهيون. ترانيم محبة العالم لسان غريب، لسان بربري، تعلمناه في سبينا. من ينسى أورشليم يكون أبكم بالنسبة لله.

لا يكفي أن نذكرها، فإن أعداءها أيضًا يذكرونها، راغبين في طرحها. يقولون: "ما هي هذه المدينة؟ من هم المسيحيون؟ أي نوع من البشر هؤلاء المسيحيون؟ يا ليتهم لا يكونون مسيحيين!" الآن، جماعة الأسرى يغلبون الذين أسروهم، ومع هذا فهو متدمرون وثائرون ويريدون أن يقتلوهم بكونهم يعيشون كغرباء بينهم.

¹ On Ps. 137 (136).

إذن لا يكفي أن نذكرها، إنما لتهتموا كيف تذكرونها. فإننا نذكر بعض الأمور بكرامية، وبعضها بالحب¹.

القديس أغسطينوس

❖ لاحظوا التغيير العظيم هنا. هؤلاء الذين كانوا يسمعون يومًا فيومًا أنهم سيّسبون ويسبجون المدينة ولم يبالوا بذلك، الآن يصبون اللعنات على أنفسهم على أنفسهم إن نسوها. ماذا يعني: "تنسى يميني"؟ إنه يقول "تنسى قوتي، لينسَ سلطاني، وأصير أبكم بسبب عظم جُرم الشرور".²

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سؤال من الأخ نفسه للشيخ الكبير: أتوسل إليك، يا معلّم، أن تذكرني دائمًا، و توضّح لي كيف يجب أن أتعامل مع الأخ الساكن بجوارنا؟

إجابة القديس برصنوفيفوس: أيها الأخ، مكتوب: "إن نسيته يا أورشليم، تنسى يميني" (مز 137: 5)، هذا بخصوص التذكّر. أما عن كيف يجب أن يتعامل الإنسان مع الأخ، فإن الذي يريد أن يرضي الله يقطع مشيئته لأجل قريبه بأن يغضب نفسه. لأنه مكتوب: "ملكوت السماوات يُغضب، والغاصبون يختطفونه" (مت 11: 12). فاعرف، إذن، كيف يستريح أخوك وافعل هكذا، وأنت أيضًا تجد راحةً من الله بالمسيح يسوع ربنا، له المجد إلى الأبد آمين.

القديس برصنوفيفوس

لِيَلْتَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، إِنْ لَمْ أَدْكُرْكَ!

إِنْ لَمْ أَفْضَلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرْحِي! [6]

❖ لنسمع نحن جميعًا هذا ونتعلم، وذلك مثل هؤلاء الذين أستبعدوا منها، ها هم يبحثون عنها. هكذا كثيرون منا سيكون لنا هذه الخبرة في ذلك اليوم الرهيب، عندما يُستبعدون من أورشليم العليا. بينما كان لهؤلاء الرجاء في العودة بعد استبعادهم، أما بالنسبة لنا فلا يكون ممكنًا بعد الاستبعاد أن نرجع في ذلك الحين...

لهذا من الضروري لنا أن نهتم جدًا بخصوص أمورنا وسلوكنا في الحياة الحاضرة

¹ On Ps. 137 (136).

² On Psalms 137.

بطريقة لا نصير فيها أسرى أو منفيين أو نُستقصى من تلك المدينة أماناً .

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. بابل المُخْرَبَة

أُذْكَرُ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ،

يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ:

هُدُوا هُدُوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا [7].

يكشف لنا سفر عوبيدا موقف أدوم من جهة شماتتهم، بل والتحالف مع البابليين حيث كانوا يلقون القبض على اليهود الهاربين ويسلمونهم للبابليين.

لا يستطيع المؤمن أن يحطم خطة إبليس، ولا أن يقف أمامه في المعركة الروحية، إنما يصرخ إلى المخلص القادر أن يواجه هذا العدو.

يرى القديس جيروم أن المتحدث هنا هو آدم الذي بحسد إبليس له طرده من الفردوس. وأن أدوم هو إبليس الدموي، لذلك يطلب آدم من الله أن يعاقب إبليس على حقه له وسحبه إلى بابل وسط الأشوريين!

❖ كل الجسدانيين هم أعداء للروحيين، فإن مثل هؤلاء الذين يطلبون الزمانيات يضطهدون الذين يطلبون الأبديات...

مرة أخرى يتطلع المرتل إلى أورشليم، ويطلب من الله أن ينفذها من السبي. ماذا يقول؟ "أذكر يا رب لبني أدوم". خلصنا من الجسديين، من أولئك الذين يتمثلون بعبسو، هؤلاء الإخوة الكبار، لكنهم يحملون عداوة. هم أباكار لكن الأخيرين سماوا عليهم، لأن شهوات الجسد أسقطت الأولين، بينما الاستخفاف بالشهوة يرفع الأخيرين. الأولون يعيشون ويحسدون ويضطهدون.

"في يوم أورشليم" ؛ هل يوم أورشليم هو يوم تجربتها، يوم سببها؟ أم يوم سعادتها عندما تتحرر من السبي، عندما يتحقق هدفها، عندما تتمتع بالشركة في الأبدية؟ يقول: "القائلين هدوا هدوا، حتى إلى أساسها". إذن يعني ذلك اليوم الذي فيه أرادوا أن يهدوا أورشليم.

يا لشدة الإضطهادات التي تحتملها الكنيسة! من هم أبناء أدوم؟ الجسدانيون، خدام

¹ On Psalms 137.

إبليس وملائكته...

الذين يتبعون شهوات الجسد يقولون: استأصلوا المسيحيين، حطموهم! لا تتركوا أحدًا منهم يعيش! انزعوهم من أساسهم! أما يُقال هذا؟ وعندما قيل هذا طُرح المضطهدون وتكلم الشهداء.

القديس أغسطينوس

❖ رغبتهم كما ترون هي ألا يتركوا حتى أساس المدينة، بل تُقتلع الأساسات. هؤلاء الناس هم الذين كانوا يهاجمون اليهود في صحبة البابليين... والذي يقدم الكتاب الموحى له اتهامات قاسية بسبب عنفهم أكثر من الأعداء، مع أنهم أقرباء لهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ،

طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكَ جَزَاءَكَ الَّذِي جَازَيْتَنَا! [8]

وإن كانت بابل هي الآلة التي استخدمها الله لتأديب شعبه، غير أن هذه الآلة كانت غاية في العنف والتخريب، تشامت على الله نفسه. يخاطبها الرب نفسه، قائلاً: "غضبت على شعبي، دنست ميراثي، ودفعتهم إلى يدك. لم تصنعي لهم رحمة. على الشيخ نُقِلت نيرك جداً" (إش 47: 6). كما يقول: "وأنا مغضبٌ بغضبٍ عظيم على الأمم المطمئنين. لأني غضبت قليلاً، وهم أعانوا الشر. لذلك هكذا قال الرب: "قد رجعت إلى أورشليم بالمرح، فبيتي يُبنى فيها يقول رب الجنود، ويُمد المظمار على أورشليم" (زك 1: 15-16).

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرثل لم يكن يشتهي أن يجازيهم حسب أعمالهم، وذلك كما ورد في مز 7: 9، إنما يعلن أنهم إذ ينالون استحقاقهم حسب أعمالهم يسقطون تحت هذا الجزاء القاسي.

هذا ولا تنس أن ما ورد في العهد القديم يلزم تفسيره رمزياً، فتكون بنت بابل هي مملكة إبليس. فكما أن بنت صهيون أو أورشليم كانت رمزاً لمملكة المسيح الروحية، فتقابلها بنت بابل، المدينة التي تُدعى في سفر الرؤيا "أم الزواني".

❖ "يا بنت بابل الشقية". شقية حتى في بهجتها، وفي وقاحتها، وفي عداوتها!

¹ On Ps. 137 (136).

² On Psalms 137.

³ On Ps. 137 (136).

القديس أغسطينوس

❖ "يا بنت بابل الشقية". بنت بابل هي النفس التي لا تجد راحة مطلقاً، بل دائماً في ارتباك، بدون استقرار، مملوءة بالنقائص والخطية. إنها بالحق شقية.
"طوبى لمن يجازيكِ جزاءك الذي جازيتينا". طوبى لمن يرد لها ما فعلته.
هي سحبتني من جنة الفردوس، بالصوم أردتها إلى موضعها ذاته.
هي اقتنصتني في الزنا، بالطهارة أردتها إلى أورشليم، من الرذيلة أردتها إلى الفضيلة.
لا أعاملها كعدوة، بل أتعامل معها كصديقة .

القديس جيروم

طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ،

وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ! [9]

يرى البعض أن هذه الطلبة ليست شهوة قلب المرثل، إنما هي نبوة عما سيحدث فعلاً، فقد جاء في إشعياء النبي: "تُحطم أطفالهم أمام عيونهم، وتُنهب بيوتهم، وتُفصح نساؤهم" (إش 13: 16).

هذا بجانب ما لهؤلاء الأطفال من معانٍ رمزيةٍ كما سنرى في كتابات الآباء.

❖ من هم أطفال بابل؟ الشهوات الشريرة عند ميلادها. فإنه يوجد من يحارب جذور الشهوات. عندما تؤلد الشهوة، وقبل أن تقوى عادة الشر ضدكم، عندما تكون الشهوة طفلاً، لا تتركوها بأية وسيلة أن تصير عادة شريرة قوية؛ حطموها!

لكن لتخشوا لئلا وأنتم تحطموها لا تموت. "اضربوها بالصخرة، والصخرة هي المسيح"

(1 كو 10: 4)...

لنُبنوا على الصخرة...

إن أردتم أن تتسلحوا ضد التجارب في هذا العالم، فلينبؤ اشتياقكم إلى أورشليم الأبدية.

ولتقو قلوبكم. بهذا يزول أسركم، وتعود إليكم سعادتكم، وتسيطر على عدوكم، وتنتصروا بملككم ولا تموتوا .

القديس أغسطينوس

¹ On Psalms, homily 48 on Ps. 136 (137).

² On Ps. 137 (136).

❖ "طوبى لم يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة". الأطفال هم الأفكار الشريرة. كمثال رأيت امرأة، واشتهيتها. إن لم أقطع في الحال هذه الشهوة، وأوقفها كما بالقدم، واضربها في الصخرة حتى أبطل هذا الهوى الرديء، فسيكون الوقت قد فات. بعد ذلك إن تركت النار المدخنة تصير لهيباً. طوبى للإنسان الذي يضرب الشهوة الخاطئة بسكين، ويحطمها على صخرة. الآن الصخرة هي المسيح (1 كو 10: 4).

❖ بالحري أقتل إغراءات الرذيلة وهي لا تزال أفكاراً، وحطم أطفال بنت بابل بالحجارة، حيث لا يمكن للحية أن تترك أثراً عليها.
لنكن يقظاً وتندر للرب نذراً. "فلا يتسلطوا عليّ، حينئذ أكون كاملاً، وأتبرأ من ذنبي عظيم" (مز 19: 13).

ففي موضع آخر يشهد أيضاً الكتاب المقدس: "يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع" (عد 14: 18). بمعنى أن الله لا يعاقبنا فوراً على أفكارنا ويأخذ القرار، إنما يجعل المجازاة على نسلها، أي على الأفعال الشريرة وعادات الخطية التي تنور منها. وكما يقول على فم عاموس: "من أجل ذنوب هذه المدينة وتلك الثلاثة والأربعة لا أرجع عنها" (راجع عا 1: 3).

القديس جيروم

❖ "بابل" معناها "ارتباك" ... "ابنة بابل" تعني "عداوة". أولاً توضع النفس في حالة ارتباك، بهذا تُصدر خطية.
يدعو (المرتل) الخطية شقية، لأن ليس لها وجود، ولا كيان في ذاتها، إنما وجودها يقوم على إهمالنا.
مرة أخرى بإصلاحنا تتحطم الخطية وتفقد وجودها.

الأب دوريشيوس من غزة

❖ يسبق فيُخبر النبي بما يحلّ على بابل حين فتحها كورش الملك، وصنع بها ما هو أعنف مما فعله الأشوريون باليهود، فذبح أهلها، وكان يضرب أطفالهم بالصخرة ويقتلهم...
أيضاً بنت بابل هي جماعة الأمم التي ضرب الرسل المطوبون أولادها بالصخرة التي

¹ On Psalms, homily 48 on Ps. 136 (137).

² Letter 130 to Demetrias, 8.

³ On Cutting off Passionate desires.

هي ربنا يسوع المسيح، وجعلوهم طائعين له بالإيمان.
كل نفس خاطئة يقال عنها بنت بابل، أما أطفالها فهي شهواتها، فطوبى لمن يحطمها
ويُخضعها للمسيح الإله الذي هو الصخرة الثابتة.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ يقصد بأطفال بابل هنا الأفكار الشريرة... هذه التي إن شعرنا أنها صغيرة في البداية يجب علينا أن نمسكها، ونقطعها، ونضرب بها الصخرة، التي هي المسيح (١ كو ١٠ : ٤). يجب أن نقتلها حسب أمر الرب، ولا نترك فيها نسمة تنتفسها داخلنا^١.

العلامة أوريجينوس

❖ الرمزية هنا هي أن الشخص الإنجيلي الحقيقي والطوباوي يقتلع جذور الشهوات والملذات الجسدية النابعة عن الضعف البشري. يفعل هذا فوراً قبل أن تنمو، عند بدء الهجوم، وذلك بالإيمان بالمسيح الذي يوصف بأنه صخرة (1 كو 10 : 4) .

الأب خروماتئوس

¹ In Josh 15:3.

² Tractate on Matt hem 23: 1: 6-7.

من وحي المزمور 137

لتمرر الخطية في فمي!

❖ كم أنت حلو يا إلهي!

أنت فرح قلبي وتهليل نفسي!

في غباوة انجذبت إلى ملذات الخطية.

وحسبت أن العالم قادر أن يُشبع نفسي!

عطشت إلى مياه الخطية،

وظننت أنها قادرة أن ترويني!

وإذا بملوحتها أفسدت أعماقي!

لأرجع إليك، فأنت ينبوع المياه الحية.

❖ مع المسيبين أجلس عند أنهار بابل.

أبكي وأنوح، لأن خطاياي كَبَلتني بالقيود،

وملذاتها سحبت قلبي كما إلى السبي.

الآن في مرارة أدركت أنني بالحق صرت في بؤس.

علقت قيثارات الفرح على أشجار الصفصاف العقيمة!

كيف أعرف لحناً مفرحاً سماوياً بأعماقي العقيمة.

خطاياي حرمتني من ثمار روحك القدوس.

خطاياي عزلتني وسحبتي من وطني السماوي.

من يفك أسري سواك!؟

من يطلقني من حزني إلا غنى نعمتك!

❖ هب لي بروحك القدوس تكيئاً على خطاياي.

وليحمنني إلى الجلجثة، فأتمتع بالتطلع إلى صليبك المحيي.

تمتلئ نفسي رجاءً بخلصك.

ويفتح لساني بتسابيح المفرح.

وتتمتلئ أعماقي ببهجة الخلاص.

❖ يحمنني روحك القدوس كما إلى عربون السماء.

بَلْ يَقِيمُ مِنْ قَلْبِي هَيْكَلًا مَقْدَسًا لَكَ!

❖ مَلَذَاتُ الْخَطِيئَةِ أَفْسَدَتْ قَلْبِي.

جَعَلْتَ مِنْهُ بَابِلَ الشَّقِيَّةِ،

عَوْضَ ثَمَرِ الرُّوحِ أَنْبَتَ قَلْبِي شَوْكًا وَحَسَكًا!

رُوحَكَ النَّارِيَّ يَحْرِقُ أَشْوَكَ الْخَطِيئَةِ،

وَيَحْوِلُ قَفْرِي إِلَى جَنَّةٍ مَبْهَجَةٍ!

❖ بِنِعْمَتِكَ أَضْرَبُ بِأَطْفَالِ بَابِلَ الصَّخْرَةَ.

أَنْتَ هُوَ الصَّخْرَةُ الَّتِي تَحْطَمُ كُلُّ فَسَادٍ!

أَنْتَ سَرَّ نَصْرَتِي وَإِكْلِيلِي!

لَتَمُرَّرَ كُلُّ خَطِيئَةٍ فِي فَمِي،

فَاسْتَعْذِبْ بِرَّكَ، وَأَخْتَبِرْ حَلَاوَةَ الشَّرِكَةِ مَعَكَ.

لَتَنْتَلِقَ نَفْسِي مِنَ السِّيِّبِ الْبَابِلِيِّ،

وَأَنْعَمَ بِأُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ فِي دَاخِلِي!

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

التسبيح وقت الضيق

صور لنا المزمور السابق المسبيين وهم جالسون عند أنهار بابل، يملأ الحزن قلوبهم. لذلك علقوا قيثارهم على أشجار الصفصاف العقيمة، إذ لا مجال للتسبيح ماداموا في أرض السبي، محرومين من التمتع بمدينة الله أورشليم، وهيكل الله. الآن في هذا المزمور يقدم لنا المرثل صورة مبهجة، للإنسان الذي يشعر بالحضرة الإلهية، محمولاً على الأذرع الأبدية وسط الضيق.

كثيراً ما يظن الإنسان أن الضيق ينزع عن الإنسان روح التسبيح. غير أن خبرة رجال الله في العهدين على خلاف هذا، فإنه وإن لازم الضيق نوعاً من القلق أو الخوف أو الحزن، لكن إذ يركز المؤمن عينيه على مخلصه وعلى مواعيد الأمانة، سرعان ما تتفتح على محبة الله، وتمتلئ أعماقه بالتعزيات الإلهية، فلا يعوقه الضيق عن التسبيح. جاء العنوان "داود"، وتساءل البعض كيف يمكن أن يكون الكاتب داود في وقت لم يكن بعد قد بني هيكل سليمان. غير أن كلمة "هيكل" يُمكن أيضاً أن تُطلق على خيمة الاجتماع قبل بناء الهيكل.

يقدم لنا المرثل صورة حية عملية عن بركات الضيق في حياة المؤمن:

1. **يعيننا الضيق على الصلاة والتسبيح** [1-3].

2. **الضيق لا يعوقنا عن الشهادة لمخلصنا** [4-6]. ربما كان داود النبي وسط الوثنيين، ويلتقي بملوك وعظماء أثناء التسبيح بهذا المزمور. فقد حرص أن يوجّه حتى الوثنيين نحو التسبيح لله.

3. **الضيق هو الطريق للتمتع بالإنجيل** [7]، فيختبر المؤمن الحياة في المسيح يسوع، والنصرة على عدو الخير.

4. **الضيق يفتح أعيننا على مراحم الرب** [8]، فنراه محامياً عنا، وملجأً لنا. يرى بعض الدارسين أن المزمور يحمل نغمة الشكر وروح العرفان بالجميل لله، قدمه المرثل بعد شفائه من مرضٍ أو ضيقة شخصية [3]، [7].

الكاتب شخص يمثل الشعب كله، قد يكون ملكاً أو رئيس الكهنة.

1. **شكر وحمد من أجل خلاص إلهي** 1-5.

العنوان

لِداوُدَ

1. شكر وحمد من أجل خلاص إلهي

أَحْمَدُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي.

قُدَّامَ الْإِلَهَةِ أَرْنَمُ لَكَ [1].

تتسم شخصية داود أنه دائم الشكر، ليس فقط عندما يستجيب الله لصلاته، وإنما وهو بعد في الضيق. إنه لا يلتجئ إلى الصلاة فحسب عند وقت الضيق، إنما يمزج صلواته بالتسبيح. يشعر دومًا أنه في حماية مخلصه.

لا يعرف قلبه الناري سوى الشكر والتسبيح، وكأنه قد كرس كل طاقاته لهذا العمل السماوي المقدس.

يرنم المرثل هنا باسم الكنيسة كلها، فهي تعبد الرب في وحدة وتناغم كما لو كانت شخصًا واحدًا. وكأن المتحدث هنا هو الكنيسة التي تضم المؤمنين ومعهم السمائيين. يرى البعض أن "الآلهة" هنا يُقصد بهم الملوك والقادة العظماء. لم يكن يخجل من أن يشكر الله ويسبحه قدامهم.

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "أعترف لك يا رب من كل قلبي. لأنك استمعت كل كلمات فمي. أمام الملائكة أرتل لك. وأسجد قدام هيكلك المقدس".

يترجمها البعض: "قدام الملائكة أرنم لك بالمزامير"، فإنه ليس مخفيًا عنا أن الملائكة تحوط بمختاري الله، وتفرح وتتهلل عندما تجدهم بفرح يسبحون الله ويرتلون له، منتشبهين بهم. حين يمارس المؤمنون عملهم كأعضاء في جسد الرب القائم من الأموات، يتمتعون بحضور الملائكة أثناء تسابيحهم كما كانت الملائكة تحيط بجسد الرب في القبر.

يقول القديس أغسطينوس إنه يليق بنا أن نعترف لله بكلمات التسبيح من فمنا الداخلي، أي من القلب، فإن الله يستمع لهذه الكلمات التي لا يسمعها البشر.

❖ أي فم لإل قلبي؟ فإن يوجد لنا الصوت الذي يسمعه الله، ولا تعرفه إذن الإنسان قط.

لنا فم في الداخل، من هناك نسأل، من ذلك المكان نسأل؛ فإن أعددنا مسكنًا أو بيتًا لله، فمن هناك نتكلم، وهناك يُسمع لنا. "عن كل واحدٍ منا ليس بعيدًا، لأننا به نحيا ونتحرك

ونوجد" (أع 17: 27-18). ليس شيء يجعلكم بعيداً عنه سوى الخطية وحدها.

"أمام الملائكة أرتل لك". لا أرتل لك أمام البشر، إنما أمام الملائكة.

ترنيمتي هي فرحي؛ لكن فرحي بالأمر السفلية هي أمام البشر، أما فرحي بالأمر العلوية فهي أمام الملائكة.

لا يعرف الأشرار فرح الأبرار. "لا فرح قال إلهي للأشرار" (راجع إش 48: 22؛ 57: 21). الشرير يفرح في حانته، والشهيد في قيوده .

القديس أغسطينوس

❖ إن ما تعنيه هو هذا: في اعترافي أسكب كل قلبي. يا رب، أعترف بكل خطاياي وأخطائي.

فإنني لم أرتكب مجرد خطية واحدة ضدك، ومع ذلك ففي حنوٍ تنصت لي.

"قدام الملائكة أرتل لك". لتفكروا في تشجيع ذاك النائب! بعد الاعتراف والتوبة يتأهل

للتسبيح مع الملائكة!

من يسبح لا يعود يمارس الندامة بل يشكر ويبارك .

❖ بعد التوبة والاعتراف يتأهل (المؤمن) أن يرث مع الملائكة .

القديس جيروم

❖ قول النبي: قدام الملائكة أرتل لك، معناه قدام الكهنة ويحضورهم، لأنه يُقال عن الكهنة

ملائكة. وذلك كما جاء في نبوة ملاخي النبي قول الرب: "شريعة الحق كانت في فيه، وإثم

لم يُجد في شفتيه. سلك معي في السلام والاستقامة وأرجع كثيرين عن الإثم. لأن شفتي

الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود" (مل 2: 6-7).

فالكهنة يبتدئون، ونحن نرتل لله في حضرته.

وأيضاً معناه أن نجتهد لنرتل لك كما ترتل الملائكة.

الأب أنسيئس الأورشليمي

"أمام الملائكة أرتل لك". حينما تجتمع الكنيسة معاً لتسبيح الله، يجتمع معها الملائكة

ليشتركوا في هذا العمل السماوي. هؤلاء الذين كانوا متهللين في القبر المقدس عند قيامته،

يتهللون إذ يرون جسده "الكنيسة" تتمتع بالقيامة. ولهذا طلب الرسول من النساء أن يغطين

¹ On Ps. 138 (137).

² On Psalms, homily 49 on Ps 137 (138).

³ Homilies on Psalms, homily 49 on Ps. 137 (138).

رؤوسهن في الكنيسة علامة توقير للملائكة المشتركين مع الكنيسة في العبادة (1 كو 11: 10).

❖ في تفسير الأسفار المقدسة أكرس الخبز لكم. إن كنتم جائعين لقبوله، فإن قلوبكم تتغنى بكمال التسبيح .

القديس أغسطينوس

❖ **أمام الملائكة أرتل لك** . إن كان يشير هنا إلى الملائكة الذين في السماء، فإن ما يعنيه هو مثل هذا: أبذل كل قوتي أن أسبح في صحبة الملائكة، وأن أجاهد أن أباريهم وارتبط بالقوات العلوية في الخورس. حتى وإن وجد اختلاف في الطبيعة، فإنه فوق كل شيء أجاهد بكل غيرة أن أقف في صحبتهم.

من الجانب الآخر، إن فهمننا العبارة بالترجمة الأخرى يبدو لي أنه يتحدث هنا عن الكهنة. فقد اعتاد الكتاب المقدس كما ترون أن يدعو الكاهن ملاكاً وإلهاً (خر 22: 28 LXX؛ ملاخي LXX).

القديس يوحنا الذهبي الفم

أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ،

وَأَحْمَدُ اسْمَكَ عَلَى رَحْمَتِكَ وَحَقِّكَ،

لَأَنَّكَ قَدْ عَظَّمْتَ كَلِمَتَكَ عَلَى كُلِّ اسْمِكَ [2].

يرى البعض أن المقصود هنا ليس الهيكل، وإنما خيمة الاجتماع المقدسة، إذ لم يكن قد بُني الهيكل بعد.

يقصد بالقول: "كلمتك" وعودك الإلهية، فمن أجل رحمته وحقه أو إخلاصه وأمانته يحقق كل وعوده الإلهية. أما قوله "عظمت كلمتك"، فتعني أن الله لا يتم وعوده التي نطق بها فحسب، إنما يعطي ويقدم أكثر مما يعد.

يرى البعض أن "كلمتك" هنا يُقصد بها الكلمة الإلهية، فإن كان بالتجسد قد تواضع الكلمة الإلهية، فإن الأب يعظمه ويمجده، بإظهار ما له من أمجاد أخفاها بالتجسد الإلهي. يقول القديس أغسطينوس إنه توجد كنيسة فوق، حيث الملائكة. وتوجد كنيسة أسفل

¹ Sermons on N.T. Lessons 45: 1.

² On Psalms 138.

حيث يوجد المؤمنون. لقد نزل الله لكي يخدمنا، وصارت الملائكة أيضاً تخدمنا، وصرنا نحن هيكل الله (1 كو 3: 17). هكذا يليق بنا ونحن نسجد لله، أن نركز أنظارنا نحو أعماقنا التي يقيم منها ربنا يسوع ملكوته.

❖ لذلك: "أسجد نحو هيكل قدسك"، أقصد لا الهيكل المصنوع بأيدي، بل الذي صنعه أنت لنفسك¹.

القديس أغسطينوس

❖ "أسجد في هيكل قدسك"... هيكل المرثل هو أورشليم المقدسة السماوية!
"على رحمتك وحقك". ليت الخاطي يهتم بالكلمة "رحمتك"، والمتكبر يلتفت إلى كلمة "حقك".²

القديس جيروم

❖ "أسجد نحو هيكل قدسك". هذا أيضاً فضيلة ليست بقليلة، أن تكون قادرًا على الصعود إلى الهيكل، وبالصعود تسجد بضميرٍ نقيٍّ. ما هو مطلوب، فوق كل شيء، لا أن تحني الركبة وتدخل، بل تفعل هذا بروح متقدة، وموقفٍ سامٍ. ولا تكون حاضرًا بالجسد فقط بل وبالذهن أيضاً، فإنه ليس بالأمر الهين أن تعبد إله الكل كما ينبغي.
إن كان هكذا ينبغي التكريم في حالة الملوك، فبالأولى بالنسبة لإله الكل.

"واعترف لاسمك على رحمتك وحقك". ماذا يعني هذا؟ يقول إنني أشكرك لامتعي برعايتك العظيمة؛ إنها ليس من أجل أعمال الصالحة، عُدت لاقْتناء وطني ورؤية الهيكل، إنما ذلك من أجل رحمتك ورأفتك.

من أجل هذا أسجد لك، ولأجل ذلك أعترف لك. ومع أنني مستحق العقوبة والجزاء وبحق أستحق أن التمس منك على الدوام وأنا في أماكن غريبة أن تحقق لي عودة سريعة.
"لأنك قد عظمت اسمك فوق كل شيء". ما يقصد هو أمر كهذا: إنني أشكرك ليس فقط من أجل الإحسانات، وإنما من المجد الذي لا يُنطق به، والعظمة غير المحدودة والطبيعة التي لا توصف...

إنك إن استدعيت ملائكة أو رؤساء ملائكة، شياطين أو عناصر خالية من الحس،

¹ On Ps. 138 (137).

² On Psalms, homily 49 on Ps 137 (138).

صخوراً أو بذوراً، الشمس أو القمر، الأرض أو المحيط، السمك أو الطيور، البرك أو الينابيع أو الأنهار، فإن اسمك يظهر عظيمًا في كل شيء. عوض "عظمت اسمك المقدس فوق كل شيء" ، جاء في ترجمة أخرى: "عظمت كلمتك فوق كل شيء"، وفي أخرى: "منطوقاتك".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن قوله: "على رحمتك"، يعني لأنك رحمتي أنا الخاطي المستوجب العذاب، وسمعت طلبي، وأهلنتني أن أعود راجعًا إلى وطني، وأعتقتني من العبودية، وأدخل إلى هيكلك، وأسجد لك فيه.

الأب أنسيمس الأورشليمي

فِي يَوْمِ دَعْوَتِكَ أَجَبْتَنِي.

شَجَّعْتَنِي قُوَّةً فِي نَفْسِي [3].

يعلن المرثل عن سرّ التهاب قلبه بالتسبيح والشكر لله، ألا وهو خبرته اليومية ففي أية ضيقة يسرع نحو الله يدعوه ويصرخ إليه، فإذا بالإجابة – أيا كان نوعها – تتحقق سريعًا. يشعر بقوة إلهية تتسكب في أعماق نفسه، تنزع عنه الخوف، وتعطيه الإمكانية لمواجهة الخطر بكل شجاعة.

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "في اليوم الذي أدعوك فيه أجبني بسرعة. تكثر التطلع على نفسي بقوة".

❖ هب لي أن أسأل ما تعلمني أن أسأله... يقول: "تكثر لي في نفسي الفضيلة".

القديس أغسطينوس

❖ نفسي مثقلة بمتاعها الكثيرة. أنت تملأني بالشجاعة.

القديس جبروم

❖ "في أي يوم دعوتك أجبني سريعًا" ... هذا في الواقع ما وعد به الله في الكلمات: "حينئذ تدعوني، فأجيب قائلاً: "هأنذا. إذ تتكلم أكون حاضرًا" (راجع إش 58: 9). يسأل المرثل

¹ On Psalms 138.

² On Ps. 138 (137).

³ On Psalms, homily 49 on Ps 137 (138).

هكذا: النفوس التي في أَلَمِ هي هكذا كما ترون، تريد أن ترى نجدة سريعة من المتاعب...
"تجلب قوة تستقر في نفسي" ... بقوتك توسعني، بقدرتك ترفعني وتعينني... وذلك
كما حدث في حالة الرسل، إذ خرجوا فرحين أنهم جلدوا (أع 5: 41)، وبهذا صارت نفوسهم
كبيرة (متسعة).

هذا عمل خاص لقوة الله، فوق الكل تعلن قدرته، فتمنع النفس من أن تتحدر في وسط
المتاعب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ جاء في اليونانية: "تكثر ارتفاعاً لنفسي بقوتك"، ومعناه: ترفع نفسي كثيراً من الأحزان
بقوتك. وقال آخر: تكثر اهتمامك بنفسي، وبكل ديمومتها في الخير بقوة.
- ❖ يستجيب الله استغاثة المؤمنين إذا كانت بديانةٍ وورعٍ ومداومة، وإن كان المطلوب يؤول إلى
خلاص النفس.

الأب أنسيئس الأورشليمي

يَحْمَدُكَ يَا رَبُّ كُلُّ مُلُوكِ الْأَرْضِ،
إِذَا سَمِعُوا كَلِمَاتِ فَمِكَ [4].

أمانة الله في تحقيق وعوده للمرئى صارت شهادة قوية أمام ملوك الأرض. يعرفون ما
قد وعد به الرب، وكيف تتم وعوده الإلهية.

يعلن المرئى أن كل ملوك الأرض يعترفون لله بالتسبيح والترنم. من هم ملوك الأرض،
إلا المؤمنون الحقيقيون، الذين يهبهم روح الملوكية والسلطان أن يدوسوا على قوات الظلمة وكل
الشرور!؟

إن كان ملوك الأرض والعظماء لا تنقصهم السلطة ولا يحتاجون إلى شيء، فإنهم إذ
يسمعون كلمات الرب يجدون فيها عذوبة فائقة، فتفرح نفوسهم بالتهليل له.

- ❖ ليتك لا تسمح لهم عندما يعترفون لك ويسبحونك أن يشتهوا الأمور الأرضية منك.

القديس أغسطينوس

- ❖ ملوك الأرض هم الذين يسيطرون على الخطية، يقدمون تشكرات. بالتأكيد لا يشير النبي

¹ On Psalms 138.

² On Ps. 138 (137).

إلى ملوك هذا العالم. فقد كُتِب: "قلب الملك في يد الرب" (راجع أم 21: 1). هل يمكنكم للحظة واحدة أن تعتقدوا بأن قلب يوليان الجاحد في يد الله؟ حاشا! أو قلب نيرون أو مكسيميانوس أو داكْيوس *Dicus* هؤلاء المضطهدون؟ حاشا! إنه يتحدث عن أولئك الذين يتحكمون على الخطية، هؤلاء الذين قلوبهم في يد الله، لذلك قهروا الرذائل وأهواء نفوسهم، وبالتالي قهروا الخطية. "إذا سمعوا كلمات فمك" عندما يحفظون وصاياك ويصونوها .

القديس جيروم

❖ لا تستطيع الملكية أن تهبهم منفعة مثل سماعهم كلماتك. هذا هو أمانهم، هذه هي قوتهم، هذه هي زينتهم، هذه هي جاذبيتهم، هذه هي جعلتهم، هذا هو بهاؤهم وقوة سلطتهم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يتضمن هذا القول [4-5] نبوة عن أن ملوك الأرض عتيدون أن يسمعوا كلام فم ربنا يسوع المسيح المشتمل على الإنجيل المقدس. ويعترفون بلاهوته، ويؤمنون به، ويرتلون مسبحين بطرقه، أي بأنواع تدبيره لخالصنا، ويسبحون عطاءه ويمجدونه.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

وَيُرْتَمُونَ فِي طَرُقِ الرَّبِّ،

لأنَّ مَجْدَ الرَّبِّ عَظِيمٌ [5].

ما هي طرق الرب سوى الرحمة والحق الإلهي، يسلك فيها الملوك الحقيقيون بروح الفرح والتواضع.

❖ لا تدع ملوك الأرض أن يتكبروا، بل يتواضعوا. ليتهم يرتلون في طرق الرب، إذ يكونون متواضعين. ليحبوا فيرتلوا. نحن نعرف أن المسافرين يغنون، إنهم يغنون ويسرعون ليلبغوا نهاية رحلتهم. توجد أغانٍ شريرة تخص الإنسان العتيق، أما الجديد فله أغنية جديدة. ليت ملوك الأرض أيضًا يسيروا في طرقك. ليتهم يسيروا ويغنون في طرقك. بماذا يغنون؟ "عظيم هو مجد الرب"، وليس مجد الملوك .

¹ On Psalms, homily 49 on Ps 137 (138).

² On Psalms 138.

³ On Ps. 138 (137).

القديس أغسطينوس

❖ "يرنمون في طرق الرب" فلاسفة هذا الجيل لم يرنموا في طرق الرب، إنما نحن نرتل في طرق الرب. إذ نرتل في طريق موسى وإشعيا وإرميا ونبليج من طرقهم إلى الطريق القائل: "أنا هو الطريق" (يو 14: 6) .

القديس جيروم

❖ "يرنمون في طرق الرب"... أي في نواميسك، في وصاياك .-

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الله الديان منقذ مؤمنيه

لَأَنَّ الرَّبَّ عَالٍ وَيَرَى الْمُتَوَاضِعَ.

أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ فَيَعْرِفُهُ مِنْ بَعِيدٍ [6].

يرى داود النبي أن ملوك الأرض يمجدون الرب، لأنه يهتم بالمتواضع أي بداود، ويبتعد عن المتكبر أي عن أعداء داود.

❖ انظروا كيف أراد من الملوك أن يرتلوا في طرقهم حاملين الرب بتواضع، وليس رافعين أنفسهم ضد الرب. فإنهم أن رفعوا أنفسهم ماذا يحدث؟ "لأن الرب عال، ويكرم المتواضعين". هل يريد الملوك أن يكونوا مُكرمين؟ فليتواضعوا...

وماذا عن المتكبرين؟ يعرفهم من بعيد... لا تظنوا أنكم تصيرون في أمان على أساس أنكم لا تُرون بوضوح، إذ يراكم من بعيد... فإن الله وإن كان يراكم من بعيد، يراكم بطريقة كاملة، ومع هذا لا يكون معكم .-

القديس أغسطينوس

❖ الرب عال، وعلوه غير مدرك، لكنه يعاين المتواضعين ولا يخفي عليه شيء. أيضًا "يعاين المتواضعين" معناه أنه يعتني بالمحتقرين والمذلين. إنه يحب المتواضعين، ويبتعد عن المتكبرين .

الأب أنسيئس الأورشليمي

¹ On Psalms, homily 49 on Ps 137 (138).

² On Psalms 138.

³ On Ps. 138 (137).

❖ "لأن الرب عالٍ ويرى المتواضع"؛ يقول إنه عالٍ في طبيعته، عالٍ في كيانه .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الله في الأعلي، أنت ترفع نفسك، وهو يهرب منك؛ أنت تتواضع، وهو ينزل إليك. إنه يعرف من هو متواضع عن قرب حتى يرفعه إلى فوق. أما من هو عالٍ ومتشامخ، فيعرفه من بعيد حتى ينزل به إلى أسفل .-

الأب قيصرىوس أسقف آرل

❖ لينصت المتواضعون إلى صوت الحق الملوكي: "ومن يضع نفسه يرتفع"، وليعلم المتكبرون أن: "كل من يرفع نفسه يتضع" (لو 14: 18).

ليعلم المتواضعون أن "قبل الكرامة التواضع" (أم 15: 33)، وليعلم المتكبرون أن: "قبل الكسر الكبرياء" (أم 16: 18).

ليعلم المتواضعون أن: "والى هذا أنظر، إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (إش 66: 2)، وليذكر المتكبرون القول: "لماذا يتكبر التراب والرماد" (سي 10: 9).
ليعلم المتواضع أن "الرب عالٍ، ويرى المتواضع"، وللمتكبر يقول: "أما المتكبر فيعرفه من بعيد" (مز 138: 6) .-

ليعرف المتواضعون أن: "ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم" (مت 20: 28)، وليعلم المتكبرون أن "الكبرياء أول الخطأ (ومن رسخت فيه فاض أرجاسا)" (سي 10: 15).

ليعلم المتواضعون أن مخلصنا: "وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في 2: 8)، وليعلم المتكبرون ما هو مكتوب عن رئيسهم: "عند نهوضه تفرع الأقوياء" هو ملك علي كل بني الكبرياء" (أي 41: 25، 34) .-

الأب غريغوريوس (الكبير)

❖ إذا جلست في قلايتك، فلا تترك قلبك يستعلي، ولا تتعظم بفكر قلبك، ولا تمدح نفسك، لأن الله يمقت الذين يمدحون أنفسهم وحدهم. وهو "يلتفت إلى صلاة المنسحقين".

¹ On Psalms 138.

² Sermon 210: 2.

³ Pastoral Care, 3:17.

⁴ Pastoral Care, 3:17.

القديس أنبا بولا الطموي

إِنْ سَلَكْتُ فِي وَسْطِ الضِّيقِ تُحِينِي.
عَلَى غَضَبِ أَعْدَائِي تَمُدُّ يَدَكَ،
وَتُخَلِّصُنِي يَمِينِكَ [7].

يقدم لنا المرثل خبرته العملية، وهي أن الله نور العالم، نكتشفه في الوقت المناسب، حين تحاصرنا الظلمة، ويهجم علينا اليأس. في اللحظة الحاسمة يشرق الله بنوره، معلناً أنه وإن كان طويل الأناة، يسمح لنا بالضيق، لكنه يعلن عمله لخلصنا، ولن يبقى مختفياً على الدوام. رعاية الله لنا خاصة وقت الضيق تكشف عن مجده كقديراً ومحباً في نفس الوقت. تشير يد الآب إلى الابن الذي تجسد ليتم الخلاص. هكذا مُحاط المرثل بالضيق، ويعاني من ثورات عدو الخير وقواته، لكن كلمة الله المتجسد، ربنا يسوع، يخلصه من كل شدة، ويهبه النصر على إبليس وجنوده.

❖ "إن سلكت في وسط الضيق تحيني". هذا حق: أيا كانت الضيقة التي أنت فيها، اعترف، أدعه، فإنه يحرك ويحييك...

حب الحياة الأخرى، فسترى أن هذه الحياة ضيقة؛ مهما كان رخاؤك مشرقاً، مهما كانت مباحك وفيرة وتفيض. فمادام هذا الفرح ليس في أمان دائم، ولست متحرراً من التجارب، بدون شك تحسب (الحياة هنا) ضيقاً...

ليثر أعدائي، ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ يمكنهم أن يأخذوا مالي، يسلبونني، ينفوني، يعاقبونني، يصبون على الحزن والعذابات، وأخيراً إن سُمح لهم يقتلونني. هل يستطيعون أن يفعلوا ما هو أكثر.

إنك تمد يدك عليّ، فوق كل ما يستطيع أن يفعله أعدائي. فإن أعدائي لا يستطيعون أن يفصلوني عنك.

إنك كلما تأخرت تنتقم لي بالأكثر... لأنك لن تجعلني أياس، إذ يتبع ذلك:
"وتخلصني يمينك".¹

القديس أغسطينوس

❖ "إن سلكت في وسط الضيق تحيني". لم يقل "تخلصني من الضيق، إنما تعطيني حياة بينما

¹ On Ps. 138 (137).

أبقى في وسط نفس المتاعب. إنك تتجح في أن تخلصني من السقوط في المخاطر نفسها، الأمر الملحوظ والمتوقع، عندما يضغط الأذى ويطوق الشخص ليزعجه، إذا به في أمانٍ .
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تُقال "يد الله" هنا عن قصاصه وانتقامه ورجزه على الظالمين. وأما يمينه فهي مساعدته لأتقيائه وحمايته لهم. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** إن يمين الله هو ربنا يسوع الذي أحيانا وخلصنا وكافأنا نحن الضعفاء.

الأب أنسيمنس الأورشليمي

الرَّبُّ يُحَامِي عَنِّي.

يَا رَبِّ رَحْمَتِكَ إِلَى الْأَبَدِ.

عَنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ لَا تَتَخَلَّ [8].

بروح الإيمان والثقة في الرب مخلصه يعلن أنه يدافع عنه. بذات الروح يقول الرسول بولس: "واثقًا بهذا عينه أن الذي ابتداءً فيكم عملاً صالحًا يكمل إلى يوم المسيح" (في 1: 6).

إنه كراس للجسد يحامي عنا نحن أعضاء جسمه. عندما طُلبت الجزية من سمعان بطرس قام بتسديدها، إذ طلب منه أن يذهب إلى البحر ويلقي صنارة ويأخذ السمكة المُصطادة فيجد في بطنها أستايرًا، فيسدد أربعة دراهم عن الرب يسوع وسمعان بطرس (مت 17: 24-26).

هكذا خلال الأربعة أناجيل دافع الرب عنا، ودفع عنا ديوننا بصليبه كما يقول **القديس أغسطينوس**.

❖ إنني لا أجازي عن نفسي، بل أنت تجازي. ليثر أعدائي بأقصى ما لديهم، فأنت تجازي ما لا تستطيع أنا أن أفعله... يقول الرسول: "لا تنتقموا أيها الأحياء، بل أعطوا مكانًا للغضب، لأنه مكتوب لي النعمة أنا أجازي يقول الرب" (رو 12: 19) .

القديس أغسطينوس

❖ عند ديونتتا يحررنا من ديننا. إنه لا يغفل عن أعمال يديه، وتدوم رحمته علينا إلى الأبد.

¹ On Psalms 138.

² On Ps. 138 (137).

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

❖ عندما يلزمني أن أسدد الدين، يعفيني منه بأن يصنع رصيْدًا بكونه محبًا. هذا يشير إلى ما فعله المسيح أيضًا من أجلنا، إذ سلم نفسه لأجلنا¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 138

بنورك حنوك تشرق عليّ

❖ في وسط ضيقي اكتشف خطاياي وأخطائي.
أدرك أنني ارتكبت خطايا هذا مقدراتها.
ومع هذا فأنت تترقب توبتي ورجوعي إليك.
إذ اكتشف الظلمة التي تحيط بي.
ألجأ إليك يا شمس البرّ.
تشرق عليّ، فتبدد ظلمتي،
وتعكس نور بهائك عليّ.
مع صرخات قلبي في أنين،
تلهج أعماقي بالشكر لك يا كلي الحب.

❖ أعترف لك بخطاياي،

فتغسل دنس نفسي،
وتؤهلني للتسبيح مع قديسيك وملائكتك.
وكأنك سمحت لي بالضيق،
لا لأشعر بضعفي في مذلة،
إنما لتقيمني من المذلة،
لأسبح مع أشرف أشرف خليقتك!

❖ بالضيق تصرخ أعماقي قبل لساني.

تسمع لغة القلب،

¹ On Psalms 138.

وتستجيب لكلماته الخفية.

❖ بالضيق أتحد مع إخوتي.

أشعر بحاجتي إلى صلواتهم،

كما أشعر بالتزامي بالصلاة عنهم.

أدرك ضعفي، فأطلب عونهم الروحي.

وأشعر بالتزامي مع عدم استحقاقي،

أصلي معهم وعنهم كعضو في الجسد الواحد.

❖ في ضيقي لا أطلب رفع الألم عني،

إنما بالأكثر أطلب بقوتك تسندني؟

فأرتفع بقوتك، وألتحف ببرك.

❖ في ضيقي تسمع صوتي، وأسمع صوتك.

استعذب كلماتك، فيبتلعني فرحك السماوي.

أكتشف وعودك العجيبة،

فاحمل سلطاناً من لدنك.

تقيمني ملكاً وسط أبنائك الملوك.

يُعلن مجدك فينا يا ملك الملوك.

❖ يا لبركات الضيق.

اكتشف ضعفي، فأصرخ إليك.

أراك قريباً مني تتطلع إليّ عن قرب!

أراك في داخلي تقيم ملكوتك.

يمينك تحتضني، وتملاً أعماقي بقوتك.

تُرهب إبليس وكل قوات الظلمة.

فلن يجدوا لهم موضعاً في داخلي!

تحيطني كسور نارٍ منبع.

تحفظني من كل مكائد إبليس.

لك المجد يا من لا تتخلى عن عمل يديك.

الْمَزْمُورُ الْمَعْنَى وَالثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْتَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ

الله العجيب للغاية في علاقته معي

يكشف هذا المزمور عن سمات الله الفائقة التي يختبرها الإنسان الأمين في علاقته بالله. أما من يحاول الهروب منه، فيكتشف أنه يدخل في معركة خاسرة. تقوم أمانتنا في علاقتنا به على أساس إدراكنا أنه العالم بكل شيء، يعرف كل شيء، حتى أسرارنا الخفية؛ والحاضر في كل مكان؛ والكلّي القدرة؛ والكلّي القداسة.

هذه السمات الخاصة بالله، ليست بنوداً إيمانية عقلية نلتزم بقبولها، لكنها بالأكثر خبرة متمعة يعيشها المؤمن في شركته مع الله. لهذا دعا أحد كبار المعلمين اليهود، ابن عزرا *Aben Ezra* هذا المزمور: "تاج كل المزامير".

قيل عنه: لا يوجد موضع يتحدث عن سمات الله العظيمة بطريقة مذهشة مثلما عرضها هذا المزمور الرائع للغاية.

فريد هو هذا المزمور في الحديث عن اهتمام الله بالإنسان، يحاصره الله من كل جهة، لأنه يحبه ويرعاه ويعمل لحساب مجده؛ روح الله يود ألا يفارقه، وإمكانيات الله تُقدم له، لأنه بدون الله يعجز عن أن يخطو. ينشغل بخلقته ويعمل فيه منذ بدء تكوينه كجنين في الرحم، لذا فالإجهاض جريمة ضد الخالق المهتم بالجنين.

أما عن معرفة الله التي يختبرها المؤمنون الملتصقون به فهي:

1. يعرف الله أعماقنا [1-6]، يعرفها أكثر من معرفتنا نحن لأنفسنا، لذا يليق بنا أن نكون منفتحين عليه، وأمناء، فنستريح في محبته (1 يو 4: 18). لا تقوم معرفته على قدرته وحدها، بل وعلى محبته لنا. عينه علينا ليرعانا، فلا مجال للخوف.

2. يعرف الله أين نذهب [7-12]، ليس فقط لأنه كائن في كل مكان، ولا يخفي عنه شيء، وإنما لأنه في محبته يطلب أن يرافقتنا، في صعودنا وهبوطنا، في رحيلنا شرقاً أو غرباً، أي في انطلاقنا نحوه، أو محاولة هروينا منه. في نمونا الروحي وحتى في لحظات سقوطنا. ما دام فينا نَفْسٌ واحدٌ، فهو يترجى توبتنا أي رجوعنا إليه. إن كان الأشرار يحاولون الهروب من الله، كما فعل أبوانا الأولان بعد سقوطهما، فيليق بنا نحن أن نهرب إليه حتى بعد سقوطنا.

3. يعرف من نحن [13-16] إنه خالقنا، وواضع خطة لنا، وواهبنا الحياة لنحقق رسالتنا. يعرف ما هو لصالحنا، ويهبنا الحرية والقدرة على التعقل لكي نقبل عمله فينا وبنا.

4. **يعرف ما تفكر فيه** [17-18]. إذ هو مشغول بنا، يطلب أن يكون موضوع تفكيرنا، لذا يليق بنا أن نتأمل فيه، وننعم بأسراره الإلهية (في 4: 8).
5. **يعرف ما نحبه** [19-22]. لذا يليق بنا أن نحبه في شخصه، ونبغض الشر (مز 79: 10)، فلا يحتل العالم مكانة في قلوبنا (1 يو 2: 15-17).
6. **يعرف اشتياقاتنا** [23-24]. يلزمنا أن تعترف بأننا نجهل حتى أعماقنا ذاتها (إر 17: 9-10)، لذا يليق بنا أن نسلمه قلوبنا، فيلهبها بالاشتياقات المقدسة، وندرك أنه هو طريق الحق الذي يلزمنا أن نسلك فيه.

1. **الله العالم بكل شيء** 6-1
2. **الله الحاضر في كل مكان** 7-12
3. **الله صانعنا في الرحم** 13-18
4. **الله حامينا من الأشرار** 19-22
5. **اختبرني يا الله** 23-24

1. **الله العالم بكل شيء**

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِذَاوُدَ. مَزْمُورٌ

يَا رَبُّ قَدْ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي [1].

يبدأ المزمور بالحديث عن الله بكونه العالم بكل شيء.

هذه المعرفة المطلقة لله ليست عقيدة مجردة، بل هي خبرة عاشها المرتل في حياته،

مختبراً اهتمام الله بل دقائق حياته في كل مراحلها.

هذه المعرفة لم تدفع المرتل إلى الخوف والرعب، بل إلى الفرح الداخلي والتهليل

والتسبيح.

إن كان الله يعرف حتى أفكارنا الخفية وعواطفنا وشهواتنا وكل أعمال إنساننا القديم،

فإن في سلطانه أن يغيّرها ويجدها، ويقدم كل ما في داخلنا. معرفته تهينا الفرصة للمطالبة

بعمله الإلهي فينا، لبنياننا وإعدادنا للمجد الأبدي.

يعرف كل إنسان في البشرية، وكل شيء عنه، ولا يخفى عنه شيء. بمعرفته لحقيقة

الأمر، يقدم لنا ما هو لبنياننا مع تقديسه لحرية إرادتنا، فلا يلزمنا بشيء بدون إرادتنا.

حينما نقول: "اختبرني"، لا يعني عدم معرفة الله لي قبل أن يختبرني، حاشا! فالله

عالم بكل شيء، لكن هنا المعرفة ليست إدراكاً لأمر لم يكن يعرفها، إنما هي معرفة الالتصاق به. هذا ما يؤكد القديس يوحنا الذهبي الفم¹.

يرى القديس أغسطينوس أن المتكلم هنا هو ربنا يسوع الذي شاركنا فيما نحن فيه، إذ تجسد وصار إنساناً، يتحدث باسمنا، حتى نتمتع نحن بشركة الطبيعة الإلهية، أي نأخذ مما له، نحمل بنعمته الحياة الجديدة التي تليق بنا كأعضاء جسده.

❖ كلمة "جربتي" بالنسبة لله لا تعني أنه لا يعرف الأمور إلا بعد التجربة. حاشا! بل معناها كما أن الإنسان يتيقن بالتجربة، ويعرف حقيقة الأمور، هكذا أنت يا رب تعرف بغير اختبار حقيقة الأمور قبل كونها.

الأب أنسيئس الأورشليمي

أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي.

فَهَمَّتْ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. [2]

يعرفنا عندما نجلس لنستريح، ويعرفنا حين نقوم لنمارس أوجه الحياة والأنشطة المختلفة. يعرف ما نفكر فيه، وما سنفكر فيه.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن تعبير "جلوسي وقيامي" يشير إلى الحياة كلها. وكأن الله يعرف كل حياتي بدقائقها. ولئلا يظن أحد في غباوة أن معرفة الله لحياة الإنسان تقوم على اختبار الله له دون سابق معرفة، لهذا أضاف العبارة: "فهمت فكري من بعيد". فمن يعرف مسبقاً الفكر الخفي في العقل لا يحتاج إلى اختبار الإنسان ليعرف أعماله الظاهرة.

كان الله يعرف أيوب قبل أن يسمح له بتجربته، وقال عنه: "رجل كامل ومستقيم، يتقي الله" (أي 2: 3). لكنه سمح بتجربته لكي يكافئه على ثباته ويؤكد شر إبليس، وأيضاً ليجعل الآخرين يقتدون به.

كان الله يعلم أن أهل نينوى لا يستحقون الهلاك، لأنهم سيصلحون موقفهم بالتوبة، لكنه أعلن ذلك خلال الخبرة العملية.

❖ ماذا يعني هنا بجلوسي وقيامي؟ الذي يجلس يضع نفسه، فالمسيح جلس في آلامه، وقام في قيامته.

¹ On Psalm 139.

يقول أنت تعرف هذا، بمعنى إنك تريد ذلك وتستحسنه، وأنا أفعل ذلك حسب إرادتك. إن أردت أن تطبق هذه الكلمات الخاصة بالرأس (المسيح) على الجسد (الكنيسة)، فالإنسان يجلس حين يتواضع بالندامة، ويقوم حين تُغفر خطاياها، ويرتفع إلى الرجاء في الحياة الأبدية.

لا ترفعوا أنفسكم ما لم تتواضعوا أولاً. فإن كثيرين يريدون القيام قبل الجلوس؛ يريدون أن يظهروا أبرارًا قبل أن يعترفوا أنهم خطاة.

❖ "فهمت أفكارى من بعيد" ... ماذا تعني "من بعيد"؟ وأنا أبلغ إلى وطني الحقيقي، أنت عرفت أفكارى... الابن الأصغر ذهب إلى كورة بعيدة. بعد تعبته وآلامه وضيقته واحتياجه فكرًا في أبيه، ورجب في العودة، وقال: "أقوم وأذهب إلى أبي". قال: "أقوم" لأنه جلس قبل ذلك. -
القديس أغسطينوس

❖ قوله "جلوسى وقيامى" معناه كل أعمالى التى أمارسها جالسًا وقائمًا، فى راحتى، وفى شدتى. وأيضًا: "فهمت أفكارى من بعيد"، أى قبل أن تخطر فى قلبى.
الأب أنسىمس الأورشليمى

مَسْلُكِي وَمَرَبِضِي ذَرَيْتَ،

وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. [3]

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "سبلى وسجيتى أنت فحصت، وكل طرقى سبقت ورأيت".

يرانا حينما نسير، وعندما نجلس، بمعنى آخر عينه علينا على الدوام. ليس شيء من طرقنا مخفى عنه.

❖ يقول: "مسلكى". ماذا؟ إلا أنه مسلك رديء، المسلك الذى سار فيه (الابن الضال) تاركًا والده... ما هو مسلكى؟ الذى به قد خرجت.

القديس أغسطينوس

❖ يقول: أنت تعرف ليس فقط أفكارى، وليس فقط أعمالى، بل كل شيء يحدث، وأيضًا ما

¹ On Ps. 139 (138).

² On Ps. 139 (138).

³ On Ps. 139 (138).

سيحدث .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قبل أن تأتي بنا إلى الوجود بحثت، أي عرفت يقينًا بما أنك فاحص سبلي، أي سيرتي وحياتي...

أما كلمة **سجيتي** فياليونانية تترجم " **حنكي** " ... أي عرفت كلامي، أنه ليس فيه غش، أي قولي ليس مغايرًا لما في قلبي.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

لَأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةً فِي لِسَانِي،

إِلَّا وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا [4].

إنه يعرف ما سننطق به قبل أن نفتح أفواهنا. يعرف المستقبل كما الماضي والحاضر؛ كل شيء مكشوف أمامه.

ما هي الكلمة التي في لساني؟ إذ اختار الابن الأصغر المسلك الشرير، وذهب إلى كورة بعيدة، أراد الرجوع إلى أبيه، فقال في نفسه. ما قاله واعترف به هو أنه فارق أباه وابتعد. عرف أبوه أنها كلمة صادقة تخرج من لسان القلب الداخلي. إنه يريد أن يترك مسلكه الرديء، ويسلك طرق أبيه الصالحة.

❖ أعترف لك، إنني أسلك في طريقي أنا، فصرت بعيدًا عندك.

لقد رحلت عنك، أنت الذي كنت لي نافعًا، وظننت أنه لخيري أن أتركك .

القديس أغسطينوس

مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَامٍ حَاصِرْتَنِي،

وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ [5].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "ها أنت يا رب عرفت كل الأخيرات والأولات .

أنت جبلتني، وجعلت علي يدك".

كل شيء مكشوف وعريان أمامه، هذا الذي نلتزم أن نقدم أمامه حسابًا عن تصرفاتنا (عب 4: 13). وإذ يدرك تمامًا كل شيء عنا، يستطيع أن يحفظنا من خلف ومن الأمام. يده

¹ On Psalm 139.

² On Ps. 139 (138).

دومًا علينا لحمايتنا.

❖ لقد عرفت أعمالِي الأخيرة عندما كنتُ أطمع الخنازير؛ وعرفت أعمالِي القديمة عندما طلبت منك نصيبي في الميراث.

أعمالِي القديمة كانت بداية شروري الأخيرة.

الخطية القديمة عندما سقطنا، والتأديب الأخير عندما دخلنا في متاعب وأخلاقيات

خطيرة. هل ستكون الأخيرة بالنسبة لنا؟ ستكون هكذا إن كنا نرجع الآن (لِلرَّبِّ).

❖ "أنت جبلتني"، أين؟ في هذه الطبيعة القابلة للموت...

"وجعلت يدك عليّ". يدك التي تجازي فتتزل بالمتكبرين.

فمن الصالح طرح المتكبر أرضًا لكي ما يرفعه (الرَّب) متواضعًا.

القدیس أغسطينوس

❖ أنت أوجدتني، ووضعت يدك عليّ. لهذا نحن مدينون بميلادنا، وحياتنا لا لأنفسنا، بل

بالكامل لخالفنا.

الأب بطرس خريسولوجوس

❖ "أنت خلقتني ووضعت يدك عليّ". لقد انتقل من القدرة على سبق المعرفة إلى القوة الخالقة،

ومن القوة الخالقة إلى سبق المعرفة.

إنه ليس فقط خلق أولئك الذين لم يكن لهم وجود في ذلك الوقت، وإنما يحفظ تحت

سلطانه الذين يخلقهم.

عن هذا كله يشهد أيضًا بولس للمسيح بالكلمات: "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء

قديمًا بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء".

بعد ذلك أشار إلى الخالق: "الذي به أيضًا عمل العالمين والأجيال". وإذ تحدث عنه ككائن

قال أيضًا: "والذي هو بهاء مجده ورسم جوهره"، ثم أظهر قوة معرفته السابقة بالكلمات:

"وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب 1: 1-3).

وإذ كتب إلى أهل كولوسي قال نفس الشيء: "فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات

وما على الأرض... سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد

¹ On Ps. 139 (138).

² On Ps. 139 (138).

³ Fr. Peter Chrysologus: Selected Sermons (Fr. Of Church), 6..

خُلِقَ". هذا إشارة إلى قوته الخالقة. بعد ذلك لكي يسير إلى قوة معرفته السابقة أضاف:
"الذي فيه يقوم الكل" (كو 1: 16-17).

بنفس الطريقة شهد يوحنا لكلا القوتين: "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان". قال هذا لكي يلقي ضوءاً قوياً على قوته الخالقة. بعد ذلك تحدث عن معرفته السابقة:
"فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس" (يو 1: 3-4).
هذا أيضاً ما عالجه النبي في هذا الموضوع، قائلاً: "خَلَقْتَنِي"، كإشارة إلى قوته الخالقة، وبعد ذلك أشار إلى معرفته السابقة: "ووضعت يدك عليّ". ماذا يعني بقوله "وضعت"؟ أنت تدير، أنت تتنظم، أنت تقود! الأمر الذي أشار إليه بولس بقوله: "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع 17: 28). فإننا محتاجون إلى قوته، ليس فقط في الخلق، وإنما أيضاً في الوجود والاستمرار في الحياة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

عَجِيبَةٌ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فَوْقِي.

ارْتَفَعْتُ، لَا أَسْتَطِيعُهَا [6].

معرفته غير المحدودة تحير عقولنا. فهي فوق كل إدراكنا. يليق أن ننحني أمامه

معترفين بأن معرفته تفوق كل إدراكنا.

يرى كثير من الآباء أن خلقة الإنسان عجيبة فوق كل المخلوقات، إذ تضم فيها ما هو مائت أي الجسد مع النفس الخالدة، تمثل عالماً غريباً يضم ما يشبه الملائكة، أي النفس البشرية، وما يشبه الحيوانات، أي الجسد.

❖ أنصتوا الآن واسمعوا أمراً غامضاً بحق، لكنه يجلب سعادة ليست بقليلة في فهمها. تحدث

الله مع موسى خادم الله القديس بسحابة، لأن الحديث بطريقة بشرية يستلزم أن يتحدث مع عبده خلال شيء من عمل يديه يتخذه لنفسه...

وإذ اشتاق موسى ورغب في رؤية مظهر الله الحقيقي، قال لله الذي كان يتحدث معه:

"إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك أرني نفسك" (راجع خر 33: 13). هكذا اشتاق بغيره

متقدة هذا النوع من القول، بأن يتنازل في تعامله معه بطريقة بها يمكنه رؤية وجه الله.

قال له الله: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (خر 33: 20).

¹ On Psalm 139.

إنني أضعك في ثُقرة من الصخرة، واجتاز، وأسترك بيدي حتى اجتاز، فتنظر ورائي.
من هذه الكلمات يثور نوع آخر من اللغز، أي شكل الحق الغامض. يقول الله: "متى
اجتاز تنظر ورائي"، كما لو كان له وجهه من جانب وظهره من جانب آخر. حاشا أن تكون
لنا مثل هذه الأفكار عن الجلالة!...

في هذه الكلمات أسرار قديرة... هؤلاء الذين ثاروا ضد الرب، الذي رأوه (حين جاء
متجسداً)، الآن يطلبون مشورة كيف يخلصون. فقيل لهم: "توبوا، وليعتمد كل واحدٍ منكم
على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أع 2: 38) ها هم رأوا ظهره هؤلاء الذين لم
يستطيعوا أن يروا وجهه. لأن يديه كانتا علي أعينهم، ليس إلى النهاية، وإنما حتى يجتاز.
وبعد أن اجتاز رفع يده عن أعينهم... فأروا التلاميذ، وقالوا: "ماذا نصنع؟"
في البداية كانوا عنفاء، وبعد ذلك صاروا محبين.
في الأول كانوا في غضبٍ، وبعد ذلك صاروا في مخافةٍ.
في الأول كانوا قساة، وبعد ذلك صاروا مبتهجين.
في الأول كانوا عميان، وبعد ذلك صاروا مستنيرين .

القديس أغسطينوس

❖ علمك يا الله عجيب في جميع مخلوقاتك، لاسيما من صنعك لي أنا الإنسان. لأن خلقتك
لي هي أكثر عجباً من سائر مخلوقاتك، بما أنك ضمنت يا الله في الإنسان المائت الذي
هو الجسد والغير المائت أي النفس، الهيولي والبريء من الهيولي، الناطق وغير الناطق.
هذه الأضواء جميعها في شخص واحدٍ، وهو أمر أكثر عجباً، ومعرفتك هذه قد فاقت
قدرتي، لن أستطيع أن أدركها بالفعل، لأنها عجيبة.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ الآن ما يعنيه هو مثل هذا: إنني أتمتع بمعرفتك السابقة، وأدرك أنك تعرف كل شيءٍ مقدماً.
وأنت خلقتني من العدم. ومع هذا فإنني غير قادر أن تكون لي معرفة عنك كاملة وواضحة
ودقيقة. إنما بالحري هي تدهشني، أي أنها تسمو عني، إنها أقوى من أن اقتنيها بعقلي. هذه
هي الدرجة التي تجعلني في دهشة، الدرجة التي هي عظيمة. فإن كانت مدهشة وعظيمة،
فهل يمكن الاستحواذ عليها؟ لا يمكن! لهذا يضيف: "لا أستطيع أن أفعل شيئاً في

¹ On Ps. 139 (138).

مواجهتها...

إنه لا يعني: ليست لي معرفة الله، إنما ليس لي المعرفة الكاملة الواضحة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لتراعوا ما هو مكتوب في سفر الجامعة: "قلت أكون حكيمًا، أما هي (الحكمة) فبعيدة عني. بعيدٌ ما كان بعيدًا، والعميق العميق من يجده" (جا 7: 23-24).

لتراعوا ما قيل في المزامير: "عجبية هذه المعرفة، فوقي ارتفعت، لا أستطيع ها" (مز 139: 6).

يقول سليمان: "مجد الله إخفاء الأمر" (أم 25: 2). لهذا كثيرًا ما أقرر التوقف وعدم الكتابة.

صدقوني، إنني أفعل هذا. ولكن لئلا أوجد في حالة إحباط، أو بسبب صمتي ينفاد الذين يسألونني منكم إلى عدم التقوى، ويُسلمون للنزاع، لهذا أضغط على نفسي وأكتب إلى قداستكم ما أرسله إليكم باختصار .

البابا أثناسيوس الرسولي

2. الله الحاضر في كل مكان

أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ،

وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ [7]

الله ليس فقط عالم بكل شيء، وإنما هو أيضًا حاضر في كل مكان، في ذات اللحظة. حضوره في كل مكان لا يعني وحدة الوجود، أي المذهب القائل بأن الله والطبيعة شيء واحد، وأن الكون المادي والإنسان ليسا إلا مظاهر للذات الإلهية *Pantheism*.

يؤكد الكتاب المقدس أن الله ليس شيئًا، بل هو شخص غير الخليفة.

هل يوجد مكان فيه يتجنب الإنسان روح الله؟ هل يوجد موضع يختفي فيه الإنسان من الحضرة الإلهية؟

الشعور بالرغبة في الهروب من روح الله أو وجهه، أمر يرجع منذ سقوط آدم وحواء، إذ حاولا باطلاً الهروب من خالقهما. هذا الشعور صار غريزيًا في حياة الإنسان، يظهر بوضوح

¹ On Psalm 139.

² Letter to Monks 1: 2.

حين يرتكب طفل خطأ ما يحاول الاختفاء من والديه.

يليق بنا أن ندرك أن الله في محبته يتنازل ويرغب في اللقاء بنا حتى ندرك حنوه، ونطلب الرجوع إليه.

❖ أي موضع يمكن أن يحمي الهارب من الله؟ الذين يحمون الهارين، يسألونهم: ممن أنتم هاربون؟ وإن وجدوا عبداً لسيدٍ أقل منهم قوة يحمونه دون خوفٍ، قائلين في قلوبهم: "ليس له سيد يقدر أن يتعقبه".

ولكن إن أُخبروا بأن له سيد صاحب سلطان، إما أنهم يمتنعون عن وقايتهم، أو يحمونه وهم في رعبٍ شديدٍ، لأنه يمكن أن يُخدع الإنسان حتى وإن كان صاحب سلطان. لكن من يقدر أن يخدع الله؟ من الذي لا يراه الله؟ ممن لا يطلب الله الهارب منه؟ أين يمكن للهارب أن يذهب من وجه الله؟ أن يرده من هنا أو هناك!

القديس أغسطينوس

❖ يشير إلى الله بكونه روحاً وحضوراً، بمعنى أين أذهب منك؟ أنت تملأ كل شيء، وحاضر بالنسبة لكل أحدٍ، ولكن ليس كجزءٍ، بل بكليتك لكل واحدٍ. بإشارته إلى ما هو فوق وما هو أسفل، الطول والعرض، والارتفاع والعمق يشير إلى أنه حاضر في كل مكان. لم يقل: "أينما أذهب تتبعني وتمسكني"، إنما "أينما أذهب أنت هناك"، أجدك سابقاً لي. هذا هو السبب لقوله: "معرفةك عجيبة لي".

ربما يعترض أحد: ما لم تعرفها تماماً كيف تكون عجيبة؟ لأنها تفوق عقلي، تبتلع ذهني، فإننا لا نستطيع أن نمسك بوضوح أشعة الشمس، لذلك فنحن ندهش تماماً لها. هكذا في حالة معرفة الله، فإننا لا نجهله تماماً، فنحن نعرف أنه موجود، وأنه محب، وأنه صالح، وأنه لطيف ورفيق، وأنه في كل مكان. أما عن كيانه هو أو ما هي عظمة أقواله أو كيف هو في كل مكان، فهذا نجهله.

لهذا بعد إشارته إلى الأشياء التي **معرفةك تدهشني** وتكريم معرفة كيانه، وقوته الخالقة، وعنايته الإلهية، وعدم القدرة على إدراكه وعدم إمكانية فحصه، تباغاً يصف إلى حدٍ ما قوته، هكذا فإنها تحمل قوة محيرة تماماً لمن يبحث عنها بعقله البشري :-

¹ On Ps. 139 (138).

² On Psalm 139.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ [رسالة إلى امفيلوخوس عند رسامته أسقفًا]

مبارك هو الله الذي من جيل إلى جيل يختار الذين يسرونه، يميز الأنية المختارة، ويستخدمهم لخدمة القديسين. لذلك إذ أردت أن تهرب، كما أنت تعترف بذلك، ليس مني، وإنما تهرب من الدعوة التي قُدمت عن طريقي. لقد اصطادك بشبكة النعمة الأكيدة، وجاء بك إلى وسط بيسيديا Pisidia لتصطاد النفوس للرب، وتسحب فريسة إبليس من الأعماق إلى النور. لتقل مع الطوباوي داود: "أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟"¹

القديس باسيليوس الكبير

❖ لاحظوا سرّ الثالوث في ذاك الإيمان الكامل. يتحدث النبي مع الآب، معلنًا أن الابن هو وجه الآب، وموضحًا أن الروح القدس منتشر خلال كل شيء².

الآب قيصريوس أسقف آرل

❖ لا يظن أحد أنه يقدر أن يهرب من حكم الله³.

❖ يليق بكل شخص أن يفحص ضميره أولاً وعندئذ يفكر في أعمال الشخص الذي يدينه. إن حديث هذا فإن الرغبة في ممارسة عمل الوظيفة الكنيسة العليا تنتهي من الذين عينوا لها، إن كان الذين يرغبون في السيطرة على الناس يهتمون بالأكثر بالحكم على أنفسهم عن الحكم على الآخرين.

لا يظن أحد أنه قادر على الهروب من حكم الله، إذ يقول النبي: "أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟" (مز 139: 7) هذه الأمور تنطبق بالأكثر على الذين يرأسون على حكم الشعب⁴.

العلامة أوريجينوس

❖ روح الرب يملأ المسكونة، ولذلك يرثل داود: "أين أذهب من روحك" (مز 138: 7) وأيضًا مكتوب في سفر الحكمة: "روحك غير الفاسد هو في ملء الأشياء" (حك 12: 1). ولكن

¹ Epistle 141:1, to Amphilochius.

² Sermon 212: 3.

³ Commentary on Rom 2: 3.

⁴ Commentary on Rom. 2: 3.

الأشياء المخلوقة هي في أماكن محددة لها... إن كان الروح يملأ كل الأشياء، وهو في الكلمة، حاضر في كل الأشياء. وإن كان الملائكة أقل منه، وحيثما يُرسلون فهناك يكونون حاضرين، إذن فلا ينبغي أن يُسك في أن الروح ليس بين الأشياء المخلوقة، وليس هو ملاكاً على الإطلاق، كما تقولون أنتم، بل هو فوق طبيعة الملائكة.

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ "يا رب ملجأ كنت لنا في دورٍ فدورٍ" (مز 90: 1). غضبك عدل، إنك لا ترسل إنساناً إلى جهنم ظلاماً. "أين أذهب من روحك؟" (مز 139: 7)، وإلى أين أهرب منك إلا بالالتجاء إليك؟

إذن فلنفهم أيها الأحباء الأعزاء بأنه إن كان لا يستطيع أحد أن يلجم لسانه، نلتجئ إلى الله الذي يستطيع أن يلجمه. إن أردتم أن تلجموه لا تستطيعون لأنكم بشر. "وأما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يقمه".

لاحظوا التشبيه المماثل لذلك في الحيوانات التي نروّضها ، فالحصان لا يستطيع أن يروّض نفسه، والجمال لا يروّض نفسه، والفيل لا يروّض نفسه والأفعى لا تروّض نفسها، والأسد لا يروّض نفسه ، هكذا لا يستطيع الإنسان أن يروّض نفسه. لكن لو أراد الإنسان لأمكنه أن يروّض الحصان والثور والجمال والفيل والأسد والأفعى. ليتنا نبحث عن الله حتى يروّضنا .

❖ نصير إلى حال أفضل باقتربنا من ذاك الذي ليس من هو أفضل منه. نذهب إليه ليس بالسير بل بالحب. سيكون بالأكثر حاضراً بالنسبة لنا قدر ما نستطيع أن ننقي الحب الذي به نقرب إليه، فإنه لا يُحد بمكانٍ مادي. إنه حاضر في كل مكان، حاضر بكماله. ونحن نذهب إليه لا بحركات أقدامنا، بل بسلوكنا. السلوك عادة يميز لا بما يعرفه الإنسان، بل بما يحبه: إن كان الحب صالحاً أو شريراً يكون السلوك صالحاً أو شريراً.

القدّيس أغسطينوس

❖ وجه الآب هو الابن، لأنه شعاع مجده وصورة أفتنومه. وأما روحه فهو الروح القدس. فإذن قول النبي يشير إلى الثالوث القدوس. المُخاطب هو الآب، ووجهه هو الابن، وروحه هو

الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سربايون، 1: 26 (ترجمة مؤسسة القدّيس أنطونيوس).

² Sermon on NT Lessons, 5:2.

³ Letter 155 to Macedonius.

الروح القدس. هذا الإله، المثلث الأقانيم موجود في السماء، وعلى الأرض، وحاضر في كل مكان، ولكن ليس حضوره مكانيًا، بل بما أنه مبدع الكون والكافة ومالئ الكل، فهو غير منحصر في مكانٍ معين.

الأب أنسيمنس الأورشليمي

إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ، فَأَنْتَ هُنَاكَ،
وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَوَايَةِ، فَهَا أَنْتَ [8].

لنفترض أن إنسانًا صعد إلى السماء فهل يختفي هناك عن الله؟ مستحيل، فإن السماء عرش الله (مت 5: 34). وإن جعل فراشه في الهاوية، أي يتحرر من الجسد، فسيجد الله أيضًا هناك.

لن نستطيع أن هرب من وجه الله إلا بالاحتماء فيه هو نفسه. نهرب من المجازاة بالاختفاء فيه. ليكن لنا جناحا الحب، فنطير إلى الحب ذاته ونختفي فيه.

❖ أين يذهب أحد أو يهرب من ذاك الذي يدرك كل شيء؟

القديس إكليمنضس الروماني

❖ ما يتحدث عنه هنا هو الله الحاضر في كل مكان، وهو يُظهر هنا أن هذا هو ما لا يستطيع أن يدركه، أي أن الله موجود في كل مكان... فإن النبي لم يعرف كيف يكون هذا، إنما يرتعد ويرتبك في حيرة عندما يفكر في هذا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يرى داود أن كل المعاصي التي في العالم مكشوفة أمام عيني الله. لا السماء ولا الأرض ولا البحار ولا الكهف العميق ولا الليل نفسه يمكن أن يخفي الخطايا عنه. يدرك المرئى كيف أن الجرائم والشر هي خطايا في نظر الله، لذلك صرخ: "ك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت" (مز 51: 6).

الأب بطرس خريسولوجوس

❖ ما هي قمة تشييد هذا البناء الذي نؤسسه؟ إلى أين ستبلغ قمة هذا البناء العالية؟ أقول

¹ First Epistle, 28.

² On the Incomprehensible Nature of God, homily 1: 25.

³ Fr. Peter Chrysologus: Selected Sermons, 2.

للحال إلى رؤية الله .

والآن ترى كم هو عظيم أن تعاین الله. إن الذي ارتفع إلى هذا يستطيع أن يفهم كل ما أقوله وما يسمعه. قد وعدنا برؤية الله، رؤية الله ذاته تتعالى لأنه حسن أن نرى الذي يرانا، فالذين يعبدون آلهة باطلة يرونها بسهولة، ولكنهم يرون التي لها أعين ولا تبصر. وأما نحن فقد وعدنا بمعاينة الله الحي المبصر حتى نشناق لرؤية ذلك الإله الذي يقول عنه الكتاب المقدس: "الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟" (مز 94: 9) ألا يسمع ذلك الذي صنع لك ما تسمع به، أما يرى ذلك الذي خلق ما ترى به؟

لذلك يقول في المزمور حسنا: "افهموا أيها البلاداء في الشعب، ويا جهلاء متى تعقلون" (مز 94: 8)، لأن كثيرين يرتكبون أفعالاً شريرة، ظانين أن الله لا يراهم. حقيقة إنه يصعب عليهم أن يعتقدوا أنه لا يستطيع رؤيتهم، بل يظنون أنه لا يريد ذلك.

قليلون هم الملحدون تماماً الذين يتم فيهم المكتوب: "قال الجاهل في قلبه ليس إله".

هذا جنون القليلين فقط. فإذا قليلون هم الورعون تماماً، فانه ليس بأقل منهم أيضاً هم الملحدون تماماً، وأما غالبية البشر فيقولون هكذا، ماذا؟ هل يفكر الله الآن في، حتى يعرف ما أفعله في منزلي، وهل يهيم الله ما قد أختار فعله على سريري. من يقول هذا؟

"افهموا أيها البلاداء في الشعب ويا جهلاء متى تعقلون؟" (مز 94: 8) فيكونك رجلاً من شأنك أن تعلم كل ما يحدث في منزلك، وأن تصلك أفعال خدمك وأقوالهم. ألا تظن أن الله عملاً كهذا أن يلاحظك، الذي لم يتعب في خلقك؟ أفلا يثبت عينيه عليك ذاك الذي صنع عينيك؟ إنك لم تكن موجوداً وقد خلقك وأعطاك الوجود. ألا يهتم بك الآن وأنت موجود، الذي يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رو 4: 17)؟

إذن لا تعد نفسك بهذا فإنه يراك، إن أردت أو لم ترد. وليس هناك مكان تستطيع أن تختبئ فيه عن عينيه. "إن صعدت إلى السماء، فأنت هناك. وإن فرشت في الهاوية فما أنت" (مز 139: 8).

عظيمة هي أتعابك بينما لا ترغب في الانفصال عن الأعمال الشريرة، مع هذا فإنك لا ترغب في أن يراك الله . حقا يا له من تعب مضني! كل يوم ترغب في صنع الشر ومع هذا أتشك في أنك لا تُرى؟ استمع إلى الكتاب المقدس القائل: "الغارس الأذن، ألا يسمع؟ الصانع العين، ألا يبصر؟" (مز 94: 90). أين تستطيع أن تخفي الأعمال الشريرة عن

أعين الله؟ إن لم تمت عنها، فبالحق تعبك مضني^١.

القديس أغسطينوس

❖ من جهة اليونانيين يقول البعض إن الله نفس (Soul) العالم^٢. وآخرون قالوا إن سلطانه يسود السماء وحدها دون الأرض. ويشترك البعض معهم في خطأهم، مسيئين استخدام العبارة القائلة: "حقك إلى السحاب"، فتجاسروا بتحديد عناية الله بالسحب والسموات، عازلين الله عن شؤون الأرض، ناسين المزمور القائل: "إن صعدت إلى السموات، فأنت هناك، وإن نزلت إلى الجحيم، فأنت هناك" (مز 139: 8). فإن كان ليس شيء أعلى من السموات والجحيم أدنى من الأرض، فإن من يدير أمور الجحيم السفلي يهتم بالأرض أيضاً^٣.

القديس كيرلس الأورشليمي

إِن أَخَذْتُ جَنَاحِي الصُّبْحِ،

وَسَكَنْتُ فِي أَقْصَى الْبَحْرِ [9].

جناحا الصبح هما تلميح لأشعة الشمس في الصباح التي تعبر من الشرق إلى الغرب بسرعة 186000 ميلاً في الثانية حتى إن استطعنا أن نسير من أقصى المسكونة بسرعة الضوء، فسنجد الرب هناك ينتظرنا لكي يقودنا ويسندنا.

❖ إن كنت بالخطية تتحدر إلى أعماق الشر، وتستخف بالاعتراف، قائلاً: "من يراني؟"... فأنت هناك أيضاً حاضر لكي تُعاقب...

لذلك لبتني أهرب من وجهك الذي يجازي؛ كيف؟ "إن أخذت لي جناحين بالعادة وأقمتهما، وأسكن في أواخر البحر" [9]. هكذا استطيع أن أهرب من وجهك... أهرب في رجاء وفي اشتياق، بجناحي الحب... لنهرب إلى الله في رجاء! -

¹ Sermon on NT Lessons, 19:3.

ذكر شيشرون أن فيثاغورس قال بلأن الله هو نفس العالم الذي يخترق كل الطبيعة. Cicero, De Natura Deorum. كما قيل إن هذا الفكر نادى به الرواقيون والأفلاطونيون وصار تعليماً عاماً.

^N مز 36: 5. "أمانتك إلى الغمام" يبدو أن القديس كيرلس استعار هذه العبارة عن القديس إكليمنضس السكندري الذي قال إن البعض فهم من هذا المزمور بلأن العناية الإلهية تنزل من القمر لثقل أرسطو 9: 14. Stromata.

^O مقال 8: 2.

⁵ On Ps. 139 (138).

القديس أغسطينوس

❖ يليق بك ألا تسمحي لاقتراحات الشر أن تنمو فيك، أو بابل التي للارتباك أن تتال قوة في صدرك. اذبحي العدو وهو صغير، ولا يكون لديك محصول من الزوان، أزيل الشر وهو بعد برعم .

القديس جيروم

❖ ندهش حين نتطلع إلى البحر المفتوح وأعماقه التي بلا حدود؛ بل وندهب في خوفٍ عندما ننحني ونرى مدى أعماقه. بهذا فإن النبي انحنى وتطلع إلى بحر حكمة الله غير المحدودة! لقد صُدم في رعدة. وخاف في أعماقه، ورجع إلى خلف، وهو يقول بصوت عالٍ: "أشكرك، فإنك مُعجب برهبةٍ؛ عجيبة هي أعمالك" [14]، وأيضاً: "عجيبة هي المعرفة فوقِي، ارتفعتُ، لا أستطيعها" [6] .

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ،

وَتُمْسِكُنِي يَمِينِكَ [10].

بعد أن يكشف المرثل عن معرفة الله أمر مدهش وعجيب للغاية، تفوق الفكر البشري، حتى حضوره بكليته في كل مكان لا يمكن فحصه، فإنه بعناية الإلهية لا يتركنا في حيرة، بل يده تمسكنا لنختبر عملياً وجوده ورعايته وحنوه.

إن كانت يد الله الأب تشير إلى كلمته الإلهي المتجسد، ويمينه إلى كلمة الله أو قوة الله ربنا يسوع المسيح، فبتجسده حقق الخلاص بالصليب، فدخل بنا إليه بكونه الطريق، وأمسك بنا لكي ننعم بالأحضان الإلهية.

أيما كانت تحركاتنا، ومهما تكن سرعتها، فإن الله بمحبته لنا يعيننا ويسندنا.

❖ هذا الشكل (شكل الصليب) قد ترنم به العظيم داود في مزاميره، قائلاً: "أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السماوات (الارتفاع) فأنت هناك. وإن فرشت في الهاوية (العمق) فما أنت. إن أخذت جناحي الصبح الذي هو شروق الشمس (العرض)، وسكنت في أقاصي البحر (هنا يتحدث عن الغروب)" (مز 139: 7-10).

¹ Letter 22 to Eustochium, 6.

² On the Incomp. Nature of God, 1: 24.

أرأيت كيف أن بكلامه هذا يرسم الصليب أمامنا!

القديس غريغوريوس النيسي

❖ ليكن هذا هو رجاؤنا، وهذه هي تعزيتنا. لنأخذ خلال الحب الجناحين اللذين فقدناهما بالشهوة. فإن الشهوة تُكلس الجناحين اللذين لنا، وتتحدربنا من حرية سمائنا، أي من حرية سمات روح الله. من هناك حيث تحطمتنا وفقدنا أجنحتنا، وصرنا كما يُقال محبوسين تحت سلطان الصياد. لهذا خلصنا (ربنا) بدمه فنهرب ولا نسقط في الفخ. يقيم لنا أجنحة بوصاياهم، ونبسطها مرتفعين ومترجرين من الفخ... إذن نحن في حاجة إلى أجنحة، نحتاج أن يقودنا، فإنه هو عوننا. لدينا حرية الإرادة، ولكن حتى بهذه الحرية للإرادة ماذا يمكننا أن نفعل ما لم يسندنا ذلك الذي يوصينا؟^د

القديس أغسطينوس

فَقُلْتُ: إِنَّمَا الظُّلْمَةُ تَغْشَانِي.

فَاللَّيْلُ يُضِيءُ حَوْلِي! [11]

❖ الظلمة هنا تعني الضيق. فإنه يعني هذا: صرت محصوراً بالمتاعب، وقلت لنفسني: "الظلمة تغشاني، أي الظلمة تطأني تحت قدمها. وجاءت في ترجمة أخرى: "الظلمة تحجبني، والليل صار نوراً في عجزتي"، وجاء في ترجمة أخرى: "يشرق الليل حولي". ماذا يعني هذا؟ يقول: "فجأة تحول الضيق إلى خير، أو بالحري ليس الضيق تحول إلى خير، وإنما وإن كان الضيق ضغط عليّ، صرت في حال أفضل. لم يقل إن الليل قد زال، إنما الليل يضيء، فمع بقاء الليل ليلاً واضح أن المتاعب والكوارث (يشير إليها بتعبير الليل) لم تعد تطأني تحت قدمها، بل أضاء نور في الليل، أي غطاني العون. تحولت الأمور إلى ما يضادها وتظهر هكذا عندما يريد الله. ألم تروا الأتون يشتعل والندى يُرطبّ دون أن ينطفئ الأتون ولا الندى يجف، المطر والنار معاً؟ (في قصة الثلاثة فتية في أتون)."

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن أو من بالمسيح، الآن انطلق عالياً بجناحي الحب الثنائي... وإذ أتطلع إلى طول

^د د. سعيد حكيم يعقوب: وقام في اليوم الثالث، أبريل 2006، ص 29.

² On Ps. 139 (138).

³ On Psalm 139.

الطريق أقول لنفسي: "والليل يضيء في بهجتي" ... شكرًا له، ذاك الذي بحث عني حين كنت هاربًا، ذلك الذي يضرب ظهري بالجلدات، والذي استدعاني من الدمار، وجعل لي ليلاً نورًا. فإن الليل طويل، ونحن نعبر هذه الحياة. كيف صار الليل نورًا؟ لأن المسيح نزل إلى الليل¹.

القديس أغسطينوس

الظُّلْمَةُ أَيْضًا لَا تُظْلِمُ لَدَيْكَ،
وَاللَّيْلُ مِثْلَ النَّهَارِ يُضِيءُ.
كَالظُّلْمَةِ هَكَذَا النُّورُ [12].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "فقلت أترى تقدر الظلمة تتوطأني، أو الليل هو ضياء في تنعمي. لأن الظلمة لا تظلم منك، والليل مثل النهار يضيء". إن ظن أحد أنه يختفي في الظلمة من وجه الرب، فهو يثق في ملجأ باطل عاجز عن تخبئته. فالليل لا يُبطل الحضرة الإلهية. الظلمة بالنسبة لله ليست ظلامًا. لا مجال للاختفاء من الله.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الليل تُنسب له الظلمة كأمر طبيعي، وإذ يريد الله يجعل النور منسوبًا لليل كأنه أمر طبيعي لليل. هكذا بالنسبة للضيقات فإنها تحمل المتاعب كأمر طبيعي لها، وإن أراد الله فإنها تصدّر راحة للشخص كأن الراحة هي أمر طبيعي للضيقة. يرى القديس أغسطينوس أن الليل الذي يضيء مثل النهار تحقق بتوبة الناس أو تكريس قلوبهم لله، فتتحول من الظلمة إلى النور. يرى القديس أمبروسيوس أن العبارة هنا تشير إلى قيامة السيد المسيح حيث أشرق بنور قيامته في فجر الأحد حيث كانت الظلمة سائدة.

❖ الليلة الثالثة سوف تبتدئ، والرب يقوم بالليل، وسيكون نهار في الليلة الخاصة بذاك الذي يقوم، ويتحقق الكتاب المقدس: "والليل مثل النهار يضيء". هذا هو الأمر العظيم الذي رآه إبراهيم وفرح، ذاك اليوم الذي قال عنه أيضًا داود: "هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، فلنفرح ونبتهج فيه". سأقدم إليه لا بخدمة شاقة، بل بثمر البهجة.

¹ On Ps. 139 (138).

² The Prayer of Job and David, 5: 14.

القديس أمبروسيوس

❖ ها أنتم ترون، أن عمل العناصر يتغير إلى ما هو مضاد لها، متى أراد الله، ويصير ما هو مضاد كأنه معين لها في الأصل تمامًا. بمعنى آخر، أن أردتم، فإن الليل يكون هكذا، يكون له نور ينسب إليه كما له الظلمة تمامًا. لكي يشير إلى هذا، أضاف: "مثل ظلمته كذلك أيضًا ضوءه" (LXX 12).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قيل له في مزموه آخر: "أنت تضيء سراجي؛ الرب إلهي ينير ظلمتي" (مز 18: 28). لكن من هم أولئك الذين يظلمون ظلمتهم، والتي لا تظلم لدى الله. الأشرار المنحرفون، عندما يخطئون بالحق يكونون ظلمة. وعندما لا يعترفون عن خطاياهم التي يرتكبونها، بل يدافعون عن أنفسهم، فيظلمون ظلمتهم. لذلك إذ تخطئون تكونون ظلمة، وبالاعتراف بظلمتكم، تتألون أن تصير ظلمتكم نورًا، أما بدفاعكم عن ظلمتكم، تُظلم ظلمتكم... ليتنا لا نُظلم ظلمتنا بالدفاع عن خطايانا، عندئذ يصير الليل نورًا في بهجتنا.

❖ هذا يتحقق في قلوب المكرسين الذين يقول عنهم القديس بولس: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب" (أف 5: 8).

القديس أغسطينوس

❖ عندما أفكر بأن الرب حاضر في كل مكان ومعني بالكافة، هل يتركني في الظلمة التي هي الشدائد والأحزان لكي تغشاني وتضغط عليّ بثقلها وتميتني؟ فإن معونتك ونصرتك تحضر وأنا في ليل المصائب، وتجعلني كأني في ضوء النهار والابتهاج والنعيم. لم تحول الظلمة إل نور، ولا الليل إلى نهار، ولا الأحزان إلى فرح، بل أبقيت الأشياء على ما هي عليه. لكنك جعلتها تفعل بيّ على ضد طبيعتها. فالليل يضيء لي، فتختفي ظلمته بالنسبة ليّ. وذلك مثلما كانت النار بالنسبة للثلاثة فتية، فصارت بردًا بالنسبة لهم، ومحرقه لأهل بابل حسب طبيعتها. فإنك أنت الذي أوجدت الكائنات من العدم، وتقدر على

¹ On Psalm 139.

² On Ps. 139 (138).

³ Sermon 219.

إزالتها، هكذا تقدر أن تخصص لها أفعالاً تضاد طبيعتها. فتجعل آلام الأحران مثل أفرانها، وضياء الليل مثل ظلمته، ليس تخيلاً بل حقيقة. وأيضاً الشيء الذي تخفيه الظلمة لا يظلم لديك ولا يختفي عنك، لأن يضيء الليل عندك كالنهار.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ كذلك نحن المسيحيين الذين هم خدام المسيح يجب أن نقف بالحقيقة ببقطة مثل "العبد الصالح والأمين" (مت 25: 23) المتلهفين أن يعطوا سيدهم كرامة، لنطوق أنفسنا بالنسك، مقوين داخلنا بالشدة، مالتين مصابيح قلوبنا بزيت البهجة الذي للروح، ومستتيرين بالصلاة. بهذه الطريقة نحارب بشجاعة رغبتنا في الاستمتاع بالنوم. بهذه الطريقة ستصبح الظلمة لنا نوراً، وكما قال النبي: "فالليل يضيء حولي" (مز 139: 11)، والظلمة لن تظلم عقولنا، لذا لنمضى الليل المظلم ببقطة كما لو كان نهاراً ساطعاً.

مارتيريوس - Sahdona

❖ ليظهر الله لكم الليلة الظلام الذي يتلأأ كالنهار، إذ قيل عنه: "الظلمة لا تظلم لديك، الليل مثل النهار يضيء" (مز 139: 12). لينفتح باب الفردوس في وجه كل واحدٍ منكم، عندئذ تبتهجون بمياه المسيح - التي لها رائحة ذكية -.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ هل للمسيح فكر في الخارج، وآخر في البيت؟ ما هو غير شرعي في الكنيسة، لا يمكن أن يكون شرعياً في البيت. ليس شيء مخفياً عن الله. "الليل يضيء كالنهار" أمامه. ليمتنح كل إنسان نفسه، وبهذا يقترب من جسد المسيح (1 كو 11: 28) -.

القديس جيروم

❖ كذلك أيضاً إيشع حين شفى برص نعمان مجاناً أخذ جيحزي المكافأة، أخذ مكافأة عمل آخر. أخذ المال من نعمان، وأخفاه في الظلام، لكن الظلام غير مخفي عن القديسين (مز 139: 12). فلما أتى سأله إيشع، وقال له كما قال بطرس: "قول لي أبهذا المقدار بعنقا

¹ كتاب الكمال، 69.

النص هو *Christ bearing* في الطبعة البندكتية "عندئذ تبتهجون بالمياه التي تحمل رائحة المسيح".

^N مقال افتتاحي: 15.

الحقل؟!، هكذا تساءل إيشع: من أين أتيت يا جيحزي؟ لم يسأله عن جهل، لكنه في أسفٍ يسأله: "من أين أتيت" (2 مل 5: 25)، من الظلام أتيت، وإلى الظلام تذهب. لقد بعث شفاء الأبيص، يكون البرص ميراثك. لأن إيشع يقول: إنني نفذت أم ر القائل: "مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا" (مت 10: 8)، لكن أنت بعثت هذه النعمة (المجانية). يقول إيشع: "ألم يذهب قلبي معك؟" (2 مل 5: 26) لقد كنت هنا محصوراً بالجسد، لكن الروح الذي أعطاني إياه الرب رأى الأمور البعيدة وكشف لي بوضوح ما كان يحدث في موضع آخر. انظروا كيف أن الروح القدس ليس فقط ينزع الجهل، بل ويهب المعرفة؟! انظروا كيف ينير أرواح الناس؟!¹

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ نعم، كان يليق بالرب أن يأتي لابساً بشرتنا، ليغيّر البشر، ويصالحهم مع أبيه. لقد جاء بلا سلاح وأخذ درع الإنسان الذي هو الجسد، وبه انطلق وصارع الموت وغلبة الموت. وهكذا بواسطة جسدٍ مائتٍ قتل عدونا، وبالجسد الذي كان سلاحاً للخطية دان الرب الخطية بالجسد (رو 8: 3)!

في الحقيقة إن الأعداء عندما يهجمون فجأةً يُجهدون أنفسهم في هدم الأسوار بكل الأسلحة والمعدّات اللاتقة بالحرب ضدّ المكان الذي يُهاجمونه، أي القاذفات وبقية آلات الحرب. هكذا قبض العدو على آدم الذي سقط تحت سلطانه مستخدماً جسده سلاحاً ضدّه! وبهذه الطريقة أسر وسبى جميع البشر.

ولكنّ المسيح جاء بالوسيلة عينها واتخذ الناسوت كسلاحٍ سحق وأباد به أسوار وحصون الشيطان وكل آلاته ومعدّاته الرهيبة التي نصبها ضدّ الإنسان كما هو مكتوب: "الليل (لديك) مثل النهار يُضيء، كالظلمة هكذا النور" (مز 139: 12)، أي أنّ الله يستخدم الظلمة كالنور، لأنكما في آدم هلك الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع! كو 15: 22).

القديس مقاريوس الكبير

❖ بلغني أن إنساناً كسلاناً أخذ في حضنه الكتاب المقدس من الساعة السابعة (أي الواحدة

¹ مقال 16: 17.

الرسالة الثانية، 4 (في عيد الميلاد غالباً في إحدى سنوات القرن الرابع - فردوس الآباء).

بعد الظهر) حتى غروب الشمس، ولم يقدر أن يفتحه البتة، وكأنه مربوط برصاص. لكن أنبا أنطونيوس فعل كما أظهر له الملاك: فتارةً كان يجلس ولعمله ممارساً، وتارةً أخرى يقوم وللصلاة ملازمًا (وتارةً يجلس ولكلام الله قارئًا). وقد حظي باستنارة لدرجة أنه قال لأحد فلاسفة زمانه: 'يكفيني أن أتأمل في طبيعة المخلوقات دائماً، وأتلو في أقوال الرب حتى ظلمة الليل'. إلى هذا الحد كان يتصل بالله، وكان ليله يضيء كالنهار كما قيل: " الظلمة أيضاً لا تظلم لديك، والليل مثل النهار يضيء" (مز 139: 12).

القديس نيلوس السينائي

3. الله صانعنا في الرحم

لَأَنَّكَ أَنْتَ افْتَنَيْتَ كُلِّيَّ.

نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي [13].

خلال المعاملات مع الله أدرك المرثل أن الله ليس فقط عالم بكل شيء، وحاضر في كل مكان، وإنما أيضاً كلي القدرة، بقدرته خلق الإنسان وخلال محبته اللانهائية يود أن يعمل دوماً لبنيان مخلوقه المحبوب.

كثيراً ما يقف رجال الله في دهشة أمام الخالق العجيب في عمله حتى في الحبل بالإنسان وتكوين الجنين حتى يوم ميلاده، الأمور التي لم يكن العلم قد أمكنه تصوير تكوين الجنين ونموه، وحتى مع تقدم العلم تبقى معرفة الإنسان ورؤيته لهذا الأمر محدودة. ما كان يدهش له رجال العهد القديم كما عبّروا عن ذلك، يتناغم مع الحكمة التي يكتشفها العلم باستمرار، والتي تمجد الخالق الكلي القدرة (راجع مز 22: 9-10؛ 71: 5-6؛ أي 10: 8-11؛ إش 49: 2؛ إر 1: 5).

تشير الكلية إلى الشهوة، فاقتناء الرب لكليتي معناه إخضاع شهوتي مع أفكاري. ينتقل المرثل من الحديث عن الله بكونه الحاضر في كل مكان إلى اهتمامه بالإنسان منذ بدء تكوينه في الرحم.

كان "القلب" عند اليهود يشير إلى الأفكار، أما "الكليتان" فيشيران إلى العواطف والشهوات سواء المقدسة أو الشريرة.

إن كان الحبل بالإنسان وتكوين الجنين ونموه تُعتبر أموراً تفوق الفكر البشري مهما بلغ تقدم العلم، فكم بالأكثر الحبل بالمؤمن وتكوينه في مياه المعمودية، لكي ما يولد كابن لله

الآب، وعضو في جسد المسيح، وهيكل للروح القدس!

❖ المقتني (الله) في الداخل. إنه لا يشغل القلب وحده، بل والكليتين؛ ليس فقط الأفكار، بل وإلى المباحج .

القديس أغسطينوس

❖ قد يقول شخص غبي: "وماذا يفيدني إن كان (الله) عظيمًا وصاحب سلطان وعالم بالغيب؟ أظهر لي أي نفع نناله من هذا؟" لذا يضيف: "لأنك تقود إنساني الداخلي يا رب" ، مشيرًا إلى الشخص ككل بذكره للجزء (الكُلِّيَّة). إنه ليس بالأمر التافه الثقة في عنايته الإلهية، إننا نحن ملكُ الله: فإن المالك يهتم ويعين. ولكي يشير إلى هذا يضيف الكلمات التالية: "اقتنيتني من بطن أمي". بمعنى أنك حفظتني في كل الأوقات، واهتممت بي، وجعلتني في أمانٍ منذ السنوات الأولى، وأنا في المهد، بالعمل علمتني ما أقوله .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول داود: إذا نظرت إلى تكويني وطبيعتي كإنسان فإنني أتسأل ما هو مزيج القوى التي تحركني؟ (مز 139: 13-16)

كيف يمتزج الخالد بالفاني؟

كيف أنحدر إلى أسفل، ومع ذلك أرفع إلى فوق؟

ماذا يسبب عدم استقرار النفس؟ لماذا تعطي النفس (الروح) الحياة، ومع ذلك تشترك

في الألم؟

كيف يكون العقل محدودًا وغير محدود في نفس الوقت، ويكون داخلنا ويطوف الكون

بحركة سريعة؟

كيف يُنقل العقل عن طريق الكلام؟ كيف يتحرك في الهواء ويدخل مع الأشياء؟ كيف

يشارك في الحس وفي نفس الوقت يعزل نفسه عن الحواس؟

وتوجد أسئلة أهم من ذلك. ماذا كانت أول مرحلة في عملية تشكيلنا وتجميعنا في

مصنع الطبيعة؟ وما هي المرحلة النهائية في التشكيل؟

ما هو الدافع للحصول على الطعام والتزود به؟ ما هي الغريزة التي تهدينا إلى أول

¹ On Ps. 139 (138).

² On Psalm 139.

ينابيع ومواد الحياة (صدر الأمهات)؟ كيف يتغذى الجسم بالطعام، أما النفس فتتغذى
بالكلمة؟

ما هي الجاذبية الطبيعية التي تربط الآباء والأبناء معاً؟
كيف تنتج اختلافات ثابتة في المظهر نتيجة لعدد كبير غير محدود من العوامل
الخاصة؟

كيف يكون نفس الكائن الحي فانيًا وخالدًا معاً؟ يجعله تغيير حالته يموت وتجعله
الولادة خالدًا، يموت ويرحل ثم يعود مرة أخرى، مثل مجرى النهر دائم التدفق.
وتوجد الكثير من النواحي التي يمكن أن نفكر فيها من ناحية أطفاننا وأعضاء
أجسامنا، وكيفية توافقها معاً وتتناسقها، كيف تتباعد، ولكن تعمل معاً كعضو واحد، وكيف
يحتوي بعضها على البعض الآخر، وكل ذلك بتنسيق داخلي في طبيعتها.
ويوجد الكثير من الحقائق عن الكلام والسمع، كيفية إخراج الأصوات بواسطة الأحبال
الصوتية واستقبالها بواسطة الأذن. وانتقال الأصوات للأذان عن طريق الهواء الممتد بين
مصدر الصوت والأذن.

كما أنه يوجد الكثير من الحقائق عن البصر، واتصاله الغامض بالأشياء، فإن البصر
لا يتم توجيهه إلا بالإرادة. وكما يتحرك البصر مع الإرادة يحدث نفس الشيء مع العقل،
فإن البصر يقع على المنظورات بنفس السرعة التي يمتزج بها العقل بالأفكار.
وتوجد حقائق كثيرة عن باقي الحواس التي تستقبل مؤثرات خارجية لا تراها عين
العقل،

توجد حقائق عن الراحة في النوم وعن عمل الخيال في الأحلام، وعن الذاكرة
والذكريات، والغضب والرغبة.

باختصار عن كل ما يُسِيرُ أمور هذا العالم الصغير الذي نسميه الإنسان .

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ **يعيننا الرب حينما يخلقنا، فهو يعضدنا حينما يأمر بولادتنا. ومن ثم يقول البار : "عضدنتي
من بطن أمي" (مز 139: LXX13)، أي من الرحم. ماذا يقصد "قبلما صورتك في البطن
عرفتك" (إر 1: 5)، فالذين يخلقهم الرب يعينهم أيضاً. يعينهم حتى في ميلادهم، "وقبلما**

¹ العظة اللاهوتية الأولى: عظة رقم 27 عظة تمهيدية ضد أتباع يونيموس، 22.

خرجت من الرحم قدستك" (إر 1: 5). هو معيننا، لأنه عضدنا بيديه. ويُدعى معينًا كخالق للجنس البشري. وهو معيننا، لأنه عضدنا بافتقاده، ليحمينا. وعلى هذا الأساس، يقول المرثل نفسه في نصٍ لاحقٍ "الساكنُ في سِترِ العلي، يقول للرب: أنت معيني وملجأِي (حصني)" (مز 91: 1). فأول عونٍ هو في عمل الله فينا. والثاني في حمايتنا. اسمعوا حقًا موسى يقول: "باسطاً جناحيه قبلهم، وأعانهم على كتفيه". (تث 32: 11 LXX). أعانهم كالنسر المعتاد على فحص نسله ليحفظه ويأتي بمن لاحظ أنهم يملكون مزايا لنسلٍ حقيقي، وهبة العهد الصحيح، ويرفض الذين يجد فيهم ضعفًا في أصلٍ سلالتهم في سنهم المبكرة .

القديس أمبروسيوس

أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَرْتُ عَجَبًا.

عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ،

وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِينًا [14].

أعمال الله عجيبة في خلقه الجنين منذ بدء تكوينه إلى اكتمال نموه وولادته. يتكون من 60 تريليون خلية، مئة ألف ميل من ألياف الأعصاب، و 60 ألف ميل من الشرايين والأوردة الحاملة للدم و250 عظمة الخ .

يصف المرثل تكوين الجنين بإبداع في الإتقان والجمال. كل عضو هو من عمل

الفنان الإلهي العجيب. لنذكر كمثالٍ المخ وقدرته على تسجيل الأحداث والأصوات والألوان والروائح والذاكرة الخ. وقدرته على أخذ قرارات سريعة وإبلاغ أعضاء الجسم الأخرى لتتحرك معاً في تناغم وانسجام.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: كيف يقول المرثل إن نفسه تعرف ذلك يقينًا، بينما يقول في نفس المزمور إنه لا يعرف الله كما هو؟ يجيب إنه يعرف يقينًا أن الله عظيم وسامٍ فوق كل فهم وإدراكٍ.

معرفةتنا اليقينية عن الله تؤكد لنا جهلنا لأسرار طبيعته وإدراك جوهره، وجهلنا بسندنا على الشهادة بمعرفته.

❖ "أعترف لك، لأنك تصنع عجائب برهبة، عجيبة هي أعمالك. ونفسي تعرف ذلك يقينًا".

¹ Prayer of David 4:5:21.

² See Believer's Bible Commentary, Ps. 139.

عن ماذا يتكلم؟ يقول: لقد خلقتني، لكنني لا أعرف كيف خلقتني. أنت تعنتي بي، لكن بعقلي لا أستطيع أن أدرك العناية الإلهية ككل في وقت واحد. أنت حاضر في كل مكان، لكنني لا أفهم ذلك. أنت تعرف المستقبل مقدمًا، والماضي، وأسرار عقولنا؛ حتى هذا لا أستطيع إدراكه بعقلي. أقصد أنك تغير طبيعة الأشياء، وتجعل من الأشياء الباقية كما هي تحمل سمات مضادة، وتجعل من هذه السمات المضادة كأنها أصيلة وطبيعية. إذ يجتمع (المرتل) هذا كله معًا، يُصدر صرخة عظيمة... ويقول: "اعترف لك، لأنك تصنع عجائب برهية". بمعنى أنك عجيب في المظهر، وعجيب في الكيان. "عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقينًا". يقول: لماذا أتكلم عنك، إن كان في أي الأحوال ما تفعله هو مملوء عجبًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ التطلع إلى السماء والأرض لا يجعلنا نعرف الله أفضل من الدراسة الجادة لوجودنا. يقول النبي: إنني بمهابة وعجب قد خلقت، بمعنى إنني إذ ألاحظ نفسي أعرف حكمتك غير المحدودة.

القديس باسيليوس الكبير

❖ من أين تعرف نفسي ذلك يقينًا إلا لأن الليل هو نور في مسرتي؟
إلا لأن نعمتك حلت عليّ وأنارت ظلمتي؟
إلا لأنك اقتنيت كليتي؟ إلا لأنك رفعتني من بطن أمي؟

القديس أغسطينوس

❖ أنصحك بفحص العجائب الكثيرة التي في جسمك. فصحيح إنك كائن صغير، لكنك عالم كبير. وفي هذا المعنى قال داود النبي: "إن أعمالك معجزات، ونفسي عالمة بذلك أي علم" (مز 139: 14). إن معرفة دقيقة لجسم الإنسان تقود حتمًا إلى معرفة الكائن العظيم الذي خلقه.

القديس باسيليوس الكبير

¹ On Psalm 139.

² The Hexameron, 9: 6.

³ On Ps. 139 (138).

لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي،
حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ،
وَرَقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ [15].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: لم يختفِ عنك عظمي الذي صنعته في الخفاء،
وشخصي في أسافل الأرض".

لاحظ إذ يتحدث المرثل عن عمل الله بالنسبة لتكوين الجنين يتحدث عن نفسه، فيقول
على سبيل المثال: "عظامي". يؤكد المرثل معرفة الله له الدقيقة والعجيبة منذ اللحظة الأولى
لبدء خلقته، حين كان يتكون في الرحم خفية كمن هو في أعماق الأرض لا يراه أحد.
لا يقدر الإنسان أن يعرف كيف يتكون عظام الجنين في رحم أمه، ولا حال الإنسان
نفساً وجسداً بعد دفنه في القبر.

يرى القديس أغسطينوس أن العظام هنا تشير إلى قوة النفس وثباتها. فإن الله يهب
المؤمنين قوة الصبر، فلا تنكسر قوتهم أمام ثورة الخصوم المحيطين به.

❖ ما هو المدهش في أن يكون ملاك شجاعاً؟ لكنه لأمر عظيم أن يكون الجسد شجاعاً. من
أين يأتي الجسد بالشجاعة، بينما هو إناء أرضي، إلا لأن فيه عظم صنّع سرّاً؟

القديس أغسطينوس

❖ مرة أخرى يتحدث عن المعرفة، ويظهر الله أنه يعرف كل هذه الأشياء... إنك تدرك خلقتي
بدقة، جزءاً فجزءاً، وتعرفني حتى في أقل أعضائي، وفي نموي. وكما يقول المسيح: "شعور
رؤوسكم محصاة".

القديس يوحنا الذهبي الفم

رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي،
وَفِي سَفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرْتِ،
إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا [16].

عندما كان داود النبي جنيناً في رحم أمه لم يكتمل بعد شكله، إنما كان في المراحل
الأولى لوجوده رأى الله مرثم إسرائيل الحلو .

¹ On Ps. 139 (138).

² On Psalm 139.

³ Believer's Bible Commentary, Ps. 139.

وفي كتاب الله كانت كل أيام حياة داود، وذلك بواسطة الفنان الإلهي قبل أن يُعلن عن مجيء داود بالصرخة الأولى عند ولادته .

تطلع إليّ الله وأنا جنين لم اكتمل، ورأني تمامًا كما لو كانت خلقتي قد اكتملت. رأني وأنا أنمو يوماً فيوماً، ولم يفلت يوم من أمام عيني إلهي. هكذا يشعر المرثل كيف يهتم الله بكل كبيرة وصغيرة في حياة الإنسان، لأنه المحبوب والشمين جداً في عينيهِ.

جاءت الترجمة عن القديس أغسطينوس: "رأت عينك ما هو غير كامل فيّ، وفي كتابك كلها تكتب"، ويعلق عليها قائلاً:

❖ (رأت عينك) ليس فقط ما هو كامل، بل وما هو ناقص. ليت غير الكاملين لا يخافون، بل يتقدمون. ليس لأنني قلت أنهم لا يخافون، أن يحبوا النقص، ويستمروا فيه... ليتهم يتقدمون ما استطاعوا. ليتهم في كل يوم ينالون إضافة، ليتهم يقترّبون كل يوم ولا يسقطون من جسد الرب؛ أي لينضموا في الجسد الواحد بين الأعضاء الأخرى، فيحسبوا أهلاً أن ينالوا ما يُقال لهم .

القديس أغسطينوس

❖ "رأت عينك شخصي قبل أن أكتمل" ... أنت تعرفني حينما لم أكن قد تشكّلت بعد... عينك نظرتني بوضوح كما لو كنت قد تشكّلت وخُلقت بالكامل وليس كمن لم يكتمل بعد .

القديس يوحنا الذهبي الفم

مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اللَّهُ عِنْدِي!

مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا! [17]

جاءت الترجمة عن السبعينية والقبطية: "وأنا لقد أكرم عليّ أصفياؤك جداً يا الله، واعتزّت رئاستهم جداً". يكرّم المرثل أصفياء الله الذين يعملون بكل وسيلة مقدسة لحساب ملكوت الله، ويخدمون كنيسة المقدسة.

يفكر المرثل في خطة الله ورعايته لروحه ونفسه وجسده. وكما يقول Andrew Ivy إن كل خلية من خلايا جسمه دون أدنى استثناء تعرف ما هو دورها لتحقيق الغاية منها لصالح

¹ Believer's Bible Commentary, Ps. 139.

² On Ps. 139 (138).

³ On Psalm 139.

الجسد ككلٍ .

❖ لقد تم أيضاً إضافة الأرجوان مع الذهب والإسمانجوني، وهذا يشير إلى أنه بينما يتأمل قلب الكاهن في الأمور التي يعظ بها، يجب عليه أن يميز كل الرغبات الشريرة مهما كانت ضعيفة ويصدها بقوة، ناظرًا إلى داخله المتجدد، ومحصنًا حقه في الملكوت السماوي بسلوكه في هذه الحياة. ولقد كان بطرس الرسول يعنى هذا السمو الروحي عندما قال: "وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي". (1 بط 2: 9) أما عن القوة التي بها يمكنه أن يتغلب على الخطية، فيقول يوحنا الحبيب معضدًا الرعاة، ومعزياً إياهم: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله". (يو 1: 12) ولقد تأمل صاحب المزامير في هذه القوة حين قال: "ما أكرم أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جملتها!" (مز 139: 17) فبالحق عندما يُحتقر القديسون في عيون الناس ترتفع عقولهم إلى أعلى المراتب .

الأب غريغوريوس (الكبير)

إِنْ أَحْصَاهَا، فَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الرَّمْلِ.

اسْتَيْقِظْتُ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكَ [18].

يستحيل على إنسان ما أن يحصي الرمل، هكذا يستحيل إحصاء العاملين في كرم الرب بإخلاص. كثيرون لا يعرفهم أحد سوى الله العارف القلوب والخفايا. ربما يقصد بقوله: "استيقظت" لحظة ميلاده، ففي العبارات السابقة [13-18] يؤكد أن الله وحده كان قريباً منه خلال التسعة شهور قبل ميلاده. أما بعد ميلاده، فالصورة اختلفت تماماً، لكن يبقى الله هو معينه والمحامي عنه ومرشده. يتحدث عن لحظة ميلاده أنها لحظة استيقاظه، فإنها اللحظة الأولى التي فيها يرى نور النهار .

❖ كثيرةٌ هي الأمور التي تغلي في قلبك، وهي تقول: "إن أحصاها، فهي أكثر من الرمل" (مز 139: 18).

أيها الأخ، لا يعلم أحد ما سيصل إليه حال هذا المكان إلاّ "الله العارف القلوب" (أع 15: 8)، وهو قد أكد لي (اهتمامه به). إذن، ضع في قلبك أنّ الرب لن ينبذه، بل احفظ ذلك وبعثه لمجد اسمه المجيد، الذي له المجد إلى الأبد.

¹ Believer's Bible Commentary, Ps. 139.

² Pastoral Care, 1:3.

³ Believer's Bible Commentary, Ps. 139.

ومن الآن فصاعداً كُنْ حُرّاً من الهمِّ وعِشْ في هدوءٍ، لأنَّ كلَّ الأمور تأتي في
ميعادها وترتيبها.

القديس برصنوفوس

4. الله حاميه من الأشرار

لَيْتَكَ تَقْتُلُ الْأَشْرَارَ يَا اللَّهُ.

فِيَا رِجَالَ الدِّمَاءِ ابْغُذُوا عَنِّي [19].

بعد أن تحدث عن رعاية الله منذ اللحظة الأولى لتكوينه في رحم يوم ميلاده، ينتقل
المرتل إلى الأشرار المقاومين لله، رجال الدماء، والذين يستحقون العقوبة.

❖ هذا ما يسأله (المرتل) أن يحدث، لا أن يهلك وجود الناس وإنما أن يغيّرهم من الخطية إلى
البرّ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الَّذِينَ يُكَلِّمُونَكَ بِالْمَكْرِ،

نَاطِقِينَ بِالْكَذِبِ هُمْ أَعْدَاؤُكَ [20].

أَلَا أَبْغُضُ مُبْغِضِكَ يَا رَبِّ،

وَأَمَقْتُ مَقَاوِمِكَ [21].

لا يحمل داود النبي كراهية شخصية، ولا رغبة في الانتقام من أشخاص دفاعاً عن
شخصه، إنما لا يطيق الشر، بل يبغضه، وإن كان يطلب خلاص الأشرار بتوبتهم ورجوعهم
إلى المخلص الذي ينتظرهم، بل يسعى ليعمل بروحه القدس فيهم، دون إلزام من جانبه.

❖ لذلك عندما يرتبط داود تماماً بعهد سلام الروح، يشهد بأنه ليس على توافق مع الأشرار إذ

يقول: "ألا أبغض مبغضيك يا رب، وأمقت مقاوميك؟ بغضاً تاماً أبغضتهم. صاروا لي

أعداء" (مز 139: 21-22). يتضح هنا أن بغضاً تاماً يعني أن نحب

أشخاصهم لكننا نوبخ أفعالهم، نوبخ سلوكهم الشرير حتى نكون ذوي نفع لهم .

الأب غريغوريوس (الكبير)

¹ On Psalm 139.

² Pastoral Care, 3:22.

❖ لنكره هؤلاء (الهراطقة) المستحقين للكراهية، ولنبتعد عن هؤلاء الذين يتعد الرب عنهم، ولنقل نحن أيضاً بكل شجاعةٍ إلى الله عن الهراطقة ، "ألا أبغض مبعضيك يا رب وأمقت مقاوميك؟! (مز 139: 21) لأنه توجد عداوة حقيعية، إذ مكتوب "سأضع عداوة بينك وبين نسلها" (تك 3: 15)، لأن الصداقة مع الحيّة تصنع عداوة مع الله وتوجد موتاً! **القديس كيرلس الأورشليمي**

بُغْضًا تَامًّا أَبْغَضْنَهُمْ.

صَارُوا لِي أَعْدَاءً [22].

العداوة هنا ضد الشر لا الأشرار، أو كما يقول **القديس أغسطينوس** نحب خليفة الله، ونبغض ما هو غريب عنها.

هنا يعلن المرتل عن بغضه للشر، ليس خوفاً من نتائج الشر، إنما لأنه لا يطيق الشر. بحبه لله القدوس يكره الشر كعدوٍ.

❖ ماذا يعني "بغضاً كاملاً (تاماً)؟" إني أبغض فيهم آثامهم، وأحب خلقتهم. هذا هو معنى أن تبغض بغضاً كاملاً. فليس من أجل الرذائل تكره البشر، ولا من أجل البشر تحب الرذائل. أنظروا ماذا يكمل: "صاروا لي أعداء"، ليس فقط من أجل أنهم أعداء الله، وإنما من أجله نفسه أيضاً، (إذ لا يطيق الشر).²

القديس أغسطينوس

❖ يليق بالإنسان أن يشتهي التحرر من الرذيلة، ليس هرباً من آثارها، وإنما لأنه يبغضها حسب ما ورد في الأسفار المقدسة.³

❖ الروح القدس غير محدود في مكان، بل هو حاضر في كل مكانٍ وروح مطلق، سكب ذاته في عقول التلاميذ بالرغم من وجوده في أقاليم مختلفة وأماكن بعيدة وأصقاع منفصلة في العالم كله، ولا يمكن لشيءٍ ما أن يهرب منه أو يخدعه.⁴

القديس أمبروسيوس

² On Ps. 139 (138).

³ Maxims on the Spiritual Life.

⁴ Of the Holy Spirit, 1: 82.

5. اختبرني يا الله

اخْتَبِرْنِي يَا اللَّهُ، وَاعْرِفْ قَلْبِي.

امْتَحِنِّي، وَاعْرِفْ أَفْكَارِي [23].

وَأَنْظُرْ إِنْ كَانَ فِي طَرِيقٍ بَاطِلٍ،

وَأَهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا [24].

يؤكد المرثل أن ما فيه من بغضه ليس طريقاً باطلاً، لأنه لا يكره إنساناً، بل يشتهي أن يتمتع الكل بالحياة الأبدية، ويسلك الكل في المسيح بكونه الطريق الأبدي.

من وحي المزمور 139

لَأَلْتَقِ بِكَ، فَاتَعْرِفْ عَلَي نورك!

❖ لَأَلْتَقِ بِكَ، فَتَشْرِقْ بِنورِ مَعْرِفَتِكَ فِي دَاخِلِي.

تتهلل نفسي، إذ أراك مشغولاً بي.

تعرف سقطاتي لكي تقيمني،

وتعرف قيامي لكي أثبت في نعمتك.

تعرف أفكارِي لكي تقدسها.

تعرف كلماتي كما أعمالي، فتوجه كل حياتي!

تعرف أعماقي أكثر مما أعرفه أنا عن نفسي!

تعرفني لا لكي تدينني، بل لكي تحييني فيك!

تعرفني، فأدرك حبك، وأتعرف عليك.

❖ لَأَلْتَقِ بِكَ، فَأَدْرِكْ حُضُورَكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

أدرك سكنائك في داخلي.

وأتمتع بروحك الناري يلهب أعماقي.

لأهرب إليك، وأختفي فيك.

تحول ظلمتي إلى نورٍ مشرقٍ.

وتملأ قلبي بقوة قيامتك،

فأستعذب الصلب معك!

❖ لألتق بك يا خالقي القدير!

كونتني وأنا بعد جنين.

نسجتني في بطن أمي.

أرى حتى في جسدي أعمالك العجيبة!

أتيت بي من العدم.

وعندما هويت إلى الأعماق،

رفعتني بقوة صليبك!

❖ نقشت اسمي على كفك،

سجلته في سفر الحياة.

تعد لي مكاناً في الأحضان الإلهية،

وتدخل بي إلى المقادس السماوية.

❖ مشغول بي في سماواتك،

كأنه ليس في الخليقة آخر غيري!

عجيب في حبك وخلصك!

مع كل صباح، تلهب قلبي نحو القداسة.

تعدني لكي التقى بك وجهاً لوجه،

أحيا في مقادسك معك يا أيها القدوس!

❖ أشكرك، لأنك تمرر الخطية في فمي.

لن أطيقها، ولن استعذب لذاتها.

لست أخشى عواقبها،

إنما أريد أن أكون أيقونة لك أيها القدوس.

إنني أبغض ما أنت تبغضه،

وأرفض عدو الخير وكل أعماله!

انتزعني من فمه الدنس،

فإنه يطلبني مأكلاً له.

وانتزع الخطية من فمي وقلبي.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْتَّاسِعُ وَالتَّلَاثُونَ

لأتمتع بمائدة السماء،

وأنعم بطعام الملائكة!

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعُونَ

معركة دائمة!

هذا المزمور هو مرثاة شخصية، صلاة مقدمة لله من أجل الخلاص من الضيقة، في اتكال كامل على الله الذي ينقذ مؤمنيه من الأعداء.

لما كان الأعداء في العهد القديم يشيرون إلى إبليس وجنوده، فإن المرثل يرى في أعدائه سمة الظلم بعنفٍ مع غدرٍ، ينصبون له الفخاخ.

يؤمن المرثل أن الشر يرتد على الشرير، بينما يسند الله المظلومين الأبرياء.

لن يتوقف عدو الخير عن محاربة من يريدون أن يتمموا مشيئة الله، دون استثناء.

وتزداد ضرورته بالأكثر ضد القادة الحقيقيين، خاصة الرعاة والكارزين.

١. سلاحا العدو: يصوبّ عدو الخير سلاحين خطيرين هما اللسان الغاش [3-1]
والفخاخ المخفية [4-5].

٢. أسلحة الله: يليق بنا أن نواجه هذا العدو بأسلحة إلهية، وهي الصلاة [6-11]،
والتمسك بوعود الله [12]، وممارسة التسبيح [13].

وضع داود النبي هذا المزمور بخصوص شاول الذي كان يذعن إلى وشاية المفسدين
ضد داود.

❖ أعتقد أنكم أدركتم ما يحويه هذا المزمور حينما رُتل به. فيه نجد الكنيسة وقد وُضعت في وسط الأشرار، تشنكي وتنتهد وتسكب صلاة الله. فإن صوتها في كل نبوة هو صوت من هو محتاج وفي عوزٍ، ومع هذا لم تشبع، بل جائعة وعطشى إلى البرّ (مت 5: 6). هذه التي إلى ملءٍ معين تتمتع به في النهاية حسب الوعد، وهو محفوظ لها.

القديس أغسطينوس

1. المتآمرون 3.-1

2. صرخة إلى الرب مخلصنا 5.-4

3. طريق الخلاص 7.-6

4. رد الشر على الشرير 13-8

¹ On Ps. 140 (139).

العنوان

لِإِمَامِ الْمُغَنِّيْنَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "في الانقضاء (النهاية) لداود".

يلق الفديس أغسطينوس على هذا العنوان قائلاً:

❖ إلى النهاية: ليس من نهاية تطلبها سوى تلك التي يقدمها لنا الرسول: "غاية الناموس هي المسيح" (رو 10: 4).

إن السيد المسيح هو من نسل داود، ليس حسب اللاهوت الذي به هو خالق داود، وإنما حسب الجسد. فالمزمور مقدم إلى ابن داود نفسه؛ إنه صوت جسده، أي الكنيسة.

الفديس أغسطينوس

1. المتآمرون

أَنْقُذْنِي يَا رَبُّ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ.

مِنْ رَجُلِ الظُّلْمِ أَحْفَظْنِي [1].

يبدأ المرتل المزمور بتقديم صلاة لله كي ينقذه من افتراءات الأشرار وتشويههم سمعته، ومن الظالمين الذين يضعون خطأً مرعبة ضده.

لن يكف إبليس عن مقاومة المؤمنين بكل وسيلة، فهو العدو الحقيقي لله نفسه في أشخاص مؤمنيه.

في كل جيل يوجد "رجل الظلم" المقاوم للحق الإلهي، خاصة في نهاية الأيام، حيث يظهر إنسان الخطية (2 تس 2).

أما سرّ نصرّة الكنيسة فهو الصلاة لله القادر وحده أن يحصن كنيسته ويحفظها، ويسند المؤمنين في ضيقاتهم.

يرى الأب أنسيمس الأورشليمي متى وُصف الإنسان أنه شرير، فإن كلمة "شرير" في اليونانية ترجمتها متألم. فالشر يورث صاحبه ألماً وشفاءً. عندما قتل قابيل أخاه، أرسل أخاه مكللاً بالمجد إلى حياة بلا فساد، أما هو فصارت حياته مملوءة شفاءً. وأيضاً إخوة يوسف، إذ صنعوا بأخيهم شراً وخانوه، امتلأت حياتهم بالوساوس.

مع التزامنا الحرص من الأشرار، غير أن الأشرار في الحقيقة يصوبون رماح شرورهم ضد أنفسهم.

يرى القديس أغسطينوس أن المرثل بعد أن تحدث عن الخلاص من الإنسان الشرير، تحدث عن الظالم، لأن الشرير ظالم دومًا حتى لمن يدخل معه في صداقة عميقة. حقًا يطلب منا الكتاب المقدس ألا ندين الذين في الخارج، بل الذين في الداخل، وهو لم يعزلنا عن غير المؤمنين، بل ويطلب منا أن نحبه، لكن الصداقة التي تنزع الحدود اللاتقة تسبب ضررًا للنفس.

لعل القديس أغسطينوس يخشى على شعبه من العشرة دون ضوابط مع الهرطقة، فيؤثرون بأفكارهم على الأبناء، وينحرفون بهم عن الحق الإنجيلي. أحيانًا بالكلمات التي تبدو رقيقة يحطمون الإيمان المستقيم، ويبثون الأفكار المسمومة في النفوس.

❖ "أنقذني يا رب من إنسان شرير". ليس من شخصٍ واحدٍ فقط بل من الصنف كله (الأشرار). ليس من الأواني فقط، وإنما من رئيسهم نفسه، أي من الشيطان. لماذا من إنسانٍ إن كان يعني الشيطان؟ لأنه دُعي أيضًا إنسانًا في رمزٍ (مت 24: 28)... الآن إذ صرنا نورًا ضد الظلمة فقط، أي ضد الخطاة، هؤلاء الذين لا يزال الشيطان يقتنيهم، وإنما ضد رئيسهم، الشيطان نفسه، الذي يعمل في أبناء المعصية.

"ومن رجلٍ ظالمٍ أحفظني" هو نفسه مثل الإنسان الشرير، إذ يدعوه شريكًا لأنه غير بارٍ، لثلاث تظن أن أي إنسان غير بار يمكن أن يكون صالحًا. إذ يبدو كثير من غير الأبرار أنهم غير مؤذنين، وليسوا عنفاء، ولا شرسين، لا يضطهدون ولا يضايقون، إنما هم غير أبرار، لأنهم يمارسون عادات أخرى معينة، يعيشون في ترفٍ، يسكرون، ويتنعمون... الشرير هو كل إنسان غير بارٍ، وهو مؤذٍ، سواء كان لطيفًا أو شرسًا. من يسقط في طريقه، ويؤخذ بشباكه، فهو مؤذٍ، هذا الذي يبدو بلا أذية.

القديس أغسطينوس

❖ نقول: "تجني يا رب من إنسانٍ شرير، ومن رجلٍ ظالمٍ أنقذني". لأن ربنا له المجد أمرنا بذلك، قائلًا: "صلوا لثلاث تدخلوا في تجربة".

يلزمنا ألا نعبر إليها باختيارنا، لكن إن حلت بنا نحتلمها بشجاعة. ونلتمس المعونة من الله، مقربين له من جانبنا ما يرضيه من الأعمال الصالحة، لأن شرهم غير ظاهر.

❖ تأمل أيها المسيحي، إنه لم يطلب من الله النجاة من الوحوش والسباع والأفاعي والعقارب،

¹ On Ps. 140 (139).

بل يسأله الخلاص من الإنسان الشرير . لأن هؤلاء السابق ذكرهم قد نشأوا حسب طبيعتهم، أما الإنسان فيظهر بخلاف طبيعته، فيصعب الاحتراس منه.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

❖ ليس شيء مضرًا للكائن البشري سوى الخطية، من يتخلص منها يجعل كل شيء بلا متاعب، كل شيء سهلًا ومملوء سلامًا. كما أنه بوجودها يصير كل شيء منحدرًا مثيرًا للعواصف ومُحطَّمًا.

الآن لينته لا يديننا أحد على قولنا إن الإنسان المتمسك بالرزيلة أكثر وحشية من الحيوان المفترس. أقصد أن الأخير إن كان غير لطيف بالطبيعة يمكن خداعه بسهولة، وما تراه فيه يلبق به. أما الإنسان الذي يعتزم على الشر، فيتبنى مظاهر كثيرة، والتخلص من أذيته أصعب كثيرًا مما يصدر عن الحيوان، فإنه ذئب في زي حمل. ولهذا كثيرون يصيرون ضحية لمثل هؤلاء وهم لا يدرون. مثل هؤلاء يصعب اكتشافهم، لهذا يتجه النبي إلى الصلاة، ويطلب العون من الله، لكي يتحرر من خداعاتهم.

في الواقع كثيرًا ما يستخدم الشيطان مظاهر مثل هؤلاء الناس، ويضرب بهم. لهذا فإن المكر له نتائج كثيرة من كل جانب، والإنسان الشرير ينشغل به، والشيطان المتوحش تَوَّاق للقتال، والتجربة غير المحتملة تسبب متاعب. لهذا تعلمنا أن نصلي: "لا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير".

متنوعة هي الصراعات، وكثيرة هي طرق الهجوم، لهذا فالحاجة ماسة إلى الاستعداد لهذا كله. وذلك كمن قصد الإبحار في المحيط، يلزمه الحذر من قوة الأمواج العاصفة، ومن هجوم الرياح القاسية، وضخامة السحب، والصخور المخفية، والعقبات الخطيرة، وهجوم المخلوقات البحرية، وكمائت القراصنة، والتعرض للجوع والعطش، والمد والجزر، وعدم وجود مرساة للحماية والنزاع بين البحارة، ونقص المئونة، وما شبه ذلك.

يتطلب هذا تبني خطط خفية ضد هذا كله. هكذا لكي يواجه الإنسان شدائد الحياة الحاضرة، يلزمه أن يكون حذرًا ضد شهوات الجسد، وقلق النفس، وخداعات الناس، وهجوم الأعداء، وخطط الأصدقاء الكذبة والعوز والآلام والاهانات وحشد الشياطين وجنون إبليس، حتى يبلغ الإنسان إلى المدينة الملوكية ويدخل بالحمولة إلى الميناء .

¹ On Psalms 140.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس من طريق ينجح فيه إبليس مثلما أن يخدعنا خلال البشر. يصلي النبي للخلاص من غدرٍ من هذا النوع .

القديس جيروم

الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ بِشُرُورٍ فِي قُلُوبِهِمْ.
الْيَوْمَ كُلُّهُ يَجْتَمِعُونَ لِلْقِتَالِ [2].

يئن المرتل من الأشرار ، لأنهم يقاومون بلا سبب سوى أنهم يجدون سعادتهم في الدخول في معارك مهلكة.

يصرخ المرتل إلى الله، لأن الأشرار يخفون شرورهم في قلوبهم، فما يظهرون به غير ما يبطنون. قلوبهم مملوءة بالشر حتى إن كانت لهم صورة الوداعة واللفظ. هذا من جانب، وأما الجانب الآخر، فإنهم يجتمعون اليوم كله للقتال، ويقصد باليوم كله، حياتهم كلها. ينتهزون كل فرصة لممارسة القتال العنيف. عوض القتال ضد إبليس والخطية يمارسون العنف ضد بعضهم البعض.

❖ من السهل تجنب الأعداء الظاهرين. من السهل الابتعاد عن العدو الصريح والظاهر، عندما يكون الظلم على شفثيه كما في قلبه، لكن العدو الذي يسبب قلقا، خفي، يصعب تجنبه ذلك الذي يقدم أمورًا صالحة بشفثيه، بينما يخفي شرورًا في قلبه .

القديس أغسطينوس

❖ إنهم يغتالون بفكرهم، ويتخيلون الشرور في قلوبهم. والنهار كله يستعدون للقتال، أي طول مدة عمرهم.

الأب أنسيمنس الأورشليمي

سَنُوا أَلْسِنَتَهُمْ كَحَيَّةٍ.
حُمَةُ الْأَفْعَوَانِ تَحْتِ شِفَاهِهِمْ. سِلَاةُ [3].

عمل الأشرار الأول هو أن يسنوا ألسنتهم لتكون حادة وقاتلة كالسيوف. تخرج كلماتهم كالسم القاتل.

¹ On Psalms, homily 50 on Ps 139 (140).

² On Ps. 140 (139).

يعلق القديس جيروم على هذه العبارة بقوله: "إنه يحذرنا من الهراطقة".

❖ "حُمة الأفعوان تحت شفاههم"، فإن كلماتهم تحمل وداً على السطح بما فيه الكفاية، وهي مملوءة سماً قاتلاً¹.

القديس جيروم

❖ إن كنتم تريدون أن تعرفوا هذا الرجل (الشرير)، لاحظوا مقارنته (بالحية). فالحية دون سائر الوحوش يوجد فيها مكر وخداع للأذية، لذا فهي تزحف. ليس لها أقدام حتى يمكن أن يُسمع صوت مشيها عندما تأتي. في سيرها تزحف بنفسها كما تبدو بلطفٍ، ولكن بدون استقامة. هكذا إذن أولئك الذين يزحفون ويتقدمون ببطءٍ للأذية، يحملون السم مخفياً تحت لمسات لطيفة. لذلك يكمل: "سم الأفاعي تحت شفاههم".²

القديس أغسطينوس

❖ هل ترون خسة الخطية؟ إنها تحول الناس إلى وحوشٍ مفترسة وحيات وأفاعي، وتحول لسان العقل إلى وحشية مرعبة³.

❖ تعلموا من هذه الحيوانات وما أشبهها لكي تبلغوا الفضيلة، وتجنبوا الرذيلة بما يضادهم. فكما أن النحلة تتبع الصلاح، فالأفعى مهلكة. لذلك تجنبوا الشر، حتى لا تسمعوا: "سُم الأفعوان تحت شفاههم"...

مرة أخرى الثعلب ماكر ومخادع. لا تقتدوا به، بل بالنحلة التي تطير في المروج ولا تختار أية زهرة، إنما الزهرة النافعة وتترك الباقي. هكذا افعلوا أنتم أيضاً، وبينما تبحثون في كل جنس الحيوانات غير العاقلة، فإن وجدتم ما هو نافع منها اقبلوها، وانتفعوا منها طبيعياً، ومارسوا عملكم بحرية اختياركم⁴.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لدغة الحية تقتل الجسم بسمها، وأيضاً الكلمة المسمومة تقتل النفس بخداعها. هذا يمكن أن ينطبق على كل من يحيطون الآخرين بملاحظات فيها قذف بالآخرين، وأيضاً الذين

¹ On Psalms, homily 50 on Ps 139 (140).

² On Ps. 140 (139).

³ On Psalms 140.

⁴ Concerning the Statues, homily 12.

يلطخون تعليمهم الهرطوقي بسم إبليس، يخدعون نفوس البسطاء .

العلامة أوريجينوس

❖ قتالهم أشد من الحروب التي تتدلع بآلات الحرب، لأن تلك الحروب تتعاقب مشتبكة في محرابٍ واحدٍ. وأما هؤلاء الأشرار فألسنتهم الناطقة الموهوبة لهم من الله لكي تكون آلات تمجده، قد جعلوها تلدغ مثل الحية، وتسمم القلوب بوشايتها وبهتانها وشتائمها وتجديفها. هذا القتال يحدث في كل موضع: في البيوت والأسواق...

يخفون حيلهم مثل فخاخٍ وحبائلٍ وأشرارٍ، ينصبونها في مسيرة الناس معائرٍ ومناخس تجلب الهلاك. إذًا لا يقدر أحد على نجاتنا منهم سوى الله!

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ لأن الهرطقة، الذين هم أنجس من كل شيءٍ قد سنوا ألسنتهم (مز 140: 3) ضد الروح القدس أيضًا، إذ تجاسروا ونطقوا ب أشياء مملوءة نفاقًا كما كتب إيريرايوس المفسر في توصياته ضد الهرطقة. تجاسر البعض فادعوا أنهم هم أنفسهم الروح القدس. من هؤلاء سيمون الساحر المذكور في سفر الأعمال، لأنه حين طُرد أخذ ينادي بهذه التعاليم .

القديس كيرلس الأورشليمي

2. صرخة إلى الرب مخلصنا

احْفَظْنِي يَا رَبُّ مِنْ يَدَيِ الشَّرِيرِ.

مِنْ رَجُلٍ الظُّلْمِ أَنْقِذْنِي.

الَّذِينَ تَفَكَّرُوا فِي تَغْيِيرِ خُطَايَايَ [4].

كثيرًا ما تحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن خطورة الأشرار، قائلًا بأن عدو الخير إبليس يرى أن أفضل وسيلة لمقاومة الصديقين هي استخدام الأشرار. لكن في نفس الوقت فإن ما يصيب الشرير نفسه بخداعه للصديقين أخطر مما يحل بالصديقين. ما يمارسه الشرير من شرور، يملأ الكأس التي يشرب هو منها.

❖ ليس شيء مقاوم للبرّ مثل أولئك الذين يمارسون الشر، الذين يخطئون إلى نفوسهم قبل أن

¹ Commentary on Rom 3:13.

يخطفنوا إلى الآخرين .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هنا يلزمنا أن نصلي، لا أن نسأل من هم. ولكن كيف يمكنكم أن تصلوا ضد مثل هؤلاء الناس، هذا يُظهره فيما يلي. لأن كثيرين يصلون بطريقة غير بارعة ضد الأشرار. "الذين تفكروا في تعثير (عرقلة) خطواتي". لا يمكن فهم هذا بطريقة جسدية... إنه يعرقل خطواتك إن عاقلك عن طريق الله، حتى يعثرَك وأنت تتجه مباشرة في الطريق المستقيم، أو يجعلك تسقط من الطريق، أو تسقط في الطريق، أو يسحبك من الطريق، أو يجعلك تقف في الطريق، أو ترجع إلى حيث كنت... ما يحدث لك من هذا إنما هو أعاقه لك وخداع. يلزمك أن تصلي ضد هذا، حتى لا تفقد الميراث السماوي، لئلا تفقد المسيح إذ أنت شريكه في الميراث، فقد وُضع لك أن تعيش معه إلى الأبد، ذاك الذي جعلك وارثاً. فإنك صرت وارثاً ليس لمن تخلفه بعد موته، إنما ذاك الذي تحيا معه إلى الأبد .

القديس أغسطينوس

أَخْفَى لِي الْمُسْتَكْبِرُونَ فَخَاً وَحِبَالاً.

مَدُّوا شَبَكَةً،

بِجَانِبِ الطَّرِيقِ وَضَعُوا لِي أَشْرَاكاً. سِلَاةٌ [5].

لا يتوقف عدو الخير عن نصب شباك وفخاخ خفية ليصطاد الأبرياء. إنه يدرب عبيده العاملين لحسابه لكي يكونوا مهرة وخبراء في نصب فخاخه. يستخدمون كل وسيلة لوضع إغراءات تجتذبهم، فيسقطون في شبكة إبليس. يطلب المرثل من الله أن يحفظه من السقوط، ويحميه بروح التمييز والحكمة والقوة، فإنه لا خلاص له إلا بعمله الإلهي.

❖ إنه يصف باختصار كل جسم الشيطان، بقوله: " المستكبرون". هذا لأن غالبيتهم يدعون أنفسهم أبراراً وهم أشرار. ليس شيء خطير عليهم مثل عدم اعترافهم أنهم خطاة. إنهم أناس أبرار زائفون يحسدون الأبرار الحقيقيين... هذا ما أراده الشيطان أولاً، فإنه إذ سقط بنفسه

¹ On Psalms 140.

² On Ps. 140 (139).

حسد الإنسان القائم...

ما هي الحبال؟ يقول الكتاب: كل واحدٍ "بحبال خطيته يُمسك" (أم 5: 22). ويقول إشعياء بصراحة: "ويل للجاذبين الإثم بحبلٍ طويلٍ" (راجع إش 5: 18). ولماذا دعيت حبلًا؟ لأن كل خاطي يُحفظ في خطاياها، يضيف خطية إلى خطية، وإذ يلزم أن يُتهم بخطاياها لأجل إصلاحه، إذ يدافع عن نفسه يضاعف خطاياها التي كان يلزم إزالتها بالاعتراف. وغالبًا ما يقوي نفسه بارتكاب خطايا أخرى بجانب الخطايا التي بالفعل ارتكبها... هؤلاء يبسطون خطاياهم للأبرار لكي يحثوهم أن يمارسوا الشر الذي يمارسونه هم...

"بجانب الطرق وضعوا لي أشراكًا" ، ليس في الطرق بل بجانبها. الطرق هي وصايا الله. هم يضعون العثرات بجانب الطرق. ليتكم لا تتسحبوا من الطرق، وبهذا لا تندفعون وتسقطون بالعثرات .

القديس أغسطينوس

❖ إنه يمد شبكته ليس للأقرباء وحدهم، ولا للأصدقاء، ولا لزوجته وإنما يمدها حتى لشخصه هو نفسه!

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "بجانب الطريق وضعوا لي أشراكًا". إنهم يحاولون أن ينصبوا فخًا لي في الكتاب المقدس، بتقديم برهان ظاهري أكثر من الحقيقي .

القديس جبروم

❖ "مطمورة في الأرض فخاخهم، وحبالهم كلها في السبيل" (أي 18: 10 LXX). هذه حقيقة، فإن الشيطان يُخفي الشباك في الأرض بطريقة بها يستخدم الذين ينخدعون، أي الذين يعيشون حسب حكمة العالم (1 كو 2: 6 ؛ 3: 9)، وحسب شهوات الناس (1 بط 4: 2؛ 2 بط 1: 4). يضع (الشيطان) الواشي الذين حوله على السبيل ، أي بكل سبل البشر. فإنه يريد أن يصطادهم ويأسرهم بكل الطرق. يصطاد البار بالبرّ الذاتي، والخاطي بجشعه. يتغنى داود متنبأً: "بسطوا حبالهم شباكًا لقدمي، وضعوا عثرة لي بالقرب من السبيل" (مز

¹ On Ps. 140 (139).

² On Psalms 140.

³ On Psalms, homily 50 on Ps 139 (140).

الأب هيسيخيوس الأورشليمي

❖ كيف يمكن لإنسان أن يقول إنه في مأمن من هؤلاء الأعداء؟
 لقد بدأت أتكلم عن هذا، ولكنني أظن أنه ينبغي أن أعالج موضوع هؤلاء الأعداء في شيء من الإيجاز. الآن قد عرفنا الأعداء دعنا نبحث عن طريقة دفاعنا ضدهم "أدعو الرب الحميد، فأنتخلص من أعدائي (مز 18: 3). لقد رأيت ما ينبغي أن تفعله أدعُ بحمد، أي أن تدعو الرب بحمدٍ، لأنك لا تكون في مأمن من أعدائك إن مدحت ذاتك. "أدعو الرب الحميد، فأنتخلص من أعدائي". لأنه ماذا يقول الرب ذاته؟ "ذابح الحمد يمجديني، والمقوم طريقه أريه خلاص الله" (مز 50: 23).
 أين هو الطريق؟ في ذبيحة الحمد. لا تدع أرجلك تحيد عن هذا الطريق. كن فيه ولا تبتعد عنه، لا تبتعد عن مدح الرب خطوة ولا قيد أنملة، لأنك إن حدثت عن الطريق، ومدحت ذاتك بدلا من أن تمدح الرب، لا تتجو من أعدائك. فقد قيل عنهم: "مدوا شبكة بجانب الطريق" (مز 140: 5). لهذا إن ظننت أن لك صلاحاً في ذاتك، ولو إلى أدنى درجة، تكون قد حدثت عن طريق مدح الله. عندما تضلل ذاتك لماذا تتعجب إن ضللك عدوك؟ استمع إلى الرسول: "لأنه إن ظن أحد أنه شيء، وهو ليس شيئاً فانه يغش نفسه" (غل 6: 3).

❖ كأنه يقول: بأي طريق تذهبون؟ "أنا هو الطريق".
 إلى أين تذهبون؟ "أنا هو الحق".
 أين ستقطنون؟ "أنا هو الحياة".
 لنسر إذن في الطريق بكل يقين، لكننا نخشى الشباك المنصوبة على جانب الطريق. لا يجرؤ العدو أن ينصب شباكه في الطريق، لأن المسيح هو الطريق، لكن بالتأكيد لن يكف عن أن يفعل هذا في الطريق الجانبي.
 لهذا أيضاً قيل في المزمور: "وضعوا لي عثرات في الطريق الجانبي" (مز 140: 5 LXX). وجاء في سفر آخر: "تذكر أنك تسير في وسط الفخاخ" (ابن سيراخ 9: 13). هذه الفخاخ التي نسير في وسطها، ليست في الطريق، وإنما في الطريق الجانبي.

¹ Sermon on NT Lessons, 17:6.

ماذا يخيفك؟ سر في الطريق!

لتخف إذن إن كنت قد تركت الطريق. فإنه لهذا سُمح للعدو أن يضع الفخاخ في الطريق الجانبي، لئلاً خلال أمان الكبرياء تنسى الطريق، وتسقط في الفخاخ...
المسيح المتواضع هو الطريق، المسيح هو الحق والحياة، المسيح هو الله العلي الممجّد. إن سلكت في المتواضع (المسيح) تبلغ المجد.
إن كنت ضعيفاً كما أنت الآن، لا تستخف بالمتواضع، فإنك تثبت بقوة عظيمة في المجد.

❖ عندما تتهم نفسك لا يجد العدو فرصة يحنال بها ضدك أمام القاضي. فإن كنت تتهم نفسك، والرب هو مخلصك، فماذا يكون العدو سوى مجرد محتال؟!
بهذه يستطيع المسيحي أن يحصن نفسه ضد أعدائه غير المنظورين (إبليس وجنوده).
فيكونهم أعداء غير منظورين ينبغي مقاومتهم بطرق غير منظورة.
لقد قيل عنهم: "مدوا شبكة بجانب الطريق" (مز ١٤٠: ٥). فإن ظننت أنك بذاتك صلاح ولو إلى أدنى درجة، تكون بذلك قد انحرفت عن طريق تمجيد الله. وإذ تُضلل نفسك، كيف تتعجب إن ضللك العدو؟! استمع إلى قول الرسول: "لأنه إن ظن أحد أنه شيء، وهو ليس شيئاً، فإنه يغش نفسه" (راجع غل ٦: ٣).

القديس أغسطينوس

❖ أبصر أنبا أنطونيوس فخاخ الشياطين مبسوطاً على الأرض كلها، فتهتد وقال: رب من يفلت من كل هذه؟ فجاءه صوت من السماء قائلاً: "المواضعون يفتلون منها"
سأل الإخوة شيئاً بخصوص القول السابق، قائلين: "كيف رأى هذا القديس فخاخ الشيطان، هل بطريقة محسوسة أم معقولة؟ ومن هم الذين قالوا له إن التواضع يخلص منها؟"

فأجاب الشيخ: "لقد رأى القديس أنبا مقار ما يشبه ذلك في البرية الداخلية من الإسقيط، فقد رأى شبه رجلين، الواحد عليه ثوبٌ مثقّبٌ وفيه أشياء ملونة والآخر يلبس ثوباً بالياً مشبكة به قوارير كثيرة، وكل واحدٍ منهما له أجنحةٌ كشبه غطاءٍ ملفوفٍ فيها، إلا أنه رأى ذلك بعين الجسد. أما القديس أنطونيوس فرأى بعين العقل جميع فخاخ الشيطان التي

¹ Sermon on N.T. Lessons, 92:1-2.

ينصبها للمتوحدين في كل حين ، ويكبّلهم ويعوّقهم عن السعي في طريق الفضيلة ، كما هو مكتوب: "في طريقي نصبوا لي فخاخًا ، وحبالاً شبكوها في مسالكي " (مز 140: 5). فلما رأها منصوبةً كسبه الفخاخ التي ينصبها الصيادون للوحوش تعجّب واحترار من كثرتها، ومن أنّ الذين يسقطون فيها لا يخلصون، وهي مثل فخّ الشره وامتلأه البطن، وفخّ محبة الفضة، ومحبة الزنا، والمجد الباطل والكبرياء ... وبقية الأوجاع التي أظهرتها له الملائكة. كما أظهروا له جميع الحيل والخداعات التي يُخفون بها فخاخهم، ويفيّدون الإخوة بها."

بستان الرهبان

3. طريق الخلاص

قُلْتُ لِلرَّبِّ: أَنْتَ إِلَهِي.

أَصْغِ يَا رَبُّ إِلَيَّ صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي [6].

يبدأ طريق الخلاص بالاقتراب من الله بكونه إلهي الشخصي، الذي ينصت إلى تضرعاتي. بدالة أقدم تضرعاتي إليه.

❖ ما هو العلاج وسط مثل هذه الشرور، في مثل هذه التجارب والمخاطر؟ "قلت للرب أنت إلهي". عالٍ هو صوت الصلاة، إنها تبعث الثقة. أليس هو إله الآخرين؟ إنه خاص بمن يتمتعون به ويخدمونه ويخضعون له بإرادتهم. لأن الأشرار أيضًا يخضعون له، بغير إرادتهم.

"أصغ (بأذنيك) إلى صوت تضرعي"... صوت صلاتي هو حياة صلاتي، نفس *soul* صلاتي، ليس صوت الكلمات، بل الصوت الذي يعطي حياة لكلماتي .

القديس أغسطينوس

❖ "قلت للرب: أنت إلهي" هذه كلمات يحق للقديس وحده أن يقولها، ذاك الذي ليس للخطية سلطان عليه، الإنسان الذي يحمل شهادة "تصبيبي هو الرب" (مرا 3: 24) .

القديس جبروم

❖ بعد أن أشار إلى القتال والخط، وأظهر الكوارث التي لا يُنطق بها، وجد ملجأ في العون الذي لا يُقاوم، بطلبه العون من السماء، القادر أن يزيل هذه الأمور. هذا هو البرهان على

¹ On Ps. 140 (139).

² On Psalms, homily 50 on Ps 139 (140).

الروح السامية، هذا تفكير سليم، وهو ألا يلجأ الإنسان إلى عونٍ بشريٍ عندما تحل هذه المتاعب من كل جانب، أو وجود خطط مُهلكة، وإنما يتطلع إلى السماء، ويدعو الله الحاضر في كل مكان، ولا ينهار قلبه أو يسقط ضحية الرعب أو الذعر .

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَا رَبُّ السَّيِّدُ قُوَّةَ خَلَاصِي،

ظَلَلْتُ رَأْسِي فِي يَوْمِ الْقِتَالِ [7].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "يا رب يا رب، قوة خلاصي".

خلال هذه الدالة أدرك أن الله هو قوة خلاصي. لست أتكل على قدراتي وإمكاناتي وخبرتي البشرية، إنما على القدير المشغول بخلاصي. إنه يحوط حولي، ويصير خوذة تحمي إيماني وتفكيري. يحفظني من سهام أفكار العدو وحيّله المهلكة.

❖ "يا رب يا رب، قوة خلاصي"، بمعنى يا من تعطي قوة لصحتي.

ما هو معنى قوة صحتي؟ لقد اشتكى من عثرات الخطاة وشباكهم، من الناس الأشرار، من أواني الشيطان، هؤلاء الذين كانوا ينبحون حوله، وينصبون الشباك حوله، هؤلاء المتكبرون الذين يحسدون الأبرار. لكنه في الحال يضيف راحة: "من يصبر إلى المنتهى يخلص". هذا ما لاحظته وخافه، وحزن عليه بسبب كثرة الآثام، عاد فاتجه نحو الرجاء. حقاً إنني سأخلص إن كنت أصبر إلى المنتهى، لكن الصبر لنوال الخلاص يتوقف على القوة؛ أنت هو قوة خلاصي. أنت تجعلني أصبر فأخلص... وإذ يتعب في هذا القتال، عاد فنظر إلى نعمة الله. وإذ بدأ بالفعل يعاني من الحر والجفاف، وجد كأن ظلاً تحته يعيش. "ظلت رأسي في يوم القتال".

القديس أغسطينوس

❖ إنني أجد قوتك تتوجه دائماً لخلاصي .

❖ "غطيت رأسي في يوم القتال". إلا ترون الروح الشاكرة؟ إنه يتذكر الأحداث السابقة أن الله

ثبته في أمان. هذا هو معنى "غطيت". لاحظوا كيف أظهر تسهيلات الله له. إنه لم يقل:

¹ On Psalms 140.

² On Ps. 140 (139).

³ On Psalms 140.

"قبل هذا (أعددت الأمان)"، بل قال: "في يوم القتال" نفسه، عندما هدّدت الضيقة، عندما بدأت المعركة، عندما كنت في خطر من مصيرٍ محتومٍ، ثبتتني في أمانٍ. ها أنتم ترون أن الله لا يطلب إعدادًا ولا مناشدة. لاحظوا أنه هو كل شيءٍ: الحاضر والمستقبل والماضي، قادر على كل شيءٍ، ودائمًا يقف مستعدًا للمساعدة.

عندئذٍ لكي يشير إلى سمة النصر غير العادية والأمان، لم يقل: "أنت أنقذتني"، وإنما قال: "غطيت"، بمعنى أنك أكدت لي أنني لا أعاني أدنى خطرٍ أو لسعةٍ حرٍ. إنما ثبتتني في أمانٍ عظيمٍ، وفي شبعٍ وراحةٍ كما في طمانينة. فلا أدوق أي حرٍ مؤلمٍ، بل أجد متعة في الغطاء، أي في التحرر من الكارثة.

هذا هو السبب أنه أضاف "غطيت"، لكي يشير إلى هذا، ويظهر سهولة المعونة التي يقدمها الله بقول كلمة "غطاء". وكأنه يقول: يكفيني فقط أن تكون حاضرًا، فيُحل كل شيءٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما ظللت على الإسرائيليين أثناء عبورهم في البرية باهتمام، كي لا تصيبهم حرارة الشمس، كذلك أطلب أنا منك المعونة، ليس فقط كي تحفظني من أذية الأشرار، بل وتسترنني أيضًا لنلا تصيبيني حرارة خبتهم وشورهم.

الأب أنسيئس الأورشليمي

4. رد الشر على الشرير

لَا تَغْطِ يَا رَبُّ شَهَوَاتِ الشَّرِيرِ.

لَا تُنَجِّحْ مَقَاصِدَهُ.

يَتَرَفَّعُونَ. سِلاَهُ [8].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "يا رب لا تسلمني من قبل شهواتي للخاطئ .

تشاؤروا عليّ، فلا تتركني عنك لنلا يرتفعوا".

يتوسل المرتل إلى الله أن يُبطل خطط عدو الخير، كما أبطل مشورة أختوتفل الذي

كان يود هلاك داود الملك والنبي. يطلب المرتل ألا يسمح للشرير أن يحقق ما في قلبه وفكره من كراهيةٍ وعنفٍ.

¹ On Psalms 140.

إذ يظلل الله عليه يحميه من ضعفاته الشخصية، ويعطيه قوة، فيحتمل الضيق بصبر لكي يخلص. لكن المرثل يخشى إغراءات العدو لكي يثير فيه شهوات خاطئة فيصطاده. يقدم لنا القديس أغسطينوس مثالاً لذلك. إن العدو أحياناً لا يستخدم العنف، وإنما يلقي أمام الإنسان فرصة لكسب مادي مقابل عدم الأمانة. فيكون ذلك أشبه بطعم يوضع في الفخ لاصطياد الإنسان. هذا ما يخشاه المرثل، فيطلب من الله ألا يسلمه للعدو. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن الأشرار يخادعون إخوتهم مثل الشيطان الذي يجول كأسدٍ زائرٍ ليجد من يبتلعه (1 بط 5: 8). هكذا هاجم أيوب، وهكذا أراد أن يهاجم بطرس، لذلك قال السيد المسيح: "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة" (لو 22: 31). بهذا الروح يعمل الأشرار الذين قبل عنهم: "الفرحين بفعل السوء، المبتهجين بأكاذيب الشر" (أم 2: 14).

❖ ما يعنيه هو هذا: لا تسلمني لشهوات الشرير، التي هي ضدي، أي لا تسمح له أن ينال شهوته ضدي .

❖ لاحظوا تواضع هذا الشخص. فإنه لم يقل: "لا تتركني لأني مستحق، لا تتركني من أجل حياتي الفاضلة"، وإنما ماذا قال؟ "لئلا يرتفعوا"، لئلا يزدادوا عجرة، ويصيروا في أكثر غباوة خلال تركك لي .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول أوريجينوس في تفسير هذه الكلمة: إنني اشتهي الخلاص، أما عدوي الخاطي فيشتهي قتلي. إذاً لا تعطِ الخاطي تحقيق شهوته لئلا يفوز عليّ.

الأب أنسيئس الأورشليمي

أَمَّا رُؤُوسُ الْمُحِيطِينَ بِي،
فَشَفَاءُ شِفَاهِهِمْ يُعْطِيهِمْ [9].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "رأس فسادهم وشفاء شفاههم يعطيهم". حقاً يسمح الله لعدو الخير أن يقاوم، ولإنسان الظلم والخطية أن يعلن، لكن يحوط الله بمؤمنيه بينما يجني الشرير ثمر شره.

¹ On Psalms 140.

² On Psalms 140.

لا تقف طلبية المرثل عند خلاصه، بل يطلب أن يرتد شر إبليس وجنوده عليهم، فما يخططوه يحل بهم. هذا ما حدث حين بذل عدو الخير كل جهده للخلاص من رب المجد يسوع بصلبه في خزيٍ وعارٍ، فإذا بإبليس يفقد سلطانه بالصليب، ويصير في عارٍ. فإن كان السيد المسيح قد صُلب بالجسد، إنما لخلاص العالم، أما عدو الخير فبالصليب سُمِر سلطانه، وصار لا حول له ولا قوة على المؤمنين بالمصلوب.

ليس ما يشغل قلب الشرير، ولا ما تتطرق به شفاته الداخليتان سوى الشقاء للآخرين، فما ينطقون به في أعماقهم يحل بهم، إذ "لا سلام للأشرار، قال إلهي".

يرى **القديس جيروم** أن الهرطقة يتشبهون بالحية التي متى رأت إنسانًا يحاول أن يضربها تلتف حول نفسها، وتخفي رأسها، حتى لا تسقط الضربات على الرأس. هكذا الهرطقة يخفون رؤوسهم بمنطوقات الفلاسفة المشهورين للدفاع عن آرائهم الخاطئة. أما إنسان الله، فيستخدم كلمات الكتاب المقدس كعصا، يكشف رأس الهرطقة ويضربها.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** في كلمة "المحيطين" صورة الأشرار وقد اجتمعوا معًا ليعضوا خطأً فاسدة، ويُنتجوا أو يفقسوا شرورًا ضد المرثل، لكن هذا كله يحطمهم.

❖ الخطط الشريرة ذاتها، قمة شرورهم، وفساد نظرتهم، تحدرهم إلى أسفل وتحطمهم. "شقاء شفاهم"، هنا يدعو الشر شقاءً...

في حالة إخوة يوسف، أرادوا أن يجعلوا منه عبدًا ويحطموه، فسقطوا هم في مخاطر قاسية، أما هو وإن عانى من العبودية والموت شكرهم. أيضًا وضع أبسالوم خطة لتحطيم والده، خلال السطوة الطاغية، لكنه سقط ضحية خطته ذاتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول (المرثل): بالنسبة لي، فإن ظل جناحيك يغطيني، لأنك " ظللت على رأسي في يوم القتال". أما بالنسبة لهم فماذا يغطيهم؟ "رأس فسادهم"، أي الكبرياء.

القديس أغسطينوس

❖ ينبغي أن نحذر غير الأمناء حتى يدركوا ثقل الذنب الذي يعاني منه المنافقون. إنهم

¹ On Psalms 140.

² On Ps. 140 (139).

يحاولون الدفاع عن أنفسهم بخزي، مدفوعين دوماً بالخوف والتوجس. والآن ليس هناك أكثر أمناً من أن نحمي الأمانة، وليس هناك أسهل من النطق بالحق. عندما يضطر الإنسان أن يدافع عن الزيف والكذب، يثقله قلبه بالتعب لذلك كتب: "فَشَقَاءُ شِفَاهِهِمْ يُعْطِيهِمْ" (مز 140: 9). إن الذي يمثلون به الآن في داخلهم سيطفح بعدئذٍ ويقيدهم بقيودٍ، وما يعترى قلوبهم الآن من قلق بسيط سيقهروهم بجزاءٍ مريعٍ. هكذا يقول إرميا: "عَلِّمُوا أَلْسِنَتَهُمُ التَّكْلِمَ بِالْكَذِبِ، وَتَعَبُوا فِي الْإِفْتِرَاءِ" (إر 9: 5). بمعنى أنه من كان يمكن أن يكون صديقاً للحق دون تعب، يجتهد الآن ليقع في الخطيئة، وبينما يرفض حياة الأمانة، فإنه يرهق نفسه بالهلاك الوعر¹.

الأب غريغوريوس (الكبير)

لَيْسَنَفْطُ عَلَيْهِمْ جَمْرٌ.

لَيْسَنَقُطُوا فِي النَّارِ وَفِي غَمْرَاتٍ،

فَلَا يَقُومُوا [10].

ما يطلبه العدو ويبدل كل طاقاته لتحقيقه، إذا به يصير أشبه بمطرٍ ينزل عليهم لا كماءٍ أو بردٍ، بل كجمر نارٍ لا يمكن الهروب منه. بالكيل الذي به يكيل للبشرية يُكال له ويزداد.

هذا المبدأ خطير، يليق أن يضعه الإنسان نصب عينيه: ما يفعله بالآخرين أو ما يشتهيهِ للغير، يحلّ عليه، سواء كانت بركات أو لعنات.

شهوات الشرير ضد إخوتهم هي جمر نار، ففيما هم يفكرون ويدبرون الشر للغير، إذا بهذا الجمر يسقط عليهم ويغطيهم. هذا وما يحملونه من شرور ومكائد يشعل غضب الله عليهم، إن صح التعبير.

بقوله "في غمرات" فلا يقوموا، يعني أنه وإن أطال الله أناة عليهم لتوبتهم عن شرورهم، فإن لم يتوبوا سرعان ما يحل يوم التأديب هنا أو يوم العقوبة في يوم الرب العظيم. يرى القديس أغسطينوس أن النار هنا هي نار سماوية، تحول الإنسان من فحم أسود مطفي إلى جمر نار، ملتهب بالروح، يلهب الآخرين أيضاً.

❖ كان الرسول فحماً، إذ كان مجدقاً ومضطهداً ومفترياً، كان فحماً أسود ومظفياً، ولكن عندما

¹ Pastoral Care, 3:11.

نال رحمة، التهب بنارٍ من السماء، ألهب صوت المسيح فيه نازراً، فزال عنه كل السواد، وبدأ يكون حاراً في الروح، يُلهب الآخرين بذات النار التي التهبت فيه .

القديس أغسطينوس

❖ "يسقط عليهم جمر نارٍ، تطرحهم في النار". الآن، ما يعنيه هو هذا: بينما الشر في ذاته كفيل أن يحطم الذين يسقطون في شباكه، فإنهم بجانب هذا يخضعون للغضب الإلهي الذي يحلّ عليهم.

يشير بجمر النار وبالنار هنا إلى العقوبة التي تحل من الأعالى. فإنها غالباً ما تأخذ شكل النار ذاتها كما في حالة داثان وقورح وبييرام، وأيضاً الذين وقفوا بجوار الأتون في بابل .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من هو النار؟ العدو نفسه الذي قال عنه داود: " ليسقط عليهم جمر محترق" (مز 140: LXX 10)... إنه الشيطان الذي نزل في شكل نار على قطعان الغنم لإلزام أيوب أن يجذف على الله (أي 1: 16)، وكأنه هو الذي نزل من السماء ودمر غنى البار .

هيسيخيوس الأورشليمي

رَجُلٌ لِسَانٍ لَا يَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ.

رَجُلٌ الظُّلْمِ يَصِيدُهُ الشَّرُّ إِلَى هَلَاكِهِ [11].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "رجل يمتد لسانه، لا يستقيم على الأرض.

الرجل الظالم تصيده الشرور إلى الفساد".

يعني بالإنسان صاحب اللسان غير المضبوط (الفالت) ذاك الذي يخطط للشر مع

الآخرين، فإنه إنما يُعد لنفسه مصيدة لهلاكه.

استخدم المرثل كلمة "يصيده"، لأن الشر أشبه بصياد يخفي الفخاخ حتى يسقط

الشخص فيها، هكذا تخف الشرور عن مرتكبيها فخاخها المهلكة. وكما يقول الحكيم: "الشرير

تأخذه آثامه، وبحبال خطيته يُمسك" (أم 5: 22).

من يرتكب الشر، ويود أن يهلك الآخرين يفقد عقله وبصيرته، ويجد نفسه ضحية

¹ On Ps. 140 (139).

² On Psalms 140.

³ Homilies on Job 3: 1: 16.

شره.

نصرة المؤمنين الحقيقيين أكيدة في الرب، ورد الشر على إبليس أكيد، كما الشرب من كأس الشر يسقط فيه الأشرار المعاندون، ما لم يرجعوا إلى الرب بالتوبة الصادقة.

❖ "الرجل المملوء كلامًا" يحب الأكاذيب. فأية مسرة له سوى في الكلام؟

إنه لا يحرص على ما يقوله، إنما يحرص أن يطيل الكلام.

إنه لا يمكن أن يستقيم.

ماذا إذن ينبغي على خادم الله أن يفعل، ذلك الذي يلتهب بهذا الجمر، ويصير هو نفسه جمر خلاص؟ إنه يرغب أن يسمع أكثر من أن يتكلم، كما هو مكتوب: "ليكن كل إنسان مسرعًا في الاستماع، مبطنًا في التكلم" (يع 1: 19)...

أستطيع أن أخبركم سريعًا حيث يمتحن كل واحد نفسه، لا بعدم الكلام نهائيًا، بل بدراسة الحالة متى يكون من واجبه أن يتكلم. ليكن سعيدًا أن يصمت متى شاء، ويتكلم ليعلم متى لزم الأمر...

"الرجل الظالم تصيده الشرور إلى هلاكه". الشرور تحل، ولا يثبت الظالم، لذلك قيل:

"تصيده إلى هلاكه".

لكن كثير من الصالحين والأبرار تحل بهم الشرور، كمن قد وجدتهم...

فشهداؤنا عندما أمسكت بهم الشرور اصطادتهم لكن ليس للهلاك. فقد حلت ضعفات على الجسد، أما الروح فكألت.

طُردت الروح من الجسم، لكن كأن لا شيء حلّ بالجسد الذي أخفى (الروح)

للمستقبل.

ليحترق الجسد ويُجلد ويشوه، فقد سلم لمضطهده، فهل ينزع من خالقه؟

أليس ذاك الذي خلقه من العدم يعيده بصورة أفضل؟¹

القديس أغسطينوس

❖ يقول: "قد علمت" ليُظهر أن هذا سيحدث حتمًا، فإن مصير المخطئين لن يعبر دون عقوبة

(مادام لم يتب).

يدعوهم "مساكين" ليس بكونهم محتاجين، بل لأنهم متواضعون جدًا، وندامون.

¹ On Ps. 140 (139).

يقول هذا لكي يعطي راحة لمن يُساء إليهم، وليرد المخطئين إلى التعقل، حتى لا يفقد الأولون رجاءهم في المستقبل، ويصير الآخرون أكثر عدم مبالاة بسبب التأخير (في السقوط في ثمرة أعمالهم).

التأخير في الواقع يقود إلى التوبة، وإن كان يجعل العقوبة أكثر شدة للمتمردين. وهذا حق، لماذا؟ لأنه وإن أعطي لهم صلاح كهذا لم يصيروا إلى حالٍ أفضل. فوق هذا كله لطف الله، إذ يسمح للمختارين له أن يحتملوا الظلم، ولا ينتقم لهم حتى يجعلهم يصيرون إلى حالٍ أفضل بالتوبة¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الإنسان الواشي والعدواني لا ينجح على الأرض. والإنسان الظالم لا بد أن يسقط في مصيدة شره المُفسد والمُهلك له.

الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ يسقط العقل الكسول خطوة بخطوة بعدم الحذر من كلام العيبث، عندما ينحدر فينطق بالكلام الضار.

إننا نكتفي أولاً بأن نتكلم عن شئون الآخرين، ثم بعدها يقرض اللسان قاذباً حياتهم، وأخيراً ننزع إلى السب الصريح. وهكذا عندما تُبذَر الإثارة، تبدأ المنازعات، وتشتبُّ النيران في بؤرة الغضب، وينطفئ حينئذ سلام القلب. لذلك حسناً يقول سليمان: "ابتداء الخصام إطلاق الماء" (أم 17: 14).

إطلاق الماء ما هو إلا إطلاق اللسان بثثرة. ومن الناحية الأخرى يقول الحكيم: "كلمات فم الإنسان مياه عميقة، (نبع الحكمة نهرٌ متدفقٌ)" (أم 18: 4). هكذا عندما نطلق الماء، نصير ينبوعاً للخصام والمنازعات. والذين لا يتحكمون بألسنتهم يكسرون التآلف. ولذلك نقرأ المكتوب: "رام يطعنُ الكل هكذا من يستأجرُ الجاهل أو يستأجرُ المحتالين" (أم 10: 26).

والأكثر من ذلك، فإن الذين يدمنون كثرة الكلام يحيدون تمامًا عن طريق البرّ المستقيم. لذلك يشهد النبي قائلًا: "رجل لسانٍ لا يثبت في الأرض" (مز 140: 11). ويقول سليمان أيضًا: "كثرة الكلام لا تخلو من معصية (أما الضابط شفثيه فعاقل)" (أم 10: 19).

¹ On Psalms 140.

ولذلك يقول إشعياء: " (ويكون صنع العدل سلامًا) وعمل العدل سكونًا وطمأنينة إلي الأبد" (إش 32: 17). وهذا يشير إلى انه حيث لا يكون هناك ضبط للكلام يفتر برّ النفس. لذلك يقول يعقوب: "إن كان أحد فيكم يظن انه دَيِّنٌ، وهو ليس يُلجِمُ لسانه، بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة." (يع 1: 26) كذلك يقول أيضًا: "ليكن كل إنسان مسرعًا في الاستماع، مبطنًا في التكلم، مبطنًا في الغضب" (يع 1: 19). وعندما يصف قوة اللسان يضيف قائلاً: " (وأما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذّله) هو شر لا يُضَبِّطُ مملوءٌ سمًا مميتًا" (يع 3: 8).

لأجل ذلك يحذرنا الحق ذاته في قوله: "إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعْطَوْنَ عنها حسابًا يوم الدين" (مت 12: 36). والمقصود هنا أي كلمة بطالة غير مبررة وليست ضرورية ولا تهدف لأي نفع للتقوى. لذلك، إن كنا سنعطي حسابًا عن أية كلمة بطالة، فينبغي أن نتفكر في العقاب المذخر للثرثرة التي هي مؤذية، وتحمل كل إثم .
الأب غريغوريوس (الكبير)

قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ يُجْرِي حُكْمًا لِلْمَسَاكِينِ،

وَحَقًّا لِلْبَائِسِينَ [12].

يؤكد الكتاب المقدس هذه الحقيقة أن الله دومًا في جانب المساكين والبائسين

والمظلومين. إنه لا يطبق الظلم والعنف!

❖ هذا "المسكين" هو ذاك غير مملوء بالكلمات، لأن المملوء بالكلمات يود أن يكون غنيًا، لا يعرف أن يجوع.

قيل عن المسكين: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنهم يشبعون" (مت 5: 6).
إنهم يئنون بين عثرات الأشرار، يصلون لرأسهم (السيد المسيح) لكي ينقذهم من الرجل الشرير.

"وَحَقًّا لِلْبَائِسِينَ". هؤلاء لا يتجاهل الرب حقهم، وإن كانوا الآن يعانون من المتاعب، فسيظهر مجدهم عندما يظهر رأسهم.

عن هؤلاء قيل وهم هنا: "لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو 3: 2).

¹ Pastoral Care, 3:14.

هكذا إذن نحن مساكين، وحياتنا مختفية. لنصرخ إليه، فهو خبزنا (يو 6: 51).
القديس أغسطينوس

❖ بعد أن تحدث عن غضب الله، أظهر للحال أن الشر ذاته كفيل لتحطيم الذين يمارسونه.
 فإن التسرع وعدم ضبط اللسان في الحقيقة ليس بشكلٍ تافهٍ للشر...
 كما أن الشخص الطويل الأناة واللطيف والذي يعرف كيف يحتفظ بالصمت يكون في
 أمانٍ وموضع ثقةٍ وسرورٍ لكل أحدٍ. هكذا الإنسان الذي يمارس حياة خطيرة، يجتذب لنفسه
 أعداءً له بلا عدد من كل جانب، ويسبب قلقًا لنفسه قبل الآخرين، ولا يسمح لنفسه أن يكون
 في سلامٍ، بل بالحرى يثير عداوةً وقلقًا في الداخل دون أن يسببه له أحد.
 "رجل الظلم تصيده الشرور إلى هلاكه". وكما يقول حكيم آخر: "الشر يمسك
 بالإنسان" (راجع أم 5: 32). لاحظوا مرة أخرى أن الشر كفيل بأن يحطم من يمارسه.
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا القول يخبر عن الدينونة العامة التي فيها يُدفع الخطاة إلى العذاب الأليم، وذلك لأجل
 تسلطهم على البائسين. أما كافة الصديقين والمستقيمين فيسكنون في ملكوت الله، ويرون
 وجهه على قدر ما يمكن للناس.
الأب أنسيئس الأورشليمي

إِنَّمَا الصَّادِقُونَ يَحْمَدُونَ اسْمَكَ.

الْمُسْتَقِيمُونَ يَجْلِسُونَ فِي حَضْرَتِكَ [13].

يختم المرثل المزمور بتصور موقف المؤمنين المخلصين والطائعين للوصية الإلهية.
 إنهم دومًا في حضرة الله، لا يفترون عن تقديم ذبائح الشكر والتسبيح بفرحٍ وتهليلٍ.
 يرى **القديس جيروم** أن المستقيمين يسكنون في حضرته، أي يثبتون في المسيح
 السماوي.

❖ عندما تدافع عن حقهم، وتصونه، "يعترفون لاسمك". فإنهم لا ينسبون شيئًا لاستحقاقاتهم
 الذاتية. لا ينسبون شيئًا إلا إلى رحمتك...
 انظروا ماذا يلي هذا. "ويسكن المستقيمون مع وجهك". فمع وجوههم كانت تسكن

¹ On Ps. 140 (139).

² On Psalms 140.

العثرة معهم، أما مع وجهك فسيسكن الخير معهم.
عندما أحبوا وجوههم الذاتية، صاروا يأكلون الخبز بعرق وجوههم (تك 3: 19). أما
وجهك فيجلب عليهم الخير بفيض ويشبعون.
لا يعودون يطلبون شيئاً، لأنهم لا يجدون أفضل مما صار لهم.
لا يعودون بعد يتركوك، ولا أنت تتركهم. لأنه بعد قيامته ماذا قيل عن الرب؟
"تملأني فرحاً مع وجهك" (مز 16: LXX).
بدون وجهه لا يعطينا فرحاً. لهذا نحن نظهر وجوهنا لكي ما نفرح بوجهه .

القديس أغسطينوس

❖ "إنما الصديقون يحمدون (يعترفون) اسمك" ماذا يعني هذا؟ يقول: مهما حدث، يشكرون،
حتى إن رأوا المتواضعين يُظلمون والأشرار يرتفعون. إنهم لا يطلبون تصفية الحسابات.
ها أنتم ترون أن العلامة المميزة للأبرار دائماً وفي كل الظروف أنهم شاكرون.
"الأبرار يجلسون (يسكنون) في حضرتك" ، أي يتمتعون بالعون منك، مفكرين دوماً
فيك، وهم دائماً معك، لن يتركوك.
مهما حدث لا يشتكون، لا يجدون خطأ مهما حدث .

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 140

أحفظني من لسان العدو وفخاخه

❖ لا يكف العدو الخير عن مقاومة مؤمنيك بكل وسيلة.
لكن له سيفان خطيران: لسانه وفخاخه.
لسانه مملوء خداعاً، قد يقدم عسلاً، لكنه مسموم.
وفخاخه ينصبها على جانب الطريق، لكنها مخفية.
إنه كالحية ترحف بلا أقدام.
تنتسل ولا يُسمع لها صوت.

¹ On Ps. 140 (139).

² On Psalms 140.

مملوءة سماً مميئاً، وتتحرك في دهاء.
هب لي أن أسلك فيك يا أيها الطريق.
فإن العدو لن يجرواً أن ينصب شبكة فيك.
هب لي ألا انحرف عنك يميناً ولا يساراً،
فأكون دوماً في أمان من فخاخ العدو.

❖ من هو عدوي سوى إبليس،
الذي ينصب شباك الخطية على جانبي الطريق.
إنه مخادع وكذاب وقتال.
لن يستريح حتى يدفعني للسقوط في تجربة.
من يقدر أن ينفذني منه سواك؟
صراعاته كثيرة ومتنوعة،
لن يكف عن أن يستخدم شهوات الجسد،
يفسد حواسي وعواظي،
يقلق نفسي، ويحطم سلامي الداخلي.
يثير حتى الأصدقاء وأهل البيت،
يشوه كل شيء ليحطم نفسي.
يجد سعادته في شقائي
من يحميني منه سواك؟
أحملني على يدك،
واسترني بغنى نعمتك،
حتى تدخل بي إلى ملكوتك!

❖ يا للعجب! لا يعرف العدو وقتاً للراحة.
يظن أن راحته في استمرار مقاومة مؤمنيك.
لا يهدأ قط ليلاً ونهاراً.
دائم الحركة، لكن بغير استقامة.
جائع على الدوام، وطعامه التراب.

يود أن أسقط في الخطية، فأصير ترابًا.

يلتهمني مادمت ترابًا إلى سماء،

لتقيم من البشر ملائكة.

فلا يجسر العدو أن يطمع فيّ.

يبحث عن تراب في داخلي،

فيذهل إذ يراك تقيم ملكوتك في أعماقي!

❖ ليعمل عدو الخير بكل طاقاته وخداعاته،

فأنت هو سلاحي الذي لا يُغلب.

تهبني روح التمييز والحكمة والقوة،

بل تهبني ذاتك قائدًا لي، وسلاحًا يحميني.

❖ تسمح بالمعركة، لكنك لا تتركني وحدي.

يُعد العدو بكل طاقاته المعركة،

وتهبني أن ألجأ إليك بالصلاة والسهر والتسبيح!

ينصب العدو شبابه الخفية،

ولا يدري أنها تدفني بالأكثر لاختبار حنانك!

يُعد العدو حبال الخطية،

ويظن أنه قادر أن يقيدني، ويسحبني إليه.

ولم يدرك أن بحباله، إنما يُمسك هو.

وعوض أن يسحبني، يسقط تحت القيود الأبدية.

يخفي العدو فخاخه، بطمرها في الأرض.

وأنت بروحك تحملني، لأسلك كمن في السماء.

❖ يبذل العدو كل جهده لكي أسقط في الكبرياء.

يريدني أن أكون صورة له.

فيكون مصيري مع مصيره.

هب لي روح التواضع والوداعة.

أتمثل بك، وأحمل صورتك بعمل روحك القدوس فيّ!

إذ أسلك فيك، إنما أسلك في التواضع.

ولا أسقط في شباك العدو المتكبر.

هب لي ألا أغش نفسي،

فإنه ليس في صلاح قط، سوى بفضل نعمتك.

كيف أنسب عطاياك لي، كأني بار؟!

❖ عيناى تتطلعان إليك، فأنت هو إلهي.

ليس من يخلصني من شباك العدو سواك.

أنت هو قوة خلاصي.

تحوط بي، وتصير لي خوذة، تحمي إيماني.

ودرع يصد سهام العدو النارية ورماحه القاتلة.

تظلل على رأسي، فتحميني من حرارة شمس التجارب.

سندتني في المعارك الماضية،

وتبقى سندي حتى النهاية.

حضورك الإلهي يهيني النصر.

أنتطلع إليك، فتنحول نيران الأتون إلى ندى ممتع.

❖ أشكرك وأسبح اسمك أيها القدوس،

لأن ما يعده الشرير إبليس لنا،

إنما يشرب منه أبدياً!

يسقط في الشبكة التي يخفيها للمؤمنين.

أما هم، فينعمون بالمجد الأبدي.

لك المجد يا قائد المعركة وواهب النصر،

فأنت نصرتي وإكليلي!

141 (140 في الأجابة) - تفسير سفر
المزامير

احفظني من الشر والشرير!

أثناء تمرد أبشالوم بن داود أو أثناء اضطهادات الملك المتهور شاول له أو لسبب كل مساءٍ مع إنارة المصابيح (قابل خر 30: 7-8؛ دا 9: 21).

ترنم به داود النبي وهو في ضيقة، فهو يعلم أن وراء المتاعب مشورات شريرة وفي نفس الوقت إذ ين من هذه المشورات الشريرة، يخشى لئلا يسقط هو نفسه، لذلك يطلب من الله أن يقيم بابًا على فمه، ويحفظه من كل كلمة شريرة.

حننا الذهبي الفم كان هذا المزمور يُستخدم في الصلاة المسائية في العالم أجمع. ذلك على فحص قلوبهم وتصرفاتهم يوميًا، ولعل ما كانوا يخشونه بالأكثر هو صدورهم، كتعبيرٍ عن غضب في الفكر أو القلب، وحتى لا تتحول الكلمات إلى سلوك

نفس

ن نقدم أجسادنا ذبيحة مقدسة حيّة عقلية مرضية لدى الله (رو 12: 1-2)، فنرد المسيح الفريدة بذبيحة الحب والقداسة. فنتحول كل أعضائنا للعمل لحساب إخ إليه والصلاة [2-1]؛ وأيادينا برفعها قدامه [2]؛ وأفواهنا وشفاهنا [3]-**أعيننا** [8-10].

إلهي بوجه عام [1] يتضرع المرنم [2]، لئلا يضل بغواية الأشرار الذين نهايتهم يضرهم شرهم [8-10].

1-2.

3-5.

6-10.

نية والقبضية: "يا رب إليك صرخت، فاستمعي. أنصت إلى صوت تضرعي، إذا ما

الذي النبي والملك هذا المزمور بدعوة الله السماوي أن يسرع إليه، وينصت إلى صوت
بأن صلاته أشبه بطائر منطلق إلى السماء، وتبلغ إلى عرش الله.

الصراخ. لكن إن كانت الضيقة تلازم الكنيسة، جسد المسيح، حتى نهاية العالم، فلا
ت"، وإنما يُقال أيضاً: "أنصت إلى صوت تضرعي"¹.

القديس أغسطينوس

الله سأله الله على الفور: لماذا تصرخ إليّ؟ (خر 14: 15). بينما كان موسى يصلي
عه. ولم يسجل الكتاب المقدس ما قاله موسى، فقط قال إنه كان يصرخ.

يضاً على الدوام إلى الرب وهو يصغي برأفته...

الك أن أنفس الصديقين هي في مذبح الرب [2].

القديس جيروم

التي في الداخل، التي يُصدرها القلب الملتهب، والتامة، والتي بسببها سُمع لموسى

شخص الذي يصرخ يستنزف كل طاقته، هكذا من يصرخ في القلب يجمع كل قوى
في مثل هذه الصرخة التي تجمع كل تحركات القلب ولا تسمح بالتشتيت أو إعاقة من

خصوص أن الشيطان يتربص منتظرًا؛ فهو يعلم أن الصلاة هي أعظم سلاح. فإنه ، فإننا نحصل على إحسانات عظيمة بالصلاة بمواظبة مع حفظ نواميس الله. ففي أن يسحبنا إلى عدم المبالاة، ويميل بتفكيرنا حتى نفسد الصلاة وتكون بلا نتيجة [3].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ج إلى الله، أي بحرارة قلب بالفكر وفي القول، وبورع وتقوى ومداومة، ولا تلتمس بات، بل تطلب ما يؤول إلى خلاص النفس، والخيرات الدائمة الباقية، يستجيبها الله.

الأب أنسيمس الأورشليمي

قُدَامَكَ.

ذبيحة مسائية [2].

في المرتل صلاته أشبه بطائر ينطلق بقوة نحو السماء لتبلغ إلى عرش الله، فإنه مة بخور ذات رائحة ذكية تصعد قدام الله، يشتمها رائحة رضا وسرور. ويحسب ذبيحة مقبولة لديه.

ص، تستخدمها الكنيسة في ليتورجياتها، ويجد المؤمنون لذة في ترديدها أمام الله في

خاص، فكما أن السيد المسيح قدم نفسه ذبيحة في ملء الزمان أو في آخر الأيام، كما نرفع أيادينا بالشكر للمخلص مع نهاية اليوم متطلعين إليه كمخلص العالم، الذبيحة

بني الفم على هذه العبارة، مبررًا النقاط التالية:

عن الذبيحة، فإن البخور يُقدم داخل القدس على المذبح الذهبي، بينما الذبيحة تقدم لمحرقاة النحاسي.

ذبي رائحة ذكية ما لم يوقد الفحم، وهكذا لا تصعد الصلاة برائحة ذكية ما لم تصدر.

حية" وإنما "ذبيحة مسائية"، وهو بهذا يقصد الاثنين، لكنه فضّل ذكر الذبيحة الشرور كالقتل والسرقة وتدبير المؤامرات الشريرة تكون بالأكثر في الليل، لذا

على الصليب، حيث يقول الرسول: "إنساننا العتيق قد صُلب معه" (رو 6: 6). لقد العتيق: "لماذا تركتني"؟ (مز 22: 1؛ مت 27: 46). هنا الذبيحة المسائية، آلام تقدمية الذبيح النافع، المحرقة المقبولة لدى الله. تحققت هذه الذبيحة المسائية في ية.

بنقاوة من قلب أمين، وارتفعت مثل بخورٍ من مذبح مقدس.

بهجة من رائحة الرب، ليقتن كل مؤمن مثل هذه الرائحة [4].

القديس أغسطينوس

إلى الرب، ولا تسقط نحو الأرض، فإن صلاة الإنسان المقدس تخترق السحاب؛ وتخفي صلاة الشرير في دم الجسد كما قيل بالله للقاتل قايين: "ملعون أنت من التقبل دم أخيك من يدك" (تك 4: 11) [5].

القديس أمبروسيو

ر قدامك". إن لم تكن بخورًا بل يصعد منك دخان ومن أعمالك، فأية عقوبة لا

عد أن تكون المجرمة متقدمة مقدمًا، أو يكون الجمر مشتعلًا. هكذا في حالة أذهانكم، ذلك قدموا صلواتكم [7].

القديس يوحنا الذهبي الفم

قدامك. فلترتفع صلاتي إليك مباشرة، لا شر فيها، أعني لا شيء دنس، لا شيء من

لوات القديسين. نعرف ذلك من سفر الرؤيا حيث يمسك الأربعة والعشرون قسيسًا لتي هي صلوات القديسين" [8].

الرفعوا أيادي للصلاة" (راجع 1 تي 2 : 8). عندما رفع موسى يديه كان يشوع خفضهما كان يشوع يهزم. إن كنت أفسر الكتاب المقدس بمفهومه التاريخي أو فض ذراعيه. وإن كنت أفهمه روحياً، فموسى يرفع ذراعيه إلى أعلى [9].

بيل الله رفع يديه مثل ذبيحة مسائية دائمة القبول. لأن الله أمرنا برفع أيادينا وقت
أيادينا تشفع إليه، فحرسها طاهرة من الاختلاس والضرب وسائر الأعمال
بها دالة بالتوسل إليه وبريئة من العيب لدى ارتفاعها.

الأب أنسيمس الأورشليمي

يضًا - أجلّ، لأن الأمر متعلق بهم - فهم بالمثل يقدمون قربانًا وذبيحة، أعني صلاة
رائح. فالنبي يقول في المزمور: "تمجدي ذبيحة تسبيح، وأيضا الذبيحة لله "ذبيحة
حقة مسائية" (مز 141: 2).

عونها في تعقلٍ، ومن الأفضل أن تتركوا صلاتكم (وتذهبوا لتصلحوا)، لأنه لهذه
الأمور، بل ولهذه الغاية قد صار الله إنسانًا، وصنع كل ما عمله ليجمعنا في واحد.
يرسل فاعل الشر إلى المظلوم، بينما في الصلاة (الربانية) يقود (الرب) المتألم إلى
معًا. إذ يقول: "اغفر للناس زلاتهم". هكذا أيضًا يقول: "إن كان قد فعل شيئًا ضدك،
حري يبدو لنا هنا وهو يرسل المتألم من الأذى [10].

ذبيحة مسائية"، لنرفع أيضًا مع أيادينا عقولنا... لنرفع أفكارنا إلى العلي [11].

القديس يوحنا الذهبي الفم

مات الكنيسة المقدسة. وتلك الذبيحة المسائية التي قام هو بنفسه في اليوم التالي في
الآب لرفع يديه لخلاص العالم كله، إذ بسط ذراعيه على الصليب وهو يُسمى بالفعل

القديس يوحنا كاسيان

حركات اليدين اللتين كانتا تتحركان بطريقة مخلّة تابعة لإرادة العقل. أما الآن فإن
يظهرهما، لكي ما يعمل ويشتغل بهما في عمل الرحمة وفي الصلاة، وبذلك تتم
بنا: "ليكن رفع يديّ كذبيحة مسائية" (مز 141: 2)، وفي موضع آخر: "أما يد
(4: 10) [13].

القديس أنبا أنطونيوس

حقة في مساء اليوم للمسيح، حتى في ذات الساعة تُظهر عشية العالم كما هو مكتوب
لكن جمهور جماعة إسرائيل في العشيّة" (خر 12: 6). مرة أخرى في المزامير:
" (مز 141: 2) أكننا نحن نحتل بقيادة الرب في الصلاة [14].

صلاتي كالبخور قدامك، ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية" (مز 141: 2) [15].

رفع كل الأعمال نحو الله، فلا تكون دنيئة ولا أرضية، إنما تعمل لمجد الله والسماء. رَأَى فِي السَّمَاءِ (مت ٥: ٢٠، ٢١)، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا، كيداك.

كن رفع يديّ كذبيحة مسائية"، بهذا يهزم عماليق (مز ١٧: ٨-١٦)؛ لكن الرسول يبيّن ظاهرة بلا غضب ولا جدال" (١ تي ٢: ٨)، كما يقول: "قوّموا الأيدي خلعة، وسيروا في الطريق المستقيم..."

فظ وصية الرسول: "صلوا بلا انقطاع" (١ تي ٥: ١٧) [16].

العلامة أوريجينوس

بعض البعض يبدو كأنهم يطلبون الرب، ولكن إذ هم كسالى وغرباء عن الفضيلة، لا يجدون وجدوه لا يستحقون أن يروه.

ولئلك النسوة الطوباويات عند القبر سوى جسد الرب يسوع!

الكنيسة غير يسوع الذي هو المخلص!

فإذ الشمس مشرقة، تعالوا كما جاءت هؤلاء النسوة، أي اتركوا ظلمة الشر التي تلت الجسدية والأعمال الشريرة هي ظلمة. فمن كان في قلبه ظلامًا كهذا لا يعاين النور، لأن المسيح هو النور.

أي انزعوا الشهوات الشريرة وكل عمل أثير، وزودوا أنفسكم بالحنوط الطيبة، أي مع المرتل "لتستقم صلاتي كالبخور قدامك" (مز 140: 2).

يسوع، الذي يمنح الرائحة الذكية (قابل تك 25: 37، 2 كو 2: 15-16) البخور الذي كرسه العابد. في هذا الصدد يقول داود أيضًا: "لتستقم صلاتي كالبخور قدامك" (مز

القديس أمبروسيوس

صلاة ولكن باختصار، فإننا إذ نطيل الصلاة ينجح عدونا الماكر في زرع شيء ما

أن يسبحوا: "لتستقم صلاتي كالبخور قدامك، ليكن رفع يديّ كذبيحة مسائية"
اب الساعة المناسبة (للصلاة) وحلول المساء يحثنا على ممارسة هذا الأمر نفسه
تطبع [18].

الأب إسحق

كالتّي رُفِضت.

دراء أي ذبائح شكر ومدح، بل تقدمة الصلاة المقبولة التي يرضاها، وإلا تترد إلينا

تسمو عن أخرى تقدم من حيوانات بكماء، لذا ينبغي علينا أن نفحصها بإمعان،
يُوب خفية. وإن وجدت، فيجب أن نطهرها، بغسلها بدموعنا، ونزيل عنها كل
نقنا أن نقر بها، بحبٍ وشوقٍ، في طهارة أمام الرب، "رافعين أيادي طاهرة" أمام
نفس الوقت رافعين عقولنا "بدون غضب ولا جدال" (1 تي 2: 8)، سائلين بدموع
قبل تقدماتنا مع النبي "كذبيحة مسائية" (مز 141: 2) [19].

مارتيريوس - Sahdona



مًا لِفمي.

[3]

سأوية لفته، حتى لا تخرج كلمة لا تليق به كإنسان الله.

وإنما قال "بابًا حصينًا". فالباب يُفتح كما يُغلق أيضًا. فإن كان بابًا، فليُفتح ويُغلق.
، ويُغلق عند تقديم تبرير للخطية. هكذا فليكن بابًا حصينًا، وليس بابًا للتدمير [20].

القديس أغسطينوس

فاه بما هو غير لائق، بل يفتحه في كلام يرزق كنوزًا من خيرات الله.

الأب أنسيمس الأورشليمي

نى من الذهب، بل ما هو أثنى من هذا في هيكلٍ روحي، فمادة الأول بلا حياة، بينما نتم أعضاء جسد المسيح...

الدوام، نقيم عقلاً عليها ليغلقها، فلا تبقى مغلقة على الدوام، إنما يفتحها في الوقت

الصمت أثنى من الكلام، وأيضًا يوجد وقت يكون فيه الكلام أثنى من الصمت...

نرون ليس فقط أن نحفظ الصمت والكلام في الوقت المناسب، وإنما يلزم أن يكون
ذا يقول أيضًا بولس: "ليكن كلامكم كل حين بنعمةٍ مصلحًا بملح، لتعلموا كيف
(6:4).

أن هذا هو العضو الذي به تدخلون في حوارٍ مع الله، وبه نقدم التسبحة. هذا هو
تبيحة المهوبة، فإن المؤمنين يعرفون ماذا أقول [21].

القديس يوحنا الذهبي الفم

سبب دمارًا مثل هذا، فقد يتساءل البعض: لماذا وضعه الله في الجسد البشري من
أيضًا. فإن كنا حريصين يجلب لنا نفعًا لا ضررًا، اسمعوا كلمات النبي الذي قدم
س: "الموت والحياة في قوة اللسان" (أم 18: 21). ويكشف المسيح عن ذات الأمر
رر، وبكلامك تُدان" (مت 12: 37).

نمامًا، متهيئًا للعمل بأي الوسيلتين وأنت سيده. وهكذا يقع السيف أيضًا في الوسط،
و، يصير أداة أمان لك. وإن استخدمته لجرح نفسك، فليس نصله الذي يسبب موتك

الكيفية، كسيف قائم في المنتصف. اتخذه لتدين ذاتك بخطاياك، ولا تستعمله في
الله اللسان بسياجٍ مضاعف، بحاجز الأسنان، وبسور الشفتين، حتى لا يتفوه بسهولة
أن يُنطق بها.

، وإن لم يقم بهذا العلاج، عاقبه بالأسنان كما لو كنت تقدمه للجلاد ليقضمه! لأنه
حينما يخطئ بدلاً من عقابه فيما بعد، حينما يتلهف طالبًا قطرة ماء، إذ يُحرم من

سقط الجسم ويُسحق من أن تخرج منا مثل هذه الكلمة التي تحطم النفس. وهو لا
الذي لا يفتقد الأكلش أن تكون تفتقد الأكلش (الكلام) تفتقد الأكلش

حاجتنا إلى عون من فوق يصحب جهادنا ويسبقه، لكي يحفظ هذا الوحش المفترس ديننا إلى الله، قال النبي: "ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية، اجعل يا رب حارساً لفي؛ نفسه الذي سبق فنصحننا قبلاً أن نضع باباً... (سي 20: 25) يقول مرة أخرى:، وختم حكمة لشفتي؟" (سي 22: 27) [23].

القديس يوحنا الذهبي الفم

اللسان" (أم 18: 21) وأيضاً: "أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف لأجل حارس حول شفتيه يكون مثل متراس القلعة الحصين، حتى لا يستسلم ويذعن لعل الموت إلى كوانا (نوافذنا) (إر 9: 21)، ونحن لنا خمس كوى: النظر والسمع [24].

القديس جيروم

ضع باباً للسانك ومتراساً (مز 141: 3). أنت تتحدث إلى الله الذي يعلم كل شيء. ما من مصارع متدرب يكلل ذاته، وما من أحد ينال الإكليل من ذاته، بل ينتظر حكم. لأنه قد يحدث ما هو غير متوقع... فإنه حتى أشجع الأشخاص معرض للهباج

القديس كيرلس السكندري

س، لأنها تغذى جسد الكنيسة. يرغب العريس دائماً أن تكون هذه الأسنان نظيفة من شعر، لأن شعرها قد تم قصه حديثاً، وتحمل توائم حسب ميلاد الفضائل، وتظهر أسنانها كل عيب للنفس أو الجسد. ويرمز الخيط القرمزي على شفتي العروس إلى يه النبي حارس المعنى وبابه: "اجعل يا رب حارساً لفي، احفظ يا رب شفتي" تكون الحال عندما يفتح الشخص فمه ليتكلم، ثم يغلقه، حسب كل نشاط في وقته من النبي زكريا أن هذا الخيط هو للقياس (زك 1: 2)، الذي يمسكه ملاك على هيئة دا ملائم بصفة خاصة، لأنه كان ذا لون أحمر، كرمز للفداء. فإذا كان المسيح يتكلم بولس (2 كو 3: 13)، فإنه يقلد فداء المسيح لنا بدمه بواسطة هذا الخيط القرمزي بط القياس الذي اكتسب اللون الجميل في الدم [25].

القديس غريغوريوس النيسي

كمن صاماً في كل حين، ولا يقل الأفكار التي تشر عاره بكثرة الكلام التي تجل

القديس مقاريوس الكبير

ي نرجوها من الله تقف عند تلك التي تخص شهوة أعضاء الجسد... يتغنى المزمور
فُظًا لَفْمِي، وَبَابًا حَصِينًا (عَفِيفًا) لَشَفْتِي" (مز 141: 3) فإن أدركنا مفهوم كلمة
لنا ما هي عطية الله من جهة العفة التي يهبها، لنا فإنها لا تعني "الفم الجسدي"،
لنه صوت شرير، إنما يوجد في الداخل "فم القلب" الذي يريد ناطق هذه الكلمات
أن يحرسه الله ويقيم عليه بابًا حصينًا (عَفِيفًا).

لا ينطق بها الفم الجسدي، تصرخ عالية في القلب، بينما لا يمكن للفم الجسدي أن
به القلب.

ب لا ينطق به اللسان، وأما ما يخرج منه، فإن كان شريرًا يدنس الإنسان حتى ولو

حصانة هناك (علي باب القلب)، حيث يتكلم الضمير، حتى بالنسبة للصامتين. فمتي
خرج منه ما يدنس حياة من يفكر (فكرًا شريرًا) دون أن تتحرك شفتاه [26].

القديس أغسطينوس

ت لا يُحتمل... هنا ينطق النبي: "الموت والحياة في سلطان اللسان" (أم 18: 21).
عزاء، إن تطلعتم بعمقٍ وبحثتم باجتهاد في الورم الخبيث المنتفخ في القلب الساخط
الصادرة عن الكلام تسبب موتًا [27].

ت كل منهما فيه الكمال، إن استخدام بالقدر اللائق به... الصمت عظيم، والكلام
يم أن يضبط كليهما. فإن الصمت المبالغ فيه يُنسب أحيانًا إلى نقص التعقل، كما أن
سب إلى الجنون [28].

الأب فاليريان

حب الله والمتواضع والغريب الذي يحفظ الغربة، ولمن كان متمنطقًا بمخافة الله،
الصليب، ويضع حارسًا على فمه (مز 140: 3). يا ابني كن صديقًا لكل الذين

من الرب أن يضع سياجًا أو حائطًا، بل بابًا يمكن أن يفتحه أو يغلقه. لنتعلم متى الوقت المناسب، وبالعكس كيف نغلقها بالصمت [29].

(الأب غريغوريوس (الكبير)

ي،

مَعَ أَنَاسٍ فَاعِلِي إِثْمٍ،

هُم [4].

قفة الداخلية، لئلا تتجذب إلى الشر، لأنه كثيرًا ما يحمل الشر جاذبية مخادعة.

الإنثم" يعني محاولة تبرير الإنسان خطاه بإلقاء اللوم لا على إرادته الخاطئة، بل سلطان له عليها فهذا من شيمة فاعلي الإثم. وكأنه يقول حقًا جيد للإنسان أن يلقي تمثّل بالأشرار الذين لا يلومون أنفسهم. ولهذا السبب يطوّب المرتل الرجل الذي لا يقين، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس (مز 1: 1). "وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة، فسموا هذا ولا تخالطوه، لكي يخجل (2)

وقد جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "ولا اتفق مع مختاريهم".

يريد أن يشترك في ولائهم وملذاتهم، وحياتهم المدللة. وفي تعليق القديس يوحنا من السقوط في النجاسات خلال ضربات السكر مع الأصدقاء، حيث تشتعل نار ماجنة.

س [30] أن المتحدث هنا هو السيد المسيح يطلب ألا يميل قلبه أي كنيسته أو جسده هذا كلامًا شرييرًا، لئلا تصير مثل الفريسي الذي برر نفسه، واستخف بالآخرين (لو

هذه العبارة لكي نتمثّل بالمرتل الذي كان يخشى لئلا يقتدي بالأشرار الذين عوضًا ورهم، يقدمون تبريرات وعللاً دفعتهم لارتكاب الشرور. من هذه العلل الاعتذار الطبيعة التي تلزمه بالسقوط [كأن يقول شاب: إن جسدي يستعبدني، واتقاد وتكوين جسمي وانفعالات أعضائي تدفعني للممارسات الجنسية. مرة أخرى يقول كنت في عوزٍ إلى طعام، ليس لي ما استتر به. سفكت دم آخر، لأنقذ نفسي من البرد

الكلمات الشريرة" (راجع مز 141: 3-4) .

القديس جيروم

هبي الفم إن المرتل بدأ أولاً بالفم وبعد ذلك القلب، وذلك كما في حالة المساجين، بالاهتمام بحراسة أبواب السجن (الفم)، وبعد ذلك يهتمون بالأمر الأخرى. هكذا اهتمامه بحراسة فمه ولسانه، ثم يسأل عما في أعماقه.

علل بعل الشر، مع أناس فاعلي الأثم؟! كثيرون لا يلقون باللوم على إرادتهم ما يلومون طبيعتهم التي لا سلطان لهم عليها، وكأنهم يلقون باللوم على الخالق لا

رديء". ليس أن الله يُميل القلب. حاشا! بل بالحري يقصد لا تسمح لشيء هكذا: لا لا تسمح له أن ينحرف نحو الأفكار الشريرة. فإن ينبوع الفضيلة والرذيلة يصدر

عذراً معيباً: فالقاتل يلوم الغضب، والسارق يلوم الفقر، والزاني يلقي باللوم على لائفاً، فإن سبب الخطية هو سلوك الخطة أنفسهم [34].

المعاندين، لأن اللصوص والسراق وأعداء الفضيلة، إذا رأونا قد سهرنا الليل كله ما ذخائرنا، يحيطون بنا من كل جانب، ويريدون أن يغلبنا النوم والكسل، ليسطوا أمتعنا، ويفوزوا بذخائرنا، ويجعلوا كنوزنا غنيمة الاغتصاب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

قام الفم والشفيتين اللتين هما باب القلب دخل إلى سجن الأفكار، حيث اللصوص م بقله: **"لا تمل قلبي إلى أمر رديء"**. لأن القلب هو منبع الخير والشر. معنى كة يميل إلى كلام الشر، وهي الأفكار التي تدبر الاغتيالات وتفترى على الله... بهذا رور ليست طبيعية فينا، إنما تأتي من ميل قلبنا واعوجاجه الصائر من استهتارنا

الأب أنسيمس الأورشليمي

دخل قلبك حتى تعرف ما هو الدافع في داخلك، لأن **الطعام** القوي هو للبالغين الذين كة اكتسبوا بالتمرُّن القدرة على التمييز بين الخير والشر (عب 5: 14). هذا التمييز

سك أن تكون مثل ميت، فاسأل الميت إن كان يرغب في رؤية زوجته، وإن كان
ما إذا ذهبت وسلّمت ذاتها للفسق. إن كنت قد تركت الموتى يدفنون موتاهم، فلماذا
الله (لو 9: 60)؟ إلى متى تظلّ نائمًا؟ استيقظ واصرخ مع داود النبي: "لا تُملّ قلبي
بعل الشر" (مز 141: 4).

جميع الذين يَعْلَمونك" (مز 119: 99 سبعينية)، فإنّ الشياطين المضلّين الذين
ضمرون لك حربًا شعواء بخصوص امرأتك. أين اختفت من عينيك كلمة الكتاب:
تجربون فوق ما تستطيعون... (1 كو 10: 13). وأيضًا كلمة المخلص: "لا
(3)؟

القديس برصنوفوس

ةً وَلْيُوبَّخني،

بِجَبِّي رَأْسِي.

بِ مَصَائِبِهِمْ [5].

ية والقبطية: "فليؤدبني الصديق برحمة ويوبخني. زيت الخاطئ لا يدهن رأس".

سلاة في العهد القديم. اعتاد أن يسأل الله عن كل احتياجاته، خاصة الروحية منها.
بال عن الشر والإثم. كما يرحب بأناس الله الأتقياء، يصادقهم ويقبل مشوراتهم
م وانتهارهم له. فإنه غالبًا ما يخدع الإنسان نفسه، فلا يرى أخطاءه، لهذا يرحب
تقياء له، لا لمدحه وإنما لإصلاحه.

فإن المديح غير اللائق هو تملق. المديح غير اللائق الصادر من التملق هو "زيت

توا من البار (الله) برحمة، ولا تحبوا أن يمدحكم خاطئ في سخرية.

سكم، فلا تحتاجوا إلى زيت الخاطئ [35].

القديس أغسطينوس

ي رحيمًا مع اللوم... ما يقصده هو هكذا: إنني لن أشارك في تجمعات أولئك
الصارمين والملتزمين، الذين يلومون ويُظهرون الأخطاء وينتقدون. هذا بالحقيقة

لاحًا، وبينما ترتبط الرحمة بنقدهم، إذا بالموت يرتبط برحمة الآخرين. يقول آخر:
ب، وغاشة هي قبلات العدو؟ (أم 27: 6).

النصيحة الرسولية هذا: "وبخ، انتهر، عظ" (2 تي 4: 2). هكذا هو نقد الأشخاص
شبه ما يفعله الجراحون، إنهم ليس فقط يقطعون، وإنما أيضًا يخيطنون عُزًّا في
أيضًا لكي يضمن أن يكون اللوم مقبولًا، لم يسمح أن يكون اللوم علانية في البداية،
لك وبينه وحدكما" (مت 18: 15).

بولس مقدمًا مع اللوم رحمة، فيقول: "أيها الغلاطيون الأغبياء" ثم يعود فيقول: "يا
كم" (غل 3: 1؛ 4: 19). ها أنتم ترون أن الشخص الذي يوجه اللوم يحتاج أن يقدم
ن اللوم مقبولًا، ومن يستخدم العلاج يحتاج إلى حساسية أكثر من الذين يقطع

القديس يوحنا الذهبي الفم

بيخ الصديق وانتهاره يحصل عن رحمته لي، وشفقته على جراحات نفسي، لأنه
توبيخه، ولهذا أريد هذا التوبيخ.

ة مثل الزيت فلا أرتضيها، لأنها تملق ومدارة، فلا تصب رأسي.

الأب أنسيمس الأورشليمي

المكتوب "زيت الخاطئ لا يدهن رأسي"، وهو ما سبق وحذر منه الروح القدس في
أحد عن الطريق، ويتوه بعيدًا عن سبيل الحق، فيُدهن بواسطة الهراطقة ومعاندي

القديس كبريانوس

مة وليوبخني، لكن زيت الخاطئ لا يدهن رأسي" ما معنى هذا؟ الأفضل لي إذا ما
أن يقومني ولا يتركني، بل يخبرني إن فعلت خطأ، ويثور ضد خطيئتي ليحررني
سارمًا، لكنه في الداخل رقيق رحوم بحسب الكلمات: "ليقومني الصديق برحمة

رى التي يستخدمها المداهون والحديث المخادع، فبالرغم مما تحمله من ثناء، فإنها

هذه رحمة وليوبخني". من يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله. مغبوط هو هذه الحياة، لأن "الرب لن يعاقب مرتين على نفس الشيء" (قابل نح 1 : 9 بحسب غضب الرب، إذا ما لم يشدد علينا هنا، حينئذ يقتادنا كعجلٍ يُساق للذبح. وقد قال هي خطاياك، وعديدة هي آثامك، لكنني لن أغيظك" (قابل حز 16 : 24)... تأملوا في م أو أب أو حكيم (طبيب) هو، فإن الطبيب إذا ما وقع بصره على عضو أو نسيج يقول: ما لهذا العضو؟ فإنكم ستشهدون بقسوته، لكنه إن أزال هذا النسيج الفاسد، يوم، لأنه ينقذ حياة الإنسان. نفس الأمر مع المعلم، فإنه أن طرد أو فصل حبيبًا علة له، فإنه يكرهه. لكن من جهة أخرى فهو تلميذه إن كان بالعلاج يقومه، وتتحول فدوء.

" تفهم بطريقتين: إما أنه يوبخ أو يرشد.

ن رأسي". حقًا أن من يدعوكم يا شعبي مطوبين إنما يضللوكم. مدح الهراطقة، أي رؤوس الرجال، ويعدونهم بملكوت السماوات إنما يدهن الرأس بالكبرياء.

مسراتهم"، وهذا يعني أنهم حقًا يثورون في جنونهم، لكنني أداوم على الصلاة

القديس جيروم

حذر ألا تدهنها بزيت الخطية. لأن "زيت الخاطئ لا يدهن رأسك" (مز 141 : 5). التهليل: "زيت الفرح" (مز 45 : 7)، زيت الرحمة، حتى يحسب وصية الحكمة: يتركانك" (أم 3 : 3) [42].

العلامة أوريجينوس

أقوال كثيرة أطلقه وهو فرح بالرب. وذهب وهو يترنم قائلاً: "اليرجع إليّ متفوك (مز 119 : 79)، وأيضًا: "تأديبًا أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني" (مز 118 : 118). الصديق برحمة ويوبخني" (مز 141 : 5 قبطية). كما قال لنفسه: "ارجعي يا فتك، لأن الرب قد أحسن إليك، لأنك أنقذت نفسي من الموت..." (مز 116 : 7). عاش بقية عمره كما فرض له الشيخ.

فردوس الآباء

مة ويوبخني. أمّا زيت الخاطئ فلا يدهن رأسك" (مز 141 : 5)

به جهلاً وإثمًا وثباتًا فيهما...

سان النبي: "يا شعبي إن الذين يطوبونكم يضلونكم" (إش ٣: ١٢)، أي أن الذين
نكم بالنوادر رياءً ونفاقًا، إنما يخدعونكم ويهلكونكم بالتمام. أمّا الذين يوبخونكم
إليكم إحسانًا عظيمًا.

خي مع الخطاة)، بل ضعف. ولا هي محبةٌ أو وداعة بل إهمال، لا بل هي قسوة
غفل عنها، فتهلك دون أن تنتبه على خرابها.

القديس أغسطينوس

مِنْ عَلَى الصَّخْرَةِ،

لَهَا لَذِيذَةٌ [6].

عينية والقبطية: "قد ابتلعت أقوياءهم عن الصخرة، يسمعون كلماتي لأنهم

حياتًا تأديب الأشرار، فهو لا يطلب النعمة لنفسه منهم، إنما يود أن يرجعوا إلى السيد
ية، فيتمتعون بالخلاص. كما أن تأديب الأشرار يقدم درسًا عمليًا لإخوتهم لأجل

عنه لنفسه كما لإخوته.

س أن قضاتهم هم الفلاسفة وأصحاب السلطان، والعظماء، وغيرهم ممن يحسبونهم
بآرائهم ويحكمون على حياتهم وسلوكهم حسب فلسفتهم. هؤلاء متى قورنوا
سيح، ينطرحون أرضًا.

، وقارنوا سلطانهم بسلطان الإنجيل، وكبرياءهم بالمصلوب.

كلماتكم في قلوب المتكبرين، أما هو فغرس صليبه في قلوب (على جباه) الملوك.

وأنتم موتى، وإنني لا أسأل كيف سيقومون. لذلك "قد انطرح قضاتهم من على تلك

، لأنها تفوز". كلماتي تفوز على كلماتهم. هم ينطقون ببراعة، أنا أنطق بالحق. أن هذا شيء، أما أن تمدح ذلك الذي ينطق بالحق فهو شيء آخر [43].

القديس أغسطينوس

لية، والمشاكل التي تسببها الرذيلة. يقول إنهم أصحاب نفوذ... كلهم يهلكون.

لم يقل إنهم يهلكون، مشيرًا إلى أن ما يصيبهم هو عدم وجود أي أثر لهم. الأمر 'عبرت فإذا هو ليس بوجود، والتمسته فلم يوجد' (راجع مز 37: 36).

و هذا كما إذا طرحنا قطعة من الصخرة في البحر لا تترك أثرًا، هكذا يكون ويُفقدون، ولا يكون لهم أثر، بل يعانون من دمارٍ شاملٍ...

ة سينالون نوعًا من الشعور بالعدوبة من جهة نصحي لهم ومشورتي؛ كيف؟ لوم ويكون لتعليمهم عدوبة عظيمة. فإن الفضيلة هي فوق كل شيء تشبه الآتي: إنها ما تجلب سعادة باقية [44].

القديس يوحنا الذهبي الفم

عليهم احتقار بساطة الكنيسة... حينما يعودون إلى الكتاب المقدس تبتلعهم الصخرة ويتحولون إليه...

ي لأنها لذية". ويقول الرب نفسه: الذين يأتون إليّ يرجون ويفرحون لكلماتي، [45].

القديس جيروم

دَقَمَ الْهَائِيَةَ [7].

عينية والقبطية: "مثل شحم الأرض انشقوا على الأرض. تبددت عظامهم عند

يشعر بالحزن على شعب إسرائيل، وقد صاروا أشبه بعظامٍ جافةٍ مدفونة في

ر، إذ يهبها خصوبة. هكذا يضطهد الأشرار شهود السيد المسيح، ويظن الأشرار
كن ما يفعلونه إنما يصير كسمادٍ، ويصير **الحصاد** كثيرًا جدًا.

عزيز في عيني الرب موت قديسيه (مز 116: 15).

اء، لكن "اختار الله أذنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود" (1 كو
رس وبولس كما من المزبلة عندما حُكم عليهما بالموت، وأحتقرا، الآن اغتنت
يسرع رؤساء العالم والنبلاء بل والإمبراطور نفسه عندما يدخل روما؟ هل إلى
ى النصب التذكاري لصياد السمك (بطرس)؟

بها عذوبة، أشار إلى كوارث قديمة. بالرغم من المتاعب المتزايدة، فيصير الكل
تربة مُمهدة ومحروثة ومحفورة حتى تبلغ إلى الهاوية ذاتها، مع ذلك نحن نفضل
م لنا عن رحمة الخطاة.

لى الرجاء فيك، ولن نتوقف عن التطلع إليك. لهذا يقول: "لأنه إليك يا سيد، يا رب،
س، فلا تمحو نفسي [8].

بنا حروب أو معارك أو موت أو أبواب الجحيم، لن نترك المرساة المقدسة، بل
نتك [46].

القديس يوحنا الذهبي الفم

عَيْنَايَ.

ية والقبطية: "لأن عيوننا إليك يا رب. يا رب عليك توكلت، فلا تقتل نفسي".

الطلب لأجل خلاصه إلى الطلب من أجل شعبه، ويعود يطلب لنفسه. فالمؤمن لا
يصرخ لأجل خلاص نفسه دون تجاهل إخوته، وبحبه يطلب لأجل إخوته دون

س أن هذه الكلمات ينطق بها الشهداء والذين يعانون من المضايقات.

لهادات، ويسقط كثيرون... لكن في وسط ضيق الاضطهاد يصدر الصوت مصليًا:

لذَّ نَصْبُوهُ لِي،

ي الإثم [9].

م للاستشهاد) إن وافقتني(وأنكرت الإيمان) أبقى عليك.

حياة الحاضرة. إن أحب الطائر الطعم، يسقط في الفخ، ولكن إن استطاع الطائر أن
م الإنسان؛ أنت عرفت" (راجع إر 17: 16)، يقول: "هو يخرج رجلي من الشبكة"

ب أن يميز الواحد عن الآخر: الفخ الذي ينصبه المضطهدون؛ والعثرة التي تأتي من
هو يطلب الحماية من الأمرين. فمن ناحية يهددون ويثورون، ومن الناحية الأخرى
أخشى لئلا أخاف الواحد، واقتدي بالآخر [48].

القديس أغسطينوس

المكائد بوجه عام، وإنما إلى الفخاخ المخفية التي من النوع الذي ليس من السهل
هذه تتطلب على وجه الخصوص تدخل النعمة التي من فوق [49].

القديس يوحنا الذهبي الفم

رفع نحوه بصره الداخلي، ويتكل عليه، ينجو من مكائد الأشرار. أما الذين ينصبون
ها. الذي يقدر على التقويم والإصلاح، فليختلط بالذين يمكن إصلاحهم. أما الذي لا
معاشرتهم، ويكون على أفراد منهم طول عمره إلى أن ينتقل بسلام.

الأب أنسيمس الأورشليمي

لشياطين الأشرار دائماً. فالرذيلة تجاور الفضيلة بالتأكيد، فيُنصب لي الفخ بجوار
ليراني الآخرون، وحينما أظاهر بعمل الخير أسقط في النقائص والخطية. تُنصب
في كل مكان يكتشف الصياد أن الغزلان تسلكه وترمز الغزلان إلى القديسين لأن
رفيق ذو قرون قوية وتقتل الحيات، ومن ثم يقول مزموه آخر: "الذي يجعل رجلي

[50].

القديس جيروم

لكم في إحدى فخاخ العدو المنصوبة (قدّامكم)، فإن العدو يطرح شبابه لكي يصطاد

القديس مقاريوس الكبير

هم،
تِيَّة [10].

ية والقبطية: "تسقط الخطاة في شبكته، وأكون أنا وحدي حتى يجوز الإثم".

س أن المتحدث هنا هو السيد المسيح، فعندما حلّ وقت الاضطهاد، وألقى القبض
ذ في شبكة العدو، وتركه الجميع وحده يجتاز المعصرة.

هم يسقطون في شبكته؟ ماذا بخصوص تلاميذك أيها المسيح؟ انظروا، عندما ثار
ك الكل وحدك، وذهب كل واحدٍ إلى خاصته (يو 16: 32). نعم، أولئك الذين كانوا
ند محاكمتك وفي وقت الاضطهاد، عندما طلبك أعداؤك لكي تُصلب. وهذا الجريء
عك حتى الموت سمع من الطبيب ما سيحدث معه كمريض.

سابقاً بحمي ظن أنه سليم، أما الرب فقد لمس شريان قلبه. عندئذ جاءت المحاكمة؛
اتهام، وعندما سُئل ليس من جهة السلطات الكبرى، وإنما من عبدٍ متواضعٍ ومن
لاث مرات [52].

القديس أغسطينوس

س! نبحث عن أعذار عن الخطية... فنحن نعلل أنفسنا ونلحم الخطية بأخرى [53].

القديس جيروم

من وحي المزمور 141

هب لي حراسة على كل كياني

لك وشوقك لخلاصي!

قبل حمايتي منهم.

إليك.

الإلهية.

كسر ضعفي.

ناقي.

أعماقي الالتقاء بك.

أولاً، لنأخذ أخطئ،

لنشر بالشر.

الشرير،

الرجوع إليك.

ويحطم كل بشرٍ.

كنا.

أطير بروحك القدوس.

ضانك.

حسدٍ شريرٍ،

كذبيحة حب وتسييح.

حجة مسائية،

على المذبح الذهبي.

صليبك المسائية.

د المساء، لتعلن عن حبك.

خور يحمل رائحتك الذكية.

سلاة،

ولإخوتي،

الأمجاد التي تعدها لي.

بالشركة مع السمانيين.

سر.

طياي،

ذاتي.

تحت حراسة روحك القدوس.

طك!

م الأشرار،

لا أقبل كلماتهم الناعمة.

رأسي،

كيمات زيت نعمتك،

هلك.

وس،

يقين.

ار،

ا.

،

الْمَزْمُورُ الْمِنَّةُ وَالثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

ليس من يسأل عن نفسي!

يُعتبر هذا المزمور مرثاة شخصية، سجلها داود الملك، غالبًا وهو في كهف عدلام (صم 22).

جاء في الآية 7 "أخرج من الحبس أو السجن نفسي". إلى ذلك الوقت لم تكن إسرائيلي قد عرفت السجن لمعاقبة المجرمين أو لعزلهم عن المجتمع، لكن المرثل اختبر كيف هجره حتى أعز أصدقائه، فحسب نفسه كمن هو في حبس، أو كمن هو ميت وهو حي. ليس من يسنده بكلمة تعزية، ولا من يقدم له طعام. ولعل كلمة " الحبس " هنا تشير إلى معاناته من الاضطهاد المر والاهانة التي لحقت به¹.

مغارة أم مقدس الله!

- سبق أن تمتعنا بمزمور خاص بالمغارة (مز 57؛ 1 صم 22: 1-2؛ 24: 1 الخ).
- هنا في وسط الضيق يكشف لنا المرثل عن سرّ تعزيته وهو أشبه بسجين في المغارة:
1. الله يسمع صرخات القلب [2-1]: أحيانًا تُقدم الصلوات كعبادة (1: 141)، وأحيانًا كمعركة روحية، فيها ينسكب القلب أمام الله، وإن كان يعلم بكل احتياجاتنا. تحوّلت المغارة بالصلاة إلى هيكل للرب.
 2. الله يعرف طريقنا [3]: يشتكي الكل من الفخاخ التي ينصبها عدو الخير في طريقنا خفية لاصطيادنا. لكننا إذ نقبل الرب طريقًا لحضن الآب، نصير في أمان من أيّة فخاخ.
 3. الله يعرف آلامنا [4]: إذ يفارقنا الجميع وسط آلامنا، فلا يستطيعون أن يشاركونا فيها، يحتضننا المخلص ويعزينا. حين يتركنا الكل يعتني هو بنا (1 بط 5-7).
 4. الله هو نصيبنا [5]: إذ نفتني الله نصيبًا لنا، فماذا نحتاج بعد؟
 5. الله يتمجد فينا [6-7]: يحول آلامنا لبنياننا، فنسبجه وسط آلامنا حتى يدخل بنا إلى راحته المجيدة.

1. رفع دعواه 2.-1

2. السقوط في مأزق 4.-3

¹ Sthmeller, P. 202.

3. أنت نصيبي وملجأى 5-6.

4. رجاء وإحسان 7.

العنوان

تضرع لأجل النجاة للاشتراك في القديسين عن التأمل.

لداود حينما كان في الكهف. صلاة.

جاء في العنوان "لما كان في المغارة"، وذلك كما في عنوان المزمور 57. يقدم لنا المزموران فكرة واضحة عن مشاعر داود وأحاسيسه المتغيرة حين كان في محنة. ففي المزمور 57 نراه في منتهى القوة والثبات، في ثقة عجيبة بنصرته الأكيدة في الرب. أما في المزمور 142 فيسكب شكواه أمام الرب وقد صارت روحه في حالة إعياء، يتوقع فخًا منصوبًا له في الخفاء. يشعر بضعف أمام العدو القوي، لكنه لا يفقد رجاءه في الرب الذي حتمًا يحسن إليه. يحمل هذا المزمور نبوة عن ملك الملوك ابن داود الذي احتمل العار كملك بلا تاج أرضي ولا مملكة. كما يحمل نبوة عن الكنيسة التي تعاني من رجسة الخراب، فتهرب إلى الجبال حيث يخفيها الله كما في كهفٍ، ويحميها بقدرته، وهي تصرخ وتطلب خلاصها. إنها صورة للمؤمن الذي يسمح له الله بالضيق، فيشعر كمن في حبس لا حول له ولا قوة، تحوط به الظلمة، وقد صار كمن على حافة الموت، وليس له ملجأ ولا منقذ سوى الرب نفسه.

❖ يظهر شاول بكونه الشيطان، والكهف هو هذا العالم. لا يقدم الشيطان أي شيء صالح في هذا سوى الفذارة والفساد. يرمز الكهف إلى هذا العالم، لأن نوره خافت للغاية إن قورن بنور العالم العتيق، وإن كان الرب بمجيئه إلى هذا العالم بكونه النور جعله ساطعًا بطريقة ملحوظة...

الآن كما أن داود دخل الكهف في هروبه من شاول، هكذا الرب أيضًا جاء إلى هذا العالم، واحتمل الاضطهاد¹.

القديس جيروم

1. رفع دعواه

¹ On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

بصوتي إلى الرب أصرخ.

بصوتي إلى الرب أتصرع [1].

جاء هذا المزمور صرخة من أعماق قلب المرتل، الذي كان يئن لأنه كمن في عزلة، ليس من أحدٍ حوله يشاركه مشاعره، ومع هذا فهو يصرخ.

إنه يعلم تمامًا أن الله يسمع تهديدات قلبه الخفية، لكن المرارة التي في أعماقه دفعته

للصراخ، ولو لم يسمعه إنسان ما. إنه يريد أن يخبر الله عن كل متاعبه وأحزانه.

جاءت كلمة "صوت" في العبرية *qol*، وهي تستخدم في حالة الرعد. فالضيق في

شدتها تهب المؤمن روح القوة ليصلي كمن يردد. يرى القديس جبروم أن النبي يشبه مريضاً اشتد به المرض جداً، فأسرع إلى الطبيب ليكشف له أعراض المرض التي يشعر بها منتظراً منه العلاج.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرتل كثيراً ما يكرر صراخه وتضرعته مرتين

في المزمور الواحد، ليعلم أنه يطلب خلال قوة الروح وأيضاً يقظة الذهن. هكذا يليق بنا أن نصلي بالروح المتقدم، كما بالذهن الواعي، كقول الرسول بولس: "أصلي بالروح، وأصلي بالذهن أيضاً. أرتل بالروح، وأرتل بالذهن أيضاً" (1 كو 14: 15).

❖ "بصوتي إلى الرب أصرخ". كان يمكن الاكتفاء بالقول "بالصوت"، لكن ليس بدون سبب

أضاف ضمير ياء الملكية. فإن كثيرين يصرخون للرب ليس بصوتهم، بل بصوت جسمهم.

ليت الإنسان الداخلي الذي يبدأ يحلّ فيه المسيح بالإيمان (أف 3: 17) هو الذي

يصرخ للرب، لا بضجيج الشفتين، وإنما بوجودان القلب. فإن الله لا ينصت إلى ما يسمعه

الإنسان، لكن متى لا يُسمع صوت الرئتين والوجه واللسان، فلا يسمعك الإنسان، يكون

فكرك هو الصرخة التي توجه للرب...

صرختي هي صلاتي، لا باللغات ولا بالتذمر ولا بالتجديف.

❖ هذا الصوت بالتأكيد ليس صوت من يصارع، بل صوت من يحب؛ ليس صوت الجسد، بل

صوت القلب.

القديس أغسطينوس

¹ On Psalm 142 (141).

² Sermon 206: 1.

أَسْكَبُ أَمَامَهُ شَكْوَايَ .

بِضَيْقِي قُدَامَهُ أَخْبِرُ [2].

ما يعزبه أن الله يعرف حاله تمامًا عندما يشعر بأن كل قوته قد خارت تمامًا.

❖ "أسكب أمامه صلاتي" ماذا يعني "أمامه"؟ في نظره... أين ينظر؟ إنه ينظر حيث لا ينظر

الإنسان. فإن أفكارك لا يراها إنسان، لكن الله يراها. هناك أسكب صلاتك حيث وحده يرى ويكافئك. فقد أمرك الرب يسوع المسيح أن تصلي في الخفاء. فإن عرفت مخدعك ما هو،

وطهرته، هناك صل لله. إنه يقول: "متى صليت، فادخل مخدعك وأغلق بابك، وصل إلى أبك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية" (مت 6: 6).

إن كان البشر سيكافؤونك، صل أمام الناس، وإن كان الله هو الذي يكافئك فاسكب

صلاتك أمامه، وأغلق الباب حتى لا يدخل المجرب...

أغلق باب الخوف والشهوة أمام الشيطان، وافتحه أمام المسيح.

كيف يمكن أن تفتح هذا الباب ذا الثنايا للمسيح؟ بالرغبة (الشهوة) نحو ملكوت

السموات، وبالخوف من نار جهنم.

بالاشتياق إلى هذا العالم يدخل الشيطان، وبالاشتياق إلى الحياة الأبدية يدخل المسيح.

بالخوف من العقوبة الزمنية يدخل الشيطان، وبالخوف من النار الأبدية يدخل

المسيح.

القديس أغسطينوس

❖ "أسكب أمامه شكواي" دون أدنى تحفظ يصرخ النبي: اسكب كل قلبي للرب، كما يكشف

الإنسان جرحه للطبيب، ويخبره عن كل أتعابه، لكي يكتب له العلاج.

"بضريقي قدامه أخبر". هذه هي المحنة التي يرحب بها الرسول، المحنة التي متى

أحصيت مع غيرها تنجب رجاءً، هذا الرجاء بلا إحباط.

القديس جيروم

❖ ألا ترون الروح المتحرر من الاهتمامات الأرضية؟ أقصد أنه لا يجعل البشر ملجأ له، ولا

يتطلع إلى عونٍ منهم، بل يطلب عونًا لا يقهر، ونعمة من الأعلى.

¹ On Psalm 142 (141).

² On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

عندئذٍ إذ يرغب في إيضاح حدة ذهنه وغيرته التي في داخله، قال: "أسكب" بفيضٍ عظيم.

بهذا نتعلم أن التجارب تساهم بقدرٍ ليس بقليلٍ في التمتع بمفاهيم سليمة. هذا هو ثمر الضيق. لئنه لا يتجنبه أحد، فالضيق في الواقع له فائدتان: الأولى يجعلنا أكثر غيرة وبقظة، والثاني أن يكشف عن سبب ليس بتأفه للاستماع لصلاته (الاستجابة لها).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بقوله: "أسكب أمامه شكواي" يعني أن صلاتي غزيرة ووافرة، تنفجر من صميم القلب، ومن حرارة العزم فائرة. لست أشكو أمري للناس، بل أخبر بأحزاني قدام الرب.

الأب أنسيئوس الأورشليمي

❖ "هذه أذكرها فلأسكب نفسي عليّ" (مز 42: 4). يفكر القديس في تلك الأمور الخارجية، فيسكب نفسه على نفسه!

فإنه حين تنسكب النفس على الجسد، قد تخفي ضعفَ جسده، وتستر شهوته

الجسدية، وتسيكن قوة النفس والروح في كل أعضائه (قابل 2 كو 12: 9).

لهذا السبب أيضا يقول في نصٍ لاحق: "أسكب صلاتي أمامه" (مز 142: 2)، فحين

تُسكب الصلاة تُستر الخطايا (قابل مز 32: 1، رو 4: 8)، لكن فيم يفكر؟ يقينًا في تلك

الأمور التي اشتاق إليها، أن يأتي ويتراءى أمام الله (قابل مز 42: 2)، ليعاين مقدس الله السماوي، حيث يسير بالروح، ويُسر بالمشاركة في دخوله.

القديس أمبروسيو

2. السقوط في مأزق

يقدم المرثل مرثاته نائحًا على فقدانه كل راحةٍ بشريةٍ وعونٍ من المحيطين به، وذلك

مثل إرميا (25: 34-35). عوض تقديم العون أخفوا فخًا له لاصطياده.

عِنْدَ مَا أُغِيثَ رُوجِي فِي،

وَأَنْتِ عَرَفْتِ مَسَلَكِي،

¹ On Psalms 142.

² Prayer of David 4:2:8.

فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَسَلُّكَ أَخْفُوا لِي فَخًا [3].

كثيرًا ما يردد المرثل في مزاميره أن العدو يلاحقه، ولا يكف عن تدبير المكائد ضده، ينصب له الفخاخ في الطريق الذي يتوقع أنه يسلك فيه. يرى القديس أغسطينوس أن المرثل قد اشتدت به الضيقة حتى بدت روحه كما في حالة إعياء، وظن المقاومون أنه انهار. لقد أدرك من خلال التصاقه الخفي بالله وانسكاب قلبه وفكره أمامه، أنهم هم الذين سقطوا، وأنه هو قام واستقام (مز 20: 8). إذ عيناه على الرب يهبه الرب أن يخرج قدميه من الشبكة (مز 25: 15). بهذا يصبر إلى المنتهى ويخلص (مت 10: 23).

ما يقوله المرثل ينطبق على حال الشهداء الذين وإن قبض عليهم، وظن الأشرار أن لهم سلطان عليهم، وأنهم قد أخفوا لهم فخًا في الطريق، إذا بالمسيح نفسه هو طريقهم الذي لن يتسلل إليه أي فخ. يقتني الشهداء المسيح نفسه طريقهم، ونصرتهم وإكليلهم!

❖ "في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخًا". الرذائل في الباب المجاور للفضائل. في كل طريق يقرر أن يسلكه توضع له فيه فخاخ، سواء في الصوم أو الصدقة أو أي عمل صالح آخر. القديس جيروم

❖ عندما ترى إنسانًا يائسًا بسبب ضيق، وينطق بكلمات صعبة، لا تحسب أن الضيق هو السبب، إنما ضعف المتكلم هو السبب. إنه لأمر طبيعي بالنسبة للضيق أن يجلب أثرًا مضادًا: الاهتمام وندامة الفكر والسلوك اليقظ وعمق التقوى. لهذا قال أيضًا بولس: "الضيق ينشئ صبرًا، والصبر تركيبة" (رو 5: 3).

فإن كان اليهود قد تدمروا، فالتذمر ليس بسبب الضيق، بل بسبب غباوتهم. فعندما اجتاز القديسون تجربة ما، صاروا في أكثر روعة، وصارت مفاهيمهم أكثر ثباتًا. لذلك قال المرثل نفسه: "خير لي أنك أذلتني، لكي أتعلم فرائضك" (راجع مز 119: 71). وقال بولس: "ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لتلا ارتفع. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني، فقال لي: تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكمل. فبكل سرورٍ لكي تحلّ عليّ قوة المسيح.

¹ On Psalm 142 (141).

² On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأنني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (2 كو 12: 7-10).

ألا ترونه كيف يستيقظ بالأكثر في التجارب، ملتجأً في الله، إلى درجة عظيمة، فيلتصق به بانقادٍ عظيم، حتى عندما يدخل في أعماق المتاعب نفسها. هذا في الواقع ما يعنيه بقوله: "عندما أعيت روعي في"، وبهذا يظهر بالأكثر مملوء غيرة؟¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كل مسلك في الحياة مملوء بالفخاخ. لهذا يقول الإنسان البار: " في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً ". ولهذا يليق بكم أن تسلكوا في الطريق القائل: "أنا هو الطريق والحق والحياة"، فتقولون: إنه يهدي نفسي؛ يقود نفسي في طرق العدل من أجل اسمه .

القديس أمبروسيوس

❖ يقول داود: في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً، بمعنى أنه في طريق الفضيلة التي نسير فيها، حين نطلب جهالة دعوتنا ونفخر بنجاحنا، نغطس، ونسقط ونتورط في فخاخ المجد الباطل².

القديس يوحنا كاسيان

❖ عند فناء روعي مني، أي عندما أشرف على الموت، عندما تفارقني نفسي، ففي وقت الضيق لم أياس. وأنت يا رب عالم بذلك، وتعرف سبلي، كما تعرف الحيل التي يحتال بها أعدائي عليّ، كما يخفون لي فخاً في طريقي.

الأب أنسيمس الأورشليمي

أَنْظُرْ إِلَى الْيَمِينِ،

وَأَبْصُرْ فَلْيَسْ لِي عَارِفٌ.

بَادَ عَنِّي الْمُنَاصُ.

لَيْسَ مَنْ يَسْأَلُ عَن نَفْسِي [4].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "تأملت عن اليمين وأبصرت، فلم يكن من

¹ On Psalms 142.

² Death as a Good, 6: 24.

³ Institutes, 11: 6.

يعرفني. ضاع المهرب مني، ولم يوجد من يطلب نفسي".

يتطلع المرثل إلى اليمين، أي إلى حيث يظن أنه يجد من يعينه ويدافع عنه، فإذا به لا يجد أحدًا. يبدو كأن الكل لا يباليون بما بلغ إليه من حالة بائسة، ليس من يبالي بحياته أو خلاصه من الضيق. إنها صرخة بائسة ومرة: "ليس من يسأل عن نفسي!" أنانية قاسية وخطيرة مع تراخٍ عجيب بخصوص الاهتمام بالغير!

يقدم لنا المرثل نبوة عن السيد المسيح المتألم، وقد فارقه تلاميذه، وبقي وحده! يقصد بالتطلع إلى اليمين ليبصر، أنه في وقت أحزانه يلتفت إلى أصحابه وأخص أصدقائه، فإذا بهم كمن لا يعرفونه، بسبب الخوف من أعدائه يظهر أحباؤه كأنهم لا يعرفونه. هذا ما تحقق تمامًا في ليلة تسليم السيد المسيح ومحاكمته، إذ أنكر بطرس الرسول وأقسم ولعن أنه لا يعرف المسيح، ولا يعرف اسمه.

يرى القديس أغسطينوس أن من يتطلع إلى اليسار يكون أعمى ولا يرى أحدًا أو شيئًا، أما من يتطلع إلى اليمين فيستطيع أن يرى، لكنه ماذا يرى؟ يرى أنه ليس من يعرفه أو يعينه، فيئن لأنه يشعر بأن المهرب ضاع منه. ليس من يستطيع أن يعينه سوى الرب نفسه. يشعر المضايقون له، بأنهم قد حاصروه وتسلطوا عليه، وليس من يعينه، ولا يستطيع أن يهرب منهم. لقد سقط في الفخ الذي نصبوه هذا ما يظنونه. يطلبون حياته، أي يهلكونه، ولم يدركوا أن حياته الحقيقية هي السيد المسيح واهب الحياة!

لقد طلب السيد المسيح من تلاميذه أنهم متى اضطهدهم يهربون بأجسادهم، لكن أرواحهم لن تهرب، لأن حياتهم في الحقيقة هي المسيح نفسه!

❖ إن كنا نفسر المزمور على أنه خاص باسم الرب، فإن الرب نفسه هو القائل: كل تلاميذي تركوني وهربوا، واحد فقط هو الذي بقي، بطرس الذي وعد: "ولو اضطرت أن أموت معك لا أنكرك" (مت 26: 35). مع هذا فهو الذي أنكر ربه. إذ تاب بطرس، قال الرب: "انظر إلى اليمين إليه، ولم يقل أنظر إلى الشمال. "ضاع المهرب مني"، وذلك عندما قبض عليه اليهود. "ليس من يسأل عن نفسي". بالحقيقة كان الكل يصرخون: "اصلبه، اصلبه".

القديس جيروم

¹ On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

❖ هنا يظهر مدى ما عليها الكارثة، فالمشكلة تزداد، وخطط الأعداء تكثر؛ كيف أنهم يقتربون أكثر لكي يصطادوه. أما ما هو أروأ من ذلك، فإنه ليس فقط لا يوجد مساعدون ومناصرون له بالقرب منه، وإنما لا يعرفونه في هذا الوقت. هكذا تكون العزلة، ومدى بُعدهم عنه. حقًا يوجد قلة يقتربون منه ويساعدونه خاصة عندما تصير الكارثة خطيرة. هذا لا يسبب له ضررًا، بل بالعكس يسبب له نفعًا عظيمًا، إذ يجلبه إلى الدخول في علاقة مع الله.

لهذا أيها الأحباء الأعزاء من جانبكم عندما ترون الشرور تتزايد، لا تخور قلوبكم، بل بالأكثر كونوا يقظين. هذا هو السبب الذي لأجله يسمح الله بقيام التجارب، فيهزكم من حالة الخمول، ويوقظكم من النعاس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا حدث حتى لاختبار أيوب. فإن غياب الأصدقاء وسط الألم ليس بالألم الهين. حتى داود تغنى إذ عانى من ألم مشابه. " أنظر إلى اليمين وأبصر، فليس لي عارف (من يهتم بي)" (مز 142: 4).

القديس ديديموس الضريير

3. أنت نصيبي وملجأى

حين يعاني الإنسان من الشعور بالعزلة، ويفارقه كل من كان يتوقع منهم العون، يكتشف أن ملجأه ونصييه هو الرب وحده.

صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ.

قُلْتُ: أَنْتَ مَلْجَأِي

نَصِيْبِي فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ [5].

إذ لا يوجد ملجأ بشري يتجه المرثل إلى الرب نفسه، فهو ملجأ شخصي له. كأن الله يهتم به وحده، أو كأنه لا يوجد في الخليقة آخر غيره.

هذا هو الحب الإلهي يحب الكل فهو إله كل البشرية، ولا يتجاهل أحدًا، ويشعر كل

أحد كأن الله قد كرّس كل إمكانياته من أجله، أنه المحبوب لدى الله، مكانه في أحضانة الإلهية،

¹ On Psalms 142.

² Commentary on Job 6: 15.

واستقراره في قلبه العجيب.

❖ لما كان النبي في حصار هكذا، صرخ إلى الرب قائلاً: أنت رجائي ونصيبِي، ليس فقط في هذا العالم، بل وفي أرض الأحياء، اعني في الدهر الآتي.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

❖ "قلت: أنت عوني". يقول: كل ما هو بشري قد ثبت أنه بلا جدوى. وأن العاصفة تعلو فوق كل عون، فوق كل قياس، تسبب تدميرًا. ومع هذا فإن كان ذلك فوق كل رجاء في التقدير البشري، ونحن في حالة غرقٍ، إلا أن هذا كله سهل بالنسبة لك (الله). لذلك لنستمر في رجائنا ولا نخور.

"نصيبِي في أرض الأحياء"، بمعنى ميراثي وكنزي وثروتي. أنت هو كل شيء في ذاتك...

"في أرض الأحياء"، إنك دائماً سندي، تربطني بك في أرض الأحياء، وعلاقتي بك تصير أكثر التصاقًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض"، أظنها تلك الأرض التي وردت بالمزمور "قلت أنت رجائي، نصيبِي في أرض الأحياء" (مز 142: LXX 5). إنه يعني ثبات الميراث الدائم وقوته. فإن النفس التي في وضع صالح هي في راحة كما في موضعها الخاص بها، وذلك مثل جسدٍ على الأرض يقنات بطعامه من الأرض. هذه هي حياة القديسين المملوءة سلامًا. الودعاء هم الذين يخضعون للشر (الذي للأشرار)، ولا يقاومونه، لكنهم يغلبون الشر بالخير (رو 12: 21). إذن ليحارب المتكبرون ويصارعوا من أجل الأمور الأرضية الزمنية، لكن "طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض" (مت 5: 5). هذه هي الأرض التي لا يمكن استبعادهم منها.

القديس أغسطينوس

أصغِ إليَّ صُراخي،
لأنِّي قد تَدَلَّتُ جَدًّا.

¹ On Psalms 142.

² Sermon on the Mount, 1: 2: 4.

نَجِّنِي مِنْ مُضْطَهَدِي،
لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنِّي [6].

❖ "قد اعتزوا (تقووا) أكثر مني". من الذي قال: "قد اعتزوا أكثر مني؟
جسد المسيح يصرخ؛ إنه صوت الكنيسة أعضاء المسيح، تصرخ: "قد اعتزوا أكثر
مني"، "كثرة الإثم تبرد المحبة الكثيرين" (مت 24: 12) .¹

القديس أغسطينوس

❖ "أصغ إلى طلبتي، لأني قد تذلت جداً..."

الآن بالحقيقة هذه ليست علامة اتهام بسبب ما حدث، وإنما إشارة إلى ألم المتألم
وضعه. فإن نظرت إلى ما تستحقه خطاياها فإن هذا التذلل ليس بالكثير، أما أن تطلعت
إلى ضعف المتألم، فهو ذل شديد تماماً. أعني أن في هذا لا يطلب الله العقوبة بحسب
الجريمة المرتكبة. فإنه وإن بدا الذل غير مُحتمل بالنسبة للمتألم، فهذا ليس بسبب طبيعة ما
حلَّ به، وإنما بسبب ضعف الضحية .²

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أصغ إلى صراخي، لأني قد تذلت جداً". ما لم يتواضع الإنسان، لا يهبه الله الاستماع إليه
بحنو. أي نفع يحقق خلاصاً إن كانت كلمات الصلاة ينطق بها إنسان غليظ الرقبة مع
كبرياء. إن كنا بالحقيقة نفهم أن الرب يقول: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت
11: 29) .³

❖ "نجني من مضطهدي، لأنهم أشد مني". أولئك الذين يحاربون ضدنا لهم قوة أعظم مما لنا.
إنهم رؤساء هذا العالم .⁴

القديس جيروم

4. رجاء وإحسان

أَخْرِجْ مِنْ الْحَبْسِ نَفْسِي،

¹ On Psalm 142 (141).

² On Psalms 142.

³ On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

⁴ On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

لِتَحْمِيدِ اسْمِكَ .

الصَّادِقُونَ يَكْتَفُونَني ،

لَأَنَّكَ تُحْسِنُ إِلَيَّ [7].

في وسط الضيق يشعر الإنسان كأنه سجين الضيق والمرارة. وإذ ينقذه الرب يقدم ذبيحة شكر وحمد له. ويلتصق بالأتقياء، ويلتصقون هم به كجوقة تسبيح، تشكر الله على خلاصه العجيب.

يرى القديس جيروم أن السجن هنا هو الجسد الذي يقاوم بشهواته رغبات الروح. غير أننا نرى كثيرًا من آباء الكنيسة يتطلعون إلى الجسد كخلقة الله مقدس وصالح، ووزنة يجب الحفاظ عليها وتقديسها بالنعمة الإلهية.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرثل صلى لكي لا يدخل في تجربة. ولكن إذا حلت الضيقة احتملها بشكر، وقدم لله حمدًا لاسمه. هذا الشكر وسط الضيق ينزع عنا ثقل خطايانا، وهذا هو نفع أو البركات التي تحل علينا باحتمالنا للضيق بشكر، بجانب أنها تهينا قوة للتضرع إلى الله وطلب معونته، فلا نتراخى، وبالتالي لا نهلك.

يرى القديس أغسطينوس أن عنوان المزمور يشير إلى أن داود النبي كان في الكهف، وكأن السجن هنا هو الكهف الذي كان مختفيًا فيه.

يرى أيضًا أن المرثل كان مشتاقًا أن يخرج من الجسد، لكي تتطلق نفسه إلى السيد المسيح، ذلك بالنسبة له أفضل.

❖ ليت الله يقودنا ويُخرجنا من الجسد، عندما يريد. قيل عن جسدنا إنه سجن، ليس لأن الله خلقه سجنًا، لكنه لأنه صار تحت العقوبة خاضعًا للموت. فإنه يوجد أمران يجب التأمل فيهما في جسدنا: عمل الله، والعقوبة التي صرنا أهلًا لها.

ربما يقصد بقوله: "أخرج نفسي من الحبس"، أخرج نفسي من الفساد...

أخيرًا أيها الإخوة، يقصد كما أظن هكذا: "أخرج نفسي من السجن"، أخرجها من الضيق. فإنه بالنسبة للإنسان الذي في فرح حتى السجن يكون له وسعًا، أما الذي في حزن فالحقل بالنسبة له يكون ضيقًا. فهو يصلي لكي يخرج من الضيق...

إنه ليس الجسد هو الذي يحدر النفس، إنما الجسد الفاسد. ليس الجسد هو الذي يوجد

السجن، بل الفساد^١.

القديس أغسطينوس

❖ الآن ما يقصده هو حررني من المتاعب؛ فإنه يقصد بالحبس شدة المصائب... .

هؤلاء الذين هم غير مبالين وهم في وسع، يبأسون من أنفسهم وهم في الضيق، إذ يصبحون متكاسلين.

أما المرئيل فاستمر في أن يكون يقظاً عندما تتغير الظروف، فلا تجعله التجربة خائر القلب، بل بالحري تقوده للطلبة والصلاة، ولا يسقط بسهولة في الكسل، بل تقوده أيضاً للشكر...

يقول: هذا أيضاً نافع حتى للصديقين، فإنهم سيفرحون ويُسرون ويثبون في تهليل، إذ يروا تحرري من الضيق.

نفوس الصديقين كما ترون تحزن مع الذين يتضايقون، ولا يحسدون الذين يصيرون في نجاح، بل يفرحون ويشاركونهم سعادتهم وشبعمهم^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أخرج من الحبس نفسي لتحميد اسمك"، أي من حبس جسدي.

"لتحميد اسمك"، أي لكي أمدج بالتسبيح اسمك كما فعل الرب: "أحمدك أيها الآب" (مت 11: 25).

"الصديقون يكتنفونني، لأنك تحسن إليّ" يقول الرب: الرسل يكتنفونني (ينتظرونني) حتى أقوم من الأموات^٣.

القديس جيروم

❖ أخرج من السجن نفسي؛ لقد أراد النبي أن يُعتق من الجحيم^٤.

القديس قيصريوس من آرل

من وحي المزمور 142

¹ On Psalm 142 (141).

² On Psalms 142.

³ On Psalms, homily 52 on Ps 141 (142).

⁴ Sermon 93: 5.

إلهي، مصدر تعزياتي!

❖ قد نلتزم بالهروب كما في مغارة، حتى نهرب من الأعداء.

نهرب لئلا يرانا العدو،

الذي لن يكف عن نصب الفخاخ لنا.

لينصب فخاخه المخيفة كما يشاء.

وقد تضطرب نفسي جداً.

لكن وسط مرارة نفسي تعزياتك تملأني رجاءً.

في وسط سجن الضيقات،

لن أنسى حنان رئيس الكهنة قد سجنك مقيداً.

يا لغباوته! يسجن من لا تسعه السماء والأرض.

مددت يدك للقيود،

وسرت إلى السجن بإرادتك.

فتلتقي بي أنا السجين لضعفي وأخطائي!

التقي بك يا نور العالم في وسط ظلمة السجن.

تتعزى نفسي بك،

وأحسبها مطوية، لأنها تلتقي بالسماوي القدير والمحمر!

❖ في ضيقي أصرخ إليك،

مع أنك تسمع أنات القلب

مهما بدت صامته وخفية.

ترعد نفسي في الداخل،

ويصرخ ذهني ملتمساً عونك.

إني أعلم أنك لا تطلب ضجيج الشفتين،

لكنك تميل لتسمع صرخات القلب الصامتة.

❖ أسكب شكواي أمامك،

مع أنك تعلم كل دقائقها دون أن أنطق بكلمة.

أكشف جراحاتي لك، يا أيها الطبيب الإلهي.

لست أشكو لإنسانٍ ما، إنما أنسكب أمامك.

ترتفع نفسي كما إلى مقدسك السماوي.

❖ يراني العدو في وسط الضيق، فيظن إني هلكت.

حقاً يبدو عليّ كأنني قد أشرفت على الموت.

لكنني التصق بك، فأقوم وأحيا.

أما العدو فبكبديائه يسقط ويهلك.

❖ في ضعفي البشري أنظر إلى اليمين.

أنظر إلى من أتوقع منهم عوناً،

فإذا لم أجد من يعرفني.

هربوا وقت الضيق، وتركوني وحدي.

ليس من صديق ولا رفيق،

حتى أبي وأمي قد تركاني.

من أجلي وقت ضيقك سمحت أن يتركك الجميع.

لكنك أنت مع الآب واحد معه في ذات الجوهر.

أما أنا في ضيقي، فأراك وحدك،

تبسط يديك لي، لتضمني في صدرك.

بينما يظن العدو أنني سقطت في فخه،

إذا بي اكتشف بالأكثر، أنني اثبت فيك أنت حياتي.

❖ إذ تركني الكل وجدت من هو أعظم من الكل.

عزلتني دفعتني للالتصاق بك، يا سندي وخلصي.

عزلتني هزتني لأتخلص من خمولي ونُعاسي!

في عزلتني أدركت أنك نصيب نفسي.

قلت مع إرميا النبي:

"نصيبي هو الرب، قالت نفسي".

وقلت مع المرتل:

"أنت ملجأئي، نصيبي في أرض الأحياء".

هذا هو وطني،

الموضع الذي لن يستطيع العدو أن يقترب إليه.

من يدخله لا يقدر أحد أن يسحبه منه.

❖ لك المجد يا أيها المخلص العجيب.

سمحت لي بالدخول في ضيق،

فتشتهي نفسي الانطلاق بفرح إلى الوطن السماوي.

التقي بك وأحيا معك إلى الأبد.

المزمور المئة والثالث والأربعون

صرخة جندي روي في المعركة

يُعتبر هذا المزمور الأخير في مزامير التوبة السبعة، ربما بسبب ما ورد في الآية 2. وهو يمثل صرخة تصدر من أعماق القلب إلى الله الأمين في عوده والبار، حافظ العهد لشعبه. يكشف المرتل عن حزنه الداخلي والخارجي، مشتاقاً إلى معونة الله التي توهب لعبيده الأمانة. غالباً ما كتب داود النبي هذا المزمور حين كان أبشالوم ابنه متمرداً عليه، ويطلب قتله. إنه صرخة جندي متألم وسط معركة روحية.

1. أصغ إلى تضرعاتي 1-6
2. أجبنا يا رب 7-9
3. علمنا أن نعمل رضاك 10
4. أحيانا 11-12

العنوان

مزمور لداود

جاء عن الترجمة السبعينية: "داود، إذ كان ابنه (أبشالوم) يطارده".

❖ عنوان المزمور هو: "داود عندما كان ابنه يطارده". نحن نعلم من أسفار الملوك (2 صم 15) أن هذا قد حدث... لكن يلزمنا أن نعرف هنا داود الحقيقي، القوي في معونته... وهو ربنا يسوع المسيح. فإن كل هذه الأحداث التي تمت في الماضي كانت رموزاً لأموح عديدة. لبيتنا نبحت في هذا المزمور عن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي يعلن عن نفسه مقدماً في نبوته، ومخبراً مسبقاً ما كان يجب أن يحدث خلال أحداث سابقة منذ زمن بعيد. فقد سبق فأعلن عن نفسه في الأنبياء، إذ هو كلمة الله... ليتكلم ربنا، وليكن المسيح معنا.

القدس أغسطينوس

1. أصغ إلى تضرعاتي

يا رب اسمع صلاتي،

¹ On Psalm 143 (142).

وَأصنعُ إِلَى تَضَرُّعَاتِي.

بِأَمَانَتِكَ اسْتَجِبْ لِي بِعَدْلِكَ [1].

يبدأ المرتل زموره طالبًا من الله أن ينصت إلى صلاته وتضرعاته، لا من أجل برٍ ذاتي فيه، وإنما من أجل أمانة الله. فقد وعد أن ينصت إلى عبيده الذين ليس لهم من يدافع عنهم، وهو أمين في وعده. يليق بنا أن نتحدث معه بكل صراحة، فليس من يعيننا غيره. في تعليق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة يسألنا أن نهتم كيف نقدم صلواتنا وتضرعاتنا إلى الله، بالاقتراب إليه كما يليق به. فالأمر لا يحتاج إلى كفييل يضمنا أمام الله عندما نصلي، وإنما أن نتقدس ونتهيأ للقاء معه.

❖ ليس لكم كفييل يقدم طلبتكم.

عندما يقترب الملك تكلّموا، وترقبوا اللحظة المناسبة.

متى يقترب الملك؟ على الدوام!

وما هي اللحظة المناسبة؟ عندما تريدون، عندما تتأهلون لذلك.

لقد أمر اليهود أن يأخذوا موضعهم عند سفح الجبل ليظهروا أمام الله، ملتحفين بثياب بيض، وممتنعين عن الاقتراب من امرأة (خر 19: 10-19). فمن جانبكم أنتم اغسلوا نفوسكم عوض ثيابكم، واقربوا بضبط نفس وتواضع وبغير تسرع، وتقربوا إلى الله إن كنتم تريدون نوال ما تسألونه.

هذا الاقتراب لا يكلفكم الكثير. خذوا الفضيلة معكم كمثونة لكم في رحلتكم إليه.

أين يعمل هذا الملك؟ بالقرب من القلب المنسحق. اسلكوا الطريق، فإن "الرب قريب

لكل الذين يدعونه بالحق" (مز 145: 18) كما يقول الكتاب المقدس. إنكم تجدونه هناك، سنتقون به هناك.

هو قريب من الذي يكسر خبزًا للفقير ويمارس الصدقة. إن سلكتم هذا الطريق تجدونه مستعدًا لسؤالكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذه كلمات إنسانٍ يتوق. "في حَقِّكَ"، أي في مسيحك بالطبع القائل: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو 14: 6).

¹ On Psalms 143.

"استجب لي بعدلك" هنا أيضاً "بمسيحك"، فإنني لست أتكلم على نفسي، بل أبحث عن الرحمة التي لحقك وعدلك .

القديس جيروم

وَلَا تَدْخُلْ فِي الْمَحَاكِمَةِ مَعَ عَبْدِكَ،
فَإِنَّهُ لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ [2].

ربما يظن البعض أن هذه العبارة تضاد العبارة السابقة، فقد سبق فطلب المرثل من الله أن يستجيب له ويحقق طلبته بناء على عدله الإلهي، بينما يقول هنا أنه لن يتبرر أو يتزكى أمامه حي، لذا يسأله ألا يدخل معه في المحاكمة. كيف بعدله الإلهي تتحقق طلبته، وفي نفس الوقت بعدله لن يتبرر؟

يجيب الأب أنسيمس الأورشليمي قائلاً: إن عدل الله في هذا العالم مقترن بالرحمة، لذلك مراراً يُقال عن العدل إنه رحمة.

ففي تأديب الله للإنسان في هذا العالم، وإن تم ذلك عن العدل الإلهي، غير أن الله في تأديبه يحتنا على التوبة، وهذا من قبيل رحمته.

ربما لذات السبب كثيراً ما يُقال عن عدل الله "برّ الله"، لأن عدله في هذا العالم مقترن برحمته.

يطلب المرثل من الله ألا يحاسبه حسب عدله دون رحمته، وإلا سقط مع كل المؤمنين في كارثة. لأن الجميع خطاة، ولن يستطيع أحد أن يبلغ البرّ اللائق، لذا يلجأ المرثل إلى نعمة الله.

❖ "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك". كيف يعلن النبي بوضوح ثقته في حنو المسيح المملوء حباً عندما يقول: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك"! هنا يبدو كأن إنساناً يعبر في محاكمة في حضرة الله والنبي، وذلك كما ورد في المزمور الخمسين (51) "لكي تتبرر في أقوالك، وتغلب إذا حوكت" (مز 50: 6 LXX). فإنه ليس من سبب آخر لدخول الله في محاكمة سوى أنه يحكم بعدلٍ. هذا ما فعله كورش ملك مادي وفارس في حالة ملك أرمينيا عندما كسر شعبه رباطات الصداقة. حارب كورش الملك وهزمه وسجنه، وعند محاكمته كانت زوجته وأولاده وأقاربه حاضرين المحاكمة للتأكد من تحقيق العدالة سواء في معاقبته أو

¹ On Psalms, homily 53 on Ps 142 (143).

تبرئته .

"فإنه لن يتبرر قدامك حي". هو "إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، ليس إله أموات، بل الأحياء" (لو 20: 37-38). فالآباء (البطاركة) لا يتبررون في عيني الله، والكواكب ليست ظاهرة في عينيه (أيوب 25: 5) .

القديس جيروم

❖ يحزن جميع القديسين بتعهدات يومية من أجل ضعف طبيعتهم هذا. وبينما هم يستقصون أفكارهم ومكونات ضمائرهم وخلواتهم العميقة، يصرخون متضرعين: " لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2)...
ها أنت ترى إذن كيف يعترف جميع القديسين بصدق أن جميع الناس كما هم أيضاً خطاة، ومع ذلك لا ييأسون أبداً من خلاصهم، بل يبحثون عن تطهير كامل بنعمة الله ورحمته...

لا يوجد أحد، مهما كان مقدساً، في هذه الحياة بلا خطية. وقد أخبرنا أيضاً تعليم المخلص الذي منح تلاميذه نموذج الصلاة الكاملة...، إذ يقول: "واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" (مت: 6: 12).

إذن إذ قدم هذه كصلاة حقيقية يمارسها قديسون، كما يجب أن نعتقد دون أدنى شك، من يمكنه أن يبقى عنيداً ووقحاً ومنتقحاً بكبرياء الشيطان، فيظن أنه بلا خطية .

الأب ثيودور

❖ من يتبرر في عيني الله، إن كان طفل ابن يومٍ واحدٍ لا يقدر أن يكون طاهراً من الخطية (أي 14: 5 LXX)، ولا يقدر أحد أن يتمجد في استقامته ونقاوة قلبه؟-

القديس أمبروسيوس

❖ "أنت تحصي خطواتي، ليست خطية واحدة من خطاياي تهرب منك" (أي 14: 16 LXX).
يقول: أود أن أخلص، لأني أنا عمل يديك، وليس لأني بار بأيّة كيفية، ولا لأني أطلب العدالة منك، ولا لكي تنسى آثامي، فإنه ليس من الممكن لأي ذنب أن يهرب منك.

¹ Xenophon: Cyropaedia 3: 1.

² On Psalms, homily 53 on Ps 142 (143).

³ Cassian: Conf., 23: 16-18.

⁴ Death as a Good, 11: 49.

- ❖ إذ قد تعلمنا هذا كله، ليتنا لا نياس، حتى إن كنا نرتكب خطايا... عالمين أنه بمثابة الروح يمكننا نحن غير المستحقين أن نصير مستحقين للأخذ. حتى وإن لم يكن لنا وسيط يعيننا لا نخور، عالمين أن لنا مدافعاً عظيماً هو الذهاب إلى الله نفسه بغيرة عظيمة.
- ❖ لا شيء يجعل أعمالنا الصالحة بلا فائدة وباطلة إلا إن تذكرناها حاسبين في أنفسنا أننا ن صنع صلاحاً.
- ❖ اعترف أنك بالنعمة تخلص، حتى تشعر أن الله هو الدائن... ف إن أسندنا لله (أعمالنا الصالحة) تكون مكافأتنا عن تقاضنا أعظم من المكافأة عن الأعمال نفسها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ يقول الكارز الناطق باسم الحكمة الإلهية: "لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ" (جا 7: 20). وأيضاً: "من يقول إني زكيت قلبي" (أم 20: 9)، وليس أحد طاهراً من خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض.
- بصر داود على نفس الأمر حين يقول: "بالآثام حبل بي، وبالخطية ولدتني أمي" (مز 51: 5). وفي مزموه آخر: "لن يتبرر قدامك حي" (مز 143: 2). هذه العبارة الأخيرة يحاولون شرحها بعيداً عن قصدها، قائلين بأن معناها هو أنه ليس إنسان كاملاً بالمقارنة مع الله. لكن الكتاب المقدس لا يقول: "بالمقارنة معك لا يتبرر إنسان حي". وعندما يقول "قدامك"، يعني أن أولئك الذين يبدون قديسين للبشر، هم بالنسبة لله في كامل المعرفة التي له ليسوا قديسين. لأن الإنسان ينظر إلى المظهر الخارجي، وأما الرب فيتطلع إلى القلب (1 صم 16: 7). بالنسبة لنظر الله الذي يرى كل الأشياء والتي تنكشف له أسرار القلب لا يتبرر إنسان.

- ❖ دعي أيوب وزكريا واليصابات أبراراً، وذلك بالبرّ الذي يمكن أن يتغير إلى عدم البرّ، وليس بالبرّ الذي لن يتغير، الذي قيل عنه: "أنا الله، لا أتغير" (مل 3: 6).

القديس جيروم

- ❖ ربما يسأل أحد: أما يتعارض [ما ورد في أفسس: "لنكون قديسين وبلا لوم قدامه" (أف 4: 1)] مع القول النبوي: "لن يتبرر قدامك أحد" (مز 143: 2)...؟ يجيب لنلجأ إلى

¹Letter 133 to Ctesiphon, 2.

²Against the Pelagians, Book 1: 15.

المعنيين في النبوة، فإنه ليس أحد يتبرر أمام عيني الله في كل الأمور عبر كل حياته، لأنه حتمًا يخطئ أحيانًا. ولكن هذا لا يمنع من أن البعض في أوقات معينة يكونون قديسين وبلادوم قدامه (أف 1: 4)، إن صاروا هكذا خلال إصلاحهم.

العلامة أوريجينوس

لَأَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ اضْطَهَدَ نَفْسِي.

سَحَقَ إِلَى الْأَرْضِ حَيَاتِي.

أَجَلَسْتِي فِي الظُّلْمَاتِ،

مِثْلَ الْمَوْتَى مُنْذُ الدَّهْرِ [3].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "لأن العدو اضطهد نفسي، وأذل في الأرض

حياتي".

ما أصعب على نفس داود أن يحتل ابنه المحبوب لديه بأشالوم مركز العداوة، فيستخدم كل وسيلة لا ليغتصب منه كرسي الحكم فحسب، بل ويطلب نفسه، أي يقتله ويذله أمام الشعب والجيش. لا ينكر النبي أنه اضطرب وصار كمن يجلس في الظلمات مثل الموتى. صار المرتل في موقفٍ خطيرٍ. صار كمن في ظلمة القبر، كالميت ليس من يسنده أو يترجى إنقاذه.

ما هو هدف عدو الخير من مقاومته للمؤمن؟ إن يسحقه إلى الأرض، وأن يجلسه في الظلمات مثل الموتى! إن كان السيد المسيح يود أن يحملنا إلى سماواته، فإن عمل عدو الخير أن ينزل بنا إلى الأرض، ويربط أذهاننا وقلوبنا بالأرضيات لا السماويات. وإن كان السيد المسيح هو شمس البر الذي يشرق على الجالسين في الظلمة، فإن عدو الخير يود أن يعزلنا عنه، فنحدر كما إلى القبور حيث ظلمات الشر والخطية.

يرى القديس أغسطينوس أن عدو الخير اضطهد السيد المسيح ليجلسه في الظلمات، ويجعله مع موتى العالم الذين يموتون بسبب خطاياهم. لقد قبل السيد هذا الاضطهاد لكي بإرادته وليس بسبب خطية ما ارتكبتها، يموت عنا، فيحررنا نحن الذين صرنا موتى العالم بسبب خطايانا.

لا يزال عدو الخير يضطهد الكنيسة جسد المسيح، لكي يجلس الكل في ظلمات الجحيم بكونهم موتى العالم، لكن من يلتصق بالسيد المسيح، يموت بالجسد، ويتمتع بالقيامة

¹ Ep. To Ephesians.

خلال صلب المسيح وموته وقيامته!

❖ "لأن العدو قد اضطهد نفسي، سحق إلى الأرض حياتي". هنا نحن نتكلم؛ هنا يتكلم الرأس عنا. واضح أن الشيطان اضطهد كل من نفس المسيح ونفس يهوذا، والآن أيضاً لا يزال الشيطان يضطهد جسد المسيح، ومن يخلف يهوذا أيضاً... ماذا يطلب من كل من يضطهدنا إلا أنه يسعى ليجعلنا نفقد رجاءنا السماوي... ونخضع لمضطهدنا ونحب الأرضيات؟

"أجلسني في الظلمات، مثل الموتى منذ الدهر". هذا تسموعونه بالأكثر من الرأس، تتركونه بالأكثر بالنسبة للرأس. فإنه بالحقيقة مات لأجلنا، ومع هذا فهو ليس بأحد الذين ماتوا من العالم. لأنه هم موتى العالم؟ وكيف لم يكن أحد موتى العالم؟ موتى العالم هم أولئك الذين ماتوا عن استحقاقهم، فقبلوا جزاء إثمهم، نالوا الموت كثمرة الخطية التي انتقلت إليهم، كما قيل: "بالآثام حبل بي" (مز 51: 5)...

أما هو فيموته قال: إني اتمم مشيئة أبي، لكنني لست أستحق الموت. لم أفعل شيئاً لأموت. إنما هذا من عملي أن أموت لكي يموت البار يتحرر أولئك الذين يلزم أن يموتوا.

القديس أغسطينوس

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن من يسقط في فخاخ عدو الخير، يحرم نفسه من شمس برّ، ويجلس في الظلمات كالميت، وتصير روحه في حالة إعياء ويتحير قلبه في داخله، فلا يجد راحة، لا يستطيع أن يتحدث معه أحد كي يعزيه. عمل عدو الخير أن يُفسد البصيرة، فلا نستطيع التطلع إلى شمس البرّ.

يقول أيضاً القديس يوحنا الذهبي الفم عن هؤلاء الساقطين في يأس الخطية [لن يكون لهم سلام، ولا روح متحررة من القلق، بل بالحري يصير لهم الوقت عصيباً أكثر من أي محيط. لا يجدون نهاراً وليلاً يعفيهم من العاصفة. إنها تضربهم من كل جانب، حتى وإن لم توجد أي قلائق من الخارج، وكأن العدو مقيم في داخلهم. فإنهم لا يتمتعون بما نالوه فعلاً، ويهلكهم القلق مما لم يحدث لهم بعد، معذبون وقلقون في كل الأمور، محبون للاستطلاع نحو ما يتمتع به كل أحد من خير، تتألم أذهانهم لنجاح كل إنسان، يفزعون عندما يمدح إنسان آخر، يُكروهون الغير على عمل معين الخ.].

¹ On Psalm 143 (142).

❖ "لأن العدو قد اضطهد نفسي". بينما يمكن أن يفهم ذلك بخصوص شاول، إذ كان عدوًا وكان يتعقبه، يُمكن أيضًا أن تُفهم بمعنى روعي عن العدو الذي هو الشيطان. إنه لا يكف عن تعقبه للذين ينتمون لله. كيف يمكننا التخلص من هذا التعقب؟ إن كنا نجد موضعًا لا يقدر أن يدخله. قد تسأل: وما هو هذا الموضع؟ أي نوع من المكان سوى السماء؟ وكيف يمكننا الصعود إلى السماء؟ أنصت إلى كلمات بولس مظهرًا ذلك، فإننا وإن كنا مرتبطين بالجسد، غير أننا نستطيع أن نعيش هناك: "اطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو 3: 1)، وأيضًا: "سيرتنا نحن هي في السماوات" (في 3: 20).
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "لأن العدو قد اضطهدني" لا حاجة لتوضيح هذا، فإن الكل يعرف أن العدو هو الشيطان. "سحق في الأرض حياتي". قبلاً كان لي جناحان واستطعت أن أطيرو. أما الآن فإن العدو يضطهدني وبأسرني، وقد قيّد قدمي ويدي. إنني مثل طائر اصطاده إنسان، إنه أشبه بميت لا حرية لجناحيه. هكذا يقول المرتل، فإن الشعور بخطاياي قد أسرني. "أجلسني في الظلمات مثل الموتى منذ الدهر". مثل أولئك الذين ماتوا منذ زمن بعيد، وإن كانوا ليس بالحقيقة هم أموات. كيف هذا؟ لأنه منسحق القلب، إن أخطأ أحد ولم يتب فهو ميت منذ زمن طويل. إنه لا يشبه هؤلاء الموتى، بل بالحقيقة هو ميت. هذا ما أراد العدو أن يضمه في حالتي، ألا أندم على خطاياي التي حثني على ارتكابها.

القديس جيروم

❖ للمذلة أنواع كثيرة، منها مذلة صالحة وهي التي يذل بها الإنسان ذاته متواضعًا. ومنها التي يُذل بها الإنسان بسبب كبريائه، وكما قال ربنا: إن ارتفع يتذلل ويتواضع. ومنها المذلة بسبب مصائب الدهر، فيُذل الإنسان ويُهان. وأيضًا يُذل ويتواضع من فعل الخطية.
الأب أنسيمنس الأورشليمي

¹ On Psalms 142.

² On Psalms, homily 53 on Ps 142 (143).

أَعِيَتْ فِي رُوحِي.

تَحَيَّرَ فِي دَاخِلِي قَلْبِي [4].

شعر المرتل أنه قد بلغ إلى أقصى درجات المرارة، فقد صارت نفسه في حالة إعياء، في عجز تام؛ وفقد قلبه حيويته، وصار كمن في حالة لاشعور.
بإرادته قبل السيد المسيح الموت، واجتازه حقاً، لكي يقيمنا معه. لقد صرخ: "نفسي حزينة جداً حتى الموت".

❖ تذكروا: "نفسي حزينة جداً حتى الموت" (مت 26: 38). هنا نسمع صوتاً واحداً. ألا نرى بوضوح الانتقال من الرأس إلى الأعضاء، ومن الأعضاء إلى الرأس؟

القديس أغسطينوس

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقَدَمِ.

لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكِ.

بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ [5].

يقصد بأيام القدم معاملات الله معه ورعايته له في الماضي، وأيضاً معاملاته مع المؤمنين. مثل كل رجال الله في العهد القديم يجد المرتل رجاءه في الرب خلال عودته مع آباءه. "تصنع الأمانة ليعقوب، والرأفة لإبراهيم، اللتين حلفت لآبائنا منذ أيام القدم" (مي 7: 22). أما مؤمنو العهد الجديد، فمع تذكرهم لمعاملات الله ووعوده مع رجال الله، يمثلون رجاءً في المسيح يسوع، الذي فيه تحققت الوعود الإلهية مع الآباء، وتحققت غاية الناموس، كقول الرسول: "لأن غاية الناموس هي المسيح للبرِّ لكل من يؤمن" (رو 10: 4).
يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرتل يتأمل في أيام القدم من خلال الكتاب المقدس، حيث يقدم لنا معاملات الله مع المؤمنين الأولين، فيمتلئ رجاءً. لذلك يقول الرسول بولس أيضاً: "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب. الذي في البرِّ" (2 تي 3: 16).

ويرى القديس أغسطينوس أن السيد المسيح قد قبل الآلام حتى أعيت فيه روحه لكي بألامه الحقيقية النابعة لا عن خطية ارتكبتها، بل عن خلاصه وحبه لنا، فإننا نحن بدورنا نشاركه آلامه بكل حب، ونلهج بأعماله، ونتأمل بصنائع يديه في إيداعه بخلقنا وخلصنا.

¹ On Psalm 143 (142).

❖ "تذكرت أيام القدم" إنني أتذكر الأيام التي عبرت، وكيف كنت في ثقة، أما الآن فأنا في ليل كلي السواد .

القديس جيروم

بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ .

نَفْسِي نَحْوَكْ كَأَرْضٍ يَابِسَةٍ . سِلاَهُ [6].

في المزمور السابق يتحدث المرثل عن بسط يديه كذبيحة مسائية. هنا يبسط يديه ليعلن عطش نفسه إلى الله، إنها كأرض يابسة تترقب مطر الروح القدس يرويهها ويحولها إلى فردوس إلهي.

إذ نلتصق بالمصلوب نبسط أيادينا معه، لكننا لا نحمل مطرًا، إنما نعلن عن عطشنا إليه فيروينا بنعمته، ونحمل ثمر الروح.

❖ يقول: "بسطت إليك يدي". نفسي نحوك كأرض يابسة". أمطر عليها، لكي تجلب ثمرًا صالحًا. "الرب يعطي عذوبة، وأرضنا تعطي غلتها" (راجع مز 85: 12). إنني ابسط يدي إليك، نفسي أرض بلا ماء نحوك وليس نحوي أنا. أستطيع أن أعطش إليك، لكنني لا أستطيع أن أروي نفسي .

القديس أغسطينوس

❖ "بسطت إليك يدي" مظهرًا للمشاعر العميقة التي في قلبه، فإنه كمن يثب من جسده ويجري إليه. فإذا يُوحى إليه يجمع أعمال الله العظيمة، ويتأمل في كل حنوه والتعاليم التي ينتفع بها من ضيقاته...، فيجد ملجأ فيه .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "بسطت إليك يدي". إذ أنا مقيد بواسطة العدو لم أستطع أن أفعل شيئًا سوى التوبة عن خطاياي ورفع يدي إليك متوسلاً. "تعطش نفسي إليك مثل أرض جافة". كم تصير الأرض ظمأنة وفي حالة جفاف، فتتلمس المطر، هكذا نفسي تتوق وتعطش إليك أنت إلهها .

¹ On Psalms, homily 53 on Ps 142 (143).

² On Psalm 143 (142).

³ On Psalms 143.

⁴ On Psalms, homily 53 on Ps 142 (143).

القديس جيروم

❖ تذكر أعمال الله في الأيام السابقة، ومعونته للمظلومين، يعزي الحزاني، ويحثهم على بسط أيديهم للتضرع لله، ويبعث الرجاء في نفوسهم، ويحثهم على الاتكال عليه.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ فإذا شئتم أن تعود إليكم الحرارة التي فارقتكم، فهذا هو ما ينبغي أن تفعلوه: ليقطع الإنسان عهداً بينه وبين الله، وليقل في حضرته: "اغفر لي ما صنعته في تهاوني"، وأيضاً: "الن أعود أعصاك بعد".

ولكي يحفظ نفسه في المستقبل من كل تهاونٍ يجب عليه ألا يتعلق أبداً بأدنى راحةٍ جسديةٍ أو نفسيةٍ، بل ليكشف أفكاره أمام الرب نهاراً وليلاً، وليبك بلا انقطاعٍ أمام الرب، وليبكت نفسه بكل حزنٍ قائلاً: "كيف صرتٍ متهاوناً حتى الآن؟ كيف بقيتٍ مقفرةً كل هذه الأيام؟"

ولكي يتذكر دائماً الدينونة والملكوت الأبدى، عليه أن يبكت نفسه باستمرار قائلاً لها: "كيف؟! لقد أجزل الله لكِ كل هذه الكرامات وأنتِ تعيشين في التهاون؟"

لقد أخضع لكِ الخليفة كلها وأنتِ لا تكونين مطيعة؟!"

فمتى قال لنفسه ذلك، مبكناً إياها نهاراً وليلاً وفي كل ساعة، تعود إليه الحرارة الإلهية سريعاً، ولكنها حرارة أفضل من كل وجهٍ من الأولى.

لما شعر الطوباوي داود بالضجر ينهال عليه قال: "تفكرتُ في أيام، القدم في السنين الدهرية، وكنتُ أتأمل" (راجع مز 5-6). وأيضاً: "تذكرتُ الأيام الأولى ولهجتُ في كل أعمالك، وفي صنائع يديك كنتُ أتأمل، بسطتُ إليك يدي، صارت نفسي لك مثل أرضٍ بلا ماءٍ" (مز 143: 5-6).

فمتى استعدت الحرارة داخلك، تفرغ للهذيذ بعظام الله، وحينئذٍ ستخلص بنعمة الأب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور آمين .

القديس مقاريوس الكبير

2. أجبنا يا رب

أسرع، أجبني يا رب.

¹ الرسالة السابعة، 5-6 (فردوس الآباء).

فَنِيْتُ رُوحِي.

لَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي

فَأَشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ [7].

كثيراً ما يردد المرتل كلمة "أسرع"، فهو في حالة طوارئ مستمرة، يطلب النجدة السريعة، فقد صار كمن على أبواب الموت. ومن جانب آخر، ففي دالة يطلب من الله سرعة التصرف.

إذ يتأنى الله في الاستجابة، نطن أنه حجب وجهه عنا. لذلك يسأله المرتل ألا يحجب وجهه عنه مهما كانت خطاياه، فإن في هذا موت له! كثيراً ما نشعر كأن الله قد حجب وجهه عنا، لكن كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن السبب الحقيقي في هذا هو خطايانا، كما قيل بإشعياء النبي: "ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص، ولم تنقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" (إش 59: 1-2). يسقط الخاطئ كما في جب، فيحتاج إلى حبال الكتاب المقدس كي تربط إرادته، وترفعه من الجب.

يدعونا الذهبي الفم إلى تحقيق ذلك قائلاً: [إن كنا بعد السقوط لا يخور قلبنا ولا نياس، بل نغني لأنفسنا بهذه الكلمات الموحى بها: "هل يسقطون ولا يقومون" (إر 8: 4). وأيضاً: "اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم، كما في مريية" (مز 95: 7-8). لنربط أنفسنا بهذه الأفكار ونسحب أنفسنا (من الجب)].

❖ "أسرع، اسمعني يا رب". فإنه ما الحاجة بعد إلى التأجيل لإلهاب عطشي، إن كنت أنا بالفعل هكذا بغيرة أعطش (إليك)؟

لقد أرجأت المطر، لكي ما أشرب، وأشرب من فيضك الذي كنت أرفضه. إن كنت أرجأته لهذا السبب، فالآن لتبهني المطر، فإن روحي قد فنيته. دع روحك يملأني. هذا هو السبب أن تسرع وتسمعني. الآن أنا مسكين بالروح، هب لي أن أطوب في ملكوت السماوات (مت 5: 3)...

"لا تحجب وجهك عني"، فإنك تنزعه عني عندما أتكبر.

مرة كنت في حالة شبع، وفي شبعي انتفخت. في شبعي قلت لن أتزعزع، ولم أدرك

¹ On Ps. 143.

بِرَّكَ، ومساندتك لي.

لكنك يا رب بمشيئتك وهبت قوة لجمالي. قلت في شعبي لن أتزعزع، مع أن من عندك ما هو لدي من شيع، ولكي تؤكد لي أن ما لدي هو من عندك حجبت وجهك عني فارتعبت (مز 30: 6، 7). بعد هذا الرُعب طُرحت، لأنك حجبت وجهك عني.

بعد ضجر روحي، اضطرب في قلبي في داخلي، لأنك حجبت وجهك عني، وصرت مثل أرض يابسة نحوك. لا تحجب وجهك عني!

حجبتك عني حين كنت متكبرًا، رده لي فإني الآن في مذلة.

إن حجبتك عني، أصير مثل من يهبط في الجب...

لا تسمح للجب أن يغلق فمه عليّ.

القديس أغسطينوس

❖ "أسرع، اجبني يا رب. فنيت روحي". ماذا يقول؟ هل تحت الطبيب نحو تقديم علاجه؟ لا! بل هذه هي عادة الأرواح التي تنن من التجربة، فالذين يتألمون يستعجلون الأطباء، حتى وإن كانت الوقت لم يحن بعد، حتى يقدموا لهم الراحة سريعًا. يقدم المرثل السبب للاستعجال "فنيت روحي". الله الذي بالطبع قادر أن يقيم حتى الأموات يستطيع بالأكثر أن يفعل هذا قبل الموعد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أسرع، اجبني يا رب، فقد فنيت روحي". نفسي فقد وعيها في داخلي، جسدي فني في، بقيت روحي وحدها... يا رب تعطف عليّ.

القديس جيروم

أَسْمِعْنِي رَحْمَتَكَ فِي الْعِدَاةِ،

لَأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ.

عَرَفَنِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَسَلْتُكَ فِيهَا،

لَأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي [8].

يريد أن يسمع صوت الرب، فإن كلماته حلوة ومُشبعة، لأنها تعلن عن حب الله وحنوه

¹ On Psalm 143 (142).

² On Psalms 143.

³ On Psalms, homily 53 on Ps 142 (143).

ورحمته.

القيادة الإلهية لا غنى عنها، فإننا بحق لا نعرف الطريق، ما لم يقدم الطريق نفسه لنا. نلتصق به، ونتحد معه، فنستعذب صليبه، ونتم رسالتنا التي وضعها لنا المخلص.

❖ **فلأسمع بالغداة (في الصباح) رحمتك، فإنني فيك أترجى.**"

انظر، إنني في ليلٍ، لكنك فيك رجائي، حتى يعبر إثم الليل. وكما يقول بطرس: "وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراجٍ منير في موضع مظلمٍ إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم" (2 بط 1: 19). "الصباح" إذن هكذا يدعو الوقت بعد نهاية العالم، عندما نرى ما نحن نؤمن به هنا في هذا العالم.

ولكن ماذا هنا حتى يحل الصباح؟ إنه لا يكفي أن نترجى الصباح، يلزمنا أن نفعل شيئاً.

لماذا نفعل شيئاً؟ لكي نطلب الله بأيادينا في الليل. ماذا تعني نطلب بأيادينا؟ نطلب بالأعمال الصالحة.

يلزمنا هكذا أن نرجو الصباح ونحتمل هذا الليل، ونتأبر بالصبر حتى الفجر، لماذا يلزمنا أن نفعل هنا؟ لئلا تظنوا أنكم تفعلون شيئاً بذواتكم به تتأهلون أن تأتوا إلى الصباح، يقول: "عرفني يا رب الطريق التي أسلك فيها".

القديس أغسطينوس

❖ لم يقل فقط: "عرفني الطريق التي أسلك فيها"، ولكن ماذا؟ "لأنني إليك رفعت نفسي"، أي اشتقت إليك، إنني أتفرس فيك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "عرفني الطريق التي أسلك فيها"... عرفني مسيحك الذي يقول: "أنا هو الطريق" (يو 14: 6).^N

القديس جيروم

¹ On Psalm 143 (142).

² On Psalms 143.

³ On Psalms, homily 53 on Ps. 142 (143).

❖ إنه يقول: باكراً (في الغداة) وسريعاً بشرني يا رب برحمتك، وعرفني الطريق التي توصلني إليك. هذا هو العمل الذي يرضيك، وهذه الطريق يسلكها من يرفع نفسه من محبة العالم إلى محبة الله.

الأب أنسيئس الأورشليمي

أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا رَبُّ.
إِلَيْكَ التَّجَأْتُ [9].

تهديدات الأعداء المستمرة ومقاومتهم له الظاهرة والخفية دفعته أن يلجأ إلى الله ليخلصه.

❖ "أنقذني من أعدائي يا رب إليك التجأت".

أنا الذي هربت مرة منك، الآن أهرب إليك.

فإن آدم هرب من وجه الله، واختفى بين أشجار الفردوس، فقبل عنه في سفر أيوب:
"مثل عبد هارب من وجه سيده، ووجد ظلاً" (أي 7: 2 LXX).

ويل لي، إن بقيت تحت الظل، لئلا يُقال فيما بعد: "كل الأشياء تعبر مثل ظلٍ" (حك 9: 5).

لتحاربوا رؤساء هذا العالم، هذه الظلمة، رؤساء الأشرار (إبليس وجنوده).
عظيم هو جهادكم، فإنكم لا ترون أعداءكم ومع ذلك تغلبوهم!

القديس أغسطينوس

❖ من لا يلتجئ إلى بني البشر يلتجئ إلى الله، وكل من يلتجئ إلى الله ينقذه من أعدائه المنظورين وغير المنظورين.

الأب أنسيئس الأورشليمي

3. عَلَّمْنَا أَنْ نَعْمَلَ رِضَاكَ

عَلَّمَنِي أَنْ أَعْمَلَ رِضَاكَ،
لَأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهِي.

¹ On Psalm 143 (142).

رُوحُكَ الصَّالِحُ يَهْدِينِي فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ [10].

مع كل تمتع بالنصرة، ندرك بالأكثر حاجتنا إلى روح الله القدوس ليعلمنا الحق

الإلهي.

يليق بالمؤمن في وسط شدته أن يصرخ إلى الله، فيهبه أن يعمل فيه روحه القدوس الذي يقودنا ويهديننا إلى العمل حسب مرضاته أو مشيئته الإلهية، فنسلك الأرض المستقيمة، أي نبلغ أرض الأحياء.

نحتاج ليس فقط أن نتعلم، وإنما أيضًا إلى التدريب العملي على حياة الطاعة لله وتنفيذ مشيئته الإلهية. هذا والروح القدس وحده قادر أن يقودنا في أرض مستوية خالية من المخاطر المخفية.

يستخدمها القديس جيروم للرد على الأريوسيين بأن الآب أعظم من الابن، وأنه هو وحده الصالح. إن كان الروح القدس الذي يحسبه الأريوسيون أقل من الابن، يدعو المرثل "الصالح" فكيف لا يكون الابن هو أيضًا الصالح!؟

❖ "علمني أن أعمل مشيئتك، لأنك أنت هو إلهي". يا له من اعتراف مجيد! يا له من نظام مجيد! يقول: "لأنك أنت هو إلهي". لو أن آخر قد خلقني لكنك أسرع إليه ليعيد خلقتي. هل أبحث عن أب لكي أنال ميراثًا؟ أنت هو إلهي، ليس فقط تهبني ميراثي، بل أنت هو ميراثي نفسه! هل أبحث عن نصير يحييني، فأنال فداءً؟ أنت هو إلهي...

لا يمكن أن تكون أنت إلهي، ومع هذا أجعل من نفسي سيدًا لها...
لتقولوا: "روحك الصالح يهدينني في الأرض المستقيمة"، لأن روحي تقودني إلى أرض ملتوية.

وماذا أستحق؟ وما قيمة أعمال الصالحة بدون عونك، الذي به أنال وأتأهل أن يقودني روحك إلى الأرض المستقيمة.

القديس أغسطينوس

❖ يُدعى الروح القدس صالحًا، لأنه الله، وبموهبتة يهدي المؤمنين إلى أرض مستقيمة، التي هي أرض الأحياء ومقر الصديقين.

الآب أنسيئس الأورشليمي

¹ On Psalm 143 (142).

- ❖ لم يقل فقط: " علمني إرادتك"، إنما "إن أعمل إرادتك (رضاك)، بمعنى لتقودني إلى تنفيذ إرادتك عملياً. فإنه توجد حاجة إلى النعمة من فوق، وإلى تعلمها من هناك لكي أسلك الطريق إلى الفضيلة. ليس بأن أبقى عاطلاً، وإنما أن أساهم أيضاً فيما تساهم فيه أنت. "لأنك أنت إلهي". ألا تلاحظون طلباته الروحية؟ فقد قدم سؤاله لا ليقتني شيئاً أو ليحقق مجداً، وإنما لكي يتم إرادة الله، وهذا كنز كل الصالحات، وثروة لا تنقص، وبداية الرضا وجذره وطريقه وغايته.
- "روحك الصالح يهديني في أرض مستوية". ألا تلاحظون كيف نتعلم ونتدرب أن ننهي رحلتنا بالروح القدس؟ لهذا يقول أيضاً بولس: "فأعلنه الله لنا نحن بروحه القدس" (1 كو 2 : 10). "في أرض مستوية". بالمعنى السطحي يقصد "وطنه"، وبالمعنى الروحي يعني الطريق المؤدي إلى الفضيلة... ليس شيء ممهّداً وسلساً مثل الفضيلة، ليس فيها مخاوف ولا اضطرابات .¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ ماذا تظنون؟ هل يناقض الرسول نفسه فإنه وهو يقول إن البشر يصيرون متعلمين بعمل الروح القدس، يقدم توجيهات كيف وما يجب أن يعلموا؟ أم يلزمنا أن نفهم أنه وإن كان من واجب البشر أن يغموا ولا يتوقف المعلمون (عن التعليم) عندما يعطي الروح القدس، فإنه ليس الغارس شيئاً ولا الساقى، بل الله الذي ينمي (1 كو 3 : 7). لهذا وإن كان القديسون معينين لنا والملائكة القديسون يساعدوننا، لكن لا يتعلم أحد الأمور الخاصة بالحياة مع الله باستقامة ما لم يكن الله نفسه مستعداً أن يُعلم. هذا الإله الذي يوجه إليه في المزمور القول: "علمني إرادتك، فأنت هو إلهي" (مز 143 : 10) .
- ❖ يليق بنا أن نسرع بالأكثر لنرى عمل الله أكثر من عملنا نحن. فإننا إن خدمنا بأية صورة نكون مدينين له (بهذا العمل) لا للبشر. لهذا يقول الرسول: "ليس الغارس شيئاً ولا الساقى، بل الله الذي ينمي".²
- ❖ إذ لا يمكن للرسول أن يحققوا شيئاً إن لم يقدم الله النمو، فكم يكون الأمر بالنسبة لكم ولي

¹ On Psalms 143.

² On Christian Doctrine 16.

³ Ep.144:1.

أو لأي شخصٍ في أيامنا الذي يتباهى بأنه معلمٌ .

القديس أغسطينوس

❖ لا نستطيع أن ننكر هذا، فإن الرب قال عنه: "إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو 16: 12-13). ويقول عنه داود: "روحك الصالح يهديني في أرضٍ مستوية" (مز 143: 10).

انظروا ماذا نطق صوت الرب عن الروح القدس. جاء ابن الله، وإذ لم يكن قد أرسل الروح أعلن أننا كنا نعيش مثل أطفالٍ صغارٍ بدون الروح. قال إن الروح القدس يأتي، هذا الذي يجعل هؤلاء الأطفال الصغار رجالاً أكثر قوة، وذلك بنموهم أي في العمر الروحي. وقد أوضح ذلك لا يجعل قوة الروح في المركز الأول، وإنما ليظهر أن كمال القوة يتحقق بمعرفة الثالوث القدوس .

❖ ما هو الروح القدس إلا كمال الصلاح؟ هذا الذي وإن كان لا يمكن نوال طبيعته، وإنما يمكننا نوال صلاحه ، يملأ كل شيءٍ بسلطانه، إنما فقط يتمتع الأبرار بالشركة فيه، وهو بسيط في جوهره، غني في فضائله، حاضر بالنسبة لكل أحدٍ، يقسم مما له لكل واحدٍ، وهو بكامله في كل موضع^N.

القديس أمبروسيو

❖ حتى في السعي للوصول إلى معرفة الناموس ذاته ، لا يتأتى من مجرد النشاط في القراءة ، بل بإرشاد الله لنا واستارتنا به، إذ يقول المرثل: "طرقك يا ربُّ عَرَفَني. سُبُّلك علمني" (مز 4: 25). و"اكتشف عن عيَّني ، فأرى عجائب من شريعتك" (مز 119: 18). و"علمني أن أعمل رضاك ، لأنك أنت إلهي" (مز 143: 10). وأيضًا "المعلم الإنسان معرفةً" (مز 10: 94). وأكثر من هذا يسأل داود الله طالبًا الفهم ، حتى يدرك وصايا الله، بالرغم من معرفته تامة أنها مكتوبة في كتاب الشريعة، فيقول: "عبدك أنا. فهمني ، فأعرف شهادتك" (مز 119: 125).

بالتأكيد كان لدى داود الفهم الموهوب له بالطبيعة، كما كان لديه إمام تام بمعرفة

¹ Letter 193.

² Of The Holy Spirit, 3: 99.

³ Of The Holy Spirit, 1: 72.

وصايا الله المحفوظة في كتاب الشريعة، ومع هذا نجده يظل مصلياً إلى الله لكي يعلمه الشريعة بإتقان ... فما حصل عليه من فهم حسب الطبيعة لا يكفي، ما لم ينز الله علي فهمه يومياً، لكي يفهم الشريعة روحياً، ويعرف وصاياه بوضوح.

كذلك أعلن الإناء المختار هذا الأمر "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا ، وأن تعملوا من أجل المسرة" (في 2:13). أي وضوح أكثر من هذا أن مسرتنا وكمال عملنا يتم فينا بالكمال عن طريق الله؟! وأيضاً: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله"، وهنا يعلن بأن توبتنا وإيماننا واحتمالنا للآلام هذا كله عطية من الله.

يعلم داود أيضاً بذلك فيصلي مثله لكي يوهب له هذا من قبل رحمة الله، قائلاً: "أيد يا الله هذا الذي فعلته لنا" (مز 28:68)، مظهرًا أنه لا يكفي فقط أن يوهب لنا بداية الخلاص كهبة ونعمة من قبل الله، بل ويلزم أن يكمل ويتم بنفس تحننه وعونه المستمر. لأن ليس بإرادتنا الحرة، إنما "الرب يطلق الأسرى"، ليس بقوتنا، لكن "الرب يُقَوِّمُ الْمُنْحَنِينَ"، ليس بالنشاط في القراءة، بل "الرب يفتح أعين العمى"، ليس نحن الذين نعتني بل "الرب يحفظ الغرباء"، ليس نحن الذين نُعْضِدُ، إنما الله "يُعْضِدُ الْيَتِيمَ وَالْأَرْمَلَةَ" (مز 9:146-7).

الأنبا بفنوتوريوس

❖ يقودني روحك المحب في أرض الأبرار (مز 10:143)، عندئذ نمارس أعمالنا. قد يكون بعض الإخوة غائبين عنا بسبب العمل، أو لبُعد مسافة السكن، ومع ذلك يلزمنا أن نتمم التزامات الجماعة معاً بدون تردد. "فإنه حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون في وسطهم" (مت 18:20).

القديس باسيليوس الكبير

4. أحيانا

مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي.
بِعَدْلِكَ تُخْرِجُ مِنَ الضِّيقِ نَفْسِي [11].

¹ Cassian, *Conferences* 3:14-15.

إن كنا نشعر مع المرثل أننا قد انسحقت حياتنا إلى الأرض [3]، فصرنا كالأموات، فإنه ليس من يقدر أن يقيمنا من القبر سوى مخلصنا نفسه. لذلك يحتمي المرثل في اسم الرب يسوع المسيح ليتمتع بالحياة الأبدية، ويطلب بَرّه (عدله)، فهو الطريق الذي به ينجو من الضيق.

❖ أنصتوا إذن بكل طاقتكم إلى امتداح النعمة التي بها نخلص بلا ثمن. "من أجل اسمك يا رب تحييني ببرك". ليس ببري، وليس لأني مستحق. أما عن استحقاقي، فأنا لا أستحق منك سوى العقوبة! إنك تتقيني (تقلمني) من استحقاقي، وتطعمني بعطاياك. "تخرج من الضيق نفسي".¹

القديس أغسطينوس

❖ "من أجل اسمك يا رب تهبني الحياة". ألا ترونه مرة أخرى يلجأ إلى الله، غير واضح اتكاله على هذه الحياة؟ "ببرك تخرج من الضيق نفسي"... ألا ترون كيف يحق - كما قلت سابقاً، غالباً ما يدعو الحنو براً؟
"تخرج من الضيق نفسي": "صلوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مر 14: 38).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس نظراً إلى صلاحي وفضيلتي، بل عملاً برحمتك، وتمجيذاً لاسمك، أحييني بعدلك، وتخرج نفسي من الحزن والشدائد.

الأب أنسيمس الأورشليمي

وَبِرَحْمَتِكَ تَسْتَأْصِلُ أَعْدَائِي،
وَتُبِيدُ كُلَّ مَضَائِقِي نَفْسِي،
لَأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ [12].

استئصال عدو الخير هو من قبيل رحمة الله وعدله في نفس الوقت.

❖ "وبرحمتك تستأصل أعدائي"، ليس لأني مستحق ذلك، وإنما من أجل رحمتك تحررتي من الذين يحاربونني، أنقذني من الذين يدبرون المكائد، هب لي أن تحررتي من الضيق.
"وتبديد كل مضائقي نفسي، لأني أنا عبدك". لاحظوا مرة أخرى كيف تتحقق الطلبة.

¹ On Psalm 143 (142).

² On Psalms 143.

إنه ليس بسهولة ننال طلبتنا، إنما يلزمنا أن نجعل أنفسنا أهلاً لذلك، وأن نساهم من جانبنا ما يلزم أن نساهم به. وبهذا نقدم طلبتنا. طبيعياً الصلاة (المجردة) غير كافية في ذاتها. فاليهود صلوا، وكانت الإجابة: "وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع" (إش 1: 15). لماذا تتدهشون لهذا إن كان (حزقيال) نفسه لم يُسمع له. فقد قيل: "إن جاء نوح وأيوب ودانيال لا يخلصون أبناءهم وبناتهم" (راجع حز 14: 14).

لتدركوا هذا، فلا نصلي فقط، وإنما مع الصلاة نجعل أنفسنا أهلاً لنوال البركات الحاضرة والمستقبلة¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 143

إليك وحدك أصرخ!

❖ إلى من أصرخ إلا إليك،
فأنت أمين على الدوام في وعودك!
وعدت أن تنصت إلى عبيدك!
أنت قريب منهم، مستعد دوماً لتسمع لهم.
لأتهياً للاقتراب إليك،
أنت هو الطريق، والحق،
أسلك فيها، فالتقي بك.
ألتحف بك، فتسترني بحقك وبرك.
تستجيب لي بنعمتك،
وتفيض عليّ بسخائك!
وليس لي ما أقدمه من ذاتي،
إنما أبحث عن رحمتك وحقك وبرك!
❖ إليك وحدك ألبأ،
لأنك إله رحوم وطول الأناة.

¹ On Psalms 143.

لن يتبرر أحد أمامك، حتى إبراهيم وإسحق ويعقوب،
لكن وأنت بعدلٍ تودب،
إنما لكي برحمتك تدفعنا للرجوع إليك،
فننعم علينا بغنى رحمتك.

لن يتبرر أمامك طفل ابن يومٍ واحدٍ،
لكنك تريد أن الكل يخلصون، وإلي معرفة الحق يقبلون.
ليس من يدافع عنا أمامك سوى الالتجاء إليك!

❖ احتلَّ أبشالوم الابن المحبوب مركز العداوة،
لم يكن يقبل أقل من رأس أبيه داود بجانب عرشه.
أراد أن يدخل بأبيه إلى ظلمات القبر،
دون جريمة ارتكبتها أبوه في حقه!
انسحق داود في داخله،

واختبر الجلوس مع الموتى في الظلمات!
من يقدر أن يحرره من ظلمات القبر سواك؟

❖ إلهي هوذا العدو يحدرني إلى ظلمات الجحيم.
يجد لذته في هلاكي،

وسعادته في شقائي الأبدى!

هب لي جناحي الروح فأطير!

أسمع صوتك، يا أيها القيامة، فأنتطلق إليك!

تحملني إلى سماواتك، وتدخّل بي إلى أحضان أبيك السماوي!

لا تقدر أبواب الهاوية أن تحبس نفسي،

ولا متاريس الجحيم أن تقف أمامك!

أنت محرر نفسي القدير!

❖ من يشعر بمرارة نفسي سواك،

يا من بإرادتك اجتزت موت الصليب،

وإذ تطلّعت إلى ما بلغت أنا إليه،

صرخت قائلاً: نفسي حزينة جداً حتى الموت!"!

إنك لم تخف الموت الذي بإرادتك اقتحمته،

لكذك حزين على النفوس الساقطة،

التي ترفض أن تقبل القيامة بك من موتها!

❖ أتطلع إلى أيام القدم، فتمتلى نفسي من بهاء حبك.

أعمالك تشهد لقدرة خطة خلاصك!

أنت هو مخلص العالم العجيب:

أنت هو معين من ليس له معين،

ورجاء الذين يلتصقون بك.

وحدك قادر أن تقيم من موت الخطية،

وتدخل بي إلى شركة الأمجاد السماوية!

أسجد عند قدميك، وأبسط إليك يدي.

ماذا أطلب سوى أن ترتوي نفسي من مياه حبك؟!!

نفسى أرض يابسة ظمأنة إليك!

صليبك يحولها إلى فردوس مثمر ومفرح!

تمطر عليها بمياه روحك القدس،

فتحمل أعماقي ثمر الروح السماوي،

وتجدد على الدوام أعمالي،

فأسترد الصورة الإلهية المفقودة، وأنعم بغنى نعمتك الفائقة!

❖ أعترف لك أنني في غباوتي سقطت في الكبرياء.

ظننت أنني قادر أن أشبع بذاتي.

حجبت وجهك عني لأدرك حماقتي.

الآن نفسي كأرض يابسة،

تحتاج أعماقي أن ترتوي منك.

أسرع إليّ وليروي روحك القدس نفسي!

أسرع إليّ، فأني في خطر الموت،

فإنه لا حياة لي إلا بالاتصاق بك!

❖ أصرخ إليك لكي تعلم ذاتك لي.
أنت هو الطريق، تحملني فيك، فأسير إليك.
ترفعني إليك، وتدخل بي إلى أحضانك.
لقد هربت منك، فحُرمت من وجهك.
الآن أهرب إليك، فأتمتع بالحياة!
التجئ إليك، فأنت ناصرِي من إبليس وكل قواته!

❖ أصرخ إلي، فيقودني روحك القدوس،
يهديني إلى العمل بإرادتك المقدسة،
وأسلك في طريق مستوية بعيدة عن المخاطر.
يسكن في أعماقي، ويطير بي كما إلى السماء.
لا تتعثر قدمي في فخاخ العالم،
ولا تتحرف نفسي يمينًا أو يسارًا عن الشركة معك!
يفتح بصيرتي، فأنمو في معرفة وصاياك.
وأعمل حسب مسرّتك الإلهية.
يجدد مثل النسر شبابي،
يسير بنا ومعنا في الطريق الإلهي.
يحفظنا ويعيننا ويحررنا ويحكّمنا!

❖ أصرخ إليك، وليس لي ما أقدمه لك.
اسمك القدوس يشفع فيّ،
من أجله تقيمني كما من الموت يا أيها القيامة!
ببرك تخرج نفوسنا من الضيق،
برحمتك تبدد مؤامرات إبليس وكل أعماله.
تحررني من العبودية له،
فأمارس البنوة لأبيك السماوي،
وأتمتع بمجد البنين،

أَلْمَزْمُورُ الْمِنَّةُ وَالثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ

بِكَ تَوَهَّلْنَا لِلْبِنْوَةِ،

وَبِكَ نَنْعَمُ بِعَرِيُونَ السَّمَاءِ، وَنَحْنُ بَعْدَ فِي الْجَسَدِ.

وَبِكَ نَرِثُ الْأَمْجَادَ الَّتِي تَعَدُّهَا لَنَا.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

المعركة الروحية

يقدم لنا داود النبي تسبحة شكر لله الذي يدرّب أولاده على مقاومة عدو الخير، والقتال، لكي يكتشفوا شخصية الرب المخلص وعمله ومعاملاته الفائقة. يقف المرثل في حيرة، لا يجد ما يمكن أن يعبر به بلغة بشرية عن حقيقة حب الله ومعاملاته مع كنيسته، كما مع كل مؤمنٍ عضو فيها.

إنه أحد مزامير المعارك التي تعيننا في معركتنا الروحية ضد إبليس وقواته. نحتاج إلى الرب نفسه قائد المعركة بالصليب أن يدرّبنا على المعارك الروحية قبل الدخول فيها. نحن في أنفسنا لا شيء، لكن الله يحبنا ويهيئنا بنفسه لتناهل بإمكانياته للدخول في المعارك الروحية. إنه لا يخبرنا على الدوام كيف يُعدّنا، لهذا يليق بنا أن نسلم حياتنا بين يديه في يقين أنه واهب النصر لمؤمنيه الحقيقيين.

لقد سمح الله لداود في صباه أن يصارع دُبًّا وأسدًا، ولم يكن يدرك أنه كان يُعدّه للمعركة مع جليات الجبار.

يليق بنا أن نرتدي أسلحة الله الواردة في أف 6: 10-18 في كل صباح، فنكون مستعدين لسماع صوت البوق. إذ نرى بالإيمان الحيّ يد الله القوية تعمل معنا وبنا لا نخاف من الدخول في معركة الرب. إنه لن يتخلّى عنا (2 أي 20: 14-19).

يليق بنا أن نقدم تسبحة شكر لله من أجل مساندته لنا كأشخاص [9-11]، ولعائلتنا [12]، وللجماعة كلها [13-15].

1. الله صخرتي ورحمتي 4.-1
2. متى يتحقق تجسدك 10.-5
3. عدو مخادع 11.
4. لماذا يسمح الله بمقاومة العدو؟ 15-12.

العنوان

لداود

جاء عن الترجمة السبعينية: "لداود بإزاء جليات".

❖ عنوان هذا المزمور مختصر في عدد كلماته، لكنه ثقيل في أسراره. "داود نفسه ضد جليات". هذه المعركة قامت في أيام آبائنا، وتذكرونها أيها الأحباء معي من الكتاب المقدس... وضع داود خمسة حجارة في جرابه، لكنه قذف حجرًا واحدًا. الخمسة أسفار قد اختيرت لكن وحدتها قد غلبت. لقد ضربته وطرحته، وأخذ سيف العدو، وبه قطع رأسه. لقد طرح (السيد المسيح) الشيطان بأسلحته، وإذ بالعظماء الذين تحت سلطانه حولوا ألسنتهم للعمل ضد الشيطان، ففُطعت رأس جليات بسيفه.

القديس أغسطينوس

1. الله صخرتي ورحمتي

مُبَارِكُ الرَّبِّ صَخْرَتِي،
الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ،
وَأَصَابِعِي الْحَرْبِ [1].

يسبح المرتل الرب، لأنه هو الكل في الكل في معركته في هذه الحياة. هو الذي يدرّبه على مواجهة العدو. وهو الصخرة، فيه يختفي من إبليس العدو العنيف، ولا تستطيع الحية أن تزحف على الصخرة لتقترب من المؤمن الساكن فيها.

❖ هذه هي كلماتنا إن كنا جسد المسيح. يبدو هنا تكرار للفكرة: "أياديها للقتال"، و"أصابعنا للحرب". بلا شك كل من الأيدي والأصابع تعمل. لذلك ليس بدون سبب نستخدم الأصابع عوض الأيدي.

بالأصابع نعرف تنوع العمل، مع نوع من الوحدة.
بهذه الأصابع يحارب جسد المسيح، يقيم حربًا، يقيم معركة...
وبأعمال الرحمة يُهزم عدونا، لكن لن نستطيع أن نكون لنا أعمال رحمة ما لم يكن فينا حب، ولن تكون فينا محبة ما لم نتقبلها بالروح القدس. فهو إذن يعلم أياديها المعركة وأصابعنا الحرب. وبالحق نقول له: "أنت رحمتي"، إذ به نكون رحماء، فإن الحكم بلا رحمة لمن لا يُظهر رحمة (يع 2: 13).

القديس أغسطينوس

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalm 144 (143).

❖ "مبارك الرب إلهي الذي يعلم يدي القتال، أصابعي الحرب". لنرفع أيادينا في الصلاة دون تثنية وبدون نزاعات (1 تي 2: 8)، وفي كل مناسبة إذ نرفع أيادينا لله تكون صلاتنا سلاحًا ضد الشيطان. الصلاة هي قيّارتنا .

القديس جيروم

❖ ماذا تقول – الله مُعلم الحروب والمعارك والقتال؟ هذا كثير جدًا. ليس من ينسب النصر لله يرتكب خطية. هذا هو معنى "يعلم يدي"، بمعنى يجعلني أغلب العدو وانتصر وأقيم نصيبًا تذكاريًا للنصرة. عندما قتل (داود) جليات فإن الله هو المسئول عن النصر. وعندما قاد معارك كثيرة بنجاح... الله هو الذي سبب له النصر لهذا في تسايحه، قال: "الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال" (مز 24: 8). وفي حاله موسى قام بأعمال كثيرة مشابهة. على أي الأحوال، توجد حرب أشد من هذه، فيها تحتاج إلى نعمة خاصة من الأعلى، عندما ندخل في معركة ضد القوات المقاومة. الآن لتأكيد أن معركتنا معهم، اسمع قول بولس: "فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ، بل مع الرؤساء مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف 6: 12) .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس معنى هذا القول أن الله يهيج الحروب ويثير الشرور. حاشا لله! إنما معناه أن به تتحقق النصر لأحبابه، والانتكاس لأعدائه... ولهذا ينسب النبي لله قهره جليات وغلبته عليه، وليس لقوة يديه وسلامه. لذلك نحن المسيحيين بعد أن خلصنا من أسر بابل المعنوية التي هي الخطية بواسطة المعمودية المقدسة والإيمان بالمسيح، لم يزل قائمًا علينا قتال أشد من القتال الحسي المنظور، لأنه قتال من أجواق طبيعتها غير طبيعتنا، وهي غير منظورة أيضًا، والجهاد القائم بيننا ليس من أجل أمرٍ يسير، وإنما من أجل خلاص نفوسنا أو هلاكها. وأما المقاتلون فلا تبصرهم أعيننا، ولا لزمنٍ محددٍ، بل في كل وقتٍ وفي كل مكانٍ القتال قائم بلا مهلة له. ليس من شفعاء يتوسطون له، ولا من أعلام للقيام به. لهذا ينبغي علينا أن نكون دومًا مستعدين، متذرعين من كل جانب، وأما الأتراس

¹ On Psalms, homily 54 on Ps 143 (144).

² On Psalms 144.

والمجن التي نحتمي فيها فهي ممارسة وصايا الله.

وأما غذاؤنا الذي يقوينا فهو دراسة الأسفار المقدسة، واستعانتنا بالله الذي يعلم أيادينا القتال ضد المصاف الشيطانية، ويعلم أصابعنا أن نرشم الصليب على جباهنا وقلوبنا وعلى يسارنا ويمينا.

بهذا الرشم نحارب ونقهر القوات المضادة كما بسلاح قوي، لأنه صليب ذاك الذي رحمنا بأكفانه، ونصرنا على أعدائنا، وأنقذنا من اقتدارهم، ويعضدنا بحمايته.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

رَحْمَتِي وَمَلْجَأِي،

صَرْحِي وَمُنْقِذِي، مَجْنِي،

وَالَّذِي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ،

الْمُخَضَّعُ شَعْبِي تَحْتِي [2].

المبدأ الذي على أساسه يتعامل الله مع المؤمنين المخلصين والجادين في حياتهم هو الرحمة الإلهية. يحتضن الله مؤمنيه وسط معركة الحياة ويكون لهم الملجأ الأمين، إليه يهرون ويعيشون في أمان. هو الحصن الذي يحتمون فيه، والبرج الذي من خلاله يدركون أبعاد المعركة، وهو واهب النصر للمتكلين عليه.

من هو هذا الشعب الذي يحتاج الإنسان إلى الله لكي يخضعه، سوى حواس الإنسان وعواطفه وأفكاره، أي إنسانه الداخلي، فبالمسيح يسوع يصيرنا ملك الملوك ملوكاً أصحاب سلطان على أعماقنا الداخلية خلال عمل روحه القدس، ويعمل نعمته الإلهية.

❖ "رحمتي وملجأِي، صرحي ومنقذي". يا له من كفاح عظيم للمقاتل، حيث يشتهي جسده ضد روحه. لتحتفظ بهذا، فتحقق ما تشتهي، عندئذ يُبلع الموت في غلبة (1 كو 15: 54)، عندما يقول هذا الجسم المائت يتغير إلى حالة الملائكة ويرتفع إلى مستوى سماوي... توجد حياة، أيام صالحة، حيث لا توجد شهوة ضد الروح، ولا يُقال: "حارب" بل "افرح". بالتأكيد كل إنسان يقول: "هأنذا"...

تعلموا أن تقولوا: "رحمتي وملجأِي، صرحي ومنقذي، حامِي (مجنِي). لأقل: "صرحي" كي لا أسقط؛ "منقذي" لئلا أُطعن؛ "حامِي" حتى لا أُضرب. في هذا كله، وسط كل كدِّي، في كل معاركِي، في كل مصاعبي، فيه أجد رجائي "المخضع شعبي تحتي".

انظروا فإن رأسنا يتحدث معنا!

القديس أغسطينوس

❖ "رحمتي وملجأِي، حصني ومنقذي، حامِي". بألقاب مثل هذه يتحدث المرثل مع الله الذي له أسماء كثيرة مثل لطفه.

"الذي أخضع لي شعباً" هذه الكلمات يُنطق بها في اسم المسيح بالطبع بالنسبة لتجسده. هذه أيضاً يمكن أن ينطق بها الرسل. بنفس الطريقة فإن أب الدير يشكر الله ويقول: "مبارك الرب إلهي الذي يخضع لي شعباً، فإنهم ليسوا خاضعين لي بل لك، يطيعونني لكي يخدموك".¹

القديس جيروم

❖ ألا ترون مرة أخرى كيف يتوسل طالباً الخلاص على أساس الحنو؟ أو بالحري يقترح هنا شيئاً آخر؛ فبهذا التعبير يُظهر ذلك بقوله أنا لست مستحقاً لرحمته بدون موافقته. لذلك فهو رحمتي.

يقول إنني لا أطلبها خلال أعمالي. فإن كان هو "الرحمة"، إلا أنه لا يتمتع بها كل أحد بالتساوي. يقول: "أرحم من أرحم، وأتراءف على من أتراءف" (عا 8: 11). يقول المرثل إنه يتقبل عطية الرحمة ذاتها على هذا الأساس (أن الله رحوم). ألا ترون روحه المنسحق؟ ألا تلاحظون سلوكه الشاكر، إذ ينسب كل شيء لله المحب؟ "سندي، منقذي، مُجني، فيه رجائي". على الدوام يوجه الرجاء نحو الله، معلماً كل أحدٍ ألا يُبتلع بواسطة المتاعب، وإنما في وسط الكوارث ذاتها يشتناق إلى هذا الاتجاه، ولا يبأس ولا يخور قلبه، فهو فوق كل شيء "سندي ومنقذي".²

❖ "المخضع شعبي تحتي". وضع هذا حسناً، فإنه هنا أيضاً توجد حاجة للعون من الأعلى، حتى يخضع له الذين تحته، ولا يثورون أو يقومون عليه. يؤكد، أنه ليس فقط خضوع الأعداء والخصوم، وإنما أيضاً شعب الإنسان، فإننا في هذا نحتاج إلى نعمة عظيمة من الأعلى. في الواقع إنه إنجاز عظيم أن يطيعه شعبه حسناً؛ هنا لا يتحدث عن الغلبة على الأعداء...

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalms, homily 54 on Ps 143 (144).

³ On Psalms 144.

بالتأكيد لا يقوم خضوع الجيوش على ملوكية الشخص، وإنما على نعمة الله له .
القديس يوحنا الذهبي الفم

يَا رَبُّ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَعْرِفَهُ،

أَوْ ابْنُ الْإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَكِرَ بِهِ؟ [3].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية "يا رب من هو الإنسان أنك ظهرت له، أو ابن الإنسان أنك أعددت له".

على ضوء عظمة الله، خاصة في حبه ورعايته ودفاعه عن الإنسان حتى يقدم كل شيء للإنسان من أجل سعادته وشعبه وفرحه ونموه الدائم، يقف المرتل في دهشة: من يكون الإنسان حتى يقدم الله له كل هذا؟ ويفتكر فيه بهذه الصورة؟

المخلوق الوحيد على صورة الله هو الإنسان، وقد وهبه الله سلطاناً على كافة المخلوقات التي على الأرض، كما قدم له إحسانات فائقة، وقدم له الوصية اعتزازاً به، وفوق الكل تجسد كلمة الله من أجله، وصار إنساناً ليخلصه من الفساد، ويرد له كرامته المفقودة، ويفتح له أبواب السماء، ويهبه مجداً أبدياً الخ. من هو هذا الإنسان الذي قدم له الله كل هذه العطايا الفائقة؟ إنه من التراب وأيامه على الأرض تعبر كظلٍ سريع!

يقول السيد المسيح للأشْرار في يوم الرب العظيم: "لا أعرفكم"، فالمعرفة هنا ليست المعرفة العقلية وإدراك حقيقة الشخص وسماته، إنما معرفة الخبرة والالتصاق بالحب. هكذا أيضاً معرفة الله للإنسان هي معرفة اللقاء معه، ليثبت الإنسان فيه، ويتمتع بالشركة معه!
❖ "يا رب من هو الإنسان أنك صرت معروفاً له... أو ابن الإنسان أنك تقدّره". إنك تقدّره بمعنى تجعله مهماً هكذا...

يا لعظمة تقديرك للإنسان، الذي من أجله بذلت دم ابنك الوحيد! فإن الله يقدر الإنسان، بغير ما يقدر الإنسان إنساناً آخر...

تأملوا عظمة تقدير الله لكم "الذي لم يشفق على ابنه... كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟" (رو 8: 32) الذي يعطي طعاماً هكذا للمصارع، ماذا يحفظ الله للمنتصر؟

القديس أغسطينوس

¹ On Psalms 144.

² On Psalm 144 (143).

❖ إنه لأمر عظيم أن يعرف الإنسان الله، أو بالحري أن يكون موضوع معرفة الله...
لم يقل المرتل "من هو الإنسان لكي يعرفك؟" بل "من هو الإنسان حتى تعرفه؟" لهذا
فإن بولس أيضًا باستمرار يتقدم في هذا أكثر فأكثر، فيقول: "لكن حينئذ سأعرف كما
عُرفت" (1 كو 13: 12). وأيضًا يقول المسيح: "لستم أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم" (يو
15: 16). مرة أخرى يقول بولس في موضع آخر: "إن كان أحد يحب الله، فهو معروف
عنده" (1 كو 8: 3).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "يا رب، من هو الإنسان حتى تذكره، أو ابن الإنسان حتى تفتقده؟" ... يتحدث المرتل هنا
عن هشاشة الجسد والضعف البشري.

وماذا يقول؟ إن أخذت في الاعتبار جسده، فمن هو الإنسان؟
إن أخذت في الاعتبار روحه، فهو سامي المنزلة.
ليتنا لا نحترق الجسد بأية وسيلة، إنما نرفض أعماله.
ليتنا لا نحترق الجسم الذي سيملك في السماء مع المسيح. "إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن
يرثا ملكوت الله" (1 كو 15: 50). ليس الجسد والدم في ذاتهما، إنما أعمال الجسد، كيف
إذن سيرثان معًا مع المسيح؛ كيف نجلس في السماء في المسيح (أف 2: 6).

القديس جيروم

الْإِنْسَانُ أَشْبَهَ نَفْخَةً.

أَيَّامُهُ مِثْلُ ظِلٍّ عَابِرٍ [4].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "الإنسان شبه الباطل. أيامه مثل ظلٍ تعبير".
الإنسان كائن سريع الزوال، أشبه بنفخة أو ظلٍ عابر، كأن لا وجود له. هذا بالنسبة
لكل بشر، فمن جانب نجد الله الذي يهتم بنا، ويُعد لنا أمجادًا أبدية، ومن جانب آخر لا نخاف
الإنسان مهما قاوم فإلى حين.

❖ "الإنسان أشبه بالباطل، أيامه مثل ظلٍ عابر".

ما هو الباطل؟ الزمن الذي يعبر ويزول.

¹ On Psalms 144.

² On Psalms, homily 54 on Ps 143 (144).

يُقال هذا الباطل في مقابل الحق الذي يثبت ولا يسقط، فإن هذا من عمل يده...
 مكتوب: "فإن الله ملأ الأرض من صلاحه" (سي 3: 14). هنا "هاء" ضمير الملكية، أي
 تتوافق معه. أما تلك الأشياء الأرضية التي تتلاشى وتزول، إن قورنت بذات الحق، حيث
 يُقال: "أنا هو الذي هو" (خر 3: 14)، هذه كلها تُدعى "باطلاً". إنها تزول خلال الزمن،
 كما يزول الدخان في الهواء. ولماذا أقول أكثر من هذا الذي يقوله الرسول يعقوب: "ما هي
 حياتكم؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع 4: 14).

القديس أغسطينوس

❖ في هذه النقطة تدور معالجته حول الجسم، الذي يقول عنه إبراهيم: "أنا تراب ورماد" (تك
 18: 27). وإشعياء: "كل جسدٍ عشب، وكل جماله كزهر الحقل" (إش 40: 6).
 الآن ما هو معنى "شبه الباطل"؟ يعني كأنه لا شيء، حيث ليس شيء بشري ثابت،
 وإنما يعبر ويزول.

"أيامه مثل ظل عابر"، بمعنى أنهم وهم حاضرون ليس لهم أية قوة، بل بسرعة
 يُكنسون. لتلاحظوا هذا في الحياة الواقعية، ولتفكروا في أصحاب المراكز العالية، هؤلاء
 الذين يركبون المركبات، وأصحاب النفوذ، فإنهم يلقون في السجون ويُجلدون. بماذا يختلفون
 عن الظل، ليس في لحظة الموت بل وحتى قبل الموت!... ما هو حادث هنا يشبه لعبة
 طفل؛ الآن هو قاضي، وغداً هو مُدعي عليه، التغير شديد، والتحول يقلب الأوضاع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "الإنسان أشبه بنفخة، أيامه مثل ظل عابر". كنت طفلاً؛ كنت صبيًا؛ كنت مراهقًا، كنت
 فتى، كنت رجلاً بالغ السن، بعد ذلك وقبل أن أتحقق من ذلك أنا شيخ. الموت يزحف نحو
 الشيخوخة.

إني أتغير كل يوم، ولم أدرك أنني لا شيء.

إننا لا نلاحظ ولو إلى لحظة الزمن الذي يعبر بنا خلال الحياة، إنما دائماً نحن إما
 نامون أو ننقلص.

إذن يتغير الإنسان من لحظةٍ إلى لحظةٍ.

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalms 144.

الكل لا يدرك هذا أنه في طريق الموت... حياتنا ظل، تبدو كأن لا كيان لها. ما هو موجود يعبر سريعاً¹.

القديس جيروم

❖ عند شجب كل الجنس البشري، يقول: "الإنسان عدم" (راجع مز 144: 4)، حاسباً كل الجنس خليفة بأئسة غير سعيدة.

كم من كثيرين يشتهون العمر الطويل! كم من كثيرين يحسبون أيام الشباب وقتاً سعيداً! هكذا كل فترة مختلفة لها بؤسها. عندما نستهنج أنفسنا بسبب حدثنا، قائلين: لماذا نحن لسنا أكبر سنّاً؟ وعندما تكون رؤوسنا في شبية نتساءل إن كان شبابنا يعود ثانية. الأمور التي تحزننا لا حصر لها. يوجد طريق واحد للهروب من هذا؛ إنه طريق الفضيلة. هذا أيضاً له أحزانه، لكن مع الأحزان لا يكون بلا نفع، إنما نحمل ثماراً ومكاسب ومنافع.

❖ يبدو لي أن النبي يعني البشر المتغربين عن الله، والمنحرفين عن الحق، الذين حياتهم مملوءة بالعادات الشريرة، يحبون الباطل، ويتكلمون كثيراً فيما لا معنى له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الإنسان الذي على صورة الله لا يكون أشبه بنفخة، أما من يفقدها، ويسقط في الخطية، ويهوي في الأمور المادية، فمثل هذا يشبه نفخة².

القديس أمبروسوس

2. متى يتحقق تجسدك

يَا رَبُّ طَأْطِ سَمَاوَاتِكَ وَأَنْزِلِ.

الْمَسِ الْجِبَالَ فَتُدَخِّنْ [5].

سبق فنزل الرب على جبل سيناء ليهب شعبه الشريعة، لكنه نزل ليلتقي بموسى وحده، ولم يحتمل الجبل نزوله، فصار يدخن، وارتعب الشعب الذي لم يصعد أحد عليه مع موسى النبي.

¹ On Psalms, homily 54 on Ps 143 (144).

² Homilies on 2 Timothy, 1.

³ Isaac or the Saul, 2: 4.

أما في ملء الزمان، فنزل إلينا كواحدٍ منا، وحلّ بيننا، وشاركنا حياتنا ما خلا الخطية. لقد لمس جبل طبيعتنا البشرية، فوهبنا أن يُصَلِّبَ إنساننا العتيق، وننعم بالخلقة الجديدة التي على صورته.

❖ ما هي السماوات التي تتحني؟ الرسل الذين تواضعوا. فإن هذه السماوات تمجد الله (مز 19: 1). عن هذه السماوات التي تمجد الله يُقال: "لا قول ولا كلام، في كل الأرض خرج منطقتهم".¹

القديس أغسطينوس

❖ بعد أن تحدث عن وضاعة الإنسان، يتحدث المرثل عن قوة الله قدر ما يستطيع الإنسان أن يتحدث، فإن هذا يمثل عجزًا شديدًا عن التعبير عن مخافة جلاله.²

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "يا رب طأطئ سماواتك وانزل". غنمك التائه لا يقدر أن يُشفي من تيهه ما لم تحمله على منكبيك.

"المس الجبال فتدخن" ... لم يقل المرثل "فتحترق"، بل "تدخن". ليتها تحمل علامة العقوبة!³

القديس جيروم

❖ ما أعمق جرح الطبيعة البشرية "من القدم إلى الرأس . ليس فيه صحة، ليس من يقدر أن يستخدم دهنًا أو زيتًا أو عصائب" (راجع إش 1: 6). لذلك ولول الأنبياء قائلين: "هل من صهيون خلاص إسرائيل؟! ...". كما يتضرع أحد الأنبياء فيقول: "يا رب طأطئ سماواتك وانزل" (مز 144: 5). إن جروح الطبيعة البشرية لا تلتئم. "توضروا مذابحك، وقتلوا أنبياءك" (1 مل 19: 10)، وصرنا عاجزين عن إصلاح الشر، محتاجين إليك ليصلحه.⁴

القديس كيرلس الأورشليمي

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalms 144.

³ On Psalms, homily 54 on Ps 143 (144).

⁴ مز 14: 7 هنا السؤال يحمل فساد الشعب اليهودي فيسأل النبي طالبًا خلاصًا.

⁵ مقال 12: 7.

أَبْرَقَ بَرُوقًا وَبَدَّدَهُمْ.

أَرْسَلَ سِهَامَكَ وَأَزْعَجَهُمْ [6].

عند نزول الله لكي يسلم موسى الشريعة رافقت البروق والرعود نزوله، فانزعج الشعب، فماذا يكون حال المقاومين حين يأتي الرب ليدين إبليس وجنوده؟!

يرى القديس جيروم أن النفوس المتشامخة يبرق عليها بالبروق لا ليهلكها، إنما ليبيدها أي يشنتها، كما فعل حين أراد البشر أن يقيموا برجًا يحتمون فيه من الله، فلبيل ألسنتهم وتشتتوا، وكان ذلك لصالحهم، لإقامة أمم كثيرة في أماكن مختلفة.

يرى القديس أغسطينوس أنه كما أعد داود النبي خمسة حجارة في جرابه ليضرب جليات في معركته معه، هكذا بهذه التسابيح يطلب المؤمن من الله أن يرسل بروقه وسهامه ليضرب، لكي يزجج السالكين بالباطل والمنحرفين الذين ينصبون الشباك للنفس.

❖ البروق والسهم هنا لا تشير إلى تلك البروق والسهام التي نحن نعرفها. إنما يعطي هذه الأسماء عن العقوبات. بالإشارة إلى أشياء نحن نعرف ونقتنع أنها مُزدرى بها وراكدة لا تُرعب، ومع ذلك فهي مخيفة، وتحني الرأس. فإن كنتم لا تحتملون البروق، وهو لم يُرسلها كعقوبة، فكيف يمكنكم أن تقفوا عندما يمارس الله العقوبة؟
الآن سهام الله هي المجاعات والأوبئة والصواعق وغير ذلك من أشكال العقوبة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أرسل سهامك وأزعجهم" ليت غير الأصحاء يجرحون بسهام المسيح، حتى إذ يُجرحون يصيرون أصحاء، إذ يصيرون في الكنيسة، في جسد المسيح، ليقولوا مع الكنيسة: "إني مجروحة حبًا" (نش 2: LXX 5).

القديس أغسطينوس

أَرْسَلَ يَدَكَ مِنَ الْعَلَاءِ.

أَنْقَذَنِي وَنَجِّنِي مِنَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ،

مِنْ أَيْدِي الْغُرَبَاءِ [7].

ما هي يد الآب إلا الابن، مدهًا بتجسده، لأجل خلاصنا.

¹ On Psalms 144.

² On Psalm 144 (143).

يصرخ المرتل إلى الله لكي ينجيه من المياه الكثيرة. وكما يقول القديس جيروم إن هذه المياه هي الهرطقات، عوض هذه المياه نطلب الينبوع الحي، أي المعمودية الواحدة والإيمان الواحد (أف 4: 5).

يرى القديس جيروم هذه المياه الكثيرة هي معموديات الهرطقة، لأنهم أبناء الغرباء، لا أبناء الله.

❖ مخلص الجسد هو نفسه يد الله.

ما هي النجاة "من يد المياه الكثيرة"؟ أي من شعوب كثيرة.

أية شعوب؟ غير المؤمنين والغرباء (الهرطقة) الذي يهاجموننا من الخارج أو ينصبون شبكاً في الداخل... "من أيدي أبناء الغرباء".

اسمعوا يا إخوة، بين من أنتم، بين من أنتم تعيشون، ممن تريدون أن تُنفذوا. "الذي تكلمت أفواههم بالباطل" [8].

القديس أغسطينوس

❖ قوة الله مستعدة ليس فقط للعقوبة، وإنما أيضاً للإنقاذ.

الآن يدعو يداً هنا للمساعدة والإعانة...

ويدعو "المياه" أي الهجوم الشرس للعدو، والارتباك والتحرك بقوة عظيمة...

يبدو لي أن "الغرباء" (القبائل الغريبة) يُقصد بها هنا المتغربين عن الحق. فإننا ننظر

إلى المعينين الحقيقيين هم كأصدقاء وأنسباء، أما الغرباء فهم غير الصادقين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الَّذِينَ تَكَلَّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ بِالْبَاطِلِ،

وَيَمِينُهُمْ يَمِينُ كَذِبٍ [8].

جاء تعبير "يد الله" في العهد القديم يشير إلى الكلمة الإلهي المتجسد. أرسله الآب

ليتيم الخلاص من إبليس وعبوديته ويحرر المؤمنين من قوات الظلمة، هؤلاء الغرباء على البشر وقد تسلطوا عليهم.

إن كان اليمين يشير إلى الصلاح أو إلى العمل حسب مشيئة الله، حتى أن المؤمنين

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalms 144.

الحقيقيين يظهرون في يوم الرب عن يمينه، إلا أن الأشرار يمينهم يمين كذب، أي يستخدمون حتى الأمور المقدسة لحساب الشر، مثل الذين يستخدمون اسم الله في الرقي، أو المزامير في السحر، أو المواهب التي للبنيان لحساب الفساد.

كان لابني عالي الكاهن يمين كذب، فإن كان أمام تابوت العهد انشق نهر الأردن وعبر الكهنة مع الشعب إلى أرض الموعد، لكن حين حمله الكهنة الأشرار مثل ابني عالي، انهزم الشعب واستولى الوثنيون على تابوت العهد. هكذا باسم المسيح وبقوة صليبه صنع التلاميذ آيات وعجائب، بينما عندما استخدم أبناء سكاوا الذين يمينهم يمين كذب اسم يسوع لطرد الشياطين، هاجمتهم الشياطين وغلبتهم (أع 19: 14). وهكذا لم ينتفع جيحزي الذي يمينه يمين كذب شيئاً بعضاً إليشع، لم يكن الضعف في العصا، إنما في حاملها الذي كان فارغاً من نعمة الله.

يرى القديس جيروم أن الهراطقة يدعون أن لهم الأيدي اليمين، لكن إذ هي شريرة، فهي ليست يمينية بل شمالية. يقف الشيطان عن يمين الأشرار (مز 109: 6)، لأن يمينهم شريرة.

❖ ألا ترون من هم الذين يدعو غرباء؟ الذين يعيشون في الخطية، الذين يعيشون في الظلم، الذين ينطقون بغباوة، الذين لا ينطقون بأمرٍ نافع. لهذا يمكن التعرف على الغرباء من أفواههم وأعمالهم، كما قال المسيح: "من ثمارهم تعرفونهم" (مت 7: 6)...

"يمينهم يمين كذب"، أي شيء يمكن أن يكون أردأ من هذا، إذ يتحول ما أعطى لنا لمساعدتنا، ليصير لخداعنا. لدينا يميننا لكي ندافع عن أنفسنا وعن الآخرين من الظلم، لكي ننزع الشر، لكي يكون ميناء وملجأ للذين يصيبهم ضرر. فأبي عذر يقدمه هؤلاء الذين يستخدمون هذه الوسيلة لا لخلص الآخرين بل لدمارهم هم أنفسهم؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

يَا اللَّهُ أَرْنُمُ لَكَ تَزْنِيمَةً جَدِيدَةً.

بِرِّيَابِ دَاتِ عَشْرَةِ أَوْتَارٍ أَرْنُمُ لَكَ [9].

خلاص الله يهبنا خبرة يومية مفرحة، خبرة عمل روح الله القدوس اليومي في حياتنا، فنتحول حياتنا كما إلى سيمفونية حب متجددة على الدوام ليس فيها أي فتورٍ أو مللٍ.

¹ On Psalms 144.

ما هي هذه الترنيمة الجديدة إلا العهد الجديد الذي نصوبه ضد إبليس ونحطمه فلا يهلكنا؟ هذا هو الحجر الذي استخدمه داود النبي بمقلعه لضرب جبهة جليات. يرى **القديس أغسطينوس**¹ أن المرثل هنا يربط بين الترنيمة الجديدة والرباب ذات عشر أوتار، فإننا في معركتنا مع إبليس نستخدم العهد الجديد (الترنيمة الجديدة) الذي يكمل العهد القديم (الرباب ذات عشرة أوتار إشارة إلى الوصايا العشرة)، كما يكمل الحب الناموس. الذين ليس لهم الحب لا يستطيعون أن يستخدموا الترنيمة الجديدة ولا الرباب، أي الكتاب المقدس بعهديه.

يرى **القديس جيروم** أن المرثل يتحدث بصيغة المستقبل "سأرنم ترنيمة جديدة"، حين ينال الإنسان النصر الكاملة عندئذ يرنم ترنيمة جديدة.

❖ بعد أن قال أرسل يدك وأقذني... يعلن ما يقدمه الله مقابل معونته، والتي لا تمثل أية منفعة لله الذي نرد له (معونته).

الآن ما هذا؟ " يا الله، أرنم لك ترنيمة جديدة" . فإن هذا قليل بالمقارنة بعظمة الإحسان. إن ما نقدمه هو لا شيء.

فإننا نحن أيضًا لا نطلب شيئًا من المحتاجين، ومن لا يملكون شيئًا سوى الشكر والمديح. لكننا نحن نفعل ذلك من أجل الشهرة، أما الله فيجعل هذا ليس عن احتياج، وإنما ليجعل المسبحين أنفسهم في شهرة، ويقدم لهم إحسانًا آخر.

"برباب ذات عشر أوتار أرنم لك" ، أي أقدم لك تشكرات. في تلك الأيام كانت توجد آلات بها يقدمون التسابيح، أما اليوم فنستخدم الجسد كآلات لها. يمكنك أن تغني بالعينين وليس فقط باللسان. وأيضًا باليدين والقدمين والسمع. أقصد عندما تمارس هذه أعمالاً تكرم الله وتسبحه. كمثل عندما لا تنظر العينين إلى أشياء خليعة؛ ولا تمتد اليدين للسرقة بل للعطاء؛ وتستخدم الآذان لاستماع المزامير والتسابيح الروحية، وتسير القدمان إلى الكنيسة. والقلب لا ينتج مكائد بل حبًا؛ بهذا تصير أعضاء الجسم ربابة أو قيثارة، وترنم ترنيمة جديدة لا بالكلمات، وإنما بالأعمال.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalms 144.

❖ إذا حصل للفقراء إحسان ما من ملك، فلا يمكنهم أن يعوضوه شيئاً لائقاً بجلاله، سوى أن ينشدوا له مدائح. هكذا داود المعظم لما رأى من الله خلاصاً جديداً وبيدعاً، حاول أن يسبحه بتسبحة جديدة. برباب ذات عشرة أوتار، لكون وصاياه الإلهية عشرة. كل وتر يختص بوصية واحدة، كان داود يرتل به.

أما نحن أهل العهد الجديد، فنسبح لله تسبيحاً جديداً كما قال الذهبي الفم: نزم لكن ليس بآلات عديمة النطق والحس، بل بقوى نفوسنا وأعضاء جسدنا. نسبحه بأبصارنا وأسماعنا، إن منعناها عن اللهو بالدنيويات. ويشفاهنا وأفواهنا إذا جعلناها عفيفة عما لا يليق بلفظة ما، وشغلناها بالصلوات والتسبيح الإلهية.

نسبحه بأيادينا إذا مددناها للفقراء بالصدقة والأعمال الصالحة. وبأرجلنا إذا أسرعنا بها إلى هياكل الله. هذا التسبيح الجديد نسبحه للإله الذي يخلص الملوك وجنودهم، ويخلصنا نحن أيضاً، ويجعلنا أمة مقدسة وكهنوتاً ملوكياً. وهو لم يزل مخلصاً للذين تملكوا وتسلطوا على شهوات الجسد وضبطوها.

الأب أنسيئس الأورشليمي

الْمُعْطِي خَلَاصًا لِلْمُلُوكِ.

الْمُنْقِذُ دَاوُدَ عَبْدَهُ مِنَ السَّيْفِ السُّوءِ [10].

لا يُقصد هنا بالملوك الأرضيين، إنما بالأتقياء الذين تقول عنهم الحكمة: "بي تملك الملوك" (أم 8: 15).

يميز القديس أغسطينوس بين سيف السوء والسيف الصالح. فسيف الأشرار هو كلمتهم الباطلة المهلكة ذات النية الشريرة، أما سيف الله فهو كلمة الله ذات القصد الصالح، سيف ذو حدين.

سبق لنا الحديث عن أفواه الأشرار الباطلة ويمينهم الكاذبة [8].

❖ "أنقذني من سيف النية السيئة". لا يكفي القول: "أنقذني من السيف"، لذا أضاف "من النية السيئة".

دون شك يوجد سيف بنية صالحة. ما هو السيف بنية صالحة؟ ذاك الذي قال عنه

الرب: "ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا" (مت 10: 34). فقد جاء لكي يفصل المؤمنين عن غير المؤمنين، والأبناء عن الآباء، وأن يقطع كل الروابط الأخرى (الخاطئة). بينما قطع السيف السقماء، شفى أعضاء المسيح. القصد الصالح هو السيف ذو الحدين، حاد من الجانبين، العهد القديم والعهد الجديد، مع قصة الماضي والوعد بالمستقبل. هذا هو إذن السيف ذو القصد الصالح، أما الآخر فهو السيئ، الباطل. يستخدم الله السيف ذا القصد الصالح، إذ يتكلم بالحق.

القديس أغسطينوس

❖ "المعطي خلاصًا للملوك"، لا بالجيش وحشود الجند والحراس، بل بنعمة الله يخلصون. "المنقذ داود عبده"؛ بعد أن تحدث بتعبيرات عامة يتحدث المرثل أيضًا عن شئونه الخاصة، فلا يقول: "الذي خلصه"، بل "المنقذ (المخلص)"، مظهرًا عناية الإلهية الدائمة. القديس يوحنا الذهبي الفم

3. عدو مخادع

أُنقَذْنِي وَنَجِّنِي مِنْ أَيْدِي الْغُرَبَاءِ،
الَّذِينَ تَكَلَّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ بِالْبَاطِلِ،
وَيَمِينُهُمْ يَمِينُ كَذِبٍ [11].

❖ ما يلزم أن نبحت عنه ونطلبه من الرب الإله هو السعادة. كثيرون دخلوا في حوارات بخصوص طبيعة السعادة، ولكن لماذا نتوجه إلى كثير من الناس أو كثير من الجدل؟ كلمة كتاب الله المقدس مختصرة وحقه: "طوبى للشعب الذي الرب إلهه" (مز 114: 11). غاية الوصية هي الحب من كل قلبٍ ظاهرٍ وضميرٍ صالحٍ وإيمانٍ صادقٍ، فننتمي لذلك الشعب، ويمكننا التمتع بالتأمل في الله وفي الحياة الأبدية معه.

القديس أغسطينوس

4. لماذا يسمح الله بمقاومة العدو؟

¹ On Psalm 144 (143).

² On Psalms 144.

³ Letters, 130:12:24.

لَكَيْ يَكُونَ بَنُونًا مِثْلَ الْغُرُوسِ النَّامِيَةِ فِي شَبَابِهَا.
بَنَاتُنَا كَأَعْمَدَةِ الزَّوَايَا مَنُحَوَاتٍ حَسَبَ بِنَاءِ هَيْكَلِ [12].

بعد أن تحدث عن إبليس العدو الشرير، والذي يستخدم أفواه الأشرار كسيفٍ ذي قصديٍّ سييٍّ، كما يستخدم حتى يمينهم يمين كذب، يود أن يطمئن المؤمنين. فإن هذه الشرور التي يبثها العدو، إذ يقاومها المؤمنون، يتمتعون ببركات كثيرة. وقد جاء الآيات 12-15 تعدد هذه البركات:

أ. بنون كغروسٍ نامية على الدوام [12].

ب. بنات يحملن جمالاً روحياً، أشبه بزينة بيت الرب [12].

ج. محاصيل بفيض من كل صنفٍ [13].

د. أغنام كثيرة الإنتاج تملأ الشوارع [13].

هـ. كثرة البقر [14].

و. طمأنينة وسلام [14].

ز. حياة مطوية، عربون السماء

ثمار الهراطقة أشبه **بالغروس الجديدة**، إذ يتجاهلون الأنبياء والرسل، ليقدموا تعاليم جديدة من عندهم. وإن اعتمدوا على نصوص من العهد القديم والعهد الجديد، غير أنهم يريدون كل ما هو جديد لأنه جديد، ويرفضون الحق لأنه في نظرهم قديم لا يناسب العصر.

أما البنات اللواتي يحملن الزينة الخارجية مثل منحوتات في داخل الهيكل، فإن الهراطقة يعتمدون على الكلمات المخادعة والفلسفات البراقة، لا تحمل قوة الروح.

أما بالنسبة للمؤمنين الأمناء، فيرى **العلامة أوريجينوس** أنهم يتمتعون بالبنين كرمز لأعمال الروح، والبنات رمز لأعمال الجسد. فمتى تقدس الإنسان يتمتع بثمار روحية للنفس والجسد. يعمل الجسد في تناغم مع النفس تحت قيادة روح الله، فتصير أعمال الروح أشبه بالغروس النامية أو أشجار روحية في فردوس سماوي، وأعمال الجسد كأعمدة مقدسة حيث يصير الإنسان هيكلًا مقدسًا لله وروح الله ساكن فيه.

يرى **القديس جيروم** أن العبارات 12-14 هي حديث الهراطقة المفتخرين بكثرة عددهم وجاذبية فلسفاتهم المخادعة.

❖ إنه يريد أن يسرد سعادتهم! لاحظوا يا أبناء النور، أبناء السلام؛ لاحظوا يا أبناء الكنيسة،

أعضاء المسيح، لاحظوا من الذين يدعوهم أبناء الغرباء [7]، وسيف السوء [10]، أطلب إليكم أن تلاحظوا هذا، فإنكم إذ أنتم تعيشون في وسطهم، فإنكم في ضيقة. وبسبب ألسنتهم تحاربون شهوات جسديكم. بسبب ألسنتهم تدخلون في معركة مع إبليس، إذ يستخدمها كيد له...

[أورد القديس نصوص الآيات 12-14 ثم أكمل قوله:]

أليست هذه سعادة؟ إنني أسأل أبناء ملكوت السماوات، أسأل نسل القيامة الدائمة، أعضاء المسيح، هيكل الله:

أليست هذه سعادة، إن يكون لكم أبناء سلام وبنات جميلات، ومخازن مملوءة، وقطعان بوفرة، دون أي سقوط، لست أتكلم عن (سقوط) سور، بل حتى سياج؛ ليس من اضطراب وصخب في الشوارع، بل هدوء وسلام وخيرات وفيض في كل شيء في البيوت وفي المدن؟

أليست هذه سعادة؟

القديس أغسطينوس

أَهْرَاؤْنَا مَلَانَةً تَفِيضُ مِنْ صِنْفٍ فَصِنْفٍ.

أَغْنَامُنَا تُنْتِجُ أُلُوفًا وَرَبِوَاتٍ فِي شَوَارِعِنَا [13].

يصير الإنسان بعمل روح الله حقل الله، تمتلئ مخازنه بكل المحاصيل المقدسة. وتلد الأغنام ألاف وربوات في شوارع القلب، لتقديم تقدمات لا تتقطع.

مخازن الهراطقة مملوءة من كل صنف من المجادلات الباطلة. أما رجال الله فيفتحون أفواههم والرب نفسه يملأها (مز 81: 11). ما يخزنه إنسان الله هو روح الله الساكن فيه، يملأه بالنعمة الإلهية، يهبه الكلمة القادرة على العمل في الوقت المناسب.

أغنام الهراطقة تنتج ألاف وربوات، ولكن في الشوارع، وليس في بيت الله. إنهم يجتذبون الكثيرين، لا ليدخلوا بهم إلى الحياة السماوية، بل ليجولوا في الشوارع!

بَقَرْنَا مُحَمَّلَةً.

لَا أَفْتِحَامَ وَلَا هُجُومَ وَلَا شَكْوَى فِي شَوَارِعِنَا [14].

كما تسود الخيرات بفيض في أعماق الإنسان من محاصيل مقدسة وأغنام، فإن السلام

¹ On Psalm 144 (143).

يملاً النفس، للعمل الدائم لحساب ملكوت الله، وليس من عدوٍ شرير يقدر أن يحطم هذا السلام الداخلي.

طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي لَهُ كَهَذَا.

طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي الرَّبُّ إِلَهُهُ [15].

يكشف الشعب رعاية الله إلههم الفائقة خلال المعارك المستمرة، فيختبروا الحياة المطوية، عربون السماء.

❖ كما أن حياة الجسد هي النفس، هكذا الحياة المطوية للإنسان هي الله. وكما جاء في الكتابات المقدسة للعبرانيين: "طوبى للشعب الذي الرب إلهه".

القديس أغسطينوس

❖ ألا ترون فضيلة الرجل (المرتل)؟ أقصد أنه بعد أن ذكر كل أشكال الثروة وذكرها بأسمائها، قدم الحكم على هذا غير متأثرٍ بوجهة نظر بشرية، ولا وضع في اعتباره حسد المالكين لها، إنما عبر على هذا كله ليقدّم تطويلاً على الكنز الحقيقي. بمعنى آخر يقول: بينما يعلن الآخرون التطويب لمن يقتنون هذه الخيرات، أعلن أن التطويب هو للشعب الذي الله هو إلهه.

بهذا يركز على فيضهم وكثرة خيراتهم وثروتهم (وهو التمتع بالله إلههم).

الأمر الأخرى تزول وتعبّر، أما هذا التطويب فيبقى على الدوام عوض القطعان والأبناء والحصون والكروم، فإن بركة الرب تعد بالثروة والأمان والحصون المنبوعة¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي مزمو 144

في وسط المعركة أسبّحك يا قائي العجيب!

❖ يُعد لي عدو الخير معركة دائمة لهلاكي.
وفي صلاحك تسمح لي بالمعركة لبناني.
وسط القتال اختبئ فيك يا صخر الدهور.
تحميني من ضربات العدو القاتلة.

¹ On Psalms 144.

وتدرب يديّ الضعيفتين للقتال مع رئيس الظلمة.

بروحك القدوس تهبني الحب،

وبالحب أقدم أعمال رحمة فترحمني.

بأعمال الرحمة يحترق إبليس الذي لا يحتمل الحب ولا الرحمة.

أنت سلاحي ونصرتي وإكليلي!

ماذا يفعل بي إبليس وكل قواته؟!

بك تحطم خططه وقواته وأماله الشريرة.

تدور المعركة لصالحنا، ما دمنا مستترين فيك!

❖ تهبنا سلاحًا عجيبيًا!

تهبنا الصلاة مع قيثارة التسبيح والشكر.

ليس من سلاحٍ فعّالٍ ومهلكٍ لإبليس الجاحد،

مثل القلب الشاكر والمتهلل بإلهه!

أنت هو التقدير الجبار،

أنت تسمح بالمعركة، وتهب بنيك النصر!

تهبنا روح التسبيح والفرح،

نصوبه كالسهم القاتل لإبليس الجاحد.

كما صوّب داود حجرًا صغيرًا بمقلّاعه،

فضرب به جبهة جليات الجبار،

لنصوّب الفرح ضد جبهة عدو الفرح والتهلّيل،

نحطمه بمسيحنا مصدر الفرح!

❖ مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ،

بل مع أجناد الشر في السماويات،

وسلاحنا ليس من هذا العالم،

بل صلبك محطّم قوات الظلمة.

أعداؤنا ليسوا من طبيعتنا البشرية،

أعداؤنا لا ينامون ولا يهدأون،

أعدونا متمرّسون على معارك لا تهدأ.
أما مدرينا على المعركة، فهو أنت يا مخلص العالم،
تدرّينا ولا تتركنا.
تهبنا وصيِّتكَ الإلهية،
وتقدم لنا نعمتك عاملة فينا.
تغرس صليبك في قلوبنا،
ويعمل روحك القدس الناري فينا!
أدخل المعركة متسلِّحًا بوعودك الإلهية،
أقاوم عدو الخير وأنا داخل أحضانك التي لا تُغلب!
أنت هو الحصن العجيب،
والبرج الذي من خلاله أدرك أبعاد المعركة،
بك نغلب، فتقيمنا ملوكًا يا ملك الملوك.
ترفعنا وتحسبنا كأحد الطغمات السماوية.
تهبنا سلطانًا، فننعم بحرية على مستوى أبدي.
بنعمتك أتخلص من أعدائي وكل مقاومتهم،
وأنعم بسلام في داخلي،
فأصير بك ملكًا، تعمل كل طاقاتي ومواهيي معًا بروحك القدس!
❖ يا للعجب، من أنا حتى تنزل من سماواتك،
تتجسد وتتأنس لأجلي،
تدخل في معركة مع إبليس، لتهبني بك وفيك النصر عليه؟!
يا لعظمة حبك لي، وتدبيرك العجيب لخلاصي!
إنك مشغول بي على الدوام،
تعرفني، لا معرفة أية خليفة بين البلايين من خليقتك،
إنما تعرفني عن قرب،
إذ تجعلني من أهل بيت الله.
تعرفني ابنًا للآب، إذ وهبتي روح التبيني،

تعرفني عضوًا حيًّا في جسدك المقدس،
تعرفني هيكلًا مقدسًا، يسكن في روحك القدوس!
تعرفني، إذ تنقش اسمي على كفِّك،
وتدعوني باسمي لأرث أمجادًا أبدية!

❖ حقًا بدونك أنا تراب ورماد،

أيامي تعبر كظلٍ عابرٍ، مملوءة تعبًا وضيقةً.
بك تتهلل أعماقي حتى وسط الضيقات.
وأترقب يوم مجيئك لأحيا معك إلى الأبد.
طأطأت السماوات ونزلت إلينا.
وهبتنا الخلاص من خطايانا،
وأقمت نفوسنا من الموت الأبدى.
أبرقت بنورك الإلهي علينا، فاستنارت نفوسنا.
وصوّبت سهامك، فحطمت عدونا إبليس.
مجيتك ردّ لنا الحياة، وفتح لنا أبواب السماء.
لتأت على السحاب في مجدك،
وتحملنا معك إلى سمواتك.

❖ بمجيئك قدمت لنا قيثارة سماوية وربابًا عجيبيًا،

بل أقمت من نفوسنا قيثارتك وربابك.
أعطيتني العهد الجديد قيثارة تعزف بروح الفرح،
ووهبتني المفهوم الروحي للعهد القديم ربابًا ذات عشرة أوتار.
لن تأتمن أحدًا يعزف عليهما سوى روحك القدوس.
يعزف سيمفونية حب،
فيلتهب قلبي بالحب الإلهي كما بالحب الأخوي.
ينفتح قلبي لسكنى الثالوث القدوس،
وتتحول أعماقي إلى عرشٍ إلهي مُفرح!
لن يدخل قلبي قلق أو اضطراب،

بل تهليل بالنصرة مع إكليل سماوي ومجد بديع!
تسكب بهاءك في داخلي، فأصلح لمملكة.
وأحمل لمسة جمالك العجيب!
حتى أعضاء جسدي كلها تُرنم لك.
تتقدس وتتم رسالتها في تناغم من الأعماق المتهللة.
تسبحك وتشكرك بالصمت، كما بالعمل، وأيضًا بالكلام.

❖ أتيت إلى أرضنا لا لتتزع المعركة،

إنما لكي تحوّلها لبنياننا ومجدنا!

خلال المعركة تقيم منا ملوكًا أصحاب سلطان.
تقدم لنا بركات في هذا العالم وفي الحياة الأبدية.
ننعم بأعمال الروح كما بأعمال الجسد المقدسة.
تتحول أعماقنا في فردوس مثمر بغروس جديدة،
وإلي هيكل بديع في جماله.

يصير لنا أبناء سلام، وبنات جميلات في الرب.

تمتلئ مخازننا بثمار الروح،

ومراعينا بالقطعان الكثيرة.

يملأ السلام أعماقنا، والخيرات كل كياننا.

لا يعوزنا مخلصنا شيئًا،

بل يهبنا أكثر مما نسأل وفوق ما نطلب!

لك المجد يا من تحوّل أرض المعركة إلى خيرات جديدة معك!

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

دعوة للتسبيح

الخط الرئيسي في المزمور هو الفرح بعظمة الله ومحبته، إنه يؤكد سلطان الله الملوكي على الأرض وفي السماء. وهذا يدعونا للتسبيح له يوميًا وإلى الأبد.

جاء ترتيب آيات المزمور بحسب الحروف الأبجدية العبرية، وإن كان حرف النون ما بين العبارتين 13، 14 مفقود. وقد ورد في النصوص اليونانية القديمة والسريانية واللاتينية: "الرب أمين في كل كلماته، لطيف في كل أعماله".

كان اليهود يسبحون بهذا المزمور ثلاث مرات يوميًا في المجمع: في الصباح والظهر والمساء. وجاء في التلمود البابلي أنه يُسبح به ثلاث مرات يوميًا وله موضع خاص في العبادة في الحياة العتيدة¹.

لنسبحه يوميًا [1]، لأجل عظمته [3-6]، وصلاحه ورحمته [7-10]، وملوكيته [11-13]، وخلصه [14]، ورعايته [15-17]، ولالتصاقه بنا [18]، ولأجل استجابته لطلباتنا [19-20]، نسبحه بلا انقطاع [21].

1. مجدلة افتتاحية 3.-1
2. الرب كلي الجلال 7.-4
3. الرب محب البشر 13.-8
4. الرب الملك معضد الساقطين 14.
5. الرب والعناية الإلهية 16.-15
6. الرب كلي الرحمة 17.
7. الرب قريب 18.
8. الرب سامع الصلوات 19.
9. الرب حافظ محبيه 20.
10. مجدلة ختامية 21.

¹ Berakoth, 4b.

العنوان

تَسْبِيحَةٌ لِدَاوُدَ

❖ العنوان هو: "تسبحة لداود نفسه". تسبحة للمسيح نفسه. لقد دُعي داود، ذاك الذي جاء إلينا من نسل داود، إلا أنه هو ملكنا يسود علينا، ويأتي بنا إلى ملكوته، لذلك تفهم "تسبحة لداود نفسه" المسيح حسب الجسد هو داود، لأنه هو ابن داود. لكن بحسب لاهوته هو خالق داود، ورب داود.

القديس أغسطينوس

1. مجلة افتتاحية

كثيرًا ما يمجّد المرتل الرب خلال معاملته الشخصية معه ومع الشعب، أما هنا فيفتتح المزمور بالمجدلة للرب، الملك السماوي، فكل الخليقة تمجده وتسبحه!

أَرْفَعُكَ يَا إِلَهِي الْمَلِكُ،

وَأُبَارِكُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ [1].

تترنم الكنيسة بالآيتين 1 و2 من هذا المزمور في صباح اليوم الثاني من عيد الصليب (18 توت)، لأن الصليب في حقيقته هو عرش المجد لمحبة ربنا يسوع ملك الملوك الذي يُعد القلوب كمملكة له. كما هو سرّ الدخول في علاقة شخصية معه، فيرنم كل مؤمن، قائلاً: "أرفعك يا إلهي الملك". الصليب هو أيضًا مصدر فرح وبهجة للنفس البشرية.

❖ "أرفعك يا إلهي وملكي. وأبارك اسمك إلى الأبد وإلى أبد الأبدين..."

ها أنتم ترون أن التسبيح لله يبدأ هنا... لتبدأوا الآن التسبيح لله، إن كنتم تريدون أن تسبحوه إلى الأبد.

من لا يسبحه في هذا الدهر الزائل، سيكون صامتًا عندما يأتي دهر الدهور.

القديس أغسطينوس

❖ عندما تقول: "أرفعك يا إلهي، ملكي" تشهد عن العلاقة الحميمة، حتى يقول الله عنك كما قال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب: "أنا إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب" (خر 3: 6).

¹ On Psalm 145 (144).

² On Psalm 145 (144).

أَقْصِدْ عِنْدَمَا تَقُولُ: " إلهي، ملكي " لا تقول هذا فقط، وإنما تقدم شهادة لذلك الحب، فهو بدوره يقول نفس الشيء عنك: "عبدي، وملازمي" كما قيل أيضاً عن موسى.

"وأبارك (أسبح) اسمك إلى الدهر والأبد " [1]. ألا ترون أنه يشير أيضاً إلى بداية

الحياة العتيدة؟

الآن بقوله: " أبارك (أسبح) "، يقصد لا ما يُمارس بالقول فقط، وإنما بالعمل أيضاً. هذا، على أي الأحوال، هو الطريق لتمجيد الله، الطريق لتسيحه. هذا ما أمرنا به أن نقوله في الصلاة: "ليقدس اسمك" (مت 6: 9)، أي ليتمجد¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن علو شرفك وارتفاعك يا الله هو طبيعة فيك، وليس باكتساب (من آخر)، فأنت لا تزداد رفعة. السماوات تخبر بمجدك، والأفلاك تذيع بعلو شأنك.

من يومٍ إلى يومٍ يُعلن جلالك، وتشهد المخلوقات كلها مظهر عظمتك. فكم بالحري يليق بيّ أنا الناطق الذي صنعت معي إحسانات رفيعة أن أوضح معلناً رفعتك يا إلهي، وأبارك اسمك، أي أمجده وأحمده أيها الملك.

هذا ما أفعله في حياتي حتى وبعدها في الدهر الآتي.

الأب أنسيئس الأورشليمي

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَبَارِكُكَ،

وَأُسَبِّحُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ [2].

❖ سبحوا إذن وباركوا الرب إلهكم كل يوم، حتى متى عبرت الأيام المنفردة، ويأتي اليوم الذي بلا نهاية، تذهبون من تسبحة إلى تسبحة، ومن قوة إلى قوة (مز 84: 7).

لا يعبر إليه من لا يبارك الرب. لا نعجب إن كان في يوم فرحكم تباركون الرب. ماذا إذا حلّ بكم يوم حزن، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لظروف طبيعتنا الفانية، إذ يوجد فيض من المتاعب وكثرة من التجارب؟ ماذا إذا حل شيء مُحزن، هل تكفون عن التسبيح لله؟ هل تتوقفون عن مباركة الرب .-

القديس أغسطينوس

¹ On Ps. 146.

² On Psalm 145 (144).

❖ نعم يا إلهي، إنني أباركك في كل يومٍ، أي في وقت فرحي وفي حزني، وأسبح اسمك إلى الأبد.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

❖ "في كل يوم أباركك، وأسبح اسمك إلى الدهر والأبد" [2]... هذه هي خاصية الروح النقية، هذه التي إذ تحررت من اهتمامات العالم تنكسر للتسبيح.

إنه لعار على الإنسان الذي وهب عقلاً ومزايًا أعظم من كل الأمور المنظورة أن يقدم تسبيحًا أقل من الأشياء المخلوقة، حيث يلزم التسبيح.

إنه ليس فقط عار بل وأمر سخيْف. كيف لا يكون هذا أمرًا سخيْفًا، إن كانت الخليقة ذاتها تقدم كل يوم، بل وفي كل ساعة، لسيدها تسابيح الحمد؟

تذكر ما يقوله الكتاب: "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه، يوم إلى يوم يذيع كلامًا، وليل إلى ليل يبدي علمًا" (مز 19: 1-2). كل من الشمس والقمر والمجرة المتنوعة للكواكب والصف البديع من كل الأشياء الأخرى تعلن عن خالقها...

نحن مدينون كثيرًا لله من أجل خلقته لنا حيث لم يكن لنا وجود، وجعلنا ما نحن عليه، ومن أجل سيادته علينا (بالرعاية) عندما صنعنا، ومن أجل عنايته اليومية العامة والخاصة، السرية والعنوية، ما ندركه وما لا ندركه.

أقصد ماذا يمكن للشخص أن يقول عن الأشياء المنظورة التي خلقها لأجلنا؟ وعن الخدمات التي يقدمها لنا، وعن تكوين الجسم وسمو النفس والإمدادات اليومية خلال العجائب والنواميس والتأديبات، وعنايته المتنوعة.

أما قمة هذه الخيرات، فهي أنه لم يبخل علينا حتى بابنه الوحيد من أجلنا، والهبات التي قدمها لنا في المعمودية والإفخارستيا... في الواقع إن أحصينا كل شيء من هذه، فإنكم تغرقون في محيطٍ لا يوصف من البركات، سترون كيف لا يمكن حصر ما أنتم مدينون به لرأفات الله. ليس فقط هذه، بل وأيضًا جلال مجد الله وخلوده. ها أنتم ترون أنه يليق بنا أن نسبحه على هذا ونباركه ونشكره على الدوام، ونتعبد له، ونخدمه بلا انقطاع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ،

¹ On Ps. 146.

وَحَمِيدٌ جِدًّا،

وَلَيْسَ لِعَظَمَتِهِ اسْتِقْصَاءٌ [3].

❖ ربما تبدأ في الرغبة في تسبيحه، وتظن أنك قادر أن تبلغ إلى نهاية تسبيح ذاك الذي لا نهاية لعظمته. لا تظن أن ذاك الذي لا نهاية لعظمته يمكن أن تُقدم له تسبحة كافية... عظمته بلا نهاية، ليكن تسبيحه أيضًا بلا نهاية.

القديس أغسطينوس

❖ ما يعنيه: إذ لكم رب عظيم، فلترتفعوا، وتخلصوا من شئون العالم. تبَنُّوا غرضًا أسمى فوق دناءة الوجود الحاضر، لا لتكونوا متشامخين أو متعطرسين، إنما أصحاب فكرٍ عالٍ وعظيم. الغطرسة والعظمة أمران مختلفان تمامًا. الشخص المتعطرس هو من يفتخر بأمور دنيا ويحتقر زملاءه العبيد، أما الشخص السامي فهو المتواضع الفكر حاسبًا كل أمور الحياة الحاضرة كلا شيء .

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الرب كلي الجلال

دَوِّرْ إِلَى دَوِّرٍ يُسَبِّحُ أَعْمَالَكَ،

وَبَجَبْرُوتِكَ يُخْبِرُونَ [4].

يرى القديس أغسطينوس أنه يمكن تفسير هذه العبارة بمعنى أنه يليق بكل جيل أن يسبح الله، كما يمكن أن تعني أننا نسبح الله في هذا الدهر كما في الدهر الآتي. كثيرًا ما يفسر القديس أغسطينوس التعبير "دورٍ إلى دورٍ" أو "من جيلٍ إلى جيلٍ"، بأن الحديث خاص عن الجيل الأول الذي هو حياتنا في هذا العالم، والجيل الثاني هو حياتنا في الأبدية. وكأن التسبيح يمتد كل أيام غربتنا كعربونٍ للحياة الأبدية، ويستمر في حياتنا الأبدية مع صفوف السمائيين. في هذا الجيل نسبحه من أجل خليقته الجميلة التي أوجدها لنا، أما هناك فنسبحه، لأنه هو الجمال عينه، الخالق!

❖ "جيل فجيل يباركون أعمالك". ربما يقصد "بجيل فجيل" أي كل جيل...

أما يمكن أن يعني بالترار هنا جيلين؟ فإننا نحن في جيل أبناء الله، وسنكون في

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

جيل آخر لأبناء القيامة...

إن كان الجمال يبهجك، أي جمال أعظم من الخالق؟
إن كان نفع (المخلوقات) موضع تسبيح، أي نفع أكثر من ذاك الذي خلق كل
الأشياء.

إن كان السمو يُسبح، فأَي سمو بالأكثر من ذاك الذي به خُلقت كل الأشياء
(السامية)؟¹

القديس أغسطينوس

❖ لا يوجد زمن لا يحمل علامة على عنايته الإلهية... لن يتوقف الله عن الاهتمام بتقدم
طبيعتنا في كل شيء في كل زمنٍ على الدوام .

القديس يوحنا الذهبي الفم

بِجَلَالِ مَجْدِ حَمْدِكَ،
وَأُمُورِ عَجَائِبِكَ أَلْهَجُ [5].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "ويعظم جلال مجد قدسك يتكلمون، وبعجائبك
يخبرون".

بكل امتنانٍ وشكرٍ يتأمل المرتل في عظمة الله السامية كما تعلنها أعمال خلاصه
العجيبة.

❖ على أي حال انظروا هذا الإنسان في تأمله في أعمال الله؛ إنه ينتقل من العامل إلى
العمل، ينحدر من ذاك الذي يخلق إلى الأشياء التي يخلقها.

غير أنه جعل من الأشياء التي خلقها خطوة يصعد منها إلى الخالق. لأنكم أن أحببتهم
هذه الأشياء أكثر منه لن تتالوه.

وأي نفع لكم أن فاضت عليكم الأعمال، إن كان العامل نفسه يترككم؟ بالحق يلزم أن
تحبوه بالأكثر، تحبوه لأجل نفسه.

إنه لا يقدم وعوده بدون تقديم التهديدات أيضاً. إن لا يقدم وعوداً لا يوجد تشجيع، وإن
لم يقدم تهديدات لا يوجد إصلاح.

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

الذين يسبحونك يتكلمون أيضًا عن سمو أعمالك المهيبة، سمو أعمال يديك اللتين تؤدبان وتعاقبان، إنهم يتكلمون عنها ولا يصمتون. فإنهم لا يعلنون عن ملكوتك الأبدي، ويصمتون عن النار الأبديّة. فإن تسبيح الله يظهر أنك يجب أن تُحب، ويجب أيضًا أن تكون مخوفًا .

القديس أغسطينوس

❖ بعد أن أشار إلى " القدرة " يُظهر أن هذه القدرة غير عادية (عجيبة) في نوعها. إنها لا تعمل بلا أساس، كما لا تعمل أمورًا مصادفة، إنما تتم كل شيء بطريقة مدهشة، وتصدر الأمور التي تفوق حدود الطبيعة البشرية، فتكون الأحداث مدهشة ومجيدة. تأملوا - على سبيل المثال - ما حدث في مصر وفلسطين في أيام إبراهيم، وفي حالة إسحق، وفي حالة يوسف؛ وأيضًا ما حدث في مصر في حالة موسى، وما حدث في البرية، وعند دخول الأرض (الموعد)... كل هذه تعلن عن قدرة الخالق ومجده وعظمته، تأثير الدهشة والعجب العظيم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

بِقُوَّةِ مَخَافِكَ يَنْطَفُونَ،
وَبِعِظْمَتِكَ أُحَدِّثُ [6].

يعدد البشر أعمال الله المهيبة، أما المرثل فيستمر في الحديث عن عظمة محبته ورعايته.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم¹ أن عناية الله تُعلن خلال حنوه ورأفته، كما خلال تأديباته. ويرى ذلك واضحًا في الخليفة نفسها؛ فالله الذي خلق لأجلنا العالم بجماله الفائق وإبداعه، هو الذي سمح بوجود المخاوف من برقٍ ورعديٍّ وبراكينٍ وعواصفٍ تلجيةٍ وفيضاناتٍ وحرائق الخ. هذه كلها تستخدمها عناية الله لأجل رجوعنا إليه، وتيقظنا من غفلتنا، وتقودنا إلى حياة السهر .

❖ عندما كتب الرسول العظيم بولس إلى كنيسة كورنثوس عن رؤيته السماوية، لم يكن متأكدًا إن كان قد رآها بروحه فقط أم بجسده وروحه معًا. وشهد قائلاً: "أيها الإخوة أنا لست أحسب

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

³ On Ps. 146.

نفسى أنى قد أدركت. ولكنى أفعل شيئاً واحداً، إذ أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام". (في 3: 13) يتضح من هذا أن بولس وحده كان يعرف ما يوجد وراء السماء الثالثة ، لأن موسى نفسه لم يذكرها عندما تكلم عن خلق الكون وأصل هـ. استمر بولس في الارتفاع ولم يتوقف بعدما سمع عن أسرار الفردوس التي لا يُنطق بها. ولم يسمح للسمو والارتفاع الذي وصل إليه أن يحد من رغبته هذه.

وأكد بولس أن ما نعرفه عن الله محدود ، لأن طبيعة الله أبدية ، واسمي مما نعرفه ، وليس لها حدود. أما من يتحدثون مع الله ، فتنمو شركتهم معه وتزداد باستمرار في الحياة الأبدية، ويتفق هذا مع كلمات السيد المسيح: "طوبى ل لأتقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8). إنهم سيعرفون الله بقدر ما تسمح به عقولهم من فهم، إلا أن الله الغير محدود والغير مدرك يبقى دائماً بعيداً عن الفهم.

إن مجد الله العظيم جداً لا حدود له كما يشهد بذلك النبي (مز 145: 3-6). يبقى الله دائماً كما هو عندما نتطلع إليه ونفكر في علو سمائه.

هذا ولقد حاول داود العظيم بكل قلبه أن يرتفع بفكره إلى الأفاق العليا. وكان دائماً يتقدم من قوة إلى قوة (مز 84: 7). وصرخ إلى الله: "أما أنت يا رب فمتعال إلى الأبد". (مز 92: 8)

من ذلك يتضح أن الشخص الذي يجرى نحو الله يصبح أعظم كلما ارتقى إلى أعلى ، وينمو باستمرار في الخير حسب مستواه في الارتفاع. ويحدث هذا في جميع العصور ، والله هو الأعظم ارتفاعاً الآن وإلى الأبد ، ويظهر باستمرار هكذا لمن يقتربون منه ، فهو أعلى واسمي من قدرات كل من يرتفعون .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

نُكِرَ كَثْرَةَ صَلَاحِكَ يُبْدُونَ،

وَبِعَدْلِكَ يُرْتَمُونَ [7].

يشهد البشر عن عظمة صلاح الله، إذ يجدون في برّه باعثاً على التسبيح المُفرح. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إننا كما نعدد الأمور المخيفة التي تستخدمها العناية الإلهية لصالحنا، يليق بنا أن نذكر الخيرات الصالحة مثل وجود فصول السنة والأزمنة والحداثق

¹ عظة 8 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوار.

² On Ps. 146.

والمروج والمياه العذبة والأمطار وخصوبة التربة والثمار المتنوعة وأشعة الشمس وبهاء القمر والكواكب وهدوء الليل والأغنام الخ..، هذه التي يقدمها الله حتى لغير المستحقين.

كثيراً ما يتحدث **القديس أغسطينوس** عن محبة الله وحنوه ولطفه وطول أناته، وعن أبواب الرجاء التي يفتحها أمام الخطاة لأجل توبتهم وإصلاحهم بفرح، وفي نفس الوقت لا يتجاهل مخافة الرب ومهابته، وتأديباته في هذا العالم، كما يؤكد وجود نار جهنم لمن لا يقبل الحب ولا يرتدع بالتأديب.

تارة يستخدم الله المخاوف للتأديب، وتارة الخيرات وفيضها لتلمس محبته ورعايته. بالأولى يؤدب، وبالثانية يجتذبننا نحوه.

يلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** آ على التهديد بوجود الجحيم نفسه قائلاً: [إنه يهددنا بالجحيم لا لكي يبيلنا به، وإنما لكي لا نسقط فيه، فقد أعده لإبليس. اذكروا قوله: "إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (مت 25: 41). لقد أعد الملكوت للبشر، مظهرًا أنه لا يريد أن يطرح البشر في جهنم.]

3. الرب محب البشر

الرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ،

طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ [8].

عظيم هو الرب، لا في قدرته وأعماله فحسب، وإنما أيضاً في حنوه ورحمته وطول أناته.

❖ لم يقل فقط "رحوم"، وإنما هو غني في الرحمة، مظهرًا أن هذا الغنى لا يمكن قياسه، إنما يتعدى كل الحسابات البشرية .

❖ الله يريد أن يُدعى بواسطتها: " الرب حنان ورحيم، بطيء الغضب وكثير الرحمة " (LXX)، والحق رحمة الله فوق كل الأرض. إنها تخلص جنس البشر (مز 145: 9)، فلولا تعطفها علينا لتدمر كل شيء.

ونحن أعداء (رو 5: 10) صالحتنا، وقدمت بركات لا حصر لها. لقد حثت ابن الله أن يصير عبداً، وأن يخلي ذاته عن مجده.

¹ On Ps. 146.

² On Ps. 146.

دعونا نتبارى فيها بكل غيرة، هذه التي بها خلصنا. لنحبها، ونفضلها عن الغنى والثروة. لتكن لنا نفس رحومه. ليس شيء يميز شخصية المسيحي مثل الرحمة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ينبغي أن نحترس من أفكارنا ونقاومها أولاً بأول. أما إذا صرنا ضحيةً للوهم ، فلا نستسلم لليأس، بل بالعكس، لأنّ هذا الأمر يأتي من الشرير. ولنعلم أنّ مثل هذه الأمور يُسَمَّحُ بها لنا حتى نتعرّف على ضعفنا وأنا بشرٌ، كما أنّ هذه الأوهام تقابلنا لكي تجعلنا أكثر خبرة. وهكذا ينبغي أن ننوح لكوننا قد انخدعنا، وأيضاً لا نياس ، لأنّ "الرب حنانٌ ورحيم" (مز 145: 8)، ويعرف ضعفنا ويتراءف علينا .

القديس مقاريوس الكبير

الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكَلِّ،

وَمَرَاجِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ [9].

ما يُترجم هنا "صالح" يترجمه القديس أغسطينوس "حلو".

يمتد صلاح الله على الكل دون محاباة، وكل خليقته تتلامس مع مراقمه.

❖ لا تقل: "غداً سأرجع، غداً سأرضي الله، وكل أعمالي اليوم وبالأمس ستُغفر لي". إنك تقول الحق: الله يعد بالمغفرة بهدايتك، لكنه لا يعد بالغد والتأجيل (سي 5: 7) .

القديس أغسطينوس

❖ الله في صلاحه يحسن إلى كافة الأخيار والأشرار، فإنه يشرق الشمس ويرسل المطر

عليهم، وهكذا جميع خياراته، فإن معونته للكافة. حتى قصاصه للأشرار يحصل منه خير

جزيل، إذ يمنع سوء العمل، ويقطع جريانه، ويؤدب المذنبين والذين يتبعونهم.

الأب أنسيمنس الأورشليمي

❖ ماذا يقصد بقوله: " للكل ؟" يعني للخطاة والذين يعيشون في الإثم، وليس فقط للأبرار أو

الفضلاء أو للتائبين، بل بالفعل يعلن كل البشر خلال آلامهم عن رحمته وصلاحه.

¹ Homilies on Heb., 32: 7.

رسائله المكتشفة حديثاً عن مجلة: Recherches Augustiniennes, 1999 - 31, p. 104 - 135 رسالة 6 : 5 (فردوس

الآباء).

³ On Psalm 145 (144).

إن كنتم تسألونني لمن هو صالح، أجيبكم: ليس فقط لهابيل وإنما أيضاً لقاين. ليس فقط لنوح وبنيه، وإنما للذين غرقوا في الطوفان، كل الأمور كانت تتم خلال رأفته. لكي تتعلم أنه صالح لكل تأملوا هذا... إنه يسلمهم للتأديب الذي هو بالحقيقة لنصحهم أكثر منه لعقابهم، لكي يظهر الشخص عبر الزمن من ممارسة الخطية، ويكون عبرة يتعلم منها الآخرون مما يتألم به هؤلاء...

تعبير "للـكـل" لا ينطبق على هذه الحالات فقط، بل على كل المنظورات، الخلائق الحية، والوحوش غير العاقلة، بل وإن سعدتم إلى الملائكة أنفسهم ورؤساء الملائكة سترون صلاحاً عظيماً، وحنواً عميقاً، كل عمل يتمتع برأفات كثيرة آ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أليس الله صالحاً؟ تذكروا كيف أشبع آلاف الجموع في البرية بخبزٍ من السماء. لقد حال دون حدوث مجاعة، ولم تكن الجموع محتاجة إلى المشاركة في العمل لكي يشبعوا. لقد نعموا بالراحة لمدة أربعين عاماً، فلم تُبل ثيابهم، ولم تتهراً أذيتهم. أليس هو صالحاً؟ فقد أصدت الأرض إلى السماء، حتى مثلما تعكس النجوم بهاء مجده في السماء كالمرآة، كذلك فإن جوقة الرسل والشهداء والكهنة يتلألأون كالنجوم تماماً، وبيعتون نورهم للعالم أجمع.

إذاً هو ليس صالح فحسب، بل أكثر من ذلك كثيراً. إنه راعٍ صالحٍ لخرافه... و"الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف". إنه لنفعي أؤمن أن الله صالح، و"صالح هو الاتكال على الرب". جيد هو الاعتراف بأنه هو الرب، لأنه مكتوب: "احمدوا الرب، فإنه صالح".

القديس أمبروسيوس

يَحْمَدُكَ يَا رَبُّ كُلُّ أَعْمَالِكَ،

وَيُبَارِكُكَ أَتَقْيَاؤُكَ [10].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "فلتعترف لك يا رب كافة أعمالك، وقديسوك

يباركونك".

¹ On Ps. 146.

² Exposition of Christian Faith, 2: 23-25, 27. ترجمة الدكتورة نهى عزت.

وجود الخليقة من العدم، وتدبير الله الفائق لها، ورعايته كل هذا يمثل تسبحة حمد وشكر على قدرته وحكمته وحنوه، هذه التسبحة لا يُنطق بها. أما قديسوه فيشتركون مع الخليقة في الشكر والتسبيح من أجل كمالاته غير المحدودة. يستشهد القديس أغسطينوس بالثلاثة فتية القديسين وهم في أتون النار يقدمون تسبحة لله، طالبين حتى من الخليقة غير العاقلة أن تشترك معهم في تسبيح الله.

❖ عندما تفكر في جمال المسكونة في هذا العالم، أليس هذا الجمال عينه يُحسب كأنه صوت واحد يجيبك، قائلاً: "إني لم أخلق نفسي، الله هو خلقني؟"

القديس أغسطينوس

❖ كافة أعمال الله الناطقة وغير الناطقة، بإظهار حسن نظامها، تجلب له الاعتراف بحكمته وصلاحه. أما الأبرار فبأقوالهم وأعمالهم الجيدة يباركونه، ويصفون مجد ملكه الأبدي، وينطقون بلا فتورٍ بقدرته الكلية.

الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ "يحمدك يا رب كل أعمالك، وبياركك أتقياؤك" [10]. بمعنى ليقدموا لك الشكر، وليرسلوا لك التسابيح، الذين يقدمونها بصوتٍ، والذين يقدمونها بدون صوتٍ. كل الخلائق التي ليس لها صوت خُلقت بطريقة لتسبح خلال طبيعتها، حتى إن بدت بلا صوت في نظر البشر، مع تمتعهم بها. ما تفعله هذه الخلائق خلال وجودها نفسه، يفعله البشر خلال طريقة حياتهم وأنشطتهم. لقد أوضح ذلك بإضافته: "وبياركك أتقياؤك (قديسوك)".

القديس يوحنا الذهبي الفم

بِمَجْدِ مُلْكِكَ يَنْطَفُونَ،

وَبِحَبْرُوتِكَ يَتَكَلَّمُونَ [11].

يليق بالأتقياء أن يشهدوا لملكوت الله المفرح، ويتحدثوا عن عظمته بألسنتهم كما بحياتهم الداخلية وسلوكهم العملي.

❖ يا لقوة (جبروت الله) الذي خلق الأرض!

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

يا لقوة الله الذي ملأ الأرض بالخيريات!
يا لقوة الله الذي أعطى لكل حيوان حياته!
يا لقوة الله الذي أعطى البذور المتنوعة لرحم الأرض، فتُخرج براعم متنوعة وأشجارًا جميلة!

يا لقوة الله! عظيم هو الله. إذ تسأل يا قديس الله الخليفة تجيب، وإجابتها كاعترافٍ
تبارك الخليفة الله، وتتكلم بجبروته!

القديس أغسطينوس

لِيَعْرِفُوا بَنِي آدَمَ قُدْرَتَكَ،
وَمَجْدَ جَلَالِ مُلْكِكَ [12].

❖ يمدح قديسوك "مجد عظمة جمال ملكوتك"...

ما دام كل ما عنده جمال، هذا الجمال هو من عندك، فكم يكون عظمة جمال ملكوتك
كله!

ليت ملكوتك لا يربعنا؛ فإنه فيه أيضًا جمال يبهجنا.

ما هو الجمال الذي سيعتمتع به القديسون الذين سيقال لهم: "تعالوا يا مباركي أبي،
تمتعوا بالملكوت" (راجع مت 25: 34)؟...

يا لعظمة الجمال الذي لهذا الملكوت الذي ليس فيه سوى الملائكة يعيشون معك!
يُوجد عظمة لذاك الجمال، فلنحبه قبل أن نراه، حتى إذ نراه نتذكره!

القديس أغسطينوس

❖ عظيمة هي قوته، عظيم هو مجده، عظيمة هي كرامته، عظيمة وفوق كل نطقٍ، ليس فقط
تفوق كل وصفٍ، وإنما تتعدى كل فكرٍ^N.

القديس يوحنا الذهبي الفم

مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ،
وَسُلْطَانُكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ قَدَوْرٍ [13].

¹ On Psalm 145 (144).

² On Psalm 145 (144).

³ On Ps. 146.

جاء في الترجمة السبعينية: "الرب أمين في كل كلماته، وقدوس في كل أعماله".
يليق بنا في محبة كاملة أن نخضع لسلطان الله في هذا الدهر كما في الدهر الآتي،
كما يخضع له السمائيون بفرح وتهليل.

❖ ملك هذا الدهر له جماله، لكنه ليس فيه تلك العظمة كملك كل الدهور .

القديس أغسطينوس

❖ سلطانه يمتد إلى كل موضع في العالم، وإلى كل الدهور، وفي كل الأزمنة .

❖ بعد أن ذكر أن مملكته بلا نهاية، ولا يمكن أن تهتز، بل ثابتة لا تتزعزع، يشير إلى ثبات
كلماته. فإن كلمة "أمين" هنا تعني الثبات والصدق...

"قدوس في كل أعماله". ما هو معنى "قدوس"؟ لا عيب فيها، ومستقيمة، وبلا دنس،
لا تعطي فرصة لأحد أن ينتقدها^N.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الرب أمين في كل كلماته، إنه لا يكذب حين يقول: "إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض
كالثلج، إن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف" (إش 1: 18). الطبيب العظيم للنفوس،
المحرر المتأهب لا لتحريك وحدك، بل وكل المستعبدين للخطية، مستعد ليشفى مرضك^O.

القديس باسيليوس الكبير

❖ هكذا كان إبراهيم مؤمناً، لأنه آمن بكلمة الله؛ والله أمين كقول داود في المزمور: "الرب أمين
في كل كلماته، جدير بالثقة ولا يمكن أن يكذب".

القديس أثناسيوس الرسولي

4. الرب الملك معضد الساقطين

الرَّبُّ عَاضِدٌ كُلِّ السَّاقِطِينَ،

وَمُقَوِّمٌ كُلِّ الْمُنْحَنِينَ [14].

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

³ On Ps. 146.

⁴ Epistle, 46: 6.

تتجلى عظمة الله في اهتمامه بالساقطين والمنحنيين ليقيمهم ويرد لهم الحياة الكاملة. إنه يقترب جداً من الذين انحنت نفوسهم بسبب الأمراض أو الأحزان أو الضيقات، ويفترق بهم، ويميل بأذنيه ليسمع أنين قلوبهم الخفية. يقدم التسييح للرب الذي يبسط يديه على الصليب، ليحتضن البشرية الساقطة. يرفعها من التراب، ويقيمها لتتعم بشركة المجد الأبدي. هذه هي مسرته!

❖ الذين يفقدون شيئاً في هذا العالم وهم مقدسون، يكونون كمن هم محتقرين في هذا العالم. فبعد أن كانوا أغنياء صاروا فقراء، وبعد أن كانوا مكرمين صاروا في مستوى أقل، ومع هذا إذ هم قديسو الله يبدو أنهم ساقطون والرب يعضدهم. "لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم، أما الأشرار فيعثرون بالشر" (أم 24: 16).
عندما تحل الشرور على الأشرار يضعفون بها. وعندما تسقط على الأبرار فـ الرب عاضد كل الساقطين، ومقوم كل المنحنيين" ... كل المنتمين إليه .

القديس أغسطينوس

❖ الرب يرفع الساقطين في الذنوب والمعاصي أو في الشدائد إذا رجعوا إليه واستغاثوا به، وينهض الذين هشمتم الأحزان والمصائب ورضضتهم.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ عظمة مجد ملكوته ليس أنه يهتم بالثابتين فقط بل وبالساقطين ليختبروها؛ ويقيم المنحنيين. وما هو ملاحظ بالحق أنه يهتم بالكل وليس بهذا الشخص أو ذاك بل بالكل، حتى إن كانوا عبيداً معوزين منعزلين، ليقوموا من عزلتهم.

إنه رب الجميع كما ترون ولا يعبر عن الساقطين أو يستخف بالمترنحين...
كمثالٍ لقد أقام داود عندما سقط، وجعله قوياً. أقام بطرس عندما كان ساقطاً. لتصغوا ماذا فعل معه، إذ قال: "سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكنني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك". (لو 22: 31-32)

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الرب صادق في كل أقواله. إنه لا يكذب! عندما يقول: "إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

كالثَّج، وإن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف". (إش 1: 18)
 إن طبيب النفوس العظيم، الذي يريد أن يحزر، مستعد أن يشفي مرضك، ليس أنتِ
 وحدك فحسب، بل كل الذين أسرتهم الخطية .

القديس باسيليوس الكبير

❖ "الصديق يسقط سبع مرات ويقوم، أما الأشرار فيعثرون بالشر". (أم 24: 16) عندما تسقط
 الشرور على الأشرار يضعفون بها. وعندما يسقط الصديقون، فإن الله يقوي كل
 الساقطين... "الرب عاضد كل الساقطين" (مز 145: 14)، كل الذين ينتمون إليه، لأن "الله
 يقاوم المستكبرين". (يع 4: 6)

القديس أغسطينوس

5. الرب والعناية الإلهية

أَعِينُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى،

وَأَنْتَ تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ [15].

كل راعٍ يود أن يشبع قطيعه، ويقدم له كل احتياجاته، لكنه يقدم كل شيء في الوقت
 المناسب، حتى لا يسبب لقطيعه أذية. هكذا كثيرًا ما نشتهي أن يهبنا الله أمورًا صالحة، لكننا لا
 نعرف متى تكون لبناتنا، ومتى تسبب لنا أذية. يعرف راعينا السماوي ما يناسبنا، ويعرف
 الكمية المناسبة، وفي الوقت المناسب. لتتطلع أعيننا إليه في يقين نحو يديه. إنه محب وحكيم
 وسخي في العطاء!

عظيم هو الرب في تقديمه احتياجات كل أحدٍ. لذلك كل الخليقة تتطلع إليه، وتعتمد
 عليه، فيقدم لها طعامها في حينه.

إن كان الله يسمح بوجود فقراء وأغنياء، فإنه هو المهمم بالجميع، يعطي الجميع
 طعامهم في الوقت المناسب. يعطي الصالحين والخطاة.

تتطلع كل الخليقة إلى خالقها بكونه المشبع كل احتياجاتها، وهو من جانبه يقدم ما
 تحتاج إليه حسب حكمته بالقدر اللائق وفي الوقت المناسب.

❖ "أعين الكل إياك تترجى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه". ذلك كأنك تتعش الإنسان

المريض في حينه، عندما يلزم أن ينال شيئاً، أنت تعطيه. أحياناً يشناق البشر إلى شيءٍ وهو لا يعطيه؛ ذلك الذي يرعى يعرف الوقت المناسب للعطاء.

لماذا أقول هذا يا إخوة؟ لئلا ينهار أحد إن لم يُسمع له عندما يطلب شيئاً صالحاً من الله. فإنه عندما يطلب شيئاً شريراً لا يُسمع له كعقوبة، لكن عندما يطلب شيئاً صالحاً من الله، لئنه لا يُصاب بحالة إحباط ولا ينهار. لتنتظر عيناه الطعام الذي يُقدم له في الوقت المناسب. عندما لا يعطي الله، يفعل ذلك لئلا ما يعطيه يسبب ضرراً. "أنت تعطيتهم طعامهم في حينه".

القديس أغسطينوس

❖ "ليأت حبيبي إلى جنّته ، ويأكل ثمرها النفيس". (نش 4: 16) إنه لتعبير جريء من نفس ممتلئة حماساً وروعة ترتفع على كل تعجبٍ. من تدعوه العروس لوليمتها التي تتكون من فاكهتها الخاصة؟ لمن تُجهز العروس وليمتها التي أقامتها من مصادرها الخاصة؟ من تدعوه العروس لكي يأكل مما عرضته؟ هو "الذي منه وبه وله كل الأشياء". (رو 11: 36) إنه يعطي كل شخص طعامه في حينه (مز 145: 15)، يفتح يده ويملاً كل كائن حي بالنعيم. هو الخبز النازل من السماء (يو 6: 41)، وهو الذي يعطي الحياة للعالم ، ويجعل المياه تفيض من نبعه الخاص للحياة. هذا هو الواحد الذي تُرتب العروس له مائدتها ، وهي الحديقة التي تثبت منها أشجار حية.

ترمز الأشجار إلينا، وتُشير أرواحنا المُخلصة إلى الطعام المُقدم له. قال لتلاميذه: "لي طعام لأكل لستم تعرفونه أنتم" (يو 4: 32، 34)، وهو تنقيم إرادة الله المقدسة! فهو "يريد أن جميع الناس يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون". (1 تي 2: 4) هذا الخلاص هو الغذاء الذي يُجهز له. تعطى إرادتنا الحرة الثمرة لله وهي أرواحنا، ليقطفها من على غصنها الصغير. تمتعت العروس في البداية بثمره التفاح الحلوة المذاق، قائلة: "وثمرته حلوة لحلقي".

¹ On Psalm 145 (144).

(نش 2: 3) ثم أصبحت هي نفسها الثمرة الجميلة الحلوة التي قُدمت للراعي ليتمتع بها .

القديس غريغوريوس النيسي

❖ إنَّ الفقر الاختياري صالحٌ للذين لهم عادات صالحة، لأنهم بمجرد أن يطرحوا عنهم جميع الممتلكات غير الضرورية يأتون للرب بعلامةٍ على تعهدهم وهم يرتلون بطهارة تلك الآية الملهمة: "أعين الكل إياك تترجى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه". (مز 145: 15)

القديسة الأم سنكليتيكي

❖ هؤلاء الذين يصيرون أبناء، ويتمتعون بطعام روحي، يحق لهم أن يمجدوا أباهم. يقول الكتاب: إنه يليق بالابن أن يكرم أباه، والعبد أن يخشى سيده (مل 1: 6). لقد صرت ابنه، وتمتع بالطعام الروحي، تتناول الجسد والدم اللذين يهبانك ميلادًا جديدًا .

القديس يوحنا الذهبي الفم

تَفْتَحُ يَدَكَ،

فَتَشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضَى [16].

يفتح الرب يده، فمع إشباع كل حي باحتياجاته يملأه فرحًا وسرورًا. كل مخلوق له ما يناسبه لكي يشبعه وبيهبه!

❖ العلامات التي بها نعرف الله هي ذات العلامات التي بها يلزم على الابن أن يراها في علاقته بأبيه "يفتح يده، ويشبع كل حي بالفرح عن الإثم". (مي 7: 18 LXX) "يندم على الشر". (يوئيل 2: 13) "يوم الرب صالح لكل ولا يغضب علينا كل يوم". (مز 145: 9 LXX) "الله مستقيم لا ظلم فيه". (مز 92: 15 LXX) هذا هو ما يفعله الآباء لأبنائهم... إن كنت هكذا فإنك بالحق تصير ابنًا لله .

القديس غريغوريوس النيسي

❖ نتطلع كل الأشياء بنوعٍ من الشوق والحب غير المنطوق به إلى خالق وجودهم، واهبهم النعم وإمكانيات العمل، وذلك حسب المكتوب: "أعين الكل إياك تترجى" و " تفتح يدك،

¹ عظة 10 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوار .

² On Ps. 145..

³ Address on Religious Instruction, 40.

فتشبع كل حي من رضاك" ^أ.

القديس أمبروسيوس

6. الرب كلي الرحمة

الرَّبُّ بَارٌّ فِي كُلِّ طَرَفِهِ،

وَرَحِيمٌ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ [17].

إنه عظيم في برّه وحنوه. يليق بنا أن ندرك أن الله لا يبخل على خليقته بشيء، لكن وإن سمح أحياناً بمتاعب، أو ما نسميها أحياناً كوارث ومحن، فإنه لا يتم شيء بدون حكمة الرب العادل في كل طريقه والبار في سائر أعماله. لا يخطئ في تصرفاته.

❖ عندما يضرب وعندما يشفي هو بار، ولا يوجد فيه شر.

كل قديسه عندما يوضعون في وسط ضيقة أولاً يسبحونه، وبعد ذلك يطلبون بركاته. يقولون أولاً: "ما فعله هو مستقيم".

هكذا سأل دانيال وغيره من القديسين: "بارة هي أحكامك، بحق نحن نتألم، إننا نستحق الألم". لا ينسبون شرّاً لله، لا ينسبون له ظلماً... أولاً يسبحون تأديباته، وبهذا يدركون رعايته.

القديس أغسطينوس

❖ يدعو هنا إشرافه وعنايته ورعايته "طرقه"، التي تشكل كل شيء ^ن.

القديس يوحنا الذهبي الفم

7. الرب قريب

الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ،

الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ [18].

قمة عطاياه - كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ^و - إنه قريب للذين يدعونه، بمعنى أنه يتنازل ويلتصق بالذين يطلبونه بإخلاص، ويهتم بهم، ويظهر لهم أعظم درجات

¹ Of the Holy Spirit, 2:91.

² On Psalm 145 (144).

³ On Ps. 146.

⁴ On Ps. 146.

العناية الإلهية، ورحمته وحنوه، ويعلن لهم الخيرات بصورة فائقة.

❖ كثيرون يدعونه، ولكن ليس بالحق. يطلبون منه شيئاً، لكن لا يطلبونه هو.

لماذا تحب الله؟ "لأنه جعلني معافى". واضح أنه هو الذي جعلك هكذا. فإن الصحة

لا تأتي من أحدٍ سواه.

يقول آخر: "لأنه أعطاني زوجة غنية. بينما كنت قبلاً لا أملك شيئاً، وهي تغنيني".

هذه أيضاً هو أعطاك؛ أنت تقول الحق...

لذلك فإن الله صالح، هذا الذي يعطيك ما هو لديك، كم بالأكثر تكون مطوباً عندما

يعطيك نفسه!

لقد اشتبهت كل هذه الأشياء منه، أسألك أن تشتهيهِ هو أيضاً. فإن هذه الأشياء

بالحق ليست أحلى منه، ولا يمكن مقارنتها به بأي حال من الأحوال.

إذن من يفضل الله نفسه عن كل الأشياء التي يتقبلها منه، ومن أجل ذلك يفرح

بالأشياء التي يتقبلها، فهو يدعو الله بالحق.

القديس أغسطينوس

❖ شغل تعبير "الرب قريب" الكثير من آباء الكنيسة، فهو حال في كل موضع، ولا يخلو منه

مكان. لكنه قريب لمن يلتصق به ويرتمي عليه أو يتكى على صدره، فيحسب الشخص

المدلل، كأنه قريب له من العائلة الإلهية.

الآن وقد تجسد كلمة الله دعانا أحياء وإخوة، ووهبنا البنوة للأب.

في العهد القديم ينسب الله نفسه لأتقيائه، فيدعو نفسه إله إبراهيم وإله إسحق وإله

يعقوب، وفي العهد الجديد قدم لنا الدالة لندعو الله في كل صلواتنا الجماعية والشخصية:

"أبانا الذي في السماوات..."

الأب أنسيمنس الأورشليمي

❖ لتجعل رحلتك متوجهة إلى يسوع، إن أردنا أن نتم الرحلة لن نساfer مسافة بعيدة، ولا نحتاج

أن نعبر بحاراً، ولا أن نتسلق جبلاً شامخة. إن برهنت على تقواك وندمك الكامل، تستطيع

أن تراه دون أن تترك بيتك، بل تستطيع أن تهدم كل حائط، وتزيل كل عقبة، وتقتصر من

¹ On Psalm 145 (144).

القديس يوحنا الذهبي الفم

8. الرب سامع الصلوات

يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ،

وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ، فَيُخَلِّصُهُمْ [19].

من يتقي الله أو يخافه، إنما يجد مسرته في الله نفسه، ويعمل الله ما يسره في الوقت المناسب واللائق والنافع له. يجد خائفو الرب لذتهم في مشيئة الله، والله من جانبه يتمم اشتياقهم حسب حكمته.

كما هو عظيم في برّه [17] لا يخطئ في تصرفاته، هو عظيم في خلاصه لخائفيه الذين يطلبونه، يقتربون إليه بإيمانٍ ويقلب نادٍ على أخطائه.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن بولس طلب منه أن يفارقه ملاك الشيطان أي التجارب والضيقات، لكن الله لم يفعل ذلك. بالحقيقة فعل ما هو لصالح بولس الرسول، إذ قال: "الذالك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأنني حيث أنا ضعيف، فحينئذٍ أنا قوي". (2 كو 12: 8-10)

❖ إنه بالتأكيد سيخلص (مز 145: 19)، لكنه سيفعل هذا بالطريقة التي يعد بها. بأية طريقة هو يعد بهذا؟ أن نريد نحن ذلك، وأن نسمع له. فإنه لا يقدم وعدًا لكتلٍ خشبية!

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " (الله) يصنع مشيئة خائفيه". إنه يتممها، وإن كان لا يتممها في الحال، لكنه يتممها. حقًا إن كنت تخاف الله فلتتم مشيئته، وتراه من جانبه هو يخدمك؛ إنه يصنع إرادتك. "يستجيب تضرعهم ويخلصهم". إنكم ترون أنه لأجل هذا يسمع الطبيب، كي ينفذ. مني؟ اسمعوا الرسول يخبركم: "لأننا بالرجاء خلصنا، لكن الرجاء المنظور ليس رجاء. لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضًا". (رو 8: 24) يدعوه بطرس: "خلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير". (1 بط 5: 5) -

¹ On the Incomprehensible Nature of God, Hom. 6: 34.

² On Ps. 146.

³ Homilies on 2 Thess. 3:1.

⁴ On Psalm 145 (144).

القديس أغسطينوس

❖ سؤال من الأب نفسه إلى الشيخ الكبير: أتوسل إليك أن تخبرني من أين تأتي ليونة الجسد وميوعة القلب؟ ولماذا لا أستطيع أن أمكث دائماً في نفس التدبير؟

إجابة الأب برصنوفوس: أيها الأخ، إنني مندھش ومذهول من رؤية كيف أن أهل العالم الذين لهم شهوة الريح أو القتال يستخفون بالوحوش وفخاخ قطاع الطرق وأخطار البحر وحتى الموت ذاته. إنهم لا يجبنون من أجل الغنى الذي يشتهونه بتلھف، في حين أنهم غير متيقنين من الحصول عليه. ونحن البؤساء الجبناء الذين نلنا سلطاناً أن ندوس على "الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو 10: 19)، نحن الذين سمعنا القول: "أنا هو لا تخافوا" (يو 6: 20)، نحن الذين نعلم بوضوح أننا لا نصارع بقوتنا، بل بقوة الله الذي يسألنا ويحصننا، نستسلم لليونة والاكنتاب!

ومن أين يأتي ذلك؟ هذا لأن أجسادنا لم تتسمّر فيها مخافة الله (مز 118: 120 السبعينية)، ولأنه لم يجعل صراخ نوحنا (أو تنهّدنا) مطلقاً ينسينا أكل خبزنا (مز 102: 4-5). لذلك نحن نتقلّب من جانب إلى آخر، ومن نظام إلى آخر، لأننا لا نتشبث تماماً بالنار التي جاء الرب ليلقيها على الأرض (لو 12: 49)، والتي يمكنها أن تُهلك وتلتهم أشواك حقلنا الروحي، إن تخاذلنا وتغافلنا، وحبنا لأجسادنا لا يسمح لنا بالرحيل.

يشهد لي ابن الله الحي أنني أعرف إنساناً، وهو هنا في هذا الدير المبارك، ولا يقول أحد أنني أتكلّم عن نفسي، فأنا لا أحسب نفسي شيئاً في أي أمر، هذا الإنسان يمكنه أن يبقى كما هو بدون أي غذاء أو شراب أو ملابس حتى يفترقه الرب، ولن يعوزه من كل ذلك أي شيء على الإطلاق، لأنّ غذاءه وشرابه ولباسه إنما هو الروح القدس!

فإذا أردت نafسه وتثوّق وبادر، وامتلئ بالغيرة ومخافة الله، وهو سيحقق رغباتك. لأنه مكتوب: "يعمل رضى خائفه". (مز 145: 19)

وفي الحقيقة، فإنني أنا، الذي لستُ شيئاً، بسبب الوصية أعمل بقدر استطاعتي، ولكن الله هو الذي منه يكون الثبات والتحصين والتحرر وإتمام كل عملٍ صالحٍ وتجنّب كل شر وتدبير الخلاص في ملكوته، وله المجد. آمين.

فردوس الآباء

9. الرب حافظ محبيه

يَحْفَظُ الرَّبُّ كُلَّ مُحِبِّهِ،

وَيُهْلِكُ جَمِيعَ الْأَشْرَارِ [20].

عظيم هو أيضًا في سهره على كل محبيه. يدعوهم لكي يلقوا بكل همومهم عليه. أخيرًا عظيم هو في عدله، فيتخلى عن الأشرار المصممين على شرورهم، فيشربون من كأس الفساد الذي ملأوه بإرادتهم الشريرة.

❖ إنه سيخلص كل الذين يرجونه، كل المؤمنين، كل الذين يخافونه، كل الذين يدعونه بالحق. "ويهلك جميع الأشرار". من هم جميع الأشرار سوى المصرين على الخطية، الذين في جسارة يلومون الله لا أنفسهم. الذين يجادلون يوميًا مقاومين الله، الذين يبأسون من غفران خطاياهم، وبهذا اليأس يكذبون خطاياهم، الذين يعدون أنفسهم بالمغفرة بطريقة فاسدة، وخلال هذا الوعد عينه لا يفارقون خطاياهم وشرورهم.

القديس أغسطينوس

10. مجلة ختامية

بِتَسْبِيحِ الرَّبِّ يَنْطِقُ فَمِي،

وَلِيبَارِكِ كُلُّ بَشَرٍ اسْمَهُ الْقُدُّوسِ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ [21].

إذ يرى المرتل عظمة الله في كل شيء، يلهج قلبه ولسانه وكل كيانه بالتسبيح له. يختبر عذوبة التسبيح، فيدعو كل بشرٍ ليشترك معه في هذه الخبرة المفرحة.

❖ ألا ترون أنه في تدبيره اللائق يدعو ليس فقط الذين يتمتعون بإحسانه، بل والذين يعانون من العقاب (كعلامة على اهتمامه بالكل)، ليس فقط البشر، بل والحيوانات غير العاقلة، كل العناصر وكل الأشياء الجامدة، الكل مملعون بصلاحه كما ترون.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي مزمو 145

هب لي ألا أحرَم من التسبيح لك!

❖ تطلع المرتل إليك، وتلامس مع عظمتك الفائقة. عظيم أنت في صلاحك،

¹ On Psalm 145 (144).

² On Ps. 146.

يا من تحول المتاعب إلى تعزيات.

وتتزع عنا فسادنا،

فننعم بصلاحك في حياتنا،

❖ عظيم أنت في رحمتك وحنوك،

غافر الخطايا، ومنقذ النفوس من الفساد.

❖ عظيم أنت في ملكوتك،

يا من تقيم من قلبي عرشاً لك.

عظيم أنت في مهابتك،

تسكبها في، فأحمل صورة بهائك.

❖ عظيم أنت في عجائبك،

فتجعل من شعبك عجباً.

تقيمنا من المزيلة،

لنجلس مع الطغمات السماوية.

تتزع عنا الطبيعة الترابية،

لتهبنا السكنى في سماواتك.

❖ عظيم أنت في طول أناتك،

تفتح أبواب الرجاء للجميع.

عظيم في رعايتك،

تقيم الساقطين، وترفع المنحنيين.

عظيم في حراستك وسهرك،

فلا يتسلل العدو، ليخطف أحداً من يدك.

❖ عظيم أنت في خلاصك،

فتدخل بنا إلى أمجادك السماوية.

عظيم أنت في برِّك،

تكسوننا به، فننتبرر بك.

عظيم يا أيها القدوس وحده،

فتقيم منا قديسين!

❖ عظمتك تدعونا للتسبيح لك من دورٍ إلى دورٍ .

نسبحك هنا من يومٍ إلى يومٍ .

ونسبحك في السماء مع الطغمام السماوية أبدياً .

نسبحك ونفرح بالمسبحين معنا .

ليت كل بشرٍ يختبر لذة التسبيح لك!

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

حياة التسبيح

تعتبر المزامير الأخيرة في النسخة العبرية 146-150 مزامير تسبيح، أو مجموعة هالليل *Hallel*، تشبه مزامير هالليل المصرية (113-118) ومزمور هالليل الكبير (136). يبدأ كل زمور من المزامير الخمسة بالدعوة لتسبيح الرب، كما تنتهي بـ "هلليلويا". لا نسمع فيها عن صراعات أو آلام أو متاعب. ليس فيها أنين، وإنما تسابيح مفرحة وشكر على خلاص الله. إن ما يشغل المرتل هو فرح القديسين بمجد الله.

مفتاح مزامير التسبيح

تعتبر كلمة "سبحوا" أو مشتقاتها أو ما يعادلها هي مفتاح هذه المزامير. في المزمور 146 وردت في الآيتين الأولى والثانية، وفي المزمور 147 وردت في الآيات 1، 7، 12. وفي المزمور 148 وردت في ثلاث آيات. وفي المزمور 149 وردت كلمة "غنوا" في الآية 1، و"ليسبحوا" في الآية 3. وفي المزمور 150 وردت معدل مرتين في كل آية.

يستطيع المرتل أن يقول: "أما أنا فتسبيح للرب"، يربط التسبيح بكل جوانب حياته.

١. لا حياة بدون تسبيح [1-2]. إذ يود المرتل أن تكون حياته إعدادًا للأبدية، يريد ألا يتوقف عن التسبيح مادام موجودًا. فكل ما في السماء هو تسبيح، وأما جهنم فلا تعرف التسبيح قط، لا وجود له فيها. وعلى الأرض يمكن أن للإنسان أن يسبح أو يتوقف عن التسبيح.

٢. التسبيح يشجع على الإيمان بالله والثقة فيه [3-4]. فمن يثق في طبيعة السماوي لا يتوقف عن مدحه والتسبيح له في أعماقه، كما أمام الآخرين، وإذ يسبحه ينمو بالأكثر إيمانه به. أما من لا يثق في طبيعة السماوي متكلاً على أصحاب السلطين أو الإمكانيات الزمنية، فيقلل من التسبيح لله حتى يتوقف تمامًا.

٣. التسبيح يشجع على الرجاء [5-7]. التسبيح يملأ النفس فرحًا، ويبث فيها الرجاء في الرب، فتسبح الرب في كل الظروف.

٤. التسبيح يشجعنا على المحبة لله والناس [8-10].

كأن التسبيح يرتبط بالحياة نفسها كما بالإيمان والرجاء والمحبة.

من الجانب الليتورجي ينقسم المزمور إلى خمسة أقسام.

1. الشعب: دعوة للتسبيح الدائم 2.-1

2. نصيحة كهنوتية: عدم الاتكال على البشر 4.-3

3. تطويب كهنوتي 5.

4. الشعب: اعترفوا بالإيمان 9.-6

5. لحن ختامي 10.

العنوان

هَلُّوِيَا.

جاء عن الترجمة القبطية والسبعينية: "مرسوم بهللويا. لحجّي وزكريا".

يرى الأب أنسيئوس الأورشليمي أن كلا من النبيين حجّي وزكريا كانا يسبحان به بعد

رجوع اليهود من سبي بابل.

1. الشعب: دعوة للتسبيح الدائم

سَبِّحِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ [1].

يبدأ المزمور بحوار المرثل الممتع مع نفسه. يبدأ بدعوة نفسه وسط آلامه وضيقاته

لكي تسبح.

قبل أن يدعو الإنسان غيره للتسبيح يليق به أن يدعو أعماقه لممارسة التسبيح، فمن

جانب يدرك المؤمن أن يؤكد لنفسه علاقته الشخصية الدائمة مع الله، ومن جانب آخر فإن التسبيح كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أقوى سلاح لمقاومة إبليس. ومن جانب ثالث فإن المؤمن يصير نموذجًا عمليًا لمن هم حوله.

يرى القديس أغسطينوس أن المتحدث هنا ليس الجسد ليقدّم النصيحة للنفس، لأن

النفس هي التي تصدر النصح والأوامر للجسد، وليس العكس. يشبه النفس بالذهب والذهب بالرصاص، فإن الذهب وإن أصابه صدأ، فهو أثمن من الرصاص، حتى وإن بدا نقيًا ولامعًا. هنا النفس (أو العقل) تنصح ذاتها.

❖ انظروا فإن المزمور يعلن: إنه صوت شخص يشجع نفسه لكي تسبح الله، قائلاً لنفسه: "سبحي يا نفسي الرب". لأنه أحياناً في الضيقات والتجارب التي للحياة الحاضرة تصير نفوسنا مضطربة، أردنا أو لم نرد... فلإزالة هذا الاضطراب يقترح (المرتل) الفرح، لا كواقع حقيقي بل في رجاء، ويقول لنفسه وهي مضطربة وفي قلقٍ وحزنٍ: "ترجي الله، فإني أعترف له".

القديس أغسطينوس

❖ "سبحي يا نفسي الرب". لم يقل المرتل: "سبح يا جسدي"، وإنما "سبحي يا نفسي"، ليس لأنه يدين الجسم، إنما لأنه يلوم أعمال الجسد. تشجع النفس كيائها بغيره، وكأن داود يقول: "سبح الرب يا داود".

القديس جيروم

أُسَبِّحُ الرَّبَّ فِي حَيَاتِي.

وَأُرَتِّمُ لِإِلَهِي مَا دُمْتُ مُوجُودًا [2].

جاءت كلمة "يهوه" أو "الرب" ثلاث مرات في الآيتين 1 و2، وذلك كما تكررت ثلاث مرات في البركة الخاصة بالكهنة (عد 6: 24-26)، حيث يُقدم التسبيح للثالوث القدوس، ويقوم الثالوث بتقديم البركة للشعب كما للمؤمن.

إن كان المسيح هو حياتنا، فإننا إذ نلتصق به ونقتنيه في أعماقنا نتمتع بالحياة،

وتمتلئ نفوسنا فرحاً، فتسبح في كل حين!

إذ ننشغل بالخطية ونلتصق بها نُحسب أمواتاً وغير موجودين، فلن نستطيع التسبيح

حتى وإن رددت أفواهنا وألسنتنا كلمات التسبيح!

❖ تجمع (النفس) ذاتها كما في حالة صحية، وتقول: "سبحي يا نفسي الرب"... وعندئذ إذ انحدرت وصارت عاجزة عن القيام كما يجب تجيب العقل: "أسبح الرب في حياتي". ماذا يعني "في حياتي"؟ لأنني الآن أنا في موتي!...

تجيبك نفسك قائلة، أسبح قدر ما استطيع، فإني هزيلة وفقيرة وضعيفة. لماذا؟ ونحن

مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن الرب" (2 كو 5: 6).

¹ On Ps. 146 (145).

² Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

"في حياتي" ... إن كان الالتصاق به هو حياة، فإن التغرب عنه موت. ولكن ماذا يريحكم؟ الرجاء! الآن تعيشون في الرجاء، وفي الرجاء تسبحون، في الرجاء تغنون. موتكم نابع عن حزن هذه الحياة. إنكم تحيون في رجاء الحياة العتيدة. وكيف ستسبحون الرب؟ "أرنم لإلهي مادمت موجودًا".

القديس أغسطينوس

❖ لاحظوا أن النفس تشبع ذاتها بغيره، وتستجيب لهذا الحث الصادر عنها. ماذا تقول؟ إنها تقول لي: "إنني سأسبح الرب في حياتي. الآن لا أستطيع أن أسبح، فإنني تحت ضغط الخطايا. عندما أحاول أن افتح شفتي للتسبيح لله، الشعور بخطاياي يختم عليهما ويغلقهما. "أسبح الرب في حياتي". بحق يقول المرثل: "أسبح" وليس "أسبح". عندما أكون مع ربي، عندئذ أسبحه في حياتي. الآن أنا في الموت؛ لا أستطيع أن أتفوه بالتسبيح. في حياتي سأسبح. حياتي هي المسيح. لنسبح الرب في الحياة... عندما نتم أعمال البر، نكون أحياء، وعندما نخطئ نكف عن ذلك.

القديس جيروم

❖ الآن - كما أشير على الدوام - يشير إلى التسبيح بالأعمال (في حياتي)، وذلك كما يقول المسيح: "فليضئ نوركم قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت 5: 16). وبولس بدوره يقول: "مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم" (1 كو 6: 20). وكما قال (المرثل) في المزمور السابق: "في كل يوم أسبحك" (مز 145: 2)، هكذا يقول هنا: "أرنم لإلهي مادمت حيًا"^[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. نصيحة كهنوتية: عدم الاتكال على البشر

لَا تَتَّكِلُوا عَلَى الرُّؤَسَاءِ،

وَلَا عَلَى ابْنِ آدَمَ،

¹ On Ps. 146 (145).

² Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

³ On Ps. 146.

حَيْثُ لَا خَلَاصَ عِنْدَهُ [3].

يدعونا الروح المقدس أن نسبح الله كل أيام حياتنا. من علامات هذا التسبيح عدم الاتكال على الذراع البشري، مهما كان مركز الإنسان أو سلطانه أو إمكانياته، فإنه عاجز عن تقديم الخلاص لنفسه كما لمن هم حوله.

جاء بقية المزمور يوضح لماذا الله وحده دون الإنسان يستحق الاتكال عليه. يليق بنا ألا نتكل على ذراع بشر، حتى على الرؤساء، فإنهم عاجزون عن تحقيق خلاصهم، فكيف يخلصون الغير؟

❖ الآن خلال نوع من الضعف تدخل نفس الإنسان في ضيقٍ هنا، فتتأس من الله، وتختار الاعتماد على إنسان.

إن قيل لإنسان ساقط في نوع من الحزن: "يوجد إنسان عظيم يمكنك به أن تتحرر"، يبئس ويفرح ويرتفع. لكن إن قيل له: "الله يحرك"، يصير في برودة لا يتكلم، بسبب اليأس. عندما تتال وعدًا من إنسانٍ مائتٍ تفرح، فهل عندما تتال وعدًا من الخالد تحزن؟ إنك تتال وعدًا أن تتحرر من إنسانٍ يحتاج إلى التحرر معك، ومع ذلك تتهلل كما لمعونيةٍ عظيمةٍ، وما أنت تتال وعدًا من المحرر (الإلهي) الذي لا يحتاج إلى من يحرره، ومع ذلك تتأس كما لو كان تافهًا! ويل لمثل هذه الأفكار، فإنها تجول بعيدًا. حقًا في داخلها حزن وموت عظيم! إنه لن يترك عمله (الإنسان) مادام عمله لا يتركه.

القديس أغسطينوس

❖ "لا تتكلوا على الرؤساء". ما بالنا نترك إلهنا المشفق علينا، ونلقي رجاءنا على بشرٍ مثلنا مائتين، مع علمنا أننا بفقدهم نفقد حمايتهم أيضًا، فتضيع علينا مصالحننا، وربما يصيبنا أذى من أعدائهم بسبب انتسابنا إليهم. وما الذي يمنعنا من استدراك خطايانا، والعودة إلى صوابنا، ونلقي رجاءنا على إلهنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ On Ps. 146 (145).

❖ إن لنا قد تخلصنا من حمايتي والدينا، يلزمنا أيضاً ألا نح تلج إلى خدمات الرؤساء الذين بكل شكرٍ يبتهجون بتقديمهم احتياجاتنا مجاناً. فإننا إذ نقتات بغناهم ن تحرر من الاهتمام بإعداد الطعام، لكن ترعبنا لعنة النبي القائل: "ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان" (إر 5:17) و"لا تتكلوا على الرؤساء" (مز 3:146).

الأب إبراهيم

❖ ما هو معنى: " لا خلاص عنده "؟ حتى خلاصهم ليس تحت سلطانهم، ولا يقدر أن يدافعوا عن أنفسهم. إن ضربهم الموت، ففي الحقيقة يصيرون في سكون أكثر من الحجارة...

الآن ما يعنيه هو هذا: كيف يُمكن لمن هو عاجز عن الدفاع عن نفسه أن يسحب الآخرين (من الخطر)؟

لا يمكن ذلك بكل الطرق، فإن هذا الرجاء غير ثابت وغير سليم. هذا ما توضحه الطبيعة. لذلك فإن بولس في حديثه عن الرجاء في الله قال: "والرجاء لا يخزي" (رو 5: 5)، أما الأمور البشرية، فمن الجانب الآخر، أضعف من الظل. أقصد بذلك، لا تقل لي إن هذا حاكم، فإنه حتى الحاكم لا يزيد عن أن يكون غريباً، يتعرض كغيره لعدم الثبات. لا يمكن الاعتماد على إنسان أبياً كان مركزه أو قدرته أو إمكانياته. فمن جهة، هذه كلها غير دائمة. ومن جانب آخر، حتى الحاكم نفسه قد يتعرض للغدر والخيانة من الحراس أنفسهم، فإن كان يعجز عن حماية نفسه، فمن يحرسه؟ هل يستطيع أن ينقذ الآخرين؟ من جانب آخر، فإن كان هذا الحاكم نفسه سيموت ويتعرض للهلاك، فكم بالأكثر تكون وعوده واهية ومعرضة للدمار^N.

القديس يوحنا الذهبي الفم

تَخْرُجُ رُوحُهُ، فَيَعُودُ إِلَى تَرَابِهِ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسُهُ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ [4].

شتان ما بين ذراع البشر ومسيحنا ذراع الله. فالبشر يموتون، فترجع أجسامهم إلى

^A أي الذين هم في مناصب كبيرة ويودوا أن يقدموا للرهبان خدمات لأجل راحتهم... فانه لا يلبق بالرهبان أن يتكلوا عليهم في كسل.

² Cassian, *Conferences* 24:2.

³ On Ps. 146.

التراب، أما مسيحننا فمات، ولم يرَ جسده فسادًا، بل ووهبنا الحياة المُقامة هنا، كما يق يم أجسادنا عند مجيئه الثاني.

يعجز عظماء هذا العالم عن مساندة أحدٍ، خاصة بعد خروج نفوسهم من أجسامهم، كما تبطل كل تهديداتهم، وتزول كل أحلام يقظتهم.

❖ كثيرون يضعون رجاءهم في رئيسٍ. اليوم هو موجود، غدًا لا يوجد بعد. اليوم يتقدمه جيش، بالليل ينام في قبره .

القديس جيروم

❖ بالموت تتحل كل الأشياء، اسمعوا النبي ماذا يقول: "في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره" .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بخصوص نفوسنا يقول الكتاب : "تخرج روحه، فيعود إلى ترابه " (مز 146 : 4). ويقول ثانية عن نفس الروح: "وجابل روح الإنسان في داخله" (زك 12 : 1).

وعن الملائكة يقول في سفر المزمير : "الصانع ملائكته رياحًا وخداهم لهيب نار" (مز 104 : 4). وعن الرياح يقول : "وروح عاصف بها تك سر سفن ترشيش" (مز 48 : 7)، وأيضًا "النار والبرد والضباب والروح العاصف " (إش 12 : 2). وعن التعليم الصالح يقول الرب نفسه: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة " (يو 6 : 63) بدلًا من أن يقول "هو روحي". أما الروح القدس، فلا ينطق به اللسان، إنما هو روح حيّ يهب الحكمة في الكلام متحدثًا وواعظًا بنفسه .

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ الخطط التي تتحدث عنها هي تلك الخاصة بهذا العالم، بخصوص البيوت والممتلكات، الآباء والأبناء، والمعاملات التجارية. هذه جميعها تتدمر فورًا عندما تعبر النفس من الجسم، ولا يعود يُذكر شيء من هذا أو يكون موضع اعتبار .³

الأب دوروثيوس من غزة

¹ Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

² On Eph. Homily 13.

⁴ On Fear of Punishment.

3. تطويب كهنوتي

طُوبَى لِمَنْ إِلَهُ يَعْقُوبَ مُعِينُهُ،

وَرَجَاؤُهُ عَلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ [5].

الاتكال على إله يعقوب هو طريق السعادة والعون والرجاء.

❖ ماذا ينبغي علينا أن نفعل إن كنا لا نضع رجاءنا في بني البشر، ولا في الرؤساء؟
"طوبى لمن إله يعقوب معينه" ، ليس هذا الإنسان أو ذاك، وإنما "طوبى لمن إله يعقوب معينه"...

لقد صار يعقوب إسرائيل، أي "رؤية الله"، وبهذا ينتهي كل تعبٍ وكل التنتهات،
وتبطل كل مضايقات الهموم، ويتبع ذلك تسابيح سعيدة (مطوية) .¹

القديس أغسطينوس

❖ لنا معين واحد، له السلطان أن يخلص. "رجاؤه على الرب إلهه".²

القديس جيروم

❖ إذ حاول أن يثبتهم عن الاتكال على الرجاء البشري، الآن يشير إلى المأوى الآمن والبرج المنيع، مقدمًا لهم نصيحة. هذه هي أفضل نصيحة تفوق الكل، حيث تفود الناس بعيدًا عن الطريق غير الموثوق فيها، والتوجه إلى الطرق القوية؛ يحطمون ما لا طائل تحته، ويقيمون ما يمكن الاعتماد عليه، يدحضون ما هو مخادع، ويقيمون ما هو نافع.³

❖ أنصحكم ألا تتركوا كل شيءٍ لله وأنتم تغطون في النوم في عدم اكتراث. ولا عندما تجتهدون في سعيكم تظنون أن بمجهوداتكم يتحقق كل العمل. الله لا يريد منا أن نكون كسالى. فإن الله لا يتم كل العمل بنفسه... ولا إرادته أن نكون مكتفين بأنفسنا تمامًا، إذ لا يترك الله العمل كله لنا وحدنا.⁴

❖ ليس أحد يمارس حياة صالحة، ويقلق من جهة المستقبل... هل واقعنا الصالح يكمن في الرجاء؟ نعم، لكنه ليس رجاءً بشرياً الذي غالباً ما يبطل ويترك خلفه الارتباك فقط. رجاؤنا

¹ On Ps. 146 (145).

² Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

³ On Ps. 146.

⁴ Homilies on Matt., 82.

هو في الله، لذا فهو أكيد وثابت^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. الشعب: اعترفوا بالإيمان

الصَّانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،

الْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا.

الْحَافِظِ الْإِمَانَةَ إِلَى الْأَبَدِ [6].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "الحافظ العدل إلى الدهر". وجاءت الترجمة عن

القديس أغسطينوس "الحافظ الحق إلى الأبد".

يقدم لنا المرثل الأسباب التي جعلنا نتكل على الله. أولها أنه الخالق كلي القدرة. إن

كان قد خلق السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها، ماذا لا يقدر أن يفعله؟

أيضًا، إذ هو أمين في وعوده، ومخلص في محبته، يُمكن الاعتماد عليه والثقة فيه.

لن يقدر أن يكذب أو يتراجع في وعوده. ليس من خطرٍ نخشاه عند اتكالنا عليه. إنه لن يخفق

في تحقيق وعوده.

إن كانت السماوات والأرض قد بقيتا كل هذه القرون الطويلة، فكم بالأكثر يبقى خالقها

أمنيًا في وعوده إلى الأبد.

❖ لنا يا إخوتي الله العظيم، لنبارك اسمه القدوس، الذي تفضل وجعلنا مقتناه. كل ما ترونه قام

بخلقه.

إنكم تُعجبون من العالم، لماذا لا تُعجبون من خالق العالم؟

إنكم تنظرون إلى فوق وتدهشون، إنكم تتأملون كل الأرض وترتعبون، متى يمكنكم أن

تحتوي أفكاركم اتساع البحر؟...

انظروا، فإن الذي صنع هذا كله هو إلهكم! ضعوا رجاءكم فيه، فتسعدون^٢.

القديس أغسطينوس

❖ إن قورنا بالسماوات والأرض والبحر، فإننا نحن البشر في خلقتنا نكون نملة أو حشرة. هل

يُعقل أن الذي خلق السماء والأرض ليس له سلطان أن يخلص الإنسان الذي خلقه؟

¹ Homilies on Romans. homily 9.

² On Ps. 146 (145).

"الحافظ العهد إلى الأبد". إن كنا نُسحق بالباطل والخداع، فلنحزن على ذلك.

الرب هو الحافظ للحق كل الأبدية.

قد يكذب أحد علينا، وقد يُصدّق الكذاب أكثر منا نحن الذين نُخبر بالحق، يلزمنا ألا نياس، فإن الرب حافظ الحق إلى الأبد...

بلياقة قيل "يحفظ". إنه يحفظ الحق، ويحفظه في خزنته، ويرد لنا ما قد خزّنه بعيداً عنا.

"حافظ الحق إلى الأبد". المسيح هو الحق؛ لتتطق بالحق، والحق يحرس الحق لنا.

"(الرب) يجري عدلاً للمظلومين" (راجع مز 146: 7). فإنه وإن تأخر العدل في مجيئه لا تفقد الرجاء، فإنه بالتأكيد سيأتي، ويقدم خلاصاً ويحقق عدلاً للمظلومين...
المسيح هو الحق. لتتطق بالحق. فإن الحق (المسيح) يحفظ الحق لنا.

القديس جيروم

❖ إن كانت أعمال (الله) باقية يكون هو نفسه دائماً وصاحب قوة؛ ولكي يبرهن أنه هكذا، فإن أعماله تُظهر قوته .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أم أيُّ إنسانٍ منكم إذا سأله ابنه خبزاً يُعطيه حجراً؟ وإن سأله سمكةً يُعطيه حيةً؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تُعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يَهَبُ خيراتٍ للذين يسألونه.

لكن كيف يستطيع الأشرار أن يعطوا عطايا صالحة؟! لقد دعاهم أشراراً ، لأنهم لا زالوا إلى الآن محبين للعالم وخطاة. وقد دعيت الأشياء صالحة بحسب مشاعرهم، فهي رغم كونها صالحة حسب طبيعتها، لكنها أمور زمنية خاصة بهذه الحياة الواهية.

غير أن الأشرار لا يعطون هذه العطايا من عندهم ، لأن للرب الأرض وملؤها (مز 1:24). الذي صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها (مز 146:6).

فإن كنا ونحن أشرار نعرف كيف نعطي ما يسألونه منا، فلا نخدع أبناءنا، بل نعطيهم أشياء صالحة ليست منا بل من الرب، فكم بالأكثر يكون رجاؤنا في الرب أن يعطينا عندما

¹ Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

² On Ps. 146.

نطلب منه أمورًا صالحةً .

القديس أغسطينوس

الْمُجْرِي حُكْمًا لِلْمَظْلُومِينَ،

الْمُعْطِي خُبْرًا لِلْجِيَاعِ.

الرَّبُّ يُطْلِقُ الْأَسْرَى [7].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "الرب يحل المقيدين".

إذ يقول المرثل: "الحافظ العدل أو الحق إلى الأبد، يتساءل القديس أغسطينوس ما

هو هذا الحق الذي يحفظه؟ وأين يحفظه؟ جاءت العبارة التي تليها كإجابة على هذين التساؤلين.

إنه مدافع عن العاجزين عن حماية أنفسهم أو عن الدفاع عن أنفسهم. يحسب قضاياهم قضاياهم هو شخصياً. يبدو كأن الأمواج ضدهم والرياح تحطمهم، لكن النصر لهم أكيدة في الوقت المناسب.

إن يعول الجياع والعطاش روحياً وجسدياً. يحضرنا إلى وليمته، ويدخل بنا كما إلى سماواته، لنتمتع بخبز الملائكة.

يميز القديس أغسطينوس بين نوعين من الجائعين، فانه يعطي الطعام المادي لأي جائع، أما الجائعين إلى البرِّ، فيقدم لهم طعاماً خاصاً يشبعهم.

إنه محرر الأسرى من الضغوط البشرية، وقيود الخطية، وقبضة العالم، وعبودية إبليس، بل ومن مذلة الأنانية التي تحطم قلوبنا.

يوضح القديس أغسطينوس معنى المظلومين هنا، فإنه ليس كل من يعاني من متاعب يُحسب مظلوماً يدافع عنه الله. إنه يدافع عن المتألمين عن ظلم، وليس عن خطأ ارتكبه. فاللصوص يعانون أموراً كثيرة، وأيضاً الأشرار من زناة ومخادعين، لكنهم ليسوا مظلومين يدافع الله عنهم.

❖ "الصانع الحكم للمظلومين". إنه ينتقم للمظلومين. يأتي إليكم صوت الرسول: "الآن فيكم عيب مطلقاً، لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض. لماذا لا تُظلمون بالبحري" (1 كو 6: 7). إنه يحثكم ألا تنزعجوا، وإنما تُظلمون. ليس كل انزعاج هو ظلم...

¹ Sermon on Mount, 2:73.

- اهتموا بما تفعلونه، لا بما تعانون منه. فإن فعلتم أمرًا مستقيمًا تُظلمون، أما إن فعلتم شيئًا خطأ، فإنكم تعانون عن حق¹.
- ❖ يليق بنا أن نكون جائعين إلى الله².
- ❖ كان جسمنا زينة لنا، الآن أخطأنا، بهذا صارت له قيود موضوعة علينا. ما هي القيود؟ فسادنا!

القديس أغسطينوس

- ❖ هذا هو دوره، هذا هو طبعه، هذه هي سمة الله الخاصة، إنه لا يتجاهل المتضررين، ولا يترك المحزونين، يرفع يده لصالح الذين هم ضحايا المتأمرين، ويفعل هذا على الدوام³.
- القديس يوحنا الذهبي الفم**
- ❖ إن كان العدل يتأخر لكنه قادم، لا تفقد الرجاء. بالتأكيد هو قادم (راجع حب 2: 3)، ويجلب الخلاص. "المجرى حكمًا (عدلاً) للمظلومين..."
- "المعطي خبزًا للجوع" ... للجوع، وليس للعنفاء ... لنجوع إلى المسيح، وهو يعطينا الخبز السماوي ...
- "الرب يطلق الأسرى" إن كان هذا الخبز، الكلمة الإلهية، والتعلم السماوي، ينعش النفس، فإنه يحرر أقدامنا فورًا من أغلالها. الرب يحرر الأسرى. كان لعازر مريضًا بقيود⁴، وقال الرب: "حلوه" (يو 11: 44). الرب يحل القيود⁵.
- ❖ لما كان "الرب يطلق الأسرى" (مز 146: 7)، ويجد راحته في المنسحق الروح والمرتع من كلمته (إش 66: 2)، فإنه قد يقول لي أنا الراقد في قبر الخطية: "جيروم! هلم خارجًا" (يو 11: 43)⁶.

القديس جيروم

الرَّبُّ يَفْتَحُ أَعْيُنَ الْعُمَى.

¹ On Ps. 146 (145).

² On Ps. 146 (145).

³ On Ps. 146 (145).

⁴ On Ps. 146.

⁵ Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

⁶ Letter 4 to Florentius, 2.

الرَّبُّ يُقَوِّمُ الْمُنْحَنِينَ.

الرَّبُّ يُحِبُّ الصِّدِّيقِينَ [8].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "الرب يحكم العميان، الرب يحب الصديقين". يهتم الله بالعميان روحياً وجسدياً¹، البعض يفقد البصر أو البصيرة منذ ميلادهم، والبعض خلال بعض الأحداث، والآخرين بمحض اختيارهم. ليس شيء مستحيل بالنسبة له، يود بالأكثر أن يفتح البصيرة الداخلية لكي تعينه. إذ يقول: "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8).

كما يرفع المنحنيين بسبب ما أصابهم من حالة يأس وإحباط، تحت ثقل الفلق والمتاعب والأحزان.

يعلن الله محبته واحتضانه للصديقين الذين يطيعون وصيته، ويُسرون بمشيئته.

❖ لم يرد أن يقول: "الرب ينير العميان"، لئلا تفهموا هذا أنه خاص بالجسد، وذلك كما استنار الرجل (الأعمى) بواسطة الرب، إذ طلى عينيه بالطين حين نفل، وشفاه. فلا تطلبوا أن تنظروا إلى شيء مثل هذا عندما يتكلم (الله) عن أمورٍ روحية، إذ يشير إلى نوع من نور الحكمة به يستنير الأعمى⁷.

القديس أغسطينوس

❖ "الرب يهب بصرًا للعميان ... بحسب العبرية واليونانية، ماذا قال؟ "الرب يجعل العميان حكماء". لو أنه كان يتحدث عن عيني الجسد، لقال: "الرب يعطي بصرًا للعميان"، لكن بالحقيقة كلماته هي: "الرب يجعل العميان حكماء".

يقول الرب: "إن كنت أعمى يليق بك ألا تخطئ؛ فإن قلوبنا تصير في عمى بسبب ظلمة الخطايا. الغباوة والحماسة هما ظلمة عيوننا. لذلك عندما نقتات في جوعنا، وتحرر أقدامنا من قيودها، فإنه بعين قلبنا نبدأ نرى النور الذي فقدناه في وقتٍ ما، وننمو في الحكمة.

أخيراً نصير بحقٍ حكماء، ماذا بعد ذلك؟ " الرب يقوّم المنحنيين ". حتى إن كنت منبسطاً، لكن في سلام، فإن الرب يمد لك يده.

"الرب يحب الصديقين" أرى هنا أمرين يلزم أن يكونا في الاعتبار: إنه يحب ويحمي.

¹ On Ps. 146 (145).

من يحب إنما كمن يحب نفسه، ومن يحمي إنما يصون من كان في خطرٍ. الرب يحب الصديقين. يحب الرب الإنسان الصديق والكامل، ويحرس الغريب الذي لم يدخل خدمة الرب [9].

القديس جيروم

- ❖ بعد قوله: " يحب الصديقين "، يظهر أنه يعين كثيرين على أساس أنهم في بؤسٍ فقط. يعطي طعامًا كقوتٍ بسبب جوعهم، وليس من أجل فضيلةٍ منهم. ويحرر الذين في عبودية بسبب أنهم مقيدون، هذا يفعله، لا لفضيلةٍ فيهم، وإنما لأنهم في كارثة. يهب بصيرة (حكمة) للعميان بسبب عجزهم .
- ❖ ليس أحد يمارس حياةً صالحةً يقلق من جهة المستقبل... هل صلاحنا بحق يعطي رجاءً؟ نعم، لكن ليس رجاءً بشرياً يبطل، ويسبب وراءه ارتباكاً. رجاؤنا هو في الله، فهو أكيد وثابت .

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ كما أن الأب هو "الحكيم وحده" حسب تعبير بولس ، فالابن هو حكمته ، "المسيح قوة الله ، وحكمة الله" (1 كو 1: 24).
- وكما أن الابن هو الحكمة ، فإننا إذ نقبل روح الحكمة يصبح لنا الابن ، وفيه نصير حكماء. لأنه هكذا كُتِبَ في المزمور المائة والخامس والأربعين : "الرب يطلق الأسرى، الرب يحكم العميان" (مز 146: 7-8)، وعندما يعطي لنا الروح القدس ... يصبح الله فينا، لأنه هكذا كتب يوحنا : "إن أحب بعضنا بعضًا ، فإله يثبت فينا. بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه" (1 يو 4: 12-13). وعندما يكون الله (الأب) فينا يكون الابن أيضًا فينا، لأن الابن نفسه قال: "الأب وأنا نأتي، وعنده نصنع منزلًا" (يو 14: 23). وأيضًا كما أن الابن هو الحياة، لأنه قال : "أنا هو الحياة" (يو 14: 6)، فإننا نحيا بالروح القدس . إنه يقول: "الذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادهم المائتة ، أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو 8: 11)، وعندما نحيا بالروح القدس ، يكون المسيح نفسه حيًا فينا، لأنه يقول: "مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ" (غل 2: 20).

¹ Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

² On Ps. 146.

³ Commentary on Romans 8: 14.

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ الرب هو دائماً محب للبشر، ويريد أن يعين الساقطين كما يسبح داود في المزمور. لكن الجاحدين، لأنهم لا يرغبون في سماع صوت الرب، ولا يحتملون أن يروا السيد معترفاً به من الكل أنه الله وابن الله، فهم كتعساء يتجولون مثل الخنافس، باحثين عن حجج للكفر مع أبيهم الشيطان¹.

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ ما هذا الذي يأمرنا به الرب قائلاً: "اغسلي من الشر قلبك يا اورشليم لكي تُخَلَّصي. إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة؟!" (إر 14:4)، بينما يسأله النبي قائلاً: "قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله، اغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز 51)؟! ما هذا الذي قيل: "ازرعوا لأنفسكم نور المعرفة" (هو 12:10)، وقد قيل عن الله: "المعلم الإنسان معرفة" (مز 10:94)، "الرب يفتح أعين العم ي" (مز 8:146)، أو ما نقوله في صلواتنا بالنبي: "أنز عيني لئلاً أنام نوم الموت" (مز 3:13)؟! في هذا كله إعلان عن نعمة الله وحرية الإرادة، حتى متى رغب إنسان في السلوك في طريق الفضيلة، يقف سائلاً مساعدة الرب. فلا يقدر أن يتمتع بالصحة الجيدة بإرادته، ويرغبته يتحرر من الضعف. لكن الأمر الصالح الذي نتوق إليه من جهة الصحة لا أناله ما لم يهبه الله الذي يمنحنا متعة الحياة ذاتها ويقدم لنا الصحة المملوءة نشاطاً. من الواضح أنه خلال سمو الطبيعة التي وهبها لنا صلاح الخالق أحياناً تثور فينا بداية الإرادة الصالحة، والتي لا نقدر أن نحققها عملياً أو نتممها بغير قيادة الرب. ويشهد بذلك الرسول القائل: "فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ، أي في جسدي، شيء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحُسنى فلست أجد" (رو 18:7).

الأب شيريمون

❖ ها هو إذن قد صنع معنا رحمةً ، وشفانا من مرضٍ خطير بهذا المقدار، فلنسمعه وهو يقول: "ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً ، لئلاً يكون لك أشتر" (يو 5: 14). ليتنا نتواضع

¹ Four Discourses against the Arians, 3: 67.

النص البيروتي: "ازرعوا لأنفسكم بالبر".

³ Cassian, Conferences 13:9.

في كل الأمور، لأنّ المت واضع يرقد على الأرض، والذي يرقد على الأرض ، فللي أين يسقط؟ لكن واضح أنّ الذي هو مرتفع يسقط بسهولة. فإن كنا قد رجعنا وصحّحنا أنفسنا، فهذا "ليس منا، هو عطية الله" (أف 2: 8)، لأنه قيل: "الرب يُقيم الساقطين، ويُعطي حكمةً للعميان الخ." (راجع مز 146: 8).

القديس برصنوفوس

الرَّبُّ يَحْفَظُ الْغُرَبَاءَ.

يَعْضُدُ الْيَتِيمَ وَالْأرْمَلَةَ.

أَمَّا طَرِيقُ الْأَشْرَارِ فَيَعْوِجُهُ [9].

يهتم الله بالغرباء، خاصة الأسرى، يعزيهم لكي يشعروا أنهم يجدون راحتهم فيه أينما وُجدوا.

يسند الله من لا عون له مثل اليتيم والأرملة.

أما الأشرار الذين يحسبون أنهم فوق القانون، ليس لأحد سلطان عليهم، فإنه وإن أطال أناة عليهم لعلهم يرجعون إليه ويتركون طريق الشر، تصطادهم شرورهم، وتنتهي حياتهم بالدمار.

❖ كل كنيسة من الأمم هي غريبة. فقد جاءت إلى الآباء وهي ليست من نسلهم حسب الجسد، إنما صارت ابنة لهم بالتمثل بهم. يحفظها الرب وليس إنسان ما.

"ويعضد اليتيم والأرملة": لا يفكر أحد أن الرب يعضد اليتيم بميراث له، والأرملة ليقدّم لها عملاً. بالحق الرب يعضدهم، ويعمل في الجنس البشري، يقدم خيراً، ذاك الذي يعتني باليتيم، ولا يترك الأرملة. ولكن بنوع ما نحن جميعاً أيتام، ليس لأن أبانا ميت، بل لأنه غائب (عن حياتنا)...

"وطريق الخطاة يببب": ما هو طريق الخطاة؟ الاستخفاف بالأمور التي نقولها... ما هو ملكوت السماوات؟! ماذا تكون عقوبة جهنم؟! إنها خزعبلات المسيحيين. ما أراه هو ما أحياه. لنأكل ونشرب، فإننا غداً نموت (1 كو 15: 32).

احذروا لئلا يقتنعكم مثل هؤلاء الناس إلى عدم المبالاة. ليتهم لا يدخلون إلى قلوبكم من خلال آذانكم...

ألا تصدقون ما يقوله الرب إلهكم: "واسع الباب، ورحب الطريق الذي يؤدي إلى

الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه" (مت 7: 13) هذا الطريق يبنيه الرب .
القديس أغسطينوس

❖ إنه يعضد اليتيم والأرملة، اليتيم الذي فقد الله الأب خلال الخطية، والنفس الأرملة التي فقدت المسيح عريسها...

"أما طريق الأشرار فيحطمه". لم يقل المرثل إنه يحطم الخطاة... إن كان المسيح هو طريق الأبرار، فطريق الأشرار هو الشيطان، فهو يحطم طريق الأشرار .

القديس جيروم

❖ لقد كنت تتمتعين بالكرامة بوجود زوجك الطوباوي معك، كما كنت موضع عنايته وغيبرته. حقًا لقد تمتعت بما كنت تتوقعينه من زوج.

أما الآن وقد أخذ الله زوجك لنفسه، فإنه يحتل مكانه بالنسبة لك. هذا لا أقوله من عندي، بل يقول النبي الطوباوي: "يعضد اليتيم والأرملة" (مز 146: 9). وفي موضع آخر يقول: "أبو اليتامى وقاضي الأرمال" (مز 68: 5). وهكذا نجد الله يهتم بهذه الفئة من البشرية بغيرة كما عبر عن ذلك بعبارة كثيرة^N.

القديس يوحنا الذهبي الفم

5. لحن ختامي

يَمْلِكُ الرَّبُّ إِلَى الْأَبَدِ، إِلَهَكَ يَا صَهْيُونَ،
إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. هَلُّوياً [10].

يختم المزمور ببث روح الرجاء في حياة الإنسان التقي المُسبِح لله، فإنه إذ يلتصق بالأبدي الذي يملك في السماء، وينعم الإنسان بالأبدية المفرحة.
يرى القديس جيروم أن تعبير "إلى دورٍ فدور" في كل الكتاب المقدس يرمز إلى شعبين: اليهود والأمم.

❖ عندما يهلك طريق الخطاة عندئذ يملك الرب إلى الأبد. لم يقل النبي: إنه يملك في العالم الحاضر، وإنما إلى الأبد....

¹ On Ps. 146 (145).

² Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

³ Letter to a young widow, 1.

ما دامت أقدامنا تسير في طريق الشيطان لا يملك المسيح فينا.
إني أفسح المجال للغضب ضد أخي باطلاً، إني بهذا أسير في طريق الشيطان، فلا يملك المسيح فيّ.

القديس جيروم

❖ عندما يبید الله طريق الخطاة [9]، ماذا يبقى لنا؟ "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت" (مت 25: 34). "يملك الرب إلى الأبد" ... لا تظنوا أن الأبدية ترتبط بكلمات محدودة... لتحبوا الأبدية، فتملكوا بلا نهاية، متى كان المسيح هو نهايتكم (غايتمكم).

القديس أغسطينوس

❖ إن كان (الله) يملك إلى الأبد ويبقى إلى الأبد، فلا يوجد مجال للحدس... هذا هو الطريق - في الحقيقة - الذي به نعيش الحياة الحاضرة في أمان عظيم، وننال الخيرات التي لا يُنطق بها. شاكرين نعمة ربنا يسوع المسيح ورأفاته، له المجد والسلطان مع أبيه الذي لا بداية له، والروح القدس واهب الحياة، إلى أبد الأبد، ودهر الدهور آمين¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 146

أما أنا فتسبيح للرب!

❖ هب لي يا ابن داود أن أحمل روح التسبيح.
فاقتدي بداود مرتل إسرائيل الحلو.
كانت حياته كلها تسبيح حتى في وسط ضيقاته.
قيثارته وربابه ومزماره لم تفارقه.
بل تحول كل كيانه إلى قيثارة، يعزف عليها روحك القدوس.
تأهل بروح التسبيح والشكر لنقاوة القلب.
وبنعمتك تأهل أن تصير حياته تسبحة مفرحة.
❖ لأصرخ مع المرتل، قائلاً:

¹ Homilies on Psalms, homily 55 on Ps 145 (146).

² On Ps. 146 (145).

³ On Ps. 146.

سبحي يا نفسي الرب!
أدعو أعماقي أن تتحول إلى خورس تسبيح.
فأتهياً للشركة مع السمائيين،
وبالنعمة أتمتع بعربون السماء!
فالسماء بيت التسبيح، وجهنم مسكن الجحود!
من تسبح أعماقه للرب يرتفع قلبه إلى السماء،
ولن تقبل جهنم دخوله إليها،
فإنها تلفظ المسيحيين الحقيقيين والشاكرين!

❖ أسبح الرب في حياتي.

إلهي أنت هو حياتي، بك تتهلل نفسي.
بك أقدم ذبيحة شكر لا ينقطع.
بدونك أموت، فأقدم جحوداً واضطراباً.
أحمل رائحة الموت والظلمة، فيهرب التسبيح من قلبي!
ما دمت بك أحياء، أختبر الحياة المقامة.
تمتلئ نفسي تهليلاً، وتبث روح الفرح في كل أحبائي.
قل كلمة، فأخرج من قبر الخطية،
وتنحل رباطات العدو لأتسّم الحرية،
وينطلق كل كياني ليسبحك، حتى يلتقي بك وجهاً لوجه.
لا أعرف للتسبيح وقتاً دون وقتٍ آخر،
بل تذوب أعماقي حباً وفرحاً بحضورك في!
تقيم ملكوت الفرح في داخلي،
ولا يجد التذمّر والجحود موضعاً في أعماقي!
أرثم مع المرثل، قائلاً:
"أرثم لإلهي ما دمت موجوداً".

❖ تسبّحك نفسي على الدوام،

من أجل القيثارة العجيبة التي وهبتي إيّاها،

ومن أجل روحك القدوس الذي يعزف عليها،
يضرب على أوتار حواسي وعواظفي وأفكاري،
يضرم مواهبي وإمكاناتي وطاقاتي،
إنها عطاياك لي، أوتار روحية ثمينة،
لن يقدر أن يعزف عليها آخر غير روحك القدوس،
فيلحن سيمفونية سماوية يسر بها الآب.
تدهش الطغمت السمائية، وتحطم قوات الظلمة!
يا للعجب روحك يُخرج من الآكل أكلًا،
ومن التراب والمزيلة من يجلس مع أشراف شعبك!
هذه هي التسبحة التي لن يقدر أن ينشدها بشر!
هي أنشودة تكلفتها دمك الثمين!

❖ إذ تحوّل المرئيل إلى تسبحة شكر فريدة،

ارتفع عقله مع قلبه وكليتيه وكل حواسه إليك.

لم يعد يتكل على الرؤساء ولا على بني آدم،

صرت يا مخلصي أنت رجاءه وخلصه وفرحه!

يسبّحك، لأنك الخالد واهب القيامة والخلود،

أما البشر فتخرج روحهم، ويعودون إلى ترابهم!

❖ لأسبّحك يا خالقي، فأنت حافظ الأمانة إلى الأبد.

قد تضطرب نفسي إلى حين،

لأن العالم كثيرًا ما يصدّق الكذب ويرفض.

لا أرتعب بل أسبّحك لأنك أنت هو الحق.

لألتصق بك فأسلك بالحق، أي فيك!

وأنت تحفظ الحق إلى الأبد.

❖ أسبّحك، فأنت تجري الحكم للمظلومين.

قبيلات الظلم لتحتمضن المظلومين وتقيمهم متهللين بك.

أنت معطي خبرًا للجياع.

صرت الخبز النازل من السماء، تدخل بنا إلى وليمتك السماوية.
هب لي أن أجوع إليك، وأعطش إلى روحك القدوس
أقتنيك مجانًا، فأشبع بك ولا أجوع إلى العالم.
وأشرب من ينابيع روحك القدوس.
أنت تطلق الأسرى.
تحررنا من مذلة الأنانية التي تحطم قلبي بقيودها المرّة.

❖ أسبحك يا إله المستحيات.

كنتُ أعمى بسبب دنس الخطايا،
فقدتُ نور الحق، وصرت في ظلمة حالكة.
افتح عينيَّ قلبي، فأرى النور.
أراك يا نور العالم، وأرى الكل بك وفيك.
حقًا أنت تحكم العميان، إذ تحل يا حكمة الله فينا!
أسبحك، إذ تتطلع إلى نفسي المنحنية حتى التراب.
وحذك قادر أن ترفعني من ثقل المخاوف واليأس.
تحطم اليأس والإحباط، وتهبني الرجاء المفرح.
ماذا أطلب منك يا محب الصديقين،
هب لي مخافتك، فأتمتع بدفع حضنك الإلهي.
قدّسني بروحك القدوس فاستعذب حبك.

❖ أسبحك يا من تحفظ الغرباء.

احفظني حتى أنتقي بك وأتحد معك.
تعزّيني في غربتي حتى أرجع إلى وطني السماوي.
أسبحك يا من تعضد اليتيم والأرملة.
أنت ميراث الأيتام، وملازم الأرمال.
عضدني حتى أرجع إلى بيت أبي السماوي.
اسندني حتى أدخل حجال العرس.

❖ أسبحك يا ملكي وإلهي من دورٍ إلى دورٍ.

أسبحك في هذا الجيل كابن لك،
وأسبحك في جيل الأبدية كابن للقيامة.

❖ إلهي لألتصق بك، فأنت هو حياتي.
تتهلل أعماقي بك، فأسبح اسمك القدوس.
قد يئن جسدي وسط الضيق.
لكن نفسي تتأمل حبك،
فتسمو فوق كل آلام الجسد.
ليس لي ما أعمله أفضل من التسبيح!
أنت هو حياتي وفرحي،
أسبحك كل يوم مادمت مقيماً في!
ملكوتك المفرح يعلو بي فوق كل الأحداث.
يسحب قلبي وفكري وكل أعماقي إليك.
أعيش كما في وسط السمائيين.
لا يعرف القلق له موضعاً في.

❖ أسبحك متهلاً بسكناي في أحضانك.
لا أتكل على ابن آدم مهما كانت إمكانياته.
ولا أستجدي عاطفة إنسان أو حنوه.
يعطيني اليوم ويقاومني غداً.
يفتح مخازنه لي الآن،
ولا أدري أين يكون غداً.
تخرج روحه، فيعود جسده إلى ترابه.
تئن نفسي إذ تبحث عنه، فإذا هو ليس موجوداً.
أما أنت فتضمني إليك،
بك أتحدى الموت نفسه!
بك تُفتح لي أبواب السماء أبدياً.
أسبحك لأنك معيني القدير.

❖ تسبحك نفسي وتتهلل بك.

إِن حَلَّ عَلَيَّ ظَلَمٌ،

فَأَنْتَ وَحْدَكَ مَجْرِي حَكْمًا لِلْمَظْلُومِينَ.

أَنْتَ تَشْبَعُ كُلَّ احْتِيَاجَاتِ نَفْسِي وَجَسَدِي.

تَقْدِمُ لِي طَعَامَ الْمَلَايِكَةِ،

وَتَهْتَمُ حَتَّى بِخَبْزِي الْمَادِي.

تَحْرُرُ نَفْسِي مِنْ كُلِّ عِبُودِيَّةٍ،

إِذْ تَهْبِنِي سُلْطَانًا أَدُوسَ عَلَى الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ.

تَفْتَحُ بَصِيرَتِي، فَأَرَى السَّمَاوَاتِ بِبَهَائِهَا الْعَجِيبِ.

بِكَلِمَةٍ تَشْفِي كُلَّ انْحِنَاءٍ أَوْ اعْوَجَاجٍ فِيَّ.

فِي وَسْطِ غَرِيبَتِي تَرَاغُفُنِي فِي الطَّرِيقِ،

فَتَسْتَرِيحُ نَفْسِي بِرَفْقَتِكَ.

كَثِيرًا مَا أَعَانِي مِنَ الْمَذَلَّةِ.

تَارَةً أَحْسَبُ نَفْسِي يَتِيمًا،

وَأُخْرَى تَشْعُرُ نَفْسِي أَنَّهَا مَتْرَمَلَةٌ.

أَنْتَ أَبِي السَّمَاوِيِّ،

وَعَرِيسَ نَفْسِي الْأَبْدِيِّ!

❖ أَسْبَحُكَ عَلَى الدَّوَامِ وَإِلَى الْأَبَدِ.

نَفْسِي مَمْلُوءَةٌ فَرْحًا بِكَ.

نَفْسِي تَتَشَتَّقُ لِلْقَاءِ مَعَكَ وَجْهًا لَوَجْهِهِ.

لَكَ كُلُّ تَسْبِيحٍ وَشُكْرِ يَا مَلِكِي وَإِلَهِي.

المزمور المئة والسابع والأربعون

التسبيح وأورشليم الجديدة!

في الترجمة السبعينية ينقسم المزمور 147 حسب النص العبري إلى زمورين، الأول المزمور 146 ويضم الآيات 1 إلى 11، والثاني المزمور 147 ويضم الآيات من 12 حتى نهاية المزمور.

جاء هذا المزمور في العبرية كما في الكلدانية والبولجيات بدون عنوان، ونُسب في ترجمات أخرى لحجّي وزكريا النبيين.

يرى البعض مثل القديس يوحنا الذهبي الفم¹ أن هذا المزمور كُتب أثناء انشغال اليهود بإعادة بناء مدينة أورشليم بعد العودة من السبي كما يظهر من العديدين 2 و 13. فقد رجع اليهود تدريجياً، وعاد تعمير أورشليم. تحقق هذا بالرب نفسه الذي كان يعمل في قلب كورش ملك فارس ومادي لصالح شعبه [2].

1. يسكب التسبيح جمالاً روحياً ممتعاً على شعب الله [1؛ مز 27: 4؛ 29: 2؛ 149: 4].

2. بالتسبيح يجتذب الرب النفوس البعيدة "منفّي إسرائيل"، ليبيّن بهم أورشليم العليا المقدسة فيه، ويوحدهم معاً [2].

3. بالتسبيح يشفي الرب الإنسان الداخلي [3].

4. بالتسبيح يرفع الله النفوس الوديعّة كما إلى السماء، أما الأشرار الجاحدون له فيهبطون.

5. بالتسبيح ننعم بحياة الشركة مع القدوس، يقدم لنا مياه نعمته العاملة فينا.

6. التسبيح ينبوع حقيقي للبركات الإلهية [14-20].

1. التسبيح صالح وملذ

2. التسبيح والبناء الكنسي

3. التسبيح شفاء للنفس

4. التسبيح والكواكب السماوية

5. التسبيح والتمتع بالقوة الإلهية 11-5

6. التسبيح والشركة مع الله 18-12

¹ On Ps. 147.

7. التسبيح والتمتع بالوصية الإلهية 19-20.

العنوان

جاء عن الترجمة القبطية والسبعينية مثل عنوان المزمور السابق: "مرسوم بهلوييا. لحجّي وزكريا".

1. التسبيح صالح ومُذ

سَبِّحُوا الرَّبَّ،

لَأَنَّ التَّرْنَمَ لِإِلَهِنَا صَالِحٌ.

لَأَنَّهُ مُذٌّ.

التَّسْبِيحُ لَأَنِّقُ [1].

كم كانت بهجة الكل حين أعيد بناء أورشليم بعد العودة من السبي البابلي! هكذا يليق بالمؤمن وهو يتمتع في أعماقه بعمل روح الله القدوس، الذي يقيم مدينة الله في قلبه أن يختبر الحياة السماوية المتهللة، ويتذوق لذة التسبيح لملك الملوك.

يقول المرثل عن خبرة يومية في كل حياته: " الترنم مُذٌّ"، أي يهب عذوبة داخل النفس، يشبعها بالفرح والبهجة. وفي نفس الوقت يقول: " التسبيح لانق"، إذ يليق بكل كائن عاقل أن يتعرف على خالقه وملكه، الرحوم، محب خليقته. "حسن هو الحمد للرب، والترنم لاسمك أيها العلي، أن يخبر برحمتك في الغداة" (مز 92: 1-2).

❖ قيل لنا: "سبحوا الرب"؛ هذه قيلت لكل الأمم، وليس لنا وحدنا...

كأننا نسأل: لماذا يلزمنا أن نسبح الله؟ قال: "لأن المزمور صالح"...

لسانكم يسبح، ولكن إلى حين، دعوا حياتكم تسبح على الدوام. بهذا يكون المزمور

صالحًا.

المزمور هو أغنية، ليس أي نوع من الأغنية، بل أغنية على المزمار *Psaltery*.

المزمار نوع من أدوات الموسيقى أُخترع للموسيقى. لذلك من يغني المزامير، لا يرنم بصوته فقط، إنما يستخدم آلة موسيقية تُدعى مزمارًا، فتصاحب يداه صوته.

أتريد أن ترنم مزمورًا؟ لا تدع صوتك وحده يسبح الله، بل لتكون أعمالك في تناغم مع

صوتك...

لكي تُبهج الأذن رنم بصوتك، ولكن لا يكن قلبك صامتًا، وأيضًا هكذا تكون حياتك.

لا تحمل في قلبك خداعاً، رتل مزموراً للرب.

عندما تأكل وتشرب رنم مزموراً، لا بمزج أصواتٍ عذبةٍ تتناسب الأذن، بل وبالأكل والشرب باعتدال بطريقةٍ اقتصاديةٍ بغير تطرف. إذ يقول الرسول: "إذا كنتم تأكلون أو

تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (1 كو 10: 31)...

بعد الأكل والشرب إذ ترقد للنوم على سريرك لا ترتكب أي فسادٍ، ولا تتعدى الحدود

المسموح بها حسب شريعة الله. ليكن مضطجع الزواج طاهراً. لا يكن الإحساس بالشهوة بلا

ضابط. كرم زوجتك على سريرك، لأنكما عضوان في المسيح، خلقكما أنتما الاثنين،

وجددكما بدمه. بهذا العمل تسبح الله، ولا يكون التسبيح صامتاً.

ماذا يحل بك عند نومك؟ لا تسمح لضمير شرير أن يثور فيك، لتكن طهارة نومك

تسبيحاً لله.

القديس أغسطينوس

❖ المزمور صالح، ويحسن الترنم به للرب، ويلذ به، إن كان يرفع العقل إليه، ويمنع ميل النفس إلى الأرضيات.

الأب أنسيمنس الأورشليمي

❖ ما معنى "ليكن الترنم مُسرّاً لإلهنا"؟ يقول ليكن الترنم مقبولاً؛ بالحرى المطلوب أيضاً هو حياة المرتل مع الصلاة والدقة في السلوك.

❖ يظهر هنا أن التسبيح في ذاته صالح، والمزمور يقدم أموراً صالحة كثيرة. إنه يعزل العقل عن الأرض، ويعطي النفس أجنحة، ويجعل (الأجنحة) خفيفة قادرة على الطيران في الأعالي. لهذا يقول بولس: "مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب" (أف 5: 19)... توجد حاجة للتسبيح من أجل حياة المرتل وصلاته والانسجام.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يقل النبي: "المزمور صالح"، بل "الترنم بأغنية مقدسة هو صالح"، إنه ليس ترنم بالصوت بل بالقلب. كم من كثيرين أصحاب أصوات صالحة لكنهم خطأ، فتسبيحهم

¹ On Ps. 147 (146).

² On Ps. 147.

³ On Ps. 147.

رديء. من يسبح بالقلب يسبح حسناً، يغني للمسيح في ضميره!
"التسبيح لائق"، أي نخزي له بأغنية مفرحة.

يليق به التسبيح بتسبحة مفرحة، لا بالصوت بل بالضمير الصالح!

القديس جيروم

2. التسبيح والبناء الكنسي

الرَّبُّ بِيْنِي أُورُشَلِيمَ.

يَجْمَعُ مَنْفِيَّيْ إِسْرَائِيلَ [2].

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن هذه العبارة تُظهر أن المزمور وُضع عند العودة من السبي، حيث يشتهي المرثل بناء مدينة أورشليم، وتجميع الشعب المسبي. إن كان كورث قد أصدر أمراً بالسماح للمسيبيين أن يرجعوا، لكن هذا العمل هو من قبل الرب نفسه.

إذ أخذ الشعب اليهودي إلى السبي، صاروا في مذلةٍ. لقد فقدوا أورشليم، مدينة الملك العظيم، وصاروا منفيين في أرض السبي. هذا ما تفعله بنا الخطية، حيث تحرمننا من التمتع بالحياة السماوية، وتذل النفس بالميل إلى الفساد، ولا يمكن بناء أورشليمنا الداخلية في أعماق النفس دون التدخل الإلهي نفسه.

يبدو أن المرثل كان ينعم بمنظر الشعب الراجع من بابل، وقد اجتمعوا معاً لبناء أورشليم. قام نحمايا ببناء المدينة أولاً (نح 2: 5)، وبعد ذلك الأسوار حيث كمل العمل (مز 147: 13؛ نح 3: 1؛ 6: 15). لكن الحقيقة أن الذي قام بالبناء هو الله الذي عمل في قلب نحمايا وغيره. وكما يقول المرثل: "إذا بنى الرب صهيون يُرى بمجده". (مز 102: 16)
"يجمع متفرقي إسرائيل"، وذلك حسب وعده الإلهي (تث 30: 3؛ إش 11: 12؛ 56: 8)، وبالفعل رد المسبيين من بابل.

ربما يتساءل البعض: مادام المزمور يمثل دعوة للتسبيح، فما ارتباط ذلك بالله كباني لأورشليم وجامع منفيي إسرائيل؟

ليس من طريق للتمتع ببناء أورشليم الداخلية، واختبار عربون أورشليم السماوية، والتحرر من أسر إبليس مثل حياة التسبيح الداخلية الحقيقية.

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

إذ يقدم المرتل دعوة لكل الأمم أن تسبح الله، لا باللسان فقط، وإنما بالسلوك حتى بأسلوب الأكل والشرب والنوم. الآن يكشف لنا المرتل عن الدافع الرئيسي لهذا التسبيح الدائم، وهو بناء الله لأورشليم، وجمعه الذين سبوا من بني إسرائيل.

ماذا يعني المرتل بأورشليم وبإسرائيل هنا؟

أ. يشعر الشعب في العهد القديم بتنازل الله ومحبته، إذ وهبهم مدينة أورشليم كمسكن له وسط شعبه، مدينة الله المقدسة.

ب. يتطلع المؤمن إلى أعماقه، فيجد قلبه قد صار هيكلًا مقدسًا لله، وصارت أعماقه أورشليم الجديدة.

ج. بنظرة مستقبلية مملوءة رجاء يثبت المؤمن عينيه على أورشليم العليا، حيث يشترك مع الطغمت السماوية في تسبيحٍ أبديٍّ لا ينقطع.

أما إسرائيل ففي فكر القديس أغسطينوس تعني "رؤية الله"، وكأن المؤمن وهو يرى الله تتهلل نفسه وتسبح الله على الدوام.

❖ يوجه كلماته، لا إلى المدينة، بل إلى سكانها، كما في كل السفر، هكذا يفعل هنا. إنه يحثهم دومًا وينصحهم أن يقدموا الشكر لله من أجل إحساناته، لا من أجل المباني والمتاريس الآمنة، بل لأجل عنايته الإلهية¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ شعب أورشليم هو بعينه شعب إسرائيل. إنها أورشليم الأبدية في السماوات، ومواطنوها هم الملائكة...

يفرح كل مواطني هذه المدينة العظيمة المتسعة السماوية برؤيتهم لله. يركزون أنظارهم على الله نفسه. أما نحن فتائهون عنها. لقد انسحبنا منها بسبب الخطية، ولم نعد بعد مقيمين هناك، إنما انحدرنا بالفساد، ولا نعود إليها.

تطلع الله إلى تجولنا، وقام بإصلاح الموضع الساقط، أي "بيني أورشليم"... أرسل إلى سبينا ابنه كمخلص. قال له: "خذ حقيبة، وضع فيها ثمن الأسرى". لقد أخذ نفسه جسدنا المائت وبه الدم الذي بذله لأجل خلاصنا. بهذا الدم "جمع متفرقي إسرائيل"... إذ يجتمع المتفرقون في يد البناء، يتشكلون في المبنى.

¹ On Ps. 147.

كيف يلزم أن يجتمع هؤلاء الذين بسبب القلق يسقطون من يد لبناء؟
انظروا ذلك الذي نسبجه، انظروا لمن نحن مدينون له أن نسبجه كل حياتنا!
القديس أغسطينوس

3. التسبيح شفاء للنفس

يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ،
وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ [3].

بناءً أورشليم يشفي انكسار قلوب الذين حُملوا إلي السبي بسبب خطاياهم وخطايا آبائهم، وذاقوا مرارة المذلة، وعانوا من الشعور بغضب الله عليهم.
لقد جاء السيد المسيح ليبنى بنفسه أورشليمه فينا، ويردنا من سبي الخطية، وينزع عارنا عنا، واهباً إيانا حرية مجد أولاد الله.
إن كانت الخطية قد مررت حياة الإنسان، وكسرت قلبه بروح القلق والاضطراب، فإن التسبيح السليم يشفي بفرح الروح انكسار القلب، ويرد له سلامه الحقيقي.

❖ يستعرض (المرتل) الكارثة وطريق الله المعتاد، إذ يهب راحة للمتواضعين. وذلك كما يقول بولس: "الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" (رو 4: 17). هكذا يقول المرتل: "يشفي المنكسري القلوب" [3]، مظهرًا أنه حتى وإن كنا غير مستحقين، فإننا إذ نحن عمله لا يتركنا. لن ينسى صنعة. هكذا يقول بولس أيضًا: "لكن الله الذي يعزي المتضعين" (2 كو 7: 6)، وأيضًا: "أعطى احتمالاً للخائرين" (راجع إش 57: 15). ويقول المرتل في موضع آخر: "القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله" (مز 51: 17). فإن أردت التمتع بالتعزية، فلتتواضع ولتكن منسحقًا في عقلك .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "يشفي المنكسري القلوب". ها أنتم ترون الآن كيفية إعادة بناء أورشليم. هوذا القلب المنكسر قد أصلح! القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله.
"يضمد جراحاتهم". أنت تجرح قلبك، والرب يضمد جراحاته.
السامري الذي كان في طريقه من أورشليم إلى أر يحا ضمد الجراحات التي تنزف دمًا

¹ On Ps. 147 (146).

² On Ps. 147.

وكدمات ذلك الذي كان مُلقًى في الطريق. هذا هو الشخص المناسب الذي قدمه الكتاب المقدس: "يضمّد جراحتهم"، لأنه قد شفي قلوبهم المنكسرة، وضمّد جراحتهم.

القديس جيروم

4. التسبيح والكواكب السماوية

يُحْصِي عِدَدَ الْكُوكَبِ.

يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ [4].

إن كان التسبيح يهب النفس جناحي الحب الله والناس، فتنتطلق كما في حرية لتمارس الحياة شبه السماوية، فإنها تجعل من المؤمن أشبه بكوكبٍ منير في سماء الروح، يُسر بها الله نفسه وخدامه السماويون. يعتز الله بأولاده، ويهبهم روح التحدي ضد ظلمة الضلال.

ينشغل الله بإحصاء عدد الكواكب الجامدة، ويدعو كلاً منها بأسماء، فكم بالأكثر يهتم بالمؤمنين به ككواكب تتلألأ على مستوى أبدي. يعرف عددهم، ولا يُحرم أحد من اهتمامه وعنايته، ما لم يرفض الشخص عمل الله. إنه يدعونا بأسمائنا. "هكذا يقول الرب خالك يا يعقوب، وجابلك يا إسرائيل: لا تخف لأنني فديتك، دعوتك باسمك، أنت لي" (إش 43: 1-2). "لكي تعرف إنني أنا الرب الذي يدعوك باسمك" (إش 45: 3). في عتابٍ مملوء محبة يقول: "دعوتك باسمك، لقبتك، وأنت لست تعرفني" (إش 45: 4). يقول السيد المسيح عن نفسه: "فيدعو خرافه الخاصة بأسماء" (يو 10: 3).

يقول القديس ديديموس الضريز إن معرفة الله لكل شيء ليس بالأمر العجيب، إنما من أجل عنايته يعلن أنه يحصي عدد الكواكب، كما يحصي شعور رؤوسنا. إنه يهتم بما يبدو لنا أنها أمور تستحق الإحصاء كالكواكب، كما يهتم بما يبدو غير مستحق لذلك كعدد شعور رؤوسنا.

يرى بعض الآباء أن "الكواكب" تشير إلى المؤمنين الحقيقيين الذين يضيئون ببهاء المسيح الساكن في جلد السماء (تك ٢٢: ١٧). وكما يقول دانيال النبي: "الفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى البرّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا ١٢: ٣)؛ هؤلاء محصيون أمام الله ومعروفون بأسمائهم.

إذ يفقد البعض رجاءهم في الخلاص من الخطية وإعادة بناء النفس الداخلية، نتطلع

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

² Cf. Commentary on Job 5: 9: 10.

إلى الله ضابط الكل، الذي يعرف الكواكب بأسمائها، وهو واضع قوانينها وأنظمتها وحركاتها. يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله الذي اعتاد أن يحصي الكواكب غير المحصية، ويحركها بنظامٍ معينٍ، يجمع شعبه من كل مكان، بل ويهتم بكل واحدٍ منهم، إذ يعرف كل واحدٍ باسمه.

❖ الكواكب هي أنوار معينة في الكنيسة تسند ليلنا، وقد تحدث الرسول عنها: "في وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في 2: 15). هذه الكواكب يحصيها الله. هؤلاء جميعاً الذين سيملكون معه، هؤلاء جميعاً يجتمعون في جسد ابنه الوحيد، يحصيهم، ويبقى يحصيهم. أما غير المستحقين فلا يُحصون...

❖ يُظهر (المرتل) أن التسبيح في ذاته صالح، والمزمور قادر على تقديم بركاتٍ كثيرة. إنه يعزل عقله عن الأرض، ويهب نفسه جناحين، ويهبهما نوراً، ويرتفع بهما. ليت كل واحدٍ منكم يُحسب أنه يضيء في الظلمة، أو يرفض أن يُضله إثم العالم المظلم؛ فإن كان لا يضل ولا يُهزم، يصير مثل كوكبٍ أحصاه الله بالفعل.

القديس أغسطينوس

❖ لا يحصي سفر العدد غير الطاهرين وغير المقدسين الذين يهلكون، بل جميع الذين يخلصون.

أتريد الدليل على أن عدد القديسين محصي لدى الله؟ اسمع ما يقوله داود النبي عن كواكب السماء: "يحصي (الله) عدد الكواكب، يدعو كلها بأسماء" (مز 147: 4). لم يكتفِ المخلص بتحديد عدد التلاميذ الذين اختارهم، وإنما قال أيضاً إن شعورهم محصاة (مت 10: 30)... وهو لا يقصد بذلك الشعور التي نقصها بمقصٍ، ونلقي بها في النفاية... إنما قوة النفس وكثرة الأفكار التي تتبع عن قوة الإدراك والفهم.

العلامة أوريجينوس

❖ بعد أن شُفيت جراحاتهم حولهم إلى كواكبٍ، "يحصى عدد الكواكب". بالحقيقة عددهم كبير. حقاً كثيرون أخطأوا وقد شفاهم. إنه "يحصى عدد الكواكب"، ولا يحصى عدد الجرحى، بل الذين قد صاروا كواكب.

¹ On Ps. 147 (146).

² In Lev. hom 1.

الرب يحصى الذين يستحقونه، منادياً كل واحدٍ باسمه.
إنه يعضد المتواضعين، فيحولهم إلى كواكب". يقول دانيال النبي إن الأبرار يضيئون
كالنجوم، والأشعة تُطرحون إلى أسفل، وفي الوسط المسرعين إلى الأعلى¹.

القديس جيروم

❖ العدد الذي به يحصى الله القديسين يتم بنظامٍ معينٍ روحي. لقد قيل: "يحصى عدد
الكواكب. يدعو كلها بأسماء" (مز 147: 4).

القديس أوغريوس

❖ توجد حقيقة هامة ذكرها كاتب غير مسيحي (أفلاطون في كتابه "جمهورية أفلاطون"
بتصرف)، فقال: "إن الشمس في المحسوسات، مثل الله في المعقولات". فهي تعطي ضوءاً
للعين، مثلما يعطي الله نوراً للعقل. والشمس هي أسمى ما يمكن أن نراه، والله هو أسمى ما
نعرفه بفكرنا..."

لقد صدق الشعراء في وصف الشمس بأنها لا تضعف، وأنها تجلب الحياة وتلدها، وما
إلى ذلك. الشمس التي لا تتوقف عن الحركة في مدارها وعن العطاء.
كيف تجعل الشمس ناحية من الأرض نهاراً والأخرى ليلاً؟ ما الذي يؤسس ويحفظ
النظام الثابت لليل والنهار؟ من الذي يسبب بداية فصول السنة وانتهاءها بانتظام؟
لننتقل الآن إلى القمر. هل تعرف طبيعة القمر وأحواله ومقاييس ضوءه ومداره؟
هل تعرف لماذا يسيطر القمر على سماء الليل، كما تسيطر الشمس على سماء
النهار؟

ولماذا يعطي القمر الجرأة لحيوانات البرية، بينما تجعل الشمس الإنسان ينهض
مستيقظاً للعمل؟

هل تعرف ما الذي يربط مجموعة الثريا معاً، ويحفظ الجوزاء في مكانها؟
نقرأ في الكتاب المقدس: "هل تربط أنت عقد الثريا، أو تفك عقد الجبار؟" (أي 38:
31) الذي يفعل هذا هو الله، الذي "يحصى عدد الكواكب، يدعوها كلها بأسماء" (مز 147:

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

² Evagrius of Pontus: Scholia on Ecclesiastes 6: 1: 15.

القديس غريغوريوس النزينزي

5. التسبيح والتمتع بالقوة الإلهية

عَظِيمٌ هُوَ رَبُّنَا، وَعَظِيمُ الْقُوَّةِ.

لِفَهْمِهِ لَا إِحْصَاءَ [5].

إذ هو الخالق القدير، ليس فقط خلق تلك الكواكب التي لا تُحصى، وإنما يحصي عددها ويدعوها بأسماء، وكأنه يهتم بكل كوكب.

ربما يتساءل أحد، قائلاً: إنني لن أنكر عظمة الخالق، ولا قدرته الفائقة، لكن أين رعايته لي، وأنا أعاني من ضيقات كثيرة؟ إنني اشعر مع أرسطو أنه خلق العالم وأوجد قوانينه الطبيعية، حركه ثم تركه، يبقي في سماواته لا علاقة له بخليقته.

لهذا يجيب المرتل: " لفهمه لا إحصاء ". هو يحصي الكواكب ويدعوها بأسماء، أما فهمه فليس من كائنٍ يقدر أن يعرف أسراره وخطته. وكما جاء في إشعياء: "أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا، ليس عن فهمه فحص، يعطي المعبي قدرة، ولعديم القوة يكثر شدة... أما منتظرو الرب فيجددون قوة، يرفعون أجنحة النسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون ". (إش 40: 28-31)

عظمة الرب وقدرته، ليس فقط أنه عظيم وقدير، وإنما يجعل الملتصقين به عظاماً وقديرين، يهبهم ما يبدو مستحيلاً. وكما أن صلاح الله يتجلي في أن يحول حتى ما يبدو شراً إلي خيرٍ وصلاح، يحولنا من الضعف البشري إلى جبايرة بأس.

بروح الوداعة نثق في وعوده، فننعم بقوة خلاصه. يقول الرسول: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء، لأنه من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟! " (رو 11: 23-24)

❖ "عظيم هو ربنا". إذ يمتلئ المرتل بالفرح يفيض بكلماته بقوة، ومع ذلك كان إلى حدٍ ما

عاجزاً عن التكلم...

"عظيمة هي قوته، ولا عدد لفهمه". ذاك الذي يحصي الكواكب هو نفسه لا يُمكن

أن يُحصى.

¹ العظة اللاهوتية الأولى: عظة رقم 27 عظة تمهيدية ضد أتباع يونيموس، 30.

كيف نفسر هذا؟ من يمكنه أن يتأهل حتى لتخيل معنى "ولا عدد لفهمه"؟... مهمما احتوى هذا العالم من أمورٍ غير محدودة، فهي غير محدودة بالنسبة للإنسان، لكنها ليست كذلك بالنسبة لله، فهي محصية حتى بالنسبة للملائكة.

فهمه يتعدى كل آلات حاسبة، إنها غير محصية بالنسبة لنا. الأعداد نفسها من بعدها؟ ماذا إذن بالنسبة لله الذي به كان كل شيء؟ وأين صنع كل الأشياء؟ ولمن قيل: "أنت نظمت كل الأشياء في مقياسٍ وعدٍ ووزنٍ"؟ (حك 11: 20) أو من الذي يقدر أن يعد أو يقيس أو يزن، المقياس والعدد والوزن أنفسها، بينما وضع الله نظامًا لكل الأشياء؟ لهذا "لا عدد لفهمه".

لتحمد الأصوات البشرية، ولتسكن الأفكار الإنسانية، ليتها لا تمتد نحو الأمور التي لا يمكن وصفها كي ما تصفها .

القديس أغسطينوس

❖ لا تسأل كيف (يجمع شعبه) وبأية وسيلة، فعظمته بلا حدود، إذ يقول: "ليس لعظمته حدود" (راجع مز 145: 3). وكما أن عظمته بلا حدود هكذا أيضًا فهمه...

معرفته عجيبة؛ من ثمَّ يقول المرتل أيضًا: "عجيبة هذه المعرفة فوقي، ارتفعت لا أستطيعها". (مز 139: 6) وبالتالي أحكامه لا تُفحص، لذا يقول: "أحكامك لجة عظيمة" (مز 36: 6). مادام هو عظيمًا، وقويًا، ولا يمكن إدراكه، لا تكن فضوليًا تسأل كيف يحدث هذا .

❖ بعد أن تعلم أسرار حكمة الله الخفية، يقول إن هذه الحكمة لا يُمكن بلوغها ولا إدراكها، "عظيم هو ربنا، وعظيم القوة، لحكمته لا حدود" [5]، بمعنى أنه ليس من طريق إدراكها .

القديس يوحنا الذهبي الفم

الرَّبُّ يَرْفَعُ الْوُدْعَاءَ،

وَيَضَعُ الْأَشْرَارَ إِلَى الْأَرْضِ [6].

مسيحنا الذي جاء ليقيم ملكوت الله في داخلنا، يهبه لنا إن سلطنا بروح الوداعة

والتواضع.

¹ On Ps. 147 (146).

² On Ps. 147.

³ On the Incomprehensible Nature of God, homily 1: 26.

"الرب يرفع الودعاء، ويضع الأشرار إلى الأرض". يريد الله أن جميع الناس يخلصون، وإلي معرفة الحق يقبلون (1 تي 2: 4). فمن يعترف بضغفه، ويسلك بروح التواضع يرفعه الرب كما بجناحي حمامة، ويطير كما في السماء. وأما من يُصر على شره، فبثقل الخطية يهبط مع فرعون وجيشه في الأعماق كحجرٍ (خر 15: 5).

حينما يقول المرثل "يضع الأشرار إلى الأرض"، إنما يعني أنه تحت إصرار الأشرار علي شرهم، يسمح الله لهم أن يهبطوا تحت ثقل خطاياهم إلى الأرض، ولا يستطيعوا القيام أو الانطلاق نحو السماوات. وذلك كما أصر فرعون على مقاومته للحق الإلهي، فتركه يمارس قسوة قلبه.

يرى القديس أغسطينوس أن هذه العبارة وردت بعد القول: "لا عدد لفهمه"، وذلك لأنه إذ يشعر الإنسان بعجزه عن فهم الأسرار الإلهية، يليق به أن يكرّم الكتاب المقدس، كلمة الله، حتى إن بدا له أنه غير واضح، وبروح الوداعة ينتظر ليعطيه الرب فهمًا، دون أن ينتقد غموض الكلمة، أو يتهم الكتاب بوجود متناقضات.

إن كان الله يسمح بغموضٍ، إنما لكي نقرع فيفتح لنا. هذا القرع على الباب الإلهي نافع للإنسان.

❖ لئلا يقول بعض الأغبياء: ماذا تفيدنا المعرفة الدقيقة للكواكب؟ لهذا يشير المرثل أيضًا إلى العناية التي يقدمها للكائنات البشرية بهذه الطريقة. إنه لا يقول: "الرب يعين الودعاء"، بل ما هو أعظم، "يرفع"، كمن يتحدث عن أبٍ محبٍ.

الآن ماذا تعني "يرفع"؟ الفوز الساحق، والسمو، والمسك باليد.

ألا ترون أيضًا قوته في العمل في كل حالة، برفع المتواضعين والهبوط بالمتشامخين؟¹

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تشير الكلمات: "لبأت إلى (جنته)" (نش 4: 16) إلى إعطاء حرية الاختيار مثل "ليقدس اسمك" "ولتكن مشيئتك". وكما توضح هاتان الفقرتان حرية الاختيار، فإن صلاة العروس "لبأت إلى" تشير إلى الله مانح ثمار الفضيلة وإلى نزول العريس من أجل حبه للبشرية.

لا يمكن لنا أن نرتفع إلى أعلى السماوات بدون أن ينزل هو إلى الودعاء ويرفعهم (مز 147: 6)، لذلك تتادى النفس التي ترتفع إلى أعلى الله الذي لا حدود له، وتصلي له لكي

¹ On Ps. 147.

ينزل من علياء عظمته حتى يتمكن من يعيشون على الأرض أن يقتربوا منه. وبينما كانت تتكلم، يجيب الرب "هأنذا" (إش 58: 9). سمع الرب ما كان يدور بخلد العروس، ومنحها سؤال قلبها، وأتى إلى جننها عندما كانت ريح الجنوب تهب، والنقط ثمار أطيابها، وامتلأ بثمار الفضيلة، وتكلم عن وليمته، قائلاً: "قد دخلت جنني يا أختي العروس. قطفت مرّي مع طيبّي. أكلت شهد ي مع عسل ي. شربت خمر ي مع لبن ي. كوا أيها الأصحاب، إشربوا واسكروا أيها الأحباء" (نش 5: 1).

هل ترى الآن كيف تفوق عطية العريس ما تطلبه العروس؟ أرادت العروس يناييع من الأطياب في حديقته وأن تهبّ على نباتاتها ريح الجنوب في منتصف النهار ، وأن ينال راعي الحديقة الثمار حسب اختياره... جعل العريس الأشجار تُنتج الخبز الذي خلطه بعسله بدلاً من الثمار المختارة .

القديس غريغوريوس النيسي

أَجِيبُوا الرَّبَّ بِحَمْدٍ.

رَبَّنَا لِإِلَهِنَا بِعُودٍ [7].

يليق بنا أن نتحدث مع كل شخص بلغته. الله ينبوع الفرح السماوي، فمن يود الحديث معه يلزمه ان يتعلم لغة الشكر أو الحمد، مع الترنيمة أو التسبيح. فالقلب الشاكر يفتح على الله، ويُقال عنه ما قيل عن موسى: "ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه" (خر 33: 11). أما القلب المتذمر، فلن يقدر أن يسمع صوت الله، وإن سمعه لا يفهمه، وبالتالي لا يقدر على الدخول في حوار حب مع خالقه ومخلصه.

❖ "ابتدئوا للرب بالاعتراف". إن أردت البلوغ إلى فهم واضح للحق، ابتدئ بهذا.

إن أردت العبور من طريق الإيمان إلى بلوغ الحقيقة "ابتدئ بالاعتراف".

أولاً اتهم نفسك، وسبّح الله... وماذا بعد الاعتراف؟ ليتبع ذلك الأعمال الصالحة.

"رَبَّنَا لِإِلَهِنَا بِالْقِيَارَةِ"... ليس فقط بالصوت، وإنما أيضاً بالأعمال .

القديس أغسطينوس

❖ بعد الإشارة إلى إنجازات الله، يحثهم (المرتل) على التسبيح، قائلاً: "اصرخوا إلى الرب

¹ عظة 10 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوار.

² On Ps. 147 (146).

بالاعتراف (الحمد)"، أي بالشكر في غيرة عظيمة¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "نموا لإلهنا بقيثارة". للقيثارة أوتار كثيرة، إذا انكسر أحدها لا يمكن العزف عليها. هكذا الإنسان الصالح، حتى وإن كان قديسًا إن افتقر إلى فضيلةٍ واحدةٍ لا يستطيع أن يشترك في تقديم تسبحته! -

القديس جيروم

الْكَاسِي السَّمَاوَاتِ سَحَابًا،

الْمُهَيَّبُ لِلْأَرْضِ مَطْرًا،

الْمُنْبِتُ الْجِبَالِ عَشْبًا [8].

كثيرًا ما يشير السحاب إلى القديسين، الذين إذ تُعْفَر خطاياهم، لا تتقل نفوسهم لتهبط إلى الأرض، أو تغوص في الأعماق كحجرٍ، بل تطير كسحابٍ نحو السماء، وترتفع من مجدٍ إلى مجدٍ.

الله في حبه للبشرية يهيئ للأرض مطرًا، فيحول البراري القاحلة إلى جناتٍ مثمرة. ما هو هذا المطر إلا نعمته الإلهية التي تنزل إلى قلوبنا، فتقيم ملكوتًا إلهيًا داخلنا؟

"المنبت الجبال عشبًا"، تكسوها بالجمال، وتجعلها صالحة لرعاية الغنم، ويرتفع عليها الرعاة بقطعانهم بفرحٍ وبهجة. هكذا يعمل الله في حياة أولاده، فيقيم منهم جبالاً مقدسة، تصير مراعي خضراء ترعى فيها نفوس كثيرة، حيث تجد فيها كلمة الله طعامًا روحيًا ينعشها.

في العبارات السابقة أوضح القديس أغسطينوس أن ما ورد في الكتاب المقدس يبدو أحيانًا غامضًا حتى نقرع على الباب، فيهبنا الله فهمًا، ونتمتع بخبرات مفرحة. كما أوضح أن الله يرفع الودعاء الذين بروح التواضع يطلبون من الله الفهم، ولا يأخذون موقف النقد بروح الكبرياء والتشامخ.

الآن يقدم المرثل تشبيهًا عمليًا. عندما تمتلئ السماء سحابًا تختفي السماء وتبدو غامضة، وإنْ مُطِر السحب تأتي الأرض بثمار كطعامٍ للإنسان والحيوان. هكذا السحب هنا هي غموض النبوات في الكتاب المقدس، لكن متى تحققت يدرك المؤمن الأسرار الإلهية، ويتقبل

¹ On Ps. 147.

² Homilies on Psalms, homily 57.

هذا المطر، أي الفهم المقدم لنا من الأعالى، ليجعل أرضنا مثمرة ومتهللة!

❖ انظروا إلى حكمته، فقد أشار (المرتل) إلى الأمور الصالحة التي للنفع العام والمقدمة لكل واحدٍ، غالباً أفواه (الأشرار) بذات الفيض الذي يقدمه الله. بمعنى آخر إن كان هكذا يقدم عناية عظيمة حتى بالنسبة لغير المؤمنين حتى يجمع سحاباً، ويرسل مطراً للشرب، ويهب حيوية للأرض، كم بالأكثر يعمل لنفعكم يا من تُدعون شعبه الخاص¹.

❖ لئلا يقول شخص متبلد: بماذا تنفعني السماوات؟ للحال يشير إلى حاجة البشرية، مظهرًا هذه الإضافة لماذا يكسي السماوات بالسحاب. يقول: من أجلكم؛ لكي يمدكم بالمطر، فالمطر هو لأجلكم، حيث يجعل العشب ينمو... إنه يرسل المطر للشرب، ويهب الأرض حيوية وبهجة، وبالأكثر هو لنفعكم أنتم الذين تُدعون شعبه الخاص².

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "المهيه للأرض مطراً". تحتاج الأرض إلى المطر، ينبوع التعاليم الإلهية، لتعطي ثمرًا. "المريث الجبال عشبًا". الكتاب المقدس يدعو إبراهيم ج بلًا، وإرميا وإسحق والأنبياء جبالاً مقدسة. هذه الجبال تضم محاصيل وعشبًا. فالإنسان يحصل على المحاصيل منهم، والحيوانات تحصل على العشب³.

القديس جيروم

المُعْطِي لِلْبَهَائِمِ طَعَامَهَا،

لِفِرَاحِ الْغُرَبَانِ الَّتِي تَصْرُخُ [9].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "ويعطي البهائم غذاءها، ولفراخ الغربان التي

تدعوه".

إن كان الله قد خلق الحيوانات لخدمة البشر، فإنه يعتني بالحيوانات، فيرسل مطراً

على الجبال، لكي تثبت عشبًا كطعام للحيوانات.

وتمتد رعاية الله إلى فراخ الغربان التي تبدو لنا بلا نفع، لكن الله الذي طبيعته الحب

والرعاية يسمع صرخاتها، ويرسل لها طعامها. حقًا إن فراخ الغربان لا نفع لها للإنسان، وعاجزة

¹ On Ps. 147.

² On Ps. 147.

³ Homilies on Psalms, homily 57.

عن حماية نفسها وتدبير أمرها، والله لا يتغاضى عن صرخاتها التي قد لا يسمعها أحد. كم بالأكثر تكون رعاية الله واهتمامه بالبشر، خاصة الذين يسبحونه، وهم من خاصته.

ليس للبهائم القدرة على النطق، لكن الله يعرف ما تسأله داخلياً، وما تحتاج إليه، فيقدم لها طعامها. كما يسمع لصرخات فراخ الغريان الجائعة، فيهبها طعاماً.

يقول **القديس أغسطينوس** إن هذه العبارة تحمل مفهوماً رمزياً. فالقطيع الذي يعطيه الله غذاءه يشير إلى قطيع المسيح العاقل الذي يهبه طعاماً روحياً يشبع أعماقه. أما بالنسبة للغريان فهي تشير إلى الأمم، وإن كانت قد عاشت زماناً تتعدى للأوثان وتقاوم الحق الإلهي، غير أن فراخ الغريان تدعو الله لكي تخلص، فقد ترك الأمم آباءهم الوثنيين، ودعوا الله، فقدم لهم الإيمان الحي طعاماً لنفوسهم.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** ¹ فيض عناية الله الفائقة، فإنه إن كان يهتم بالسحاب ليجلب أمطاراً تنبت الجبال عشباً لتجد الحيوانات طعامها، وذلك لصالح الإنسان، فإنه يهتم حتى بفراخ الغريان التي تبدو كأنها بلا منفعة، أفلا يهتم بالأكثر بالبشر الذين يحسبهم خاصته. "والآن هكذا يقول الرب خالك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل: لا تخف لأني فديتك، دعوتك باسمك، أنت لي" (إش 43: 1).

❖ يقول: "انظروا إلى طيور السماء"، ولم يقل: لأنها لا ترتبك بأمر الحياة، ولا تقيم أسواقاً للتجارة، لأنه من البديهي لا يحدث هذا. لكن ماذا قال؟ إنها لا تزرع ولا تحصد. ورُبّ قائل: ماذا إن، ألا يجب علينا نحن أن نزرع؟ لم يقل الرب ذلك. ولا يحبنا أن نمتنع عن الزراعة، بل أن نمتنع عن القلق. وهذا لا يعني أن نكف عن العمل، بل أن يكف المرء عن ضيق الأفق، ولا يربك نفسه بالهموم. لأنه يأمرنا أيضاً أن نأكل، لكن دون أن نقلق.

داود أيضاً منذ القديم يقول بشكل سرّي: "تفتح يدك، فتشبع كل حي رضى" (مز 147: 9).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ **"المرتب الجبال عشباً، والمعطي للبهائم طعاماً"**. إن كنت إنساناً ستحصل على فهمٍ روحي

¹ On Ps. 147.

للأسفار المقدسة. إن كنت بهيمة للحمل، تحصل فقط على الحرف¹.

❖ **الْفِرَاحُ الْغُرْبَانِ الَّتِي تَصْرُخُ**. "لم يذكر طائر آخر سوى فراخ الغربان ، وليس الغربان ذاتها. الغراب لا يخلص ، إنما صغاره يُنْقَذُونَ. نحن صغار الغربان ، لأننا وُلدنا من آباءٍ وثنيين. نحن نقرأ أقوال سليمان الحكيم: "العين التي تسخر من أبيها أو تحتقر حديث أمها تقورها الغربان في الوادي"، يقول الغربان وليس فراخ الغربان. لأن الإنسان الذي يشبه الغربان أو يتسم بصفاته لا يمكن أن يخلص. الغراب الهبعوث من الفلك لا يعود إليه. كان في الفلك مع بقية المخلوقات أثناء الطوفان، بعد الطوفان طُرد خارجًا. نحن إذن فراخ الغربان، نصرخ إليه ونخلص."

القديس جيروم

لَا يُسِرُّ بِقُوَّةِ الْخَيْلِ.

لَا يَرْضَى بِسَاقِي الرَّجُلِ [10].

يعمل الله بالقليل كما بالكثير، ففي خلاصه لا يحتاج إلى إمدادات عسكرية " قوة الخيل"، ولا موارد بشرية "ساقى الرجل"، إنما يخلص بقدرته الإلهية ومحبتة الفائقة للبشرية.

❖ **"لا يُسر بقوة الخيل"**. قوة الخيل هي الكبرياء. لأن الخيل يبدو كمن يتهاى ليحمل الإنسان عاليًا...

في الواقع للخيل رغبة ترمز لنوع من التشمخ. ليت البشر لا يتشامخون كمن يستحقون هذا، ويظنون أنهم مرتفعون بامتيازاتهم السامية، كما من فرسٍ جامحٍ.

القديس أغسطينوس

❖ إذ كانوا ضعفاء، وغير مسلحين، ومُجردين من كل شيء، لاحظوا كيف كانوا في حالٍ يجعلهم في رعبٍ، يقدم لهم الله العون في ضعفهم بالكلمات: " لا يُسر بقوة الخيل، ولا يرضى بساقى الرجل²."

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

² Homilies on Psalms, homily 57.

³ On Ps. 147 (146).

⁴ On Ps. 147.

❖ "لا يُسر بقوة الخيل". مكتوب في المزمير: "باطل هو الفرس للأمان"، وفي موضع آخر في الكتاب المقدس: "الفرس والمركبة طرحهما في البحر". كانت الوصية ألا يربي ملك إسرائيل خيلاً. لكن سليمان الذي حصل على مركبات من مصر صار ضحية للشهوة. "لا يرضى بساقي الرجل". يُسر الرب بالذين يتقونه (بخافونه). خوف واحد يطرد مخاوف كثيرة. أليس من الأفضل أن تخاف من واحد، فلا تخاف الكثيرين، من أن تخاف الكثيرين لكن لا تخاف الواحد؟

القديس جيروم

يَرْضَى الرَّبُّ بِأَتْقِيَانِهِ،

بِالرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ [11].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "يُسر الرب بخائفه، وبالذين يتكلمون على

رحمته".

إنهم لا يتكلمون على ما لديهم من قوة عسكرية "قوة الخيل"، ولا ما يتمتعون به من قوة جسمانية "ساقا الرجل"، وإنما ما يحملونه من قوة البنوة لله، فيسلكون في تقوى الأبناء، وينعمون بإمكانيات إلهية من قبل أبيهم السماوي.

الله كأبٍ ليس فقط يهتم باحتياجات مؤمنيه كما يفعل مع الحيوانات والطيور حتى فراخ الغربان الجائعة، وإنما يُسر بهم ويحتضنهم. يكمن سروره بهم في تقواهم ويقوتهم في محبته لهم ورحمته عليهم. هذا هو سرّ جمالهم الداخلي وقوتهم.

يرى القديس أغسطينوس أن المرثل يربط بين مخافة الرب والرجاء في رحمته،

فالخوف دون الاتكال على رحمة الله يحطم الإنسان باليأس.

❖ اللص يُخاف منه، والحيوان المتوحش يُخاف منه، والإنسان الظالم صاحب السلطان يُخاف منه جداً.

"يُسر الرب بالذين يترجون رحمته". انظروا يهوذا الذي خان ربنا، لقد خاف، لكنه لم

يترجّ رحمته...

حسن جداً أن تخاف، ولكن فقط إن كنت تثق في رحمة ذلك الذي تخافه. لقد مضى

(يهوذا) في يأس وشنق نفسه.

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

بحكمةٍ لتخف الرب هكذا، بأن تثق في رحمته .

القديس أغسطينوس

6. التسبيح والشركة مع الله

سَبِّحِي يَا أُورُشَلِيمُ الرَّبَّ.

سَبِّحِي إِلَهَكَ يَا صِهْيُونُ [12].

إذ يبدأ هنا في الترجمة السبعينية المزمور 147، نجد عنوانه: " مرسوم بالليلويا،

لحجّي وذكرياً".

إذ يتطلع المرتل بروح النبوة إلى العائدين من السبي إلى أورشليم، يدعو أورشليم للقيام بعملها الرئيسي، ألا وهو التسبيح للرب إلهها.

حقاً بالعودة إلى أورشليم كانت هناك مسؤوليات والتزامات على الجميع من قيادات وكهنة ولاويين وشعب، لكن العمل الأول هو التسبيح والشكر لله. يشكرون الله بألسنتهم، كما يشكرونه بأفكارهم وعواطفهم المقدسة، وأيضاً بحبهم لله ولبعضهم البعض.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن أول الإحسانات وأعظمها جميعاً أن ينسب الله نفسه لهم، فيقول " إلهك". هذا التعبير يتضمن فيه كل الإحسانات الإلهية، إذ يحسبهم خاصته وورثته.

❖ ألا ترون عظم المنافع في شيء من التفصيل؟

أولاً: وفوق الكل قوله: "إلهك" [12]. بهذا التعبير يضم كل هذه المزايا معاً، إذ اختارك خاصته، وجعلك ميراناً له، مفضلاً إياك مع أنه سيد عام للجميع. هذا هو ذروة الخيرات.

ثانياً: أن يشيد المدينة في أمان [13].

ثالثاً: يُكثر عددهم [13].

رابعاً: يحررهم من وجود حروب واضطراب، ليس في المدينة فقط، بل وفي كل جنسهم

[14]...

يضيف إلى ذلك ميزة أخرى، وهي خصوبة الأرض ووفرة ثمارها [14].

القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ On Ps. 147 (146).

² On Ps. 147.

³ On Ps. 147.

- ❖ يحتوي هذا المزمور على نبوة عن رجوع العبرانيين من سبيهم، وإعادة بناء أورشليم.
- ❖ قول النبي: "سبحي يا أورشليم" لا يقصد المدينة وحواطها ومبانيها، بل سكانها. هكذا إذ يقول ربنا: "يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليك"، لا يقصد المدينة، بل سكانها الذين كانوا في ذلك الحين. وبنفس الطريقة بالنسبة لصهيون.
- ❖ قوله هنا يدل على أن أورشليم العليا الحرة التي هي أمانة نحن المؤمنين أجمعين، وعلى صهيون التي هي الكنيسة المقدسة جماعة الأبرار المكتوبين في السماء كقول الرسول الإلهي. أما عوارض أبوابها المحكمة فهي التعاليم والمعتقدات المستقيمة التي تدخلنا إليها. وأما بركة الرب في كثرة بنينا التي تعم الأرض... وتملاً المؤمنين وتشبعهم بالموهب الروحية.

الأب أنسيئس الأورشليمي

- ❖ يهكنا القول بأن السلام مثل الحياة الأبدية هو نهاية كل ما نقيم. لأن مدينة الله التي كرسنا لها هذا الحديث المطول، قد وُجه إليها الحديث في هذا المزمور المقدس: "سبحي يا أورشليم الرب، سبحي إلهك يا صهيون. لأنه قد أسس أبوابك، بارك أبنا عك داخلك. الذي جعل تخومك سلاماً..." "أعتقد إنني لا أتقل على قرائي إن تكلمت بأكثر إمعاناً، لأن السلام هو الهدف الأساسي لهذه المدينة التي أتكلم عنها، السلام له سحره وإفتتان عزيز على الجميع.

سلام الجسد هو نظام أعضاء المكونة له، و سلام النفس غير العاقلة هو هدوء شهواتها. و سلام النفس العاقلة هو التوافق المتناغم بين الفكر والهلوك.

السلام بين النفس والجسد، هو الحياة المدبرة والصحة للإنسان الحي بكلية.

السلام بين الإنسان المانت والله، هو الطاعة حسب تدبير الناموس الأبدي بالإيمان.

السلام بين الشعب هو الاتفاق بتدبير حسن.

سلام البيت هو التدبير المتوافق في نظام بين الساكنين فيه.

سلام المدينة السماوية، هو التدبير الكامل في تناغم تام للذين في شركة مع الذين ينعمون بالله وقناعتهم فيما بينهم في الله.

سلام هذا كله هو تدبير كل الأمور لوضعها في مكانها اللائق¹.

¹ The city of God 1. 9: 11, 13.

القديس أغسطينوس

❖ "سبحي يا أورشليم الرب، سبحي إلهك يا صهيون" [12]. أورشليم هي رؤية السلام؛ فحيث يوجد تأمل في الله سبح الله.

لتمجدي أيتها الكنيسة الرب، لأنك بدأت أن تؤمني به، وتقتني السلام، وأيضاً بدأت أن تنظري السلام، أورشليم رؤية السلام.
إذ أتمتع بالحقيقة بالمعرفة، وأنعم بقلعة التأمل، أقول: سبحي الرب .

القديس جيروم

لَأَنَّهُ قَدْ شَدَّدَ عَوَارِضَ أَبْوَابِكَ.

بَارَكَ أَبْنَاءَكَ دَاخِلِكَ [13].

في العبارتين 13 و 14 يقدم لنا المرثل أربع بركات تمتعت بها أورشليم بإعادة بنائها، وتتمتع بها نفوسنا بكونها مدينة الله:

1. أمان المدينة [13] بإقامة عوارض قوية لأبوابها ضد أي غزو يمكن أن يهاجمها. هنا إشارة إلى اهتمام المؤمن بتقديس حواسه، سائلاً الله أن يقيم حراسة عليها حتى لا تتسلل الخطية إلى أعماق النفس.

2. السعادة الداخلية [13] لسكان المدينة حيث تحل بركة الرب عليهم.

3. السلام القومي [14].

4. فيض وبركة في المحصولات [14].

إذ تُدعى أورشليم إلى عملها الرئيسي عند عودة المسيبيين، ألا وهو التسبيح لله بفرح عظيم، يليق بها أن تشدد عوارض أبوابها، لماذا؟

لكي تغلق الأبواب، كما قيل في مثل العذارى الحكيمات حيث دخلن إلى العرس، وأُغلق الباب، فلا تدخل العذارى الجاهلات.

بغلق الباب لا يُسمح للشر أن يدخل، ومن جانب آخر تبقى العروس مع عريسها كما في حبال الملك.

ليدخل عريسنا السماوي إلى قلوبنا، أورشليمه الجديدة، ولا يسمح لخطية ما أن تتسلل حيث يوجد القدوس.

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

❖ لا تسمحوا لأحدٍ أن يخرج، أو لأحدٍ أن يدخل. لا يخرج أحد، فإننا فرحون! لا يدخل أحد، نحن نخاف (الرب)...

عندما تدخلون، سُيُقال: أنتم فقط كونوا في عداد العذارى الحاملات الزيت معهن!

القديس أغسطينوس

❖ يقول النبي: يا أيها الساكنون بأورشليم وصهيون امدحوا الرب إلهكم، مسبحين إياه، لأنه قوى صيانتكم وحفظكم، وجعل مدخل مدينتكم منيعًا، حتى لا يستطيع أعداؤكم الدخول إليها. ويكثر بركة بنيكم وشعبكم. أما قوله "فيك" (داخلك)، فمعناها أن نموهم لا يكون في الشتات والغربة، بل داخل تخومكم وفي أرضكم، وجعل الأمان والطمأنينة في حياتكم.

الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ ماذا يعني أنه يشدد العوارض؟ إنه يقيم أمانًا، يقول إنه يجعلهم لا يُفْهرون .

❖ إنه يقصد أنه يحقق النمو ليس للمشتتين أو الشعب المبعثر، بل للمجتمعين معًا "داخلك".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "يحب الرب أبواب صهيون أكثر من مساكن يعقوب". تحدثنا عن الأنبياء أنهم أبواب صهيون... لنرى ما هي عوارض الأبواب. الأنبياء بحق هم عوارض الكنيسة، لا نق در أن ندخل الكنيسة إلا من خلالهم.

رفض مرقيون العهد القديم، لكن بدونه لا يقدر أن يدخل إلى العهد الجديد. من جانب

آخر، لتقبلوا الأنبياء، ولتدخلوا من خلالهم...

"كل الذين جاعوا قبلي هم سراق ولصوص". اللهم إلا إذا وهبني الرب امتياز أن أكون

عارضة في أبواب صهيون -.

القديس جيروم

الَّذِي يَجْعَلُ تَخُومَكَ سَلَامًا،

وَيُسَبِّعُكَ مِنْ شَحْمِ الْحَنْطَةِ [14].

¹ On Ps. 147 (146).

² On Ps. 147.

³ On Ps. 147.

⁴ Homilies on Psalms, homily 57.

الله في محبته ليس فقط يعطي بركات، إنما " يُشبع " ويفيض بأفضل العطايا. بقوله "شحم الحنطة"، يعني أفضل أنواعها.

أما الإحسان الثاني فهو أن يجعل المدينة آمنة.

والثالث أن يزيد من عددهم ويكثرهم.

والرابع أن يحررهم من الحروب والاضطرابات، ليس فقط في المدينة بل على مستوى

الشعب كله، لا في مناسبة أو مناسبتين أو ثلاث، وإنما على الدوام.

❖ كيف يتהלل جميعكم!

أحبوا السلام يا إخوتي!

عندما تصرخ محبة السلام في قلوبكم نبتهج جداً!...

محبة السلام... يا أبناء الملكوت، يا مواطني أورشليم، ففي أورشليم رؤية السلام!

كل محبي السلام سعداء فيها، يدخلونها عندما تُفتح الأبواب وتغلق وتتقوى

عوارضها...

هذا ما تتبعونه وتشتاقون إليه: هذا ما تحبونه في بيوتكم وفي أعمالكم وفي زوجاتكم

وفي أبنائكم وفي عبيدكم وفي أصدقائكم وفي أعدائكم...

ما كنتم تصرخون به منذ لحظات عند الإشارة إلى السلام، تصرخون به عن اشتياق.

صراخكم كان عن عطشٍ (للسلام) وليس عن ملءٍ، فهناك (في السماء) سيكون البرّ الكامل

حيث السلام الكامل¹.

القديس أغسطينوس

❖ النشيط الذي يضاعف غلته، يملأ بيده، ويساند أيضاً المحتاجين في زمن العوز. تمتلئ

أهراؤه من كل الخيرات، وخزائنه الداخلية من الكنوز. وآكلو خبزه يشبعون من الدم،

والشاربون من إنائه لن يعوزهم الفرج، ومن جميع غلاته يتعممون إلى الأبد.

القديس يوحنا الدلياتي

❖ "يشبعك من أفضل الحنطة". هل لأورشليم أفضل الحنطة؟ أجب أيها اليهودي. إن كان ليس

لديها، فالضرورة تقتضيه إلى الالتجاء للتفسير الروحي، في تطلعك إلى بقية المزمور...

¹ On Ps. 147 (146).

الكلمة الإلهية هي غنى متزايد، تحوي في داخلها كل بهجة. كل ما تشتهييه تجده فيها. وذلك كما حدث مع اليهود عندما كانوا يأكلون المن كان كل واحدٍ يتذوق نوع الطعام الذي يشتهييه. كمثال، إن كان جائعاً إلى تفاحة أو كمشري أو عنب، أو خبز أو لحم يجد طعم المن مطابقاً لاشتياقه. ونحن نتقبل في جسد المسيح، الذي هو كلمة التعليم الإلهي، أو تفسير الأسفار المقدسة المن حسبما نشتهييه. إن كنت قديساً تجد فيها انتعاشاً، إن كنت شريراً تجد فيها كرياً .

❖ "يجعل تخومك سلاماً". الإنسان الذي ليس في سلام مع أخيه، ليس في تخوم أورشليم .
القديس جيروم

❖ مرة أخرى يعلمهم هنا ألا ينسبوا كل شيء إلى التربة ونوع الجو، بل إلى العناية الإلهية .
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ترمز الساحات المترابطة للدار المحيطة بالخيمة إلى التفاهم والمحبة والسلام بين المؤمنين، ويفسرها داود بهذه الطريقة عندما يقول: "الذي يجعل تخومك سلاماً" (مز 147: 14) .
القديس غريغوريوس النيصي

يُرْسِلُ كَلِمَتَهُ فِي الْأَرْضِ.

سَرِيعًا جَدًّا يُجْرِي قَوْلَهُ [15].

إن كان قد سبق فتحدث عن عطاياه لشعبه، فإنه يؤكد أنه محب لكل البشر. " يرسل كلمته في الأرض، سريعاً جداً يجري قوله " [15]. عنايته تحتضن الأرض كلها بمسرتة الفائقة. لهذا يرسل كلمته التي تعني أوامره الخاصة بعنايته ورعايته للعمل سريعاً جداً في كل العالم. يرى الأب أنسيمس الأورشليمي أنه عند الخلقه أمر الرب البشر أن يثمروا ويكثروا، وتحقق الأمر سريعاً. أما في إعادة الخلقه حيث أمر الرب التلاميذ أن يمضوا إلى العالم أجمع، ويبتلمذوا الأمم، ويعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، فإن هذا القول تحقق عاجلاً وبسرعة أكثر من الأمر الأول. وأن كرازة الإنجيل ملأت المسكونة من المسيحيين أبناء آدم الجديد المولودين في برء من الفساد، ومنحهم الحياة التي لا يتعقبها الموت (الأبدي).

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

² Homilies on Psalms, homily 57.

³ On Ps. 147.

⁴ Life of Moses, 186.

❖ إنه يتحدث عن الكرازة الإنجيلية التي لتعاليم الرسل، لذلك يكمل فوراً : "سريعاً جداً يجري قوله".

في كل بقعة سُمعت الكلمة، وفي كل العالم بلغت تعاليم الرسل.

لاحظوا سرعة انتشار الكلمة. إنها لم تكتفِ بالشرق، بل أرادت أن تنتشر في الغرب .

القديس جيروم

❖ بعد قوله: "سبحي إلهك" [12]، فلتأبظن أي غبي أنه إله اليهود وحدهم، أظهر كيف أنه ينتمي إلى العالم كله، وتمتد عنايته الإلهية إلى كل الأرض، فينطلق مما هو خاص إلى ما هو عام، ثم إلى العناية بالمسكونة. لهذا بعد قوله: "يُرسل كلمته إلى الأرض" ، أضاف: "سريعاً جداً يجري قوله". الآن، قال هذا ليُظهر أنه لا يهتم فقط بمدينتنا، بل وبالعالم كله. "كلمته" هنا تعني أمره، أو عمل رعايته الإلهية .

القديس يوحنا الذهبي الفم

الَّذِي يُعْطِي التَّلَجَّ كَالصُّوفِ،

وَيُدْرِي الصَّقِيحَ كَالرَّمَادِ [16].

إذ نزل كلمة الله إلى الأرض متجسداً لكي يضم البشر معاً، ويقيم منها جسده، الكنيسة الجامعة، فإنه يجعل منها ثوباً أبيض كالتلج، كما حدث عند تجليه (مت 17: 2). أقام كنيسته المقدسة المجيدة، التي بلا دنس ولا غضن (أف 5: 27).

في نفس الوقت يقدم للبشرية التي تتقدس فيه نفسه كثوب برّ ترتديه.

❖ بينما كان البشر غير مؤمنين، باردين (في المحبة) كسالي، صنع لهم ثوباً من هذا الصوف.

فلتُبسط على الصليب، لكي ما تغتسل من الدنس، وتتطهر بالإيمان، ولكي لا يكون بها غضن .

القديس أغسطينوس

❖ تجري كلمة الله بسرعة، وتنتشر كالتلج، والتلج نفسه كالصوف.

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

² On Ps. 147.

³ On Ps. 147 (146).

لتنترد أيها الرب دنسي، لتنزع كل ما هو دنسي. هب تلجك، لقاوتك، لأذهان المسيحيين، أي نرتدي نوبك. المسيح هو لباسنا. إن أردنا أن نقتنيه كثوب، فلنكن طاهرين كالثلج.

القديس جيروم

أما أن يجعل الصقيع كالرماد، فذلك لأن الرماد يرتبط بالتوبة والتواضع. يرى القديس أغسطينوس أن الإنسان الذي يريد أن يتعلم ويلتقي بالله، يكتشف أنه في ظلمة كما في صقيع، ويحتاج إلى التوبة بروح التواضع.

❖ إذا ما دُعي إنسان ليتعلم عن الله، فليقال له: "أقبل الحق". وإذ يبدأ في الرغبة لقبول الحق يجد نفسه عاجزاً. يرى نفسه كمن هو في نوع من الظلمة، وبسببها لم يكن يرى... لا تتجولوا في الصقيع، بل اتبعوا الإيمان.

وإذ أنتم تسعون في أن تروا وأنتم عاجزون، توبوا عن خطاياكم، فإن الصقيع يُذرى كالرماد.

توبوا عن كونكم معاندين لله، توبوا عن إتباعكم طرقكم الشريرة. إنكم تأتون إلى هذه الحالة حيث يصعب عليكم الرؤية للنعيم، وسيكون لكم الصقيع نافعاً لكم حيث يذريه الله كالرماد.

أنتم أنفسكم لازتم صقيعاً بل مثل الرماد، لأن الذين يتوبون يغلفون أنفسهم في الرماد، ويشهدون يا إخوتي أنهم مثل الرماد، قائلين لله: "أنا رماد". يقول الكتاب: "احتقرت نفسي وتبددت، حسبت نفسي تراباً ورماداً". (انظر أي 30: 19 Vulgate) عندما تحدث إبراهيم مع الله، قال: "أنا تراب ورماد" (تك 18: 27)، هذا هو تواضع التائبين.

القديس أغسطينوس

يُنْفِي جَمَدَهُ كُفَّتَاتٍ،

فُدَّامَ بَرْدِهِ مَنْ يَفِيفُ؟ [17]

بعد أن شبه الكنيسة بثوب المسيح المجيد الذي يصير كالثلج بلا دنس ولا غضن،

¹ Homilies on Psalms, homily 57.

² On Ps. 147 (146).

يشبهه المؤمنين بالجليد الشديد الصلابة، والذي لا يُقارن بالثلج.

مع شدة صلابته يصير الجليد كفتات خبز يأكله البعض وينتفعون به. يقدم لنا
القديس أغسطينوس الشهيد استفانوس مثالاً لذلك، فقد كان كالجليد الصلد وقف أمام
المضطهدين بقوة، واحتمل بفرح رجمه بالحجارة.

❖ "يرسل بلوره (جليده) كفتات" ... ما هو البلور *crystal* (الجليد)؟ إنه جامد جداً، إنه متجمد
للغاية، لا يذوب بسهولة مثل الثلج.

عندما يصير الثلج جامداً لمدة سنوات كثيرة، ومع تعاقب الأجيال، يدعى بلوراً
(جليداً). هذا يرسله (الله) مثل فتات الخبز.

ماذا يعني هذا؟ كان جامداً للغاية، لا يمكن مقارنته بالثلج بل بالبلور؛ لكنهم يصيرون
قطعاً للآخرين. يصيرون نافعين أيضاً للغير.

القديس أغسطينوس

❖ "قدام برده من يقف؟" مكتوب أنه في الأيام الأخيرة تبرد محبة الكثيرين ... لبيت الله يهينا ألا
يرحف أي برد إلى قلوبنا. إننا لا نرتكب خطية إلا بعدما تتود المحبة. لهذا، ماذا يقول
الرسول؟ "كونوا حارين في الروح. إلهنا نار آكلة". إن كان الله ناراً، فهو نار لكي ينزع برد
الشيطان.

طبيعة الميت أنه بارد، وطبيعة الحي أنه دافئ. فإن صار أحد بارداً ومات، يرسل إليه
كلمته ويذيب (برده).

القديس جيروم

يُرْسِلُ كَلِمَتَهُ، فَيَذِيبُهَا.

يَهْبُ بِرِيحِهِ، فَتَسِيلُ الْمِيَاهُ [18].

❖ "يرسل كلمته فيذيبها" لبيت الثلج لا ييأس، ولا الصقيع، ولا الجليد (البلور).

فمن الثلج كما من الصوف يصنع ثوباً.

ومن الصقيع يجد أماناً في التوبة...

وأيضاً يدعو حتى الذين إلى فترة طويلة كانوا جليداً جامداً، فإنهم لن يكونوا جامدين

¹ On Ps. 147 (146).

² Homilies on Psalms, homily 57.

أمام رحمة الله. إنه "يرسل كلمته فيذيبها"...

إنهم جامدون خلال الكبرياء... لا تيأسوا حتى بالنسبة للجليد.

اسمعوا قولاً من الجليد: "كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً" (1 تي 1: 13). لماذا أذاب الله الجليد؟ حتى لا ييأس الثلج من نفسه. إذ يقول: "لكنني لهذا رُحمت، ليُظهر يسوع المسيح فيّ أنا أولاً كل أناة، مثلاً للعتيد أن يؤمنون به للحياة الأبدية" (1 تي 1: 16). عندئذ دعا الله الأمم: "لتذوبوا يا أيها الجليد. تعالوا أيها الثلج".

"روح يهب، فتسيل المياه". هوذا الجليد والثلج ذابا، وتحولا إلى مياه. "من كان عطشائاً، فليأتي ويشرب" (راجع يو 7: 17).

كان شاول جليداً قاسياً، اضطهد استقانوس حتى الموت. الآن بولس في المياه الحية، يدعو الأمم للينبوع (المسيح).

القديس أغسطينوس

❖ هنا - في رأيي - يقدم سمة قوة الله غير المقاومة وغير المحدودة في إنتاج أمورٍ من اللاوجود، ويغير ويشكّل هذه الأمور لتحقيق رغبته. أحياناً يغيّر الأشياء نفسها، وفي أوقات أخرى يحرك الأمور الباقية في طرق عمل أخرى، ويسمح لعملياتها الخاصة أن تتوقف لتقوم بأعمال مناقضة للأولى. هذا ما فعله أيضاً في حالة الأتون. كانت فيه نار، لكنها لم تحرق، بل على العكس الذين ألقوا فيها تمتعوا بنوعٍ من الندى مُسبِرٍ للغاية (دا 3). وفي حالة اليهود كان يوجد بحر، ولكن عوض المياه التي تُعرق، ساروا فيه، وكان في صلابة أكثر من الصخر (خر 14).

كانت هناك أرض في حالة داثان وأبيرام (ومن معهما)، ولكن عوض أن تسند أجسامهم غاصوا فيما هو أصعب من الغرق في بحرٍ (عد 16). عصا هرون كانت خشباً جافاً، وأنتجت ثمراً مسراً أكثر من النباتات التي كانت في الأرض (عد 17).

في حالة بلعام كانت حمارة أكثر غباوة من أي حيوان آخر، وقدمت للرجل الذي كان يضربها دليلاً ليس بأقل مما تقدمه كائنات بشرية عاقلة.

¹ On Ps. 147 (146).

كانت هناك أسود في حالة دانيال أظهرت حنواً أكثر مما تظهره الأغنام، لم تلغ طبيعتها لكن سلوكها قد تغير¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

7. التسبيح والتمتع بالوصية الإلهية

يُخْبِرُ يَعْقُوبَ بِكَلِمَتِهِ،

وَإِسْرَائِيلَ بِفَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ [19].

❖ ما هو "البر"؟ وما هي "الأحكام"؟ فإن ما عانت منه البشرية كما جاء قبلاً حين كانت تلجأ وصقياً وجليداً، إنما عانت بسبب كبريائها وتشامخها على الله.

لنرجع إلى أصل سقوطنا، وننظر إلى ما هو بالحق يُرتل به في المزمور: "قبل أن أذلل أنا ضللت" (مز 119: 67). لكن من يقول هذا، يقول أيضاً "خير لي أنك أذلتني، فأتعلم برّك" (مز 119: 71). هذا البرّ تعلمه يعقوب الذي جعله يصارع مع الله نفسه الذي جاء على هيئة ملاك. لقد أمسك به (بالله)، وبذل جهداً عنيقاً ليمسك به، وفاز بأن يمسكه. سمح (الله) لنفسه أن يمسك، في رحمة، وليس في ضعفٍ. لذلك صار يعقوب وغلب. لقد أمسك به وحين بدا كأنه غلب سأله أن يباركه (تك 32: 24 الخ)...

ليت الإنسان يُجاهد لكي يمسك، يمسكه بشدة، إذ يمسكه بعد تعبٍ. هذه هي أحكامه التي أعلنها الله ليعقوب وإسرائيل.

القديس أغسطينوس

لَمْ يَصْنَعْ هَكَذَا بِإِحْدَى الْأُمَمِ،

وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَعْرِفُوهَا.

هَلُّوياً [20].

يرى القديس أغسطينوس أن ربنا يسوع المسيح أعلن نفسه لشاول الطرسوسي الذي كان قاسياً كالجليد، وإذ ذاب كرز شاول أو بولس للثلج أي للأمم لكي يذوب الأمم أيضاً.

لاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم² أن المرتل بدأ مزموه بالحديث عن العطايا

¹ On Ps. 147.

² On Ps. 147 (146).

³ On Ps. 147.

الخاصة بشعبه، ثم انتقل إلى رعايته للعالم كله، فهو محب لكل البشرية، يعود الآن فيتحدث عن اهتمامه بشعبه.

يختم القديس يوحنا الذهبي الفم¹ تفسيره لهذا المزمور بتقديم تفسير روحي رمزي، متطلعًا إلى أورشليم كرمزٍ لأورشليم العليا، وصهيون كرمزٍ لكنيسة العهد الجديد.

❖ لاحظوا كيف ينتقل مرة أخرى من معالجة الأمور العامة إلى الخاصة، متحدثًا عن الامتيازات التي لليهود كي يحثهم على غيرةٍ أعظم. فبعد أن بدأ المزمور بالحديث عن الأمور المادية، وما هو لنفع أجسادهم من أمانٍ وخصوصيةٍ وسلامٍ، هنا يرتفع بالمقال إلى الأمور العلوية، فيشير إلى أعطاء الناموس الذي كان امتيازًا خاصًا، حتى يسحبهم عن الشر، ويقودهم إلى الفضيلة، وينير عقولهم.

لهذا قدم أيضًا حديثًا عن كل جانبٍ من هذا، قائلًا: أي شعب مثل هذا؟ هذا الجنس العظيم الذي إلهه قريب منه... (راجع تث 4: 7)
بالمثل يقول داود: "الرب مجرى الرحمة والقضاء لجميع المظلومين. عزّف موسى طريقه، وبني إسرائيل رغباته". (راجع مز 103: 6-7)

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 147

لأسبح بكل كياني!

❖ لتملأ حياتي بالفرح السماوي،
فأختبر عنوية التسبيح!
لساني يهتف لك،
وقلبي وعواطفِي وكل إحساسي ترنم لك.
أغني بطني وشفنتي،
وأغني بكل أعضاء جسمي وطاقتي.
ليسلك كل عضو كما يليق به،
فيشهد لجلالك، ويختبر الشركة معك.

¹ On Ps. 147.

² On Ps. 147.

ويتحول كل كياني إلى قيثارة،
يعزف عليها روحك القدوس أنشودة حب!
أرزم لك بالصوت كما بالصمت والعمل!

❖ يهبني التسبيح جناحين،

فتطير نفسي كما إلى السماء!
بالتسبيح أتمتع بحبك وحب إخوتي.
أختبر عربون السماء والشركة مع السمائيين.
بالتزيم تعنزّل نفسي محبة الزمنيات،
وتتطلق متحررة لتتعم بالسماويات.

❖ هب لي حياة التسبيح الداخلي الحقيقي،

فأتأهل لبناء أورشليم في أعماقي!
تقيم ملكوتك في قلبي،
وتتير عيني، فأعين مجدك.

❖ بالتسبيح والشكر أستعرض جراحاتي لك.

هي من صنع إرادتي الشريرة،
هي ثمر إهمالي وخطاياي،
أنت هو السامري (الحارس) الصالح.
تضمد جراحات نفسي،
وتجبر كسور عظامي!

❖ تفرح قلوبنا حين نتطلع إلى الكواكب وسط ظلمة الليل.

وتُسر أنت يا إلهي أن ترى مؤمنيك كواكب منيرة.
هب لنا بالتسبيح أن تتلألاً كما في وسط ليل الضيقات.
لنتشد ظلمة الليل، فيزداد بهاء أولادك.
تحصيهم ككواكبٍ معروفةٍ لديك،
واهياً لكل مناً اسماً تعتر أنت به!

لن تستطع ظلمة الخطية أن تفسد بهاءك المشرق في أعماقنا.

نعمتك تقيم منا كواكب لن يخفيها ظلام الضلال!

❖ تسبحك نفسي أيها الصالح القدير .

وسط الضيق تطمئن نفسي،

تحول مرارتي إلى عذوبة فائقة.

تصمت أعماقي وتنتظر،

فأنت إله المستحيلات، ليس لعظمتك حدود.

هب لي روح الوداعة فأتكل عليك.

ترفع أعماقي إليك وبفرح تُسر بأعمالك.

أقرع بابك، فتهبني فهماً لحكمتك وسلاماً لقلبي!

تمسك بيدي، وتحملني على منكبيك.

تنزل إليّ لتحملني إلى سماواتك.

❖ أنت هو سلاحي الحقيقي.

أنت واهب النصر في كل معركة.

هب لي ألا أكل على قوتي البشرية،

ولا أتسامخ بإمكانيات باطلة!

أختفي فيك وسط الضيق،

فأشعر بالأمان وتتهلل نفسي بك.

في أحضانك الإلهية تطمئن نفسي وتسبحك.

أخشاك بروح التقوى وأحبك.

لا أريد أن أحرزك بخطاياي،

وإن سقطت أثق في مراحمك.

لا ينقطع التسبيح من أعماقي،

فإنك لا تُسر بهلاكِي، بل برجوعي دائماً إليك!

❖ اختررتي بمراحمك لأكون من خاصتك،

تقيم مدينتك في داخلي،

مدينة متهلة بك،

عملها الأول التسبيح لك، ودستورها السلام الحقيقي.
سلام بين النفس والجسد، إذ يقودهما روحك القدوس.
تناغم بين العقل والعاطفة، وبين الفكر والسلوك.
سلام مع الله والناس.

❖ تقيم من أعماقي أورشليم جديدة، أي رؤية الله.
أراك، فأتأمل في حبك، وأسبحك!
تشتاق بالأكثر نفسي إليك وتعطش.
تمجدك، فتطلب المزيد من التعرّف عليك.

❖ حلوك في نفسي المتهللة بك يفيض عليّ بالبركات العجيبة.
أتمتع بالأمان فلا أخشى محاربات العدو.
أنعم بالسلام فلا مجال لصراع داخلي.
أختبر السعادة، فأشعر أنني أسعد كائن على الأرض.
تحول أعماقي إلى جنة تحمل ثمار روحك القدوس.
دخولك حول أعماقي إلى عرسٍ مفرح.

❖ لتسكن يا مخلصي في أعماقي.

تنزع عني دنسي،
وتهبني ثوب برك ارتديه.
أكتشف بحضورك أنني كنت في ظلمة كصقيع،
أحتاج إلى التوبة بروح التواضع.
أدرك أنني وإن كنت جامدًا كالجليد،
فإن كلمتك قادرة أن تذيبه.
حلوك يفيض في داخلي بمياه نعمتك.
وجودك يحرك كل شيء لبنينان نفسي.
لك التسبيح يا من بالحق تحبني!

الْمَزْمُورُ الْمِنَّةُ وَالثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

خورس الخليفة العجيب!

للمزامير 148 و 149 و 150 مكانة خاصة لدى الكنيسة القبطية، تُدم بلحن جميل بكونها الهوس (وتعني التسبيح) الرابع في العشية اليومية وتسبحة نصف الليل. ليس لهذا المزمور عنوان، ينسب المزمور للنبيين حجّي وزكريا حسب الترجمات السبعينية والسريانية والأثيوبية. يرى البعض أنه أروع قطعة في سفر المزامير، حيث توجه الدعوة للسمائيين والبشر وكل الخلائق لتسبح الله. تهتم البشرية بإقامة خورس أو فرق للأغاني سواء في العالم أو في المجتمعات الدينية. لكننا لم نسمع عن خورس يُدعى للتسبيح كذاك الوارد في هذا المزمور. يضم هذا الخورس الخليفة العاقلة التي تتقي الله، وأيضاً غير العاقلة، بل والجمادة؛ يضم صفوفاً غير محصاة. الكل يشعرون بالدين للخالق المعتني بهم، والكل يعلنون عن إعجابهم وحبهم لهذا الخالق العجيب.

يكشف لنا هذا المزمور التزام الكل بتمجيد الله، كل كائن حسب إمكانياته وقدراته ومواهبه. فالسمائيون والطغمت المسائية يشهدون له بحياتهم السماوية المقدسة المتهللة. والشمس تشهد لله ببهاء أشعتها، كما بحرارتها لخدمة النباتات والحيوانات والإنسان الخ. والقمر بنوره البهي يخدمنا بالليل، والكواكب بجمال منظرها تشهد لعمل الله الفنان الأعظم. هذا من الظاهر، أما ما خفي فهو أعظم.

إذ يتذوق المرتل عذوبة التسبيح، يدعو كل الخليفة السماوية والأرضية للتسبيح:

١. **السموات** [1-6] يبدأ بالملائكة، فالأجسام السماوية، ثم السحاب.
 ٢. **الأرض** [7-10] سواء أعماق البحار والمحيطات أو أعالي الجبال أو الرياح والأشجار المثمرة.
 ٣. **البشرية**: خُلق البشر على صورة الله - الرجال والنساء - لذا كان يلزمهم أن يسبحوا لله أكثر من الكل!
- إذ نتمتع بالخلاص؛ ندرك بالأكثر محبة الله الفائقة لنا، فنسبحه بالأكثر.

❖ يلزم أن يكون موضوع تأملنا في هذه الحياة الحاضرة تسابيح الله، لأن السمو الدائم لحياتنا

العتيدة هو تسبيح له، ولا يستطيع أحد أن يتهياً للحياة المقبلة إن لم يمارسها بنفسه الآن. يتسم تسبيحنا بالفرح، وصلواتنا بالتهنيد...
بخصوص هذين الأمرين، أحدهما يمارس في التجارب والضيق التي لهذه الحياة،
والآخر خاص بالحياة المقبلة في الراحة الأبدية والسماء.

القديس أغسطينوس

الطبيعة تسبّح الرب

❖ لا تتكر الطبيعة أبداً التسبيح للرب، لأن الخليقة كلها به تتحرك للتسبيح.
من السهل أن تسبّح الحجارة والأخشاب، لأن رمزه الخفي يحرك الطباع لتسبّحه (دا 3: 51-90).
الخلايق بأشكالها ترتل التسبيح: الناطقة منها، والصامتة على اختلافها (دا 3: 51-90).
الشمس بنورها وبأشعة حرارتها في مسيرة دريها تسبّح كما هي مكونة (مز 148: 3).
والقمر بإشراقه وبتغييرات سرعته يسبّح رب الأزمان الذي لا يتغير (مز 148: 3).
والرقيع بسعته وبالنيترات المنظومة فيه يسبّح مكوّنُه ليل نهار (مز 148: 3).
والأرض والبحار، بالجبال العالية وبالأمواج، تسبّح بأشكالها كما هي مخلوقة (مز 69: 34).
وكل الغابات والأشجار المثمرة والأرز تسبّح كل يوم بعجبٍ عظيم (مز 148: 9).
والسماء والأرض مملوءتان من مجده كما هو مكتوب (إش 6: 3)، وكل ما هو مكوّن
يرتل التسبيح لمكوّنِه :-

❖ هوذا الخلايق على اختلاف أشكالها ترتل تسبيحك، وأنا افتح فمي لتسبيح جبروتك.
هوذا الأيام والليالي في حدودها تفتح وتغلق لتنتشر خبرك في الأرض كلها.
الأمسيات والصبيحات توقظ الناس بهجعاتها وأوقاتها لتسبيحك بتميز.
الصيفيات والشتويات تعلّم الأرض بتغييراتها ومسيراتها بأنك تبدّل أوقاتها.
البرد والحر اللذان يذهبان ويحييان للتدبير، يخبران لكيف أنك ماهر في أعمالك.

¹ On Ps. 148.

ساعات النهار وهجعات الليل الأربع كلها تُصعد التسابيح المتميزة لقدرتك الخالقة.
البحر بسفنه وعواصفه وأمواجه يكرز بعجبٍ لئيف أن قدرتك العاملة مخيفة.
الأمواج العاتية ومعها الرياح العريزة ترتل خبرك (قائلة) لئيف أن جبروتك عجيب.
اللجة الكبرى ولويathan مع التنانين تستند عليك في عمق البحار في تخومها.
كل اليلس والأرض وجبالها مع آكامها تسبحك، وأنت تحملها لئلا تسقط.
هوذا السماوات تخبر بمجدك بطبائعها، ويبين الرقيع (الفضاء أو الغلاف الجوي) عمل
يديك: كم أنت جبار!

هوذا الخيمة الكبرى التي نسجتها قدرتك ال خالقة وبسطتها ممدودة وقائمة فوق كل
الجهات، وهي مليئة بتسيحك.

الشمس والقمر وأشعثهما واشراقتهما توقظ العالم بالمسيرة الكبرى لمدحك .

القديس مار يعقوب السروجي

لا يدرك أحد كيف تسبّح الخلائق ربها

❖ كل خلائقه ترتل التسبيح بألسنتها: كيف؟ وبأي مقدار؟ لا تستطيع أبداً أن تفقه ذلك.

الحق يشهد بلئن كل الطبائع تسبّحه: كيف؟ لا أحد يدرك أو يصف ذلك.

لا يعرف أحد بأي فم، وبأي صوتٍ ترتل الأرض لربها عندما تُطالب بذلك .

القديس مار يعقوب السروجي

داود يتكلم عن تسبيح الطبائع

❖ يشهد داود بأنها تسبّح عندما كان يطالب أيضاً العناصر بالتسبيح بكنارتها (مز 148).

النار والبرد والجليد والتلج والتنانين واللجج كلها و الأرض والجبال والآكام (مز 148:

8-7).

طالب داود هذه بالتسبيح كجزية، ليرتفع التسبيح للعامل من خلائقه.

حثّ الرياح والعواصف على التسبيح، لو كان يعرف بأنها لا تسبّح لما كان يحثها (مز

148: 8).

تحرك داود بالروح القدس، وبدوره حرك العلويين والسفليين على التسبيح.

الميمر 12 على ذلك الابن الذي بدد أمواله (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

الميمر 12 على ذلك الابن الذي بدد أمواله (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

الشمس والقمر والنيرات الموجودة في الرقيع والأرض والجبال والآكام والأشجار .
قال داود لهذه كلها: سَبِّحِ الرب ! وأيقظها، لأنه كان يعرف بأنها تسبِّح (مز 148: 1).

كيف؟ أو بأي نوع تسبِّح؟ لا تطلب مني، لأنه يصعب عليّ أن أفسر لك .
توجد أسرار خفية بين الله وخلقته، ويسمعها عندما تسبِّح بأشكالها .
عندما تُطالب الحجارة بلقن تهتف بتسبيحه، هو وحده يعرف أن يسمع لغاتها .
عندما كان يُزف على الجحش، كانت مستعدة لتسبِّح درب تواضعه الجديد .
وبما أن ال صرطنين أخذوا الأغصان للتسبيح، حينئذ لم يكن لازماً أن ترتل الحجارة التسبيح .

ولو سكت هناك هؤلاء الذين حملوا الأغصان، لكانت الحجارة تسبِّح بخوف الملك الآتي (زك 9: 9؛ مت 21: 5) .

وعندما سعى اليهود لِيُسَكِتُوا تسبيح الابن، أجابهم: إن الحجارة ستصرخ له (لو 19: 40) .

كانت ستصرخ بالحقيقة كما قال، لأنه لا توجد فرصة ليبطل تسبيحه من قبل الخلائق .

القديس مار يعقوب السروجي

1. دعوة السمائين للتسبيح 2.-1
2. دعوة السماء للتسبيح 6.-3
3. دعوة الأرض وكل ما عليها للتسبيح 10.-7
4. دعوة القادة للتسبيح 11.
5. دعوة الشعب للتسبيح 12.
6. دوافع التسبيح لله 14.-13
- أ. اسمه عظيم 13.
- ب. مجده يملأ السماء والأرض 13.
- ج. رعايته لشعبه 14.

1. دعوة السمائين للتسبيح

هَلُّوياً.

سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ.

سَبِّحُوهُ فِي الْأَعَالِي [1].

في الترجمة الكلدانية: "سبحي الرب أيتها الخلائق المقدسة من السماء".
إذ يدعو المرثل الخليقة كلها لتتهلل مسبحة الرب ، يبدأ المزمور بالصف الأول من الخورس. يقول: "هللوا. سبحوا الرب من السماوات، سبحوه في الأعالي؛ سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا كل جنوده" (مز 148: 1-2). يبدأ موكب التسبيح بالساكنين في السماء، الذين في الأعالي. يتغنى الملائكة، أصواتهم عذبة وهادئة.
إذ يصير المؤمن سماء، يُقام في داخله ملكوت الله، وتتطلق نفسه بكل طاقاتها نحو الأعالي، تشارك السمايين تسبيحهم للرب.

❖ الآن أعرض لكم ظروف الصلاة المختلفة: **الطلبية والشكر والتسبيح.**

في **الطلبية** يسأل الشخص الرحمة لأجل خطايانا، وفي **الشكر** تقدّم الشكر لأبيك السماوي، وفي **صلاة التسبيح** تسبّح الله لأجل أعماله.
عندما تكون في ضيق، قدّم طلباً لله.
عندما يعطيك الله عطايا صالحة، فلتشكر العاطي.
عندما يتهلّل ذهنك، قدّم لله التسبيح.
لذلك قدّم هذه الصلوات بتمييز إلى الله.
انظر إلى داود عندما كان يقول دائماً: "في نصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك" (مز 119: 62).

وفي مزمور آخر يقول داود: "هللوا، سبحوا الرب من السماوات، سبحوه في الأعالي" (مز 148: 1).

وفي مزمور آخر: "أبارك الرب في كل حين. دائماً تسبّحته في فمي" (مزمور 34: 1)، لذلك لا تستعمل نوعاً واحداً من الصلاة، ولكن استخدم كل الأنواع في أوقات منفردة.

¹ Sifre 1:58.

² ترجمة الدكتور صفوت منير. *Demonstrations, 4:17 (On Prayer)*.

القَدَّيسُ أَفْرَاهَاطُ

❖ يصير التسبيح لله على ثلاثة وجوه:

أ. الخلائق غير الناطقة وعديمة الحياة (الجامدة) تسبح بظهورها فقط وجمالها،

فتحرك الناظرين إليها وتحرضهم على التسبيح لخالقها.

ب. الخلائق الناطقة، يسبحون الله بكلامهم وحسن أعمالهم الصالحة، فيمجدوا أباهم

الذي في السماوات...

ج. في تعديد المخلوقات كلها لم يُذكر الابن والروح القدس لكي بيكموا المجدفين على

الابن والروح القدس بأنهما مخلوقان. إنهم يوضحون أن الابن الوحيد والروح القدس ليسا من

المخلوقات المسبحة لله، بل هما إله واحد مع الآب.

جاءت كلمة "السماوات" في العبرية بالجمع، وتترجم أحياناً "سماوات" للتمييز

بينها وبين السماء بمعنى الجلد الذي خلقه الله في اليوم الثاني. وأيضاً أحياناً ندعو الهواء سماءً

كالقول: "طيور السماء".

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

❖ سبجوا بكل كيانتكم؛ بمعنى لا يكن لسانكم وصوتكم وحدهما يسبحان الله، وإنما ضميركم

أيضاً وحياتكم وأعمالكم.

الآن إذ نحن مجتمعون معاً في الكنيسة نسبح. عندما نخرج كل واحدٍ إلى عمله، يبدو

أننا نكف عن تسبيح الله.

ليت الإنسان لا يكف عن أن يعيش حسناً، بهذا يسبح الله على الدوام...

يستحيل أن تكون أعمال إنسانٍ شريرة إن كانت أفكاره صالحة. لأن الأعمال تصدر

عن الفكر. ولا يستطيع إنسان أن يفعل شيئاً أو يحرك أطرافه لعمل ما لم يسبقه أمر من

فكره.

كما أن كل ما ترونه يتم في الأقاليم إنما يتم حسب ما يأمر به الإمبراطور من داخل

قصره إلى كل الإمبراطورية الرومانية. كم من تحركات يسببها أمر واحد يصدر بواسطة

الإمبراطور وهو جالس في قصره! مجرد يحرك شفتيه ويتكلم يتحرك كل الإقليم لتنفيذ ما

ينطق به. هكذا في حالة الإنسان أيضاً، فإن الإمبراطور في الداخل، كرسيه في القلب [كان

يُنظر للقلب كمركز للأفكار، والكلّي كمركز للعواطف]. إن كان القلب صالحاً ويصدر أموراً

صالحة، تُمارس أعمال صالحة.

حينما يجلس المسيح هناك، ماذا يمكن أن يصدر إلا ما هو صالح؟
وإذا كان الشيطان هو المُقيم فيه، ماذا يأمر إلا بالشر؟
ولكن الله يريد أن يكون الأمر حسب اختياركم من الذي يحتل الموضع: الله أم
الشيطان.

عندما تعدون المكان سيحكم من هو مقيم فيه.
لهذا أيها الأحباء لا تنتصتوا إلى الصوت فقط حين تسبحون الله، سبحوا بكل كيانكم.
سبحوا بلسانكم وحياتكم وأعمالكم، كل هذه فلتسبح.
"سبحوا الرب من السماوات" إذ وجد (المرتل) في السماوات من ينعمون بالسلام
بتسبيحهم الرب، لذا يحثهم أن يقوموا ويسبحوا...

أولاً يقول: "من السماوات"، وبعد ذلك "من الأرض"، لأن الله الذي نسبجه هو خالق
السماوات والأرض. كل الذين في السماوات هم في هدوءٍ وسلامٍ. هناك فرحٍ دائمٍ، ليس
موت ولا مرض ولا مصدر إغاظه، هناك الطوباويون يسبحون الله على الدوام. أما نحن فلا
نزال أسفل، عندما نفكر كيف أن الله يُسبح هناك، يكون قلبنا هناك، وليس باطلاً نسمع
القول: "ارفعوا قلوبكم".

لنرفع قلوبنا إلى فوق، فلا تفسد على الأرض. فإننا نُسر بما يفعله الملائكة هناك.
نفعل هذا الآن هنا في رجاء، ونمارسه حقيقة عندما نذهب هناك. عندئذ: "سبحوه في
الأعالي".

القديس أغسطينوس

سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلَائِكَتِهِ.

سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ جُنُودِهِ [2].

لما كان أتباع ماني كغنوسيين يعتقدون بالثنائية، عالم روحي من صنع الكائن
الأسمي، وعالم مادي شرير من عمل "الخالق" وهو أدنى من الكائن السامي، لهذا يتحدث
القديس الذهبي الفم - معلقاً على هذا المزمور بأنه يليق بنا أن ندرك أنه توجد خليفة واحدة،
قسم منها يُدرك بالحواس كالمادة، وقسم آخر يدرك بالعقل كالكائنات الروحية أو الطغمت

¹ On Ps. 148.

² On Ps. 148.

السماوية، لكن الجميع يشتركون معًا كخورسٍ واحدٍ يسبحون الإله الواحد، خالق الكل. يرى القديس جيروم أن المرثل إذ يبدأ بالطغمت السماوية لتسبح الرب، إنما يُحسب هذا دعوة موجهة إلينا لكي يصير كل إنسانٍ كواحدٍ منهم يسبح الرب، أما من يقاوم الله مثل الشيطان فلا يستطيع أن يسبح.

❖ من كان ملاكًا فليسبح، ومن كان شيطانًا فلا يقدر أن يسبح .

القديس جيروم

❖ "سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا جميع قواته..." [2-5].

وكأنه يُقال له: "لماذا يسبحونه؟ ماذا أنعم به عليهم حتى يسبحوه؟" لهذا أكمل قائلاً:

"لأنه هو قال فكانت، وهو أمر فُخِّلت".

ليس بالأمر المدهش أن الأعمال تسبح العامل، ليس من دهشة أن الأشياء المصنوعة تسبح صانعها، المخلوقات تسبح خالقها.

في هذا إشارة أيضًا إلى المسيح، وإن بدا أننا لا نسمع اسمه...

بمن خلقوا؟ بالكلمة (يو 1: 1-2). يُظهر في هذا المزمور أن كل شيء صنع

بالكلمة. "لأنه هو قال فكانت؛ وهو أمر فُخِّلت".

ليس أحد يتكلم، ليس من يأمر إلا بالكلمة .

القديس أغسطينوس

❖ إن أردت أن تعرف شيئًا عن الشاروبيم والسيرافيم اسمع التسبحة السرية التي تخص قداسته: "السماء والأرض مملوءتان من مجده" (إش 6: 3)، إذ يقول داود: "سبحوه يا كل جنوده" (مز 148: 2).

إن سألتكم عن القوات العلوية تجدون عملهم الوحيد هو تسبيح الله...

كيف تقدر طبيعة مخلوقة أن تعاین الطبيعة غير المخلوقة؟

إن كنا لا نقدر مطلقًا أن نشاهد أية قوة روحية حتى المخلوقة مثل الملائكة ، فكم

بالأحرى لا نقدر أن نرى الجوهر الروحي غير المخلوق، لذلك يقول بولس: "الذي لم يره

أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه" (1 تي 6: 16). هل هذه الخاصية تخص الآب وحده

¹ Homilies on Psalms, homily 58 on Ps 148.

² On Ps. 148.

دون الابن؟ حاشا لنا أن نفكر هكذا! إنما تخص الابن أيضاً. لكي تعرف هذا، اسمع بولس الذي يقول عنه ذات الأمر: "صورة الله غير المنظور" (كو 1: 15). فإن كان هو صورة غير المنظور يلزم أن يكون غير منظور، وإلا فلا يكون صورته .

❖ إنه يقدم جوقة واحدة، يقدمون له أغنية واحدة من الجميع، مُلْحًا بإصرار على الالتزام بتقديم التسبيح لله الواحد من الخليقة العلوية والخليقة السفلية، مظهرًا أنه يوجد خالق واحد لكليهما .

❖ في شعورهم العميق بالامتنان يمارس القديسون هذا، إنهم وهم يشكرون الله يدعون الكثيرين ليشتركوا في التسبيح، ويحثونهم على الاجتماع معهم في هذا الطقس الممتع.

هذا أيضًا ما فعله الثلاثة فتية حينما كانوا في الأتون، إذ دعوا كل الخليقة أن يشكروا من أجل الامتياز الذي قُدم لهم، وأن يسبحوا الله.

يفعل واضح هذا المزمور هذا هنا، فيدعو كل من العالم العلوي والعالم السفلي، العالم المادي والعالم العقلي، لفعل هذا.

فعل أيضًا إشعياء نفس الأمر، عندما قال: "ترنمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض... لأن الرب ترخّم على شعبه" (راجع إش 49: 13).

قال المرثل (واضع المزمور) أيضًا: "عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب فظ، الجبال قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم" (مز 114: 1، 4). مرة أخرى يقول إشعياء في موضع آخر: "لتمطر السحب بَرًّا" (راجع إش 45: 8).

ها أنتم ترون بقدر ما كانوا يشعرون بعجزهم عن التسبيح للرب بما فيه الكفاية، يحثون كل واحدٍ أن يساهم في التسبيح .

❖ "سبحوه يا كل جنوده"، يعني الشاروبيم والسيرافيم والسلطين والرئاسات والقوات.

هذا علامة الروح الملتهب للغاية، هذا علامة الحب المتقدم، الذي يحدث كل أحدٍ للتسبيح المحبوب.

هذا علامة العقل الدائم الشبع بالتأمل في الله، المضروب بالدهشة أمام مجده، والمُكرس له .^٥

¹ In Joan, hom 15: 1-2.

² On Ps. 148.

³ On Ps. 148.

⁴ On Ps. 148.

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. دعوة السماء للتسبيح

سَبِّحِيهِ يَا أَيُّهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ [3].

بعد أن دعا الصف الأول من الخورس للتسبيح، دعا الصف الثاني وهو السماء المنظورة أو شبه منظورة للإنسان من الشمس والقمر وجميع كواكب النور، والجلد الخ. تسبح الشمس والقمر والكواكب الرب، بكونها عمل الله، تكشف عن حكمته وقدرته وصلاحه كخالقٍ لها.

❖ عندما يتحدث الكتاب المقدس عن لاهوت الرب، يقول إنه "ليس إنسانًا"، و"ليس لعظمته استقصاء" (مز 145: 3). وأنه "مهبوب على كل الآلهة" (مز 96: 4). ويقول أيضًا: "سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده. سبحيه أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور" (مز 148: 2-3).

العلامة أوريجينوس

❖ رأى يوسف حلمًا آخر، أُخبر به أباه وأمه: أن الشمس والقمر وأحد عشر نجمًا كانوا ساجدين له! ("راجع تك 9: 37). لهذا وبخه أبوه قائلاً "ما هذا الحلم الذي حلمت؟ هل تأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض؟" (تك 10: 37) من هو غير يسوع المسيح، الذي سجد أمامه أبواه وإخوته إلى الأرض؟ فقد سجد يوسف والعدراء مريم أم يسوع مع التلاميذ قدامه، واعترفوا بالله الحقيقي في هذا الجسد، الذي كُتب عنه: "سبحيه يا أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع كواكب النور" (مز 148: 3).

أيضًا ما معنى انتهار الأب، إلا قسوة شعب إسرائيل، الذي يأتي منهم المسيح بحسب الجسد، لكنهم اليوم لا يؤمنون أنه الله، وليسوا مستعدين أن يسجدوا له بصفته ربه. لأنهم كانوا يعلمون أنه ولد منهم، وقد سمعوا إجاباته لكنهم لم يفهموها. وهم أنفسهم قرأوا أن الشمس والقمر يسبحانه، لكنهم رفضوا أن يؤمنوا أن هذا قيل إشارةً إلى المسيح.

¹ عظات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا ترجمة جاكلين سمير كوستي، 18: 6.

لهذا كان يعقوب مخطئاً بخصوص الرمز الذي يشير إلى آخر، لكنه لم يخطئ في الحب الذي ينبع منه. ففيه لم ينحرف الحب الأبوي، لكن كان الاستدلال على عاطفة شعب سيضلل!

القديس أمبروسيوس

سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ،

وَيَا أَيُّهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ [4].

لعل من أهم البركات التي كان يتطلع إليها الساكنون في كنعان المطر، الذي يروي الأرض فتأتي بالثمار المطلوبة.

في العصر الحالي نرى صرخات الكثير من البلاد بسبب الجفاف الذي يحلّ بالبلاد بسبب انعدام أو قلة المطر. فيتطلع البشر إلى سحب السماء التي تهب أمطاراً كبركة عظيمة، تدفعنا لتقديم الشكر والتسبيح لله.

❖ دائماً تعطي السماوات المطر للأرض. لكن انظروا، الآن تروي الأرض السماوات، حيث تثب دموع البشر إلى فوق السماوات، وتصعد إلى الرب نفسه. بهذا يمكن التسبيح بما يقوله المرثل بخصوص مياه الدموع: "سبحيه يا أيتها المياه التي فوق السماوات" .-

الأب بطرس خريسولوجوس

❖ ربما يقول أحد: كيف يمكن لهذه الأشياء أن تسبحه، وهي ليس لها صوت ولا لسان أو روح أو تفكير، أو مخ أو آلة صوتية أو عقل؟

توجد طريقتان للتمجيد، واحدة بالكلمة والأخرى بالنظر، وثالثة مع هاتين بالحياة والعمل.

ها أنتم ترون أن الكائنات البشرية تقدم المجد لله، ليس فقط عندما يتكلمون، بل وعندما يحتفظون بالصمت. وكما قال المسيح: "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت 5: 16). وأيضاً "أكرم الذين يكرموني" (1 صم 2: 30).

ويمكن أيضاً تقديم التمجيد باللسان، كما سبح موسى مع مريم بالكلمات: "فلنسبح

¹ Joseph 3:8.

² Fr. Peter Chrysologus: Selected Sermons (Frs. Of Church), 93.

الرب، لأنه بالمجد قد تمجد".

هذا أيضًا يمكن أن يتم خلال الخليقة ذاتها، إذ يقول المرتل نفسه: "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" (مز 119: 1).

تسبحه أيضًا الخليقة بجمالها وحالها وعظمتها وطبيعتها ونفعها وخدمتها ودوامها والمزايا الصادرة عنها. لذلك عندما يقول: "سبحوا الرب يا أيها الملائكة والقوات والسموات والقمر والشمس والمياه التي فوق السموات"، يعني هذا أن كل شيء من الخليقة يتأهل لحكمة الخالق ومملوء بالعجب المرهب. وذلك كما قال موسى في البدء في اختصار: "ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جدًا" (تك 1: 31). إنه حسن إذ يمجّد الخالق، ويقود الناظرين إليه إلى تسبيح الفنان.

لهذا يدعو جمال المخلوقات تسبحة، حيث تبعث على تسبيح الخالق. هذا أيضًا ما يشير إليه بولس: "لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمديّة ولاهوته" (رو 1: 20) ^أ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لِتُسَبِّحَ اسْمَ الرَّبِّ،

لِأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ [5].

تسبح هذه المخلوقات خالقها، لأن مع كل ما فيها من إمكانيات وأنظمة، إلا أنها خُلقت بأمرٍ مجرد. لم يكن الله محتاجًا إلي زمن لدراسة خلقه هذه الكائنات، ووضع أنظمة لها، وتحديد أهدافها، والحفاظ عليها.

الله في حبه لخليقته يود أن يثبتها إلى الدهر، وفي نفس الوقت يضع لكل منها حدودًا. فالبحر يعرف حدوده، فلا يغطي الأرض ويفسدها إلا بسماح من الله. والشمس لها حدودها، وإلا أحرقت كل ما على الأرض. من محبة الله ورعايته لخليقته يضع حدودًا، لا ليحطم أو ليظهر سلطانه، وإنما لأجل بنيان الخليقة ونفعها.

في تعليق للقديس جيروم على ما ورد في إنجيل مرقس حين دعا السيد المسيح سمعان وأندراوس، فلحال تركا شباكهما وتبعاه، وأيضًا حين دعا يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه "تركا أباهما زبدي في السفينة مع الأجرى وذهبا وراءه" (مر 1: 20). يرى القديس جيروم ما

¹ On Ps. 148.

لكلمات السيد المسيح من سلطان وفاعلية، فهو الذي "أمر فخلقت" (مز 148: 5).

❖ صنع المسيح كل الأشياء... لا بمعنى أن الآب تنقصه قوة لخلق أعماله، إنما لأنه أراد أن يحكم الابن على أعماله، فلعطاه الله رسم الأمور المخلوقة، إذ يقول الابن مكرماً أبيه: "لا يقدر الابن أن يعمل شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك" (يو 5: 19). وأيضاً: "أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" (يو 5: 17). فلا يوجد تعارض في العمل، إذ يقول الرب في الأناجيل: "كل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي" (يو 17: 10).

هذا نعلمه بالتأكيد من العهدين القديم والجديد، لأن الذي قال: "تعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك 1: 26)، بالتأكيد تكلم مع أبنوم معه.

وأوضح من هذا كلمات المرثل: "هو قال فكانت، وهو أمر فخلقت" (مز 148: 5). فكما لو أن الآب أمر وتكلم والابن صنع كل شيء كأمر الآب.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ بالحقيقة إنها (مخلوقات) جميلة، وتقدم منظرًا عجبياً، يظهر الحقيقة أن لها خالق ولم توجد من ذاتها...

من لهم أية شكوك، فليتعلموا مني أن لهم خالق أو صانع يعتني بها ويرعاها¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ترنم أيضاً داود القديس: "هو قال فصارت، هو أمر فخلقت" (مز 23: 9). أما أنه "قال" فليس كما يحدث في حالة البشر عندما يتكلم المرء يستمع خادم ما، وبمجرد علمه برغبة المتكلم يسارع إلى التنفيذ والعمل، لأن هذا يختص بالمخلوقات. أما بالنسبة للكلمة فلا يليق أن يفكر أحد عنه هكذا. لأن كلمة الله خالق وصانع، وهو نفسه مشيئة الآب. من أجل هذا لم يقل الكتاب المقدس بأن المستمع سمع وأجاب فيما يخص الكيفية التي يريد أن تكون عليها المخلوقات، بل قال "ليكن"، ثم أضاف "وكان هكذا" (تك 1: 3، 6، 11، 15).

البابا أثناسيوس الرسولي

¹ Homily 76 on Mark 1: 13-31.

³ On Ps. 148.

⁴ Four Discourses against the Arians, 2: 18 (31).

❖ حديث الرب نفسه فعّال، ما قاله حقق غرضه .

القديس جيروم

وَتَبَّتْهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ،

وَضَعَ لَهَا حَدًّا، فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ [6].

ما خلقه بأمرٍ مجردٍ يبقي آلاف السنوات أو الملايين.

❖ "ثبتتها إلى الدهر والأبد". كل الأشياء في السماوات، كل شيء في الأعالي، توجد مدينة في

الأعالي صالحة ومقدسة ومطوية، نحن قد تحولنا عنها وصرنا بانسين. إذ نريد العودة إليها

نصير مطوبين على رجاء، وعندما نعود إليها نصير مطوبين واقعيًا.

"وضع لها حدًا لا تتعداه" ... أي أمر تظنون يقبله الذين في السماء والملائكة

القديسون؟

أي أمر أصدره الله لهم؟ ماذا سوى أن يسبحوه؟ طوبى للذين عملهم هو تسبيح الله!

إنهم لا يحرثون ولا يطبخون، فإن هذه الأعمال تتم عن ضرورة، لا لزوم لها هناك.

إنهم لا يسرقون ولا يتهبون ولا يرتكبون الزنا، فإن هذه من أعمال الإثم، وهناك لا

يوجد إثم.

لا يكسرون خبزًا لجائعين، ولا يقدمون كسوة لعريانين، ولا يستضيفون غرباء، ولا

يفتقدون مرضى، ولا يطاردون مشاكسين، ولا يدفنون موتى، فإن هذه أعمال رحمة، وهناك

لا يوجد بؤس، وليس من حاجة لإظهار أعمال رحمة.

يا لهم من مطوبين! فكروا أننا نحن أيضًا سنصير هكذا! آه! لنئن، ولننأوه على أنيننا.

ماذا نحن عليه الآن، وماذا سيكون حالنا هناك؟ إننا معرضون للموت، متشردون، في مذلة،

تراب ورماد! أما الذي يعد فهو التقدير .

القديس أغسطينوس

3. دعوة الأرض وكل ما عليها للتسبيح

أما الصف الثالث فهو صف الخليقة التي تبدو لنا مرعبة بل ومؤذية للإنسان، بعضها

يبدو بلا نفع كالتنانين والبرد والضباب والعواصف. فإن كنا لا ندرك أهميتها أو دورها في

¹ Homily 76 on Psalms.

² On Ps. 148.

حياتنا، لكنها تتضمن إلى صفوف المسبحين.

سَبِّحِي الرَّبَّ مِنَ الْأَرْضِ،

يَا أَيَّتُهَا التَّنَّانِينُ وَكُلَّ اللَّجَجِ [7].

إن كانت السماوات تشهد لمجد الله، فإن الأرض والبحر وكل ما فيهما أو عليهما يشهد لحكمة الله. كل شيء جميل في موقعه وبالطبيعة التي تناسبه.

هنا إذ يطالب الكائنات المخيفة مثل التنانين الضخمة أن تسبح الرب، إنما يدعو الإنسان الذي يسلك كالتنين أن يقدم توبة عما هو عليه، ويرتبط بالهمل ويسبحه.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن المرتل قد بدأ بالخلقة التي في الأعلى، التي فوق السماء (الجلد)، ثم نزل إلى السماء، وأخيرًا ينزل إلى الأشياء التي على الأرض.

لم يذكر المرتل الحيوانات، حيث لا يحدث جدل عنها بكونها جميلة ونافعة، لكنه يتحدث عن الخليفة التي يرى البعض أنها ضارة ولا تمجد الله مثل التنانين والرياح العاصفة والنار والبرد ووحوش البرية والجبال الشامخة، والزواحف. هذه المخلوقات التي قد يرهبها الإنسان، متسائلًا: لماذا خلقها الله محب البشر؟ هي أيضًا تشهد لعناية الله وعظمته. الآن يشهد العلم أن بعض الزواحف والحشرات مثل العقرب نافعة، فسم العقرب يستخدم في بعض الأدوية للعلاج من بعض الأمراض، والنباتات والأعشاب التي توجد على الجبال وفي البراري لها منافع صحية.

مع كل جيل جديد، بل ومع كل يوم نكتشف بركات ومنافع من مخلوقات كنا نود الخلاص منها.

هذا والنار التي أُلقي فيها الثلاثة فتية القديسين أحرقت العسكر الشامتين، بينما تحولت إلى ندى للقديسين!

❖ أنتم ترون أي نوع كل هذه (الأشياء الأرضية)، فهي متغيرة، تسبب اضطرابًا، ومخيفة، وقابلة للفساد، ومع ذلك فلها موضعها ودورها الخاص بها، وهي حسب درجاتها تكمل جمال المسكونة، وبهذا تسبح الله.

إنه يتحول إلى هذه الأشياء كمن يحثها هي أيضًا، ويحثنا نحن أن نسبح الرب... ماذا؟ هل نزن أن التنانين تشكّل خوارس وتسبح الله؟ حاشا! ولكن عندما نتأمل

¹ On Ps. 148.

التنانين تتطلع إلى خالق التنين؛ عندئذ إذ نُعجب من التنين، نقول: "عظيم هو الرب الذي صنع هذه، بهذا تسبح التنانين الله بأصواتنا".

القديس أغسطينوس

النَّارُ وَالْبَرْدُ وَالْتَّلْجُ وَالضَّبَابُ،

الرَّيْحُ الْعَاصِفَةُ الصَّانِعَةُ كَلِمَتَهُ [8].

كل ما يدور حولنا حتى النيران المشتعلة، والأهوية والعواصف والسحب الخ. وما تقدمه من خدمات ووضوح حدود لها تشهد لإبداع الخالق.

العجيب أن المتناقضات أيضاً تشهد لقدرة الله، النار والبرد، الثلج والضباب والعواصف تتحرك كل هذه الظواهر بكلمة الله.

الخليقة الجامدة كالجبال والتلال مع الأشجار سواء المثمرة أو العقيمة بحكمة أوجدها الخالق. وأيضاً الحيوانات المتوحشة كما المستأنسة، والطيور، تشهد له مع الإنسان وتسبحه.

أما عن الإنسان، فمع اختلاف العمر والقدرة والسلطة، الكل يقدر أن يسبح الله.

في اختصار يليق بكل كائنٍ أينما وُجد، وأياً كانت مواهبه أن يسبح الله.

يرى القديس جيروم أن وُجد نوع من التضاد بين النار والبرد، ونوع من المتعاب

بسبب الضباب والرياح العاصفة، لكن الله يستخدم هذه جميعها لخدمة الإنسان كأمر الرب، فهي تسبحه إذ تتم أمره.

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم الله الخالق كطبيبٍ حكيمٍ، نشكره ونسبحه في كل

تصرفاته. فخلال عنايته الإلهية أوجد آدم في جنة عدن، وبذات العناية سمح له بطرده منها عندما أخطأ، حتى يتحقق خلاصنا، وننعم بالفرديوس السماوي.

الله في عنايته سمح بوجود الفرديوس السماوي، وبذات عنايته سمح بوجود الجحيم حتى

نهرب من الشر، ونسترد بنعمة الله صورته فينا.

❖ "الصانعة كلمته". كثير من الأغبياء يعجزون عن التأمل وتبيين الخليفة في أماكنها المتعددة

ودرجاتها، تحقق بتحركاتها وإيماءاتها أمراً من الله. هؤلاء يظنون أن الله بالحقيقة يحكم

الأمر العلوية، أما السفلية فيستخف بها، ويتركها جنباً ويهجرها، فلا يهتم بها ولا يفوقها ولا

¹ On Ps. 148.

² On Ps. 148.

يريدها، إنما تسير مصادفة، يحدث لها ما يحدث حسب قدرتها،... كل منها يحدث لها ما يؤثر عليها من الأشياء الأخرى...
"النار والبرْدُ والثَّلج والضباب والريح العاصفة الصانعة كلمته"، تبدو كل هذه الأشياء في الطبيعة للأغبياء أنها وليدة المصادفة، لكنها هي "صانعة كلمته"، لأنها لا تتم إلا بأمره¹.

القديس أغسطينوس

❖ تقول العروس لريح الجنوب: "هبي على جنتي"، لأن عريسها جعلها أمًا للحدائق. ويشمل النص حدائق وينبوع. من أجل هذا يرغب العريس لحديقته، الكنيسة، التي تمتلئ بالأشجار الحية، أن تهب عليها هذه الريح، لكي تحمل منها روائح عطورها. ويقول النبي: "الريح العاصفة، الصانعة كلمته" (مز 8:148).

تزينت العروس بزينة الملكة البهية، وغيّرت النهيرات التي تفيض عطرًا إلى شيء أكثر جمالاً، فجعلتها تفيض من أشجار الحدائق بواسطة قوة الروح القدس.
ويكرّنا بهذه الصورة أن نتعلم الفرق بين العهد القديم والجديد: يمتلئ نهر النبوة بالمياه، بينما تمتلئ أنهار الإنجيل بالعطر. كان نهر القديس بولس يحمل رائحة المسيح العطرة، ويفيض من حديقة الكنيسة بواسطة الروح القدس. والأمثلة الأخرى كيوحنا ولوقا ومنى ومرقس وجميع الرسل الآخرين كلهم يرمزون إلى نباتات نبيلة في حديقة العروس، وعندما تهب عليها في منتصف الظهيرة تصيرها ريح الجنوب جميعاً ينبوع عطور لرائحة الأناجيل الذكية.

القديس غريغوريوس النيسي

الجِبَالُ وَكُلُّ الْآكَامِ،

الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ، وَكُلُّ الْأَرْزِ [9].

ما يبدو لنا نافعاً أو غير نافع، الكل يشهد لحكمة الخالق. فالجبال والتلال التي تبدو أحياناً كعوائق للإنسان، أو أشجار البرية غير المثمرة، تبدو بلا نفع. الكل يقدم بركات للإنسان، حيث يستخرج الإنسان المعادن والحجارة الكريمة من الجبال والتلال، ويستخدم أخشاب أشجار

¹ On Ps. 148.

البرية العقيمة.

نسبح الله على الجبال الشامخة والآكام التي تبدو بلا نفع لنا، كما نسبحه على الوديان والحقول. نسبحه على الأشجار المثمرة، والأرز الذي بلا ثمر. فإن كانت الأشجار المثمرة تقدم لنا ما نفتات به، فإن الأشجار غير المثمرة تقدم لنا الأخشاب لبناء البيوت وعمل الأثاث وغير ذلك.

❖ إن كان الله قد أظهر عناية فائقة جدًا بأشياء وضيعة عديمة النفع والقيمة، فكيف لا يهتم بكم أنتم أكثر من كل المخلوقات الأخرى؟

لماذا يخلقها بهذا الجمال؟ أليس ليُظهر مدى حكمته وامتياز قدرته، لننتعلم ونعرف مجده في كل شيء. أو ليست السماوات "تحدث بمجد الله" (مز 19: 1) والأرض أيضًا، وهذا ما أعلنه داود المرتل حين قال: "سبحي الرب... أيها الشجر المثمر وكل الأرز" (مز 148: 9). لأنها ترسل التسبيح إلى الذي صنعها، البعض بثمارها، والبعض الآخر بعظمتها، والبعض بجمالها.

وتلك أيضًا علامة على الامتياز الفائق للحكمة، إنه حتى مع الأشياء التافهة جدًا (وهل هناك ما هو أتعق من شيء يوجد اليوم ويزول غدًا؟) فإن الله يسكب جمالًا باهرًا كهذا. فإن كان قد أعطى العشب ما لا يحتاجه (لأنه ما فائدة الجمال في إشعال النيران؟) كيف لا يعطيكم أنتم ما تحتاجونه؟

إن كان أكثر الأشياء تفاهة قد أضفى الله عليها هذا الرونق الرائع، ولم يفعل ذلك لاحتياج تلك الأشياء لهذا الرونق، بل لسخائه، فكيف بالحري يكرمكم وأنتم أكرم المخلوقات في أموركم الضرورية؟

❖ البعض بثمارها ترسل تسبيحًا لخالقها، وأخرى بعظمتها، وأخرى بجمالها. هذه علامة على عظمة سمو الحكمة، التي تظهر حتى (في الخليقة) التافهة جدًا، لأنه أية تفاهة أكثر من الكائن الذي يوجد اليوم، ولا يكون له وجود غدًا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تحمل الأشجار ثمارًا لكم، لكنكم لا تحملون أنتم ثمارًا لله.

¹ عظة ربنا يسوع المسيح على الجبل.

² Homilies on Matthew, homily 22: 1.

"وكل الأرض"، لتقتدوا بالأرز كمثل، فالأرز تبلغ الأعالي كأنها تسرع نحو السماء. إنها هكذا لكي تقتدوا بالأشجار غير العاقلة¹.

القديس جيروم

الْوَحُوشُ وَكُلُّ الْبَهَائِمِ،

الدَّبَابَاتُ وَالطُّيُورُ ذَوَاتُ الْأَجْنَحَةِ [10].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إننا ننتفع بالحيوانات المستأنسة لمنفعة أجسادنا، كما بالوحوش المفترسة لمنفعة أرواحنا حيث نخشاها، وننذكر خطايانا وخطايا أبويننا في جنة عدن، وتكشف لنا عن ثمار العصيان. لقد أعطى آدم هذه الحيوانات أسماءها؛ وعندما تحدثت الحية مع حواء لم ترتعب الأخيرة منها، إنما اختلف الأمر بعد العصيان.

❖ "الوحوش وكل البهائم". إنها لا تغير طبيعتها، كل المخلوقات تحتفظ بنظامها، ما عدا الإنسان الذي وحده تخضع كل الخليقة (الأرضية) له.

"الدبابات والطيور ذوات الأجنحة". المخلوقات الأرضية لا تترك الأرض لتبلغ السماء، ولا الكائنات السماوية تترك السماء لأجل الأرض، والكل في خدمتكم... خلق الله (المخلوقات الأرضية المتنوعة) لخدمتكم. خلقكم أنتم لكي تخدموه. إنها تطيعكم. افتدوا بها واخدموا الله كما هي تخدمكم. إنها خلال الله تخدمكم وتطيعكم.

القديس جيروم

❖ عندما ترون أسدًا، وعندما تنظرون حية، تذكروا هذه القصص، فإنها تفيديكم ليس بقليلٍ للتفكير السليم.

اذكروا دانيال أيضًا كيف أنه عندما عاد إلى الصورة القديمة، صارت الوحوش المرهبة لا حسيان لها (دانيال 6). بالحقيقة هكذا كان الأمر بالنسبة للأفعى في عيني بولس (أع 28). بهذا تقتنون غيرة ليست بقليلة، واهتمامًا بنفوسكم. من هذه الأمثلة وغيرها تجد علة للعجب من خطة الله وتديبره لهذه المخلوقات... لقد

¹ Homilies on Psalms, homily 58 on Ps 148.

² On Ps. 148.

³ Homilies on Psalms, homily 58 on Ps 148.

عين لها أماكن بعيدة عن المدن، مناطق صحراوية. بينما تحمل رعباً لا تميل إلى الحياة في المدن، ولا أن تلتقي مع الذين يعيشون فيها، بل على العكس تفضل المناطق الصحراوية وتُغرّم بها، فقد خصص الله لها منذ البداية أن تجد المواضع المناسبة والمواقع اللائقة لتعيش فيها¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. دعوة القادة للتسبيح

ترك صفوف البشرية في النهاية، إذ يبدأ بالسمايين الخليفة العاقلة السماوية، وختم بالخليفة العاقلة الأرضية، وقد دعاها بطبقاتها جميعاً من قادة وأحداث وخدامي وشيوخ وفتيان. تُرك الإنسان في النهاية كتاج الخليفة الأرضية.

مُلُوكُ الْأَرْضِ وَكُلُّ الشُّعُوبِ،

الرُّؤَسَاءُ وَكُلُّ قُضَاةِ الْأَرْضِ [11].

يليق بالمؤمن أن يسبح الله ويشكره حتى على وجود أنظمة تبدو كأنها من صنع المجتمع، كإقامة ملوك ورؤساء وقضاة الخ.، فإن يد الله تعمل في كل شيء. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن كنت حاكماً أو قائداً، فلتسبح الله المحب، وتشكره من أجل هذه العطية. وإن كنت من العامة، فلتشكر الله الذي يسمح بوجود قيادات. إن كان القادة ظالمين، فلتطلب من الله المعنتي بخليقته، فإن قلب الملك في يد الله.

5. دعوة الشعب للتسبيح

الْأَحْدَاثُ وَالْعُدَارَى،

أَيْضًا الشُّيُوخُ مَعَ الْفِتْيَانِ [12].

❖ لنسرح جميعاً بنعمة الله إلى سباق الطهارة، شباباً وخدامي، شيوخاً وأطفالاً (مز 148: 12). لنسبح اسم المسيح، بعيدين عن الشراة، ولا ننكر مجد العفة. إنها إكليل ملائكي، وفضيلة تسمو بالإنسان.

القديس كيرلس الأورشليمي

¹ On Ps. 148.

² On Ps. 148.

الإنسان، صورة الله، يسبح بحريته، بينما الطبايع الصماء تسبح بدون تمييز .

❖ يليق بصورتك أن ترتل تسبيحك بتمييز أكثر من هذه (الطبايع) غير الحرة الخائفة منك .

لي وحدي توجد الحرية بين الخلائق التي تسبحك بمسيرة طبايعها السريعة .

بدون إرادتها الشمس نيرة، والقمر بهي، وقوة العساكر (الكواكب) تسير بسرعة .

قوتك العظمى تغضبها جميعاً للتسبيح، وليست حريتها التي تميز حتى تسبح مخافتك .

يجمل بي أنا الحر التسبيح إن كنت أميز، لأن إرادتي صاحبة سلطان لأتوقف أو أتحرك للتسبيح .

لو توقفت أذان من قبل العدالة، لأنها تطالب الأحرار بلبن يسبحوا بتمييز .

لهذا أسبحك يا ربي وأنا خائف، ولو أني غير مستحق وغير كفؤ هأنذا أتجاسر .

كل الأفواه ملزمة بتسبيحك، من يستحق ومن لا يستحق يرتل التسبيح .

ربي، يليق بكل الخلائق بأشكالها أن تسبحك: ذات الكلمة وذات الصوت والتي هي بلا صوت .

القديس مار يعقوب السروجي

6. دوافع التسبيح لله

أ. اسمه عظيم

لِيُسَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ،

لَأَنَّهُ قَدْ تَعَالَى اسْمُهُ وَحَدَهُ.

دُعي الخورس خلفه بكل صفوفه أن يسبح بروح التناغم والانسجام، يسبح اسم الرب، الاسم الذي فوق كل الأسماء، هذا الذي مجده لا يُعلى عليه.

ب. مجده يملأ السماء والأرض

مَجْدُهُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ [13].

❖ لبيته لا يطلب أحد تمجيد اسمه. أتريد أن تتمجد؟ اخضع لذلك الذي لا يمكن أن يُذل؟

"اعترافه على الأرض وفي السماء" [LXX 14].

¹ الميمر 12 على ذلك الابن الذي بدد أمواله (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

² On Ps. 148.

❖ تصرخ السماء إلى الله: "أنت خلقتني؛ أنا لم أخلق نفسي".
والأرض تصرخ: "أنت خلقتني، أنا لم أخلق نفسي".

كيف تصرخان؟ عندما تتطلع إليهما، وتجدهما تصرخان بصوتك، إنهما تصرخان
برؤيتك لهما.

تطلع إلى السماء؛ تجدها جميلة! لاحظ الأرض؛ إنها جميلة!
هما معًا جميلتان. إنه صانعهما، يديرهما، ويأبىء منه تتحنيان. هو يأمر بفصولهما،
وهو يجدد تحركاتهما، هو بنفسه يجددهما.

كل هذه الأمور تسبحه، سواء في السكون أو التحرك، سواء من الأرض في الأسفل،
أو من السماء في الأعالي، سواء في حالتها القديمة أو تجديدها.

عندما ترى كل هذه الأشياء وتفرح، وترتفع نحو الخالق، وتتفرد في المصنوعات
المنظورة، فتدرك أمور غير المنظورة (رو 1: 29).

"اعترافه على الأرض وفي السماء" [13]؛ أي أنك تعترف له من الأشياء التي على
الأرض، وتعترف له من الأشياء التي في السماء...

إن كانت الأشياء التي صنعها جميلة، كم بالأكثر يكون جمال صانعها¹.

القديس أغسطينوس

ج. رعايته لشعبه

وَيَنْصِبُ قَرْنًا لِشَعْبِهِ،

فَخَرًّا لِجَمِيعِ اتَّقِيَانِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ،

الشَّعْبِ الْقَرِيبِ إِلَيْهِ. هَلُّوِيَّا [14].

يُخْتَمُ الْمَزْمُورُ بِالتَّسْبِيحِ لِلَّهِ مِنْ أَجْلِ مَعَامَلَاتِهِ مَعَ شَعْبِهِ، يَهْبِهِمْ قُوَّةً وَمَجْدًا وَيَجْعَلُهُمْ

مَلْتَصِقِينَ بِهِ.

إنه يسند شعبه ويعدهم لكي يتمتعوا بالوطن السماوي، حيث السلام الأبدي.

❖ لذلك، كما ترون فإن لأورشليم السماوية أسوارًا مصنوعة من السلام.

الأب قيصريوس من آرل

¹ On Ps. 148.

² Sermon 36: 6.

❖ "ويرفع قرن شعبه". انظروا ما تنبأ عنه حجّي وزكريا. الآن قرن شعبه في مذلة الأحزان والمتاعب والتجارب وقرع الصدر؛ متى يرفع قرن شعبه؟ عندما يأتي الرب، وتشرق شمسنا، ليست الشمس المنظورة بالعين، والتي تشرق على الصالحين والأشرار (مت 5: 45)، بل الشمس التي قيل عنها لكم يا من تسمعون الله: "تشرق شمس البرّ، والشفاء في أجنتها" (مل 4: 2). والتي يقول عنها المتكبرون والخطاة: "نور البرّ لا تشرق علينا، وشمس البرّ لا تبرغ علينا...".

"سبًا لجميع قديسيه" لينقبل قديسوه تسبحة. لينطق قديسوه بتسبحة، فإن هذا هو ما سينالونه في النهاية: تسبحة أبدية!

القديس أغسطينوس

❖ تحركوا أيها المتميزون للتسييح بدل الخلائق الجامدة، لأن بكم يليق التسييح. من يوفي ابن الله حقه الذي جاء إلى عالمنا لأجلنا، دون أن يتوقف عن تسييحه؟ صعد ابن الله على الصليب بدل الخطاة، ليعيدهم إلى التوبة، وها هم بطالون. صوته العالي الذي سحق الصخور، وشق القبور، لم يخفنا، فلنفتش لنتمتع بوجهه بالتوبة.

القديس مار يعقوب السروجي

¹ On Ps. 148.

الميمر 12 على ذلك الابن الذي بدد أمواله (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

148 من وحي المزمور

هب لي أن أنضم إلى خورس المسبحين!

❖ لك المجد يا مصدر سعادة كل خليقتك!
بكلمة أوجدتنا من العدم لا لكي نخدمك،
وإنما لكي نُسر بك، وتتهلل نفوسنا بحبك!
لست محتاجًا إلى تساييحنا،
بل نحن محتاجون أن ننعم بالتهليل بك.
أنت سرّ شعبنا وفرحنا ومجدنا!

❖ من يتأهل للتسييح لك سوى السمايين!
يدركون حبك، ويتعرفون على حنوك، ويُسرون بإرادتك.
لنقم في قلوبنا، وتجدد نفوسنا،
فنصير متمثلين بملائكتك.
ننضم بفرح إلى صفوفهم،
ويتحرك كل كيانا للتسييح لك.
وتقبض نفوسنا بالشكر لك.
وتُسحب قلوبنا وعقولنا نحو التأمل فيك.
ندش لحكمتك وقدرتك وصلاحك!

❖ الشمس والقمر والكواكب التي خلقتها من أجلنا،
تسبحك بعملها البديع، وخضوعها للناموس الذي وضعته لها.
ليس لها فم ولا لسان لتتطق وتسبح،
لكنها بخضوعها لك لا تكف عن التسييح لك.
هب لنا أن ننضم حتى مع هذه الخليقة غير العاقلة،
وبروح الطاعة نسبح اسمك القدوس.
هي تسبحك بالعمل في صمت!
هب لنا أن نسبحك عندما تضيء بنورك فينا قدام الناس،
يرون أعمالك فينا فيمجدونك!

لنسبحك بألسنتنا وشفاهنا، ولنسبحك بقلوبنا وعواطفنا،
ونسبحك بصمتنا مع نقاوة قلوبنا!
أنت واهب النقاوة والطهارة والقداسة!
تسبحك الخليقة بجمالها البديع،
فليسبحك إنساننا الداخلي، بملكوته الذي تقيمه في داخلنا!
إنه عمل روحك القدوس.

❖ تسبحك السماء بسحبها التي تمطر علينا.
تحول أرضنا الجافة إلى جنة مملوءة ثمارًا.
ولتسبحك أيضًا مياه دموعنا،
إنها لا تسقط من السماء إلى أرضنا، إنما تصعد من قلوبنا إلى سماواتك.
تخترق السحب وترتفع إليك.
تقبلها بفرحٍ وتعتر بها.
تستجيب لها وتغفر لنا ذنوبنا.
تحول قفر قلوبنا إلى جنتك المثمرة.
إنها عطية نعمتك العاملة فينا!

❖ بكلمة أمرت فخلقت، وبعنايتك لا تزال وتبقى ترعاها.
خلقتها لأجلنا نحن عبيدك.
وتتعهدنا برعايتك لأنك راعينا الصالح.
نسبحك لأجل قدرتك وحكمتك ورعايتك.
فأنت الأب القدير محب البشر!

❖ يا لصوتك العذب!
تدعونا جميعًا للتسبيح،
ليس لأنك في حاجةٍ إلى تسبيحٍ أو خدمة،
إنما مسرتك أن تحملنا إلى سماواتك،
ننضم إلى صفوف الطغيمات السماوية.
نشاركهم تسابيحهم وتهليلهم.

نتمتع معهم بالحياة المطوية!

❖ يا لعظمة حكمة إلهنا.

حتى المخلوقات التي نظنها بلا نفع.

مع كل يوم نكتشف منافع لها،

فنمجد الله الكلي الحب والحكمة.

كل ما يدور حولنا حتى النيران المشتعلة،

بل والتنانين المرعبة والحيوانات المتوحشة،

يمكن أن تخدمنا وتعمل لحسابنا.

لك المجد يا أيها الخالق العجيب!

❖ إلهي كل الطبيعة تُسبحك،

حتى الأشجار غير المثمرة تقدم لك تسبحة رائعة.

في خجلٍ وعارٍ تقدم لك الأشجار غير المثمرة ثمرة تسبيح،

وأنا في ضعفي لا أمجدك.

لتروني نعمتك، فأحمل ثمرة الروح.

أحمل فرحًا وتهليلًا وينطق كل كياني بتسبحة صادقة!

❖ بحبك خلقت الأرضيات لخدمتي،

هب لي أنا أيضًا أن أخدمك وأسبحك.

❖ كل الخليقة غير العاقلة تسبحك.

ألا يليق بي وقد وهبتي عقلاً وحرية أن أسبحك؟

أسبح اسمك العظيم يا خالقي!

رعايتك لشعبك عبر الأجيال،

واهتمامك بي كل أيام حياتي،

وانشغالك بخلصي حتى الآن،

هذا كله يحركني لكي أسبح اسمك القدوس.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

دعوة كنيسة العهد الجديد للتسبيح

لم يرد عنوان لهذا المزمور في أية نسخة، ولا ذُكر اسم واضعه. يبدو أنه مزموّر نصرّة، سُبح به بعد نوال نصرّة مجيدة. لهذا يظن البعض أنه يرجع إلي عصر المكابيين، والبعض إلي العودة من بابل وبناء أسوار أورشليم.

جاء في النسخة السريانية أنه نبوة عن نجاح الكرازة بالإنجيل وسط أمم الأرض، وأنه خاص بالهيكل الجديد، وجماعة كنيسة العهد الجديد.

خلق الله كل الكائنات عاقلة سواء كانوا بشرًا أو ملائكة يستعذبون الموسيقى. وهبهم العقل مع القلب أو العاطفة للتفكير في خالقهم والتهليل به في تناغمٍ وتناسقٍ بديعٍ. فالطغمت السماوية كائنات عاقلة، تنعم على الدوام بالمعرفة المتجددة النامية، وكائنات ملتهبة بنار الحب نحو الله وخليقته. إنها تعيش في عيدٍ سماويٍّ دائمٍ، ليس من ازدواجيّ بين المعرفة والفرح في حياتهم.

أما عدو الخير وملائكته، فقد انحرفوا بعقولهم كما بقلوبهم (إن صح التعبير). عوض التعقل عشقوا الجهالة، وانغمسوا في الغباوة، وحسبوا التعقل والتأمل في الحق (الله) غباوةً وخذاعًا وأوهامًا. وعوض الحب امتلأوا كراهية وبغضة، يسرون بعذاب الغير وهلاكهم. أما الإنسان فكان يمكنه أن ينضم كما إلي صفوف الطغمت السماوية، لكن عدو الخير خدعه، ففسدت إرادته، وانحرف بعقله ليقول في جهله "لا إله"، وانحرف بقلبه، ففقد طبيعة الحب والبهجة الحقيقية.

الآن إذ يرى المرثل كلمة الله قادمًا للخلاص، يدعو كنيسة العهد الجديد لتسبيح بأغنية جديدة، حيث يتناغم العقل مع القلب، وتصير جماعة خائفي الرب طغمة متهللة ومسبحة، تعزف بآلات موسيقية ليست من الخارج، وإنما يتحول الإنسان نفسه إلي قيّارة روحية يعزف عليها روح الله القدوس.

الآن يقدم لنا المرثل أنشودة رائعة هي دعوة للتسبيح بالذهن كما بالروح والقلب. يخاطب المرثل العقل البشري المقدس بالرب، كما يخاطب القلب والعواطف والأحاسيس. هكذا يليق بنا كشعب الله أن نكون شعبًا مُسبِّحًا.

١. نسبه في بيت الرب [1-4] لأنه مخلصنا [1] وخالقنا وملكننا [2]. فالتسبيح يرضي الرب،

- ويعطي لشعبه جمالاً [4؛ مز 147: 1، 11].
٢. يلزمنا أن نسبحه في البيت [5]. حتى ونحن نيام، وعند الاستيقاظ، وأثناء المرض.
٣. نسبحه في ميدان الحرب الروحية [6-9]. كلمة الله سيفنا (أف 6: 17؛ عب 4-12). والتسبيح هو سلاح عجيب للنصرة على العدو.

1. دعوة الكنيسة للتسبيح 3-1

2. الامتيازات العظيمة لشعب الله 5-4

3. نصره ومجد للكنيسة 9-6

1. دعوة الكنيسة للتسبيح

يدعو المرنل الكنيسة للتهليل من أجل النعم الإلهية، وهي:

أ. التمتع بتسبحة جديدة [1].

ب. التمتع بالخالق الملك الفريد [2].

ج. التمتع برضا الله ومسرته [3-4].

د. التمتع بالمجد الداخلي [5].

هَلُّوياً.

عَنُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً،

تَسْبِيحَتُهُ فِي جَمَاعَةِ الْأَتْقِيَاءِ [1].

جاءت هذه الدعوة تحثنا على الترنم بتسبحة جديدة، لا يتسلل إليها أي ملل أو ضجر، بل مع ممارستها تتجدد علي الدوام، وتلهب كل كيان الإنسان كما الجماعة ليختبروا الحياة الملائكية الدائمة التهليل.

من يتمتع بروح الله يتجدد مثل النسر شيا به، وتتجدد علي الدوام معرفته للحق الإلهي، كما يتجدد قلبه، فيلتهب بنار الحب الإلهي، الذي لا تقدر مياه الزمن أن تطفئها. كان الشعب في العهد القديم يترقب مجيء المسيا الذي يقدم لهم الخلاص، ويهبهم قلباً جديداً، ويدخل معهم في عهدٍ جديدٍ. بالتالي إذ يتمتع الشعب بالتجديد الداخلي يقدمون تسبحة جديدة.

إذ يثق المرنل في وعود الله الصادقة يرتل، قائلاً: "غنوا له أغنية جديدة، أحسنوا العزف بهتافٍ، لأن كلمة الرب مستقيمة، وكل صنعه بالأمانة" (مز 33: 2-3).

لقد سبق فرأى إشعيا بروح النبوة كنيسة العهد الجديد المتهلة بمخلصها، فقال: "غنا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض" (إش 42: 10).
 إذ تمتع القديس يوحنا برؤية العرش وحوله السماويون والمؤمنون من كل الأمم يرثون، قال: "وهم يترنمون ترنيمة جديدة" (رؤ 5: 9). مرة أخرى يقول: "وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش" (رؤ 14: 3).

لا يقدر أحد أن يتהל بالرب، ويقدم تسبحة جديدة، ما لم يصر قلبه مستقيماً، عضواً في الكنيسة المقدسة. "أحمد الرب بكل قلبي في مجلس المستقيمين وجماعتهم" (مز 111: 1).

❖ الإنسان العتيق لديه تسبحة عتيقة، والإنسان الجديد له تسبحة جديدة.

العهد القديم هو تسبحة قديمة، والعهد الجديد تسبحة جديدة.

في العهد القديم توجد وعود أرضية مؤقتة. من يحب الأرضيات، فليسبح التسبحة القديمة. من يرغب في التسبحة الجديدة، فليحب الأبدية.

الحب نفسه جديد وأبدي، ولهذا فهو دائماً جديد، لن يشيخ...

في المحبة الجديدة ماذا يوجد؟ سلام، الذي هو رباط الجماعة المقدسة، واتحاد روحي، وبناء حجارة حية.

أين هي المحبة؟ ليس في موضعٍ واحدٍ، بل خلال العالم كله. هذا قيل في مزمور

آخر: "رنموا للرب يا كل الأرض" (مز 46: 1). من هذا نفهم أن من لا يرث مع كل

الأرض، يرث ترنيمة قديمة، أي كانت الكلمات الخارجة من فمه...

الحب يسبح الله، وعدم الاتفاق يجذف على الرب...

حق الله هو العالم وليس أفريقيا... إذن كنيسة القديسين هي الكنيسة الكاثوليكية

(الجامعة). كنيسة القديسين ليست كنيسة الهرطقة...

تسبحته في "أبناء الملكوت"، أي في "كنيسة القديسين".

القديس أغسطينوس

❖ "غنا للرب ترنيمة جديدة". المعنى الروحي هو أن مجيء العهد الجديد هو أغنية جديدة.

كل ما حدث كان عهداً جديداً. يقول الكتاب: "سأقطع عهداً جديداً معكم" (راجع إر 31:

31). كانت خليفة جديدة. يقول الكتاب: "إن كان أحد في المسيح، فهو خليفة جديدة" (1

¹ On Ps. 149.

كو 5: 17). وكائن بشري جديد: "إذ خلعتم الإنسان العتيق... ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو 3: 9-10). فبسبب الحياة الجديدة، صار كل شيء جديدًا، ودُعي "العهد الجديد". ويحثنا كاتب (المزمور) الموحى إليه أن نغني أغنية جديدة تتناسب مع (العهد الجديد) ¹.

❖ "تسبحته في جماعة القديسين". ألا ترون أنه يطلب الشكر في الحياة والعمل، ويسحب هؤلاء الناس إلى خورس الذين يغنون بالتسبحة؟ إنه لا يكفي - كما ترون - أن نشكر بالقول فقط، ما لم ترافقه الفضيلة عمليًا.

"تسبحته في جماعة القديسين". إنه يعلمنا شيئًا آخر هنا؛ إنه يُظهر بأنه يلزمنا أن نقدم تسبيحًا معًا في انسجام تام، فإن كلمة "جماعة" معناها الاجتماع معًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من ينزع عنه أعمال الإنسان العتيق، ويلبس الإنسان الجديد الذي يتجدد لمعرفة صورة من خلقه كما قال الرسول، يسبح تسبيحًا جديدًا.

إذًا، يلزمنا نحن أبناء العهد الجديد أن نضمّر الموت عن الإنسان الظاهر الترابي، أعني عن شهوات الجسد. لأن هذا الرسول نفسه يقول: إن كان إنساننا الظاهر يبلى، فالإنسان الباطن يتجدد يومًا فيومًا. لهذا يقول النبي بأن التسبحة الجديدة يجب أن تكون في مجمع الأبرار. هذا القول معناه أن التسبيح يكون لا بالقول فقط، بل وبأعمال البر أيضًا، وبتوافق المؤمنين الذين دعاهم إسرائيل.

الأب أنسيْمُس الأورشليمي

لِيَفْرَحْ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ.

لِيَبْتَهِجَ بَنُو صِهْيُونَ بِمَلِكِهِمْ [2].

من أعظم النعم التي يتمتع بها المؤمن كعضو في جماعة الأتقياء (خائفي الرب) أن يتהלل بالرب خالقه، الذي يقيم مملكته فيه. إن كان الرب قد أوجدنا من العدم، فإنه لا يستخف بخليقته، بل يقيم ملكوته فينا، لذا نبتهج بملكنا الساكن فينا.

إذ يتمتع المؤمن بالميثاق الجديد خلال الصليب، يصير بالحق إسرائيل الجديد المتהלل

¹ On Ps. 149.

² On Ps. 149.

بخالفه المخلص، ويبتهج بذاك الذي ملك على خشبة، وضمه إلي صهيون السماوية. تتحول حياته إلي عيدٍ لا ينقطع، وتصير لغته هي البهجة والفرح بالله، حيث لا يستطيع أحد أو أمر ما أن ينزع فرحه منه.

لا تكف الكنيسة عن أن تقدم المجد لذاك الخالق واهب الوجود والحياة ومصدر كل بركة، يملك لا ليسيطر، وإنما بملكه يهب مؤمنيه الحياة الملوكية، ويفيض عليهم بفرحه الإلهي. تتهلل بخالفها وملكها، الذي يحكم بناموس الحب، ويهبها صلاحه وحكمته وبرّه، فتتسي ضيقها ومتاعبها. يقول النبي: "لا تخافي لأنك لا تخزين... فإنك تتسين خزي صباحك، وعار ترمك لا تذكرينه بعد، لأن بعلك هو صانعك، رب الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يُدعى" (إش 54: 4-5).

❖ سبيل المؤمنين أن يؤلفوا اجتماعًا بائتلاف والتتام عمومي، ويسبحوا الرب بالمحبة وابتهاج وفرح روحي. لذلك كتب الرسول: "غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة، بل واعظين بعضنا بعضًا" (عب 10: 25).

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ ما هو "إسرائيل". "رؤية الله". من يرى الله يفرح به، ذاك الذي خلقه... قلنا إننا ننتمي لكنيسة القديسين، فهل بالفعل نحن نرى الله؟ وكيف نكون إسرائيل إن كنا لا نراه؟

توجد بصيرة تخص الزمان الحاضر، وستوجد بصيرة أخرى تخص (الحياة) العتيدة. البصيرة التي لنا الآن هي بالإيمان، أما البصيرة التي ستكون فيما بعد فهي في الواقع. إن كنا نؤمن نرى؛ وإن كنا نرى فمن نرى؟ الله! اسألوا يوحنا: "الله محبة" (1 يو 4: 16). لنبارك اسمه القدوس، ونفرح بالله، وذلك بالفرح بالحب.

من له الحب، لماذا نرسله بعيداً ليرى الله؟ ليتطلع إلى ضميره، ففيه يرى الله! **"ليبتهج بنو صهيون بملكهم"**. أبناء الكنيسة هم إسرائيل. فإن صهيون بالحقيقة كانت مدينة قد سقطت، وفي وسط خرائبها يسكن قديسون حسب الجسد. أما صهيون الحقيقية، أورشليم الحقيقية (صهيون أو أورشليم هما واحد) هي أبدية في السماويات (2 كو 5: 1)، وهي أمنا (غل 4: 26). هذه التي ولدتنا، كنيسة القديسين، تقوتنا، وهي التي في نصيب من رحلتنا، تجعلنا نسكن في السماء جزئياً.

جزئيًا، إذ نسكن في السماء التي هي نعيم الملائكة، وجزئيًا، إذ نجول في هذا العالم رجاء الأبرار .

عن الجزء الأول يقال: "المجد لله في الأعالي" وعن الآخر: "وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو 2: 14).

ليت أولئك الذين في هذه الحياة يتعهدون، ويشتاقون إلى وطنهم، ويجرون إليه بالحب، وليس بأقدامهم الجسدية.

ليتهم لا يبحثون عن سفن، بل عن أجنحة! ليتمسكوا بجناحي الحب. ما هما جناحا الحب؟ محبة الله ومحبة القريب. الآن نحن رحل؛ نئن ونتنهد.

لقد وصلت إلينا رسالة من وطننا، نقرأها إليكم: "ليبتهج بنو صهيون بملكهم". ابن الله الذي خلقنا صار واحدًا منا، وهو يحكمنا بكونه ملكنا، لأنه هو خالقنا الذي جبلنا... لم يجد في الإنسان شيئًا طاهرًا له ليقدمه عن الإنسان، فقدم نفسه ذبيحة طاهرة، ذبيحة سعيدة، ذبيحة حقيقية، تُقدم بلا عيب.

قدم ليس ما أعطيناه نحن؛ بل بالحري قدم ما أخذه منا، وقدمه طاهرًا. فقد أخذ منا جسدًا، قدمه. أين أخذه؟ في رحم العذراء مريم، ليقدمه طاهرًا عنا نحن غير الطاهرين. إنه ملكنا وكاهننا، فلنفرح به .¹

القديس أغسطينوس

❖ "ليفرح إسرائيل بخالفه" [2]. إنه يقدم حسابًا عامًا قبل الإشارة إلى الإحسانات الفردية، وكأنه يحث على هذه النقطة بما أضافه: اشكروا الله الذي جاء بكم إلى الوجود حينما لم تكونوا موجودين، ونفخ فيكم نسمة الحياة. هذا أيضًا فوق الكل ليس بالأمر الهين من الإحسان.

هنا يُظهر أمرًا أكثر أهمية، فهو لا يشير فقط إلى الخلق، إنما يُلقي ضوءًا قويًا على العلاقة به، بالتعبير عما في نفسه هكذا، إنه يأمر بالشكر، ليس لأنه خلقهم فحسب، وإنما جعلهم أيضًا شعبه. ألا ترون كيف أنه بتوحيدهم معًا، وربطهم بالله، يريد منهم لا أن يشكروا فحسب، وإنما يشكروا برضا وفرح، ويريد أن يُلهب عقولهم؛ هذا قد جعله مفهومًا

¹ On Ps. 149.

ضمناً بالقول: "ليبتهج" [2]...

"ليبتهج بنو صهيون بملكهم" [2]... هنا يضيف " بملكهم"، ليظهر هذا، أنه كان ملكهم، لا على أساس الخلقة فحسب، وإنما على أساس العلاقة (بينهم وبينه) أيضاً.
القديس يوحنا الذهبي الفم

لِيُسَبِّحُوا اسْمَهُ بِرُقْصٍ.

بِدَفٍّ وَعُودٍ لِيُرْتَمُوا لَهُ [3].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "فليسبحوا اسمه القديس بالمصاف (في

خورس)".

الخورس هو اتحاد المرمنين، يرمنون معاً، بروحٍ واحدٍ وهدفٍ واحدٍ، بانسجامٍ وحبٍ

صادقٍ.

يرى بعض الدارسين إن كلمة " رقص" لا تعني رقص الجسد بالمعنى العام، إنما كما جاءت في الترجمة السبعينية "بالمزمار *with the pipe*"، وإن كان البعض يرى أن الشعوب كانت تستخدم حركات الجسد (الرقص) أثناء العبادة، كنوعٍ من التعبير عن فرح الإنسان بكل كيانه، وليس فقط بلسانه وفمه.

يرى القديسان جيروم ويوحنا الذهبي الفم أن العود يشبه القيثارة، غير أن الأخيرة تُشد أوتارها إلى أسفل، والعود إلى أعلى، لذا يليق بنا أن نسبح الله وأوتارنا مسحوبة إلى أعلى، أي بالعود لا بالقيثارة.

❖ يليق بنا ألا نغني أغاني الغرام، بل نقتصر على التسييح لله. وكما قيل: "ليُسبحوا اسمه برقصٍ، بدفٍّ وعودٍ، ليرتَموا له" (مز 149: 49).

القديس إكليمنضس السكندري

❖ "بدفٍ (طبلٍ) وعودٍ ليرتَموا له" [3]. أيضاً يشير بعض المفسرين إلى هذه الآلات الموسيقية بمفهوم روحي، فيقولون إن الطبل يتضمن إماتة أجسادنا، بينما يشير العود إلى السماء، فإنه يُعزف على هذه الآلة من فوق، وليس من أسفل مثل القيثارة^N.

¹ On Ps. 149.

² Paed 2:4.

³ On Ps. 149.

❖ "ليسبحوا اسمه في خورس" [3]. لاحظوا مرة أخرى هذا الانسجام الذي يشرق خلالهم. فإن الخورس (الجوقة) غرضها أن يتناغم كل واحدٍ وهو يقدم التسبيح في اتفاقٍ واحدٍ معًا. هذا أوضحه بولس أيضًا بالكلمات: "غير تاركين اجتماعنا" (عب 10: 25) ¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قال القديس يوحنا الذهبي الفم: إن اليهود لضخامة ذهنهم وكثافة عقلهم وغلاظتهم، ولكونهم تركوا عبادة الأوثان من مدة قريبة، يقربون الذبائح لها، ويستعملون آلات الملاهي والمعازف... وأما نحن المسيحيون فيلزمنا أن نميت شهوات جسدنا، ونجعله طبلاً ينشغل بالسماويات، ونجتذب الروح من العلو، ونكون مثل مزمارٍ يجذب الروح من فوق، وليس من أسفل. فعلى قول هذا الجليل يجب على المسيحيين عدم استعمال العزف وآلات الضرب عند تسبيحهم لله.

الأب أنسيئوس الأورشليمي

❖ إن رنمنا في خورس، فلنرنم بانسجام معًا. إن كان أحد صوته فيه نشاز عن صوت خورس المرنمين، فهو يضايق الأذن، ويجعل الخورس في ارتباكٍ. إن كان صوت أحدهم يحمل صدى بلا انسجام، فإنه يفسد تناغم المرنمين، كم بالأكثر اختلاف الهراطقة بسبب ارتباكاً لتناغم المرنمين. العالم كله الآن هو خورس المسيح. يعطي خورس المسيح صوتاً منسجماً من الشرق إلى الغرب (مز 113: 3). "بدفٍ وعودٍ ليرنموا له" ... ليس فقط بالصوت برنم، وإنما أيضًا بالأعمال. عندما يُستخدم الدف والعود، فإن الأيادي تعمل في تناغمٍ مع الصوت ².

القديس أغسطينوس

❖ ليسبحوا اسمه في خورسٍ.

حيث يوجد خورس تمتزج الأصوات معًا في أغنية واحدة... لكن حيث يُوجد نزاع وحسد، لا يوجد خورس... لنصلب أجسامنا من أجل المسيح، ونغني لله بدفٍ من هذا النوع... لا يُصنع الدف من الجسد، وإنما من الجلد. فمادما جسديين فلسنا دقوفًا.

¹ On Ps. 149.

² On Ps. 149.

لا تقدر أن تصنع دقاً، ما لم تنزع كل جسد، وتسحب الجلد وتشدّه.
لا يمكن للذئب أن يتخلص، بل يلزم أن يُشدَّ الجلد.
ليته لا تقاصنا الخطيئة، إنما بالبرِّ تُشدُّ ونتسع .

القديس جيروم

❖ الذين يميزون توافق الروح الواحد عليهم التأمل جيداً في نصيحة صاحب المزامير عندما يقول: "ليسبحوا اسمه برفق، بدفٍ وعودٍ ليرنموا له" (مز 149: 3).
المعرفة المتعالية تتفخ بعض الناس، وتفصلهم عن الجماعة. وكلما عظمت هذه المعرفة قلت الحكمة، وتأثرت فضيلة التألف بالروح الواحد. لذلك لبت هؤلاء يسمعون ما يقوله الحق ذاته: "ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا بعضكم بعضاً" (مر 9: 50). إن الملح بلا مسالمة ليس ثمرة للفضيلة، بل يسبب لعنة...
لذلك يقول يعقوب: "ولكن إن كان لكم غيرة مرةً وتحزب في قلوبكم، فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلةً من فوق، بل هي أرضية نفسانية شيطانية، لأنه حيث الغيرة والتحزب، هناك التشويش وكل أمر رديء. وأما الحكمة التي من فوق، فهي أولاً ظاهرة، مسالمة، مترفعة، مدعنة، مملوءة رحمةً وأثماراً صالحة، عديمة الريب والرياء. وثمر البرِّ يُزرع في السلام من الذين يفعلون السلام" (يع 3: 14-18).
الحكمة طاهرة، لأنها تفكر بنقاء. وهي مسالمة، لأنها لا تصنع شقاقاً مع جماعة الإخوة بسبب الكبرياء .

الأب غريغوريوس (الكبير)

2. الامتيازات العظيمة لشعب الله

لأنَّ الرَّبَّ رَاضٍ عَنِ شَعْبِهِ.

يُجَمِّلُ الْوُدْعَاءَ بِالْخَلَّاصِ [4].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "لأن الرب يسر بشعبه، ويعلي الودعاء

بالخلاص".

الدافع الآخر للتسبيح هو إدراك المؤمن برضا الله ومسرته بشعبه، وانشغال الله بتجميل

¹ Homilies on Psalms, homily 59 on Ps 149.

كما يحفظ الملح من الفساد، لا بد للراعي من شيء في داخله يحفظه هو ورعيته من فساد الخطيئة ليكونوا نبيحة مسرة للرب.

³ Pastoral Care, 3:22.

الودعاء بالخلاص أو بالمجد الأبدي.

يقف المؤمن مبهوراً أمام الله الكلي القدرة، خالق كل العوالم، ينشغل بالإنسان كأن كل ما قد خلقه الله هو لأجله. ما يشغل الله هو أن يجدد طبيعة الإنسان ويَجْمَلها علي الدوام، لتصير أيقونة حية له. لذا لا يجد المؤمن لغة يعبر بها عن شكره لخالقه وملكه ومخلصه سوى أن يهتز كل كيانه الداخلي مع القديس يوحنا العمدان الذي ركض (رقص) مبتهجاً في أحشاء أمه الیصابات. يسبح الله بدفٍ وعودٍ، أي بجسده وروحه.

يسر الله بشعبه الوديع والمتواضع، فيقدم لهم الخلاص المجاني، ويسكب عليهم من بهائه. وكما قيل: "وجملتِ جداً جداً، فصلحتِ لمملكة، وخرج لك اسم في الأمم لجمالِك، لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك، يقول السيد الرب" (حز 16: 13-14). كما قيل: "أزين بيت جمالي" (إش 60: 7).

سرّ جمال الودعاء هو تمتعهم بخلاص الرب، إذ يحملون أيقونة القائل: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت 11: 29).

❖ "لأن الرب يتعامل بلطفٍ بشعبه". أي تعامل بلطفٍ مثل موته من أجل الخطاة؟

أي تعامل بلطفٍ مثل إبطال الصك الذي على الخاطي بالدم البريء؟
أي تعامل بلطفٍ مثل: "إني أنظر لا إلى ما كنتم عليه، بل ما لستم عليه الآن؟
إنه يتعامل بلطفٍ بهديته ذاك الذي ضل، ومساندة الذي يحارب، وتكليل الذي ينتصر.

"ويُعلي الودعاء بالخلاص". فإن المتكبرين أيضاً يرتفعون، لكن ليس بالخلاص.
يرتفع الودعاء بالخلاص، والمتكبرون بالموت.

بمعنى أن المتكبرين يرفعون أنفسهم والرب يذلهم. والودعاء يتواضعون والرب يرفعهم.
القديس أغسطينوس

❖ الذين بالتواضع والوداعة صاروا لله شعباً خاصاً، يخلصهم خلاصاً بديعاً، ويمجدهم بهذا الخلاص، ويشرفهم بين الناس، وهم يفتخرون برويتهم لمجده الإلهي، كما كتب الرسول بولس: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوفٍ كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجدٍ إلى مجدٍ، كما من الرب الروح" (2 كو 3: 18).

¹ On Ps. 149.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ "لأن الرب راضٍ عن شعبه... يحمل (يرفع) الودعاء بالخلاص" [4]. لاحظوا مرة أخرى الطريقة التي يعالج بها الأمور الخاصة بالله، والأمور الخاصة بالكائنات البشرية. فكما طلب منهم قبلاً بالشكر، يقدم الأمور الخاصة بالله بالكلمات: "لأن الرب راضٍ عن شعبه". هكذا أيضاً هنا بدوره، إذ يعود إلى وعود الله، يطلب من الكائنات البشرية الكلمات " يحمل الودعاء بالخلاص".

بينما الرفع يخص الله، فلن يكونوا ودعاء يخص البشر. أقصد أنه لا تتحقق الأمور الخاصة بالله ما لم يسبقها تحقيق ما يخص البشر¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم على كلمة "يحمل" (يرفع أو يمجد *elevate*) قائلاً: [إنه ليس فقط يحررهم من المتاعب، وإنما يجعلهم موضع دهشة ومشهورين، ويهبهم مجداً مع الخلاص. هذا على أي الأوضاع يشرحه بوضوح بإضافته الكلمات: "ليبتهج الأتقياء بمجد".]

لِيَبْتَهِجِ الْأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ.

لِيُرِنَّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِمْ [5].

دافع جديد يبعث فيهم روح البهجة، ألا وهو أن مجدهم لم يعد خارجاً عنهم يكمن في الغنى أو السلطان أو الجمال أو الكرامات الزمنية أو الصحة الجسدية، إنما داخلهم. لهذا تترنم قلوبهم في كل الظروف، وفي كل الأوقات، حتى أثناء نومهم وهم على مضاجعهم. يعيش المؤمنون الحقيقيون في أمجادٍ فائقةٍ؛ لا تفارقهم البهجة، حيث لا يفارقهم المجد الداخلي، وكما وعد الرب نفسه: "وأكون مجداً في وسطها" (زك 2: 5). إذ يتأملون في المجد الذي وهب لهم في داخلهم، تتهلل نفوسهم، وتتطق أفواههم بالتسابيح، مقدمين ذبائح شكر لا تنقطع. يترنمون على الدوام، ولا تصمت ألسنتهم الداخلية عن التسبيح، حتى وهم نائمون: "ليرنموا على مضاجعهم" (مز 149: 5).

اذ يحل الليل، ويحوط الظلام بهم، فإنهم وهم نائمون لا يفارقهم نور شمس البرّ. يدخلون في لقاءات سرية مع الله، وتمتلئ قلوبهم فرحاً، ويلهجون في حبهم لله بالتسابيح السرية. ❖ "يبتهج القديسون بمجد". أود أن أقول شيئاً عن مجد القديسين. فإنه لا يوجد من لا يحب

¹ On Ps. 149.

المجد. لكن مجد الأغبياء مجد شعبي كما يُقال، يحوي شباكًا للخداع، حتى أن الإنسان بالمجد الباطل يريد أن يعيش بشكلٍ ما حسب ما يطلبه البشر، أيا كان حالهم، وأيا كان الطريق...

أما القديسون الذين يبتهجون بالمجد، فلا يحتاجون إلينا كيف يبتهجون. اسمعوا فقط ما قيل بعد ذلك في المزمور: "ويبتهجون على مضاجعهم"، وليس في المسارح أو المدرجات أو الميادين أو مبانٍ باهظة التكلفة أو الأسواق، وإنما "في مضاجعهم"... أي في قلوبهم.

اسمعوا الرسول وهو يبتهج في خلوته: "لأن فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا" (2 كو 1: 12).

من جانب آخر يوجد سبب للخوف من أن يُسر أحد بنفسه، ويبدو أنه متكبر ومتشامخ بضميره. إذ يليق بكل أحد أن يبتهج بخوفٍ. بهذا يبتهج بعطية الرب وليس عن استحقاقه. فإن كثيرين يُسرون بأنفسهم، ويظنون في أنفسهم أنهم أبرار. يوجد أيضًا عبارة أخرى ضد هؤلاء وهي: "من يقول إني زكيت قلبي، تطهرت من خطيتي؟" (أم 20: 9) يمكن القول إنه يوجد حد لتمجيد ضميرنا، أي أن تعرف أن إيمانك صادق، ورجاءك أكيد، وحبك بدون خداع.

القديس أغسطينوس

❖ "ليرنموا (يفرحوا) على مضاجعهم" [5]. إنه يُظهر الأمان الكامل من المشاكل، ويقودهم إلى راحة عظيمة، وفرح عظيم، وشبع فائق. الآن يشير إلى هذه الأمور ليعرفوا أن كل ما حدث ليس بواسطة أسلحتهم أو قوتهم، وإنما بنعمة الله، وإنهم ينتصرون بالتواضع والوداعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول الكتاب: الروح لم يكن قد أُعطي، لأن يسوع لم يكن قد تمجد، بمعنى أنه لم يكن قد صُلب (يو 7: 39).

"ليبتهج المؤمنون بمجد"، لماذا أركز على هذه النقطة؟ لأن المرثل يقول: ليبتهج

¹ On Ps. 149.

² On Ps. 149.

المؤمنون في مجدٍ، وأنا أقول: "ليبتهج المؤمنون في الصليب". "أما أنا فحاشا لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل 6: 14) .

❖ "ليرنموا على مضاجعهم" هذا ينطبق على القديسين، على الأبرار.

من منا يرنم بفرحٍ على مضجعه؟ من لا يصارع على سريره مع الجسد؟ عندما أسهر على نفسي وأنا على مضجعي، لا أرثل بفرحٍ، بل أصارع، لا أنتهد على ملكوت السماوات، إنما أصارع مع الجسد. أبلل نار الشهوة بدموعي وأطفئها. لهذا السبب يقول المرتل: "أبلل سريري بدموعي" (مز 6: 7). الدموع تطفئ لهيب فراش الملتهب بالشهوة.

طوبى لأولئك الذين قيل عنهم: "ليرنموا على مضاجعهم".

القديس جيروم

❖ يقول المرتل عن الأبرار: "ليبتهج القديسون في مجدٍ، ليرنموا على مضاجعهم" (راجع مز

149: 5). لأنهم إذ يهرون من مآسي الأمور الخارجية، يتمجدون في سلام داخلي في أعماق قلوبهم. لكن فرح القلب سوف يكمل عندما تتوقف حرب الجسد من الخارج. إنه كما لو أن حائط البيت قد تزعزع يصير المضجع نفسه مضطرباً .

البابا غريغوريوس (الكبير)

3. نصررة ومجد للكنيسة

بعد أن عدد دوافع الترنم ببهجةٍ، من تمتع بعهدٍ جديدٍ، وإدراكٍ لعمل الخالق المحب، واهتمامه بنا كملكٍ، مع سروره بنا، وسكناه في داخلنا كمصدر مجدٍ داخلي، الآن يحتنا على الترنم والتهليل من أجل النصرات المستمرة على عدو الخير وكل قوات الظلمة. نحمل فينا كلمة الله كسيفٍ ذي حدين يحطم الشر، وينجذب الوثنيون إلي مخلص العالم ليتمتعوا بإنجيل الحق، ويسقط إبليس كالبرق من السماء، ويصير موضعه تحت الأقدام.

يَدْعُو المرتل الكنيسة للتهليل من أجل التمتع بنصرات مستمرة:

أ. التسبيح كسلاح للغلبة [6].

¹ Homilies on Psalms, homily 59 on Ps 149.

² Homilies on Psalms, homily 59 on Ps 149.

³ Morals on the Book of Job 8: 41.

ب. قبول الأمم للإيمان [7].

ج. هزيمة إبليس وملانكته [8]

د. كرامة ومجد لخائفي الرب [9].

ثَوِيهَاتُ اللَّهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ،

وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ [6].

جاء عن الترجمة السبعينية والقبطية: "تعليات الله في حنجرتهم، وسيوف ذات فمين

في أياديهم".

يرى بعض الدارسين أن هذه العبارة تكشف عن تاريخ وضع هذا المزمور، فالمرتل يرى الشعب بيني أسوار أورشليم تحت قيادة نحميا. الكل يهتف بتسابيح سماوية بصوت عالٍ، وقد أمسك المؤمن سيفاً بيدها الأخرى وهو بيني. "باليد الواحدة يعملون العمل، وبالأخرى يمسكون السلاح، وكان البانون بينون، وسيف كل واحدٍ مربوط علي جنبه" (نح 4: 17-18).

غالبًا ما كانت السيوف عند الرومان تأخذ هذا الطابع، ذات حدين حتى يمكن

استخدامها في الطعن كما في الضرب بالسيف.

الترجمة الحرفية: "سيف ذو فمين"، فهو كالحَيوان الوحشي يجول ليفترس بكل وسيلة.

يرى المرتل ربنا يسوع المسيح وقد تقلد سيفه على فخذة كجبارٍ، لكي إذ يقدم إنجيل

الحب لشعبه، يهبهم روح القوة. يعطيهم ذاته كسيفٍ ذي حدين يبترون به الشر، فلا يكون له سلطان عليهم. ويتقدمهم على الدوام، يبيد ضد المسيح بنفخة فمه (2 تس 2: 8). أخيرًا يظهر على السحاب "وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه" (رؤ 1: 16)، به يدين المسكونة، ويفصل أبناء الملكوت عن أبناء إبليس. وكما يقول القديس جيروم: إيه يضرب الأعداء، وبه يفتح ملكوت السماوات¹.

"تعليات" هنا تعني ابتهاج بالنصرة، وفرحهم في مخادعهم يقوم لا على استحقاقاتهم

الذاتية، وإنما على عمل الله معهم. ما بلغوه هو من قبل نعمته، وإنهم يترجون منه البلوغ إلى

الكمال، فقد بدأ وسيكمل معهم.

أما السيوف الحادة من الجانبين والتي في أياديهم، فتحمل معنى رمزيًا. يُفهم منها أنها

كلمة الله (عب 4: 12). أما وضعها في صيغة الجمع، فهي لأنها تصدر عن أفواه الكثير من

¹ Homilies on the Psalms, 59 (Ps. 149).

القديسين. أما الحدان أو الفمان، فإشارة إلى أن كلمة الله تعالج حياتنا الزمنية كما تمس تمتعنا بالحياة الأبدية.

❖ "وسيوف ذات حدين في أياديهم"... لماذا في أياديهم وليست على ألسنتهم؟...

بالقول "بأياديهم" يعني "بسلطان". لقد تسلموا كلمة الله بسلطان، يتكلمون أينما أرادوا ولمن أرادوا، لا يخشون سلطاناً، ولا يحتقرون فقراً.

فإن في أياديهم سيفاً يلوحون به، ويستعملونه، ويضربون به أينما أرادوا. هذا كله في سلطان الكارزين. لو أن الكلمة ليست في أياديهم، لماذا كُتِب: "كانت كلمة الرب عن يد حجي النبي" (حج 1: 1)؟...

أخيراً يمكننا فهم هذه "الأيادي" بطريقة أخرى أيضاً؟ لأن الذين تكلموا كان لهم كلمة الله في ألسنتهم، هؤلاء الذين كتبوا بأياديهم.

القديس أغسطينوس

❖ "سأبجح الله العالوية في حناجرهم". بالتأكيد من يصرخ، لا يصرخ من حنجرته، وإنما بشفتيه. بالطبع أقصد أن الشخص لا ينطق بصوت عالٍ بحنجرته بل بشفتيه. فكيف يقول هنا: "سأبجح الله العالوية في حناجرهم"؟ "صرخ: يا أبأ، الأب!" الصوت الذي يصرخ الله لا يخرج من الشفتين، وإنما من القلب. بالحقيقة قال الرب لموسى: "ما لك تصرخ إلي؟ بالتأكيد لم ينطق بكلمة..."

"وسيوف ذات حدين في أياديهم"... سيوف القديسين ذات حدين... مكتوب عن الرب المخلص: "وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه" (رؤ 1: 16). لاحظوا جيداً أن هؤلاء القديسين يتقبلون من فم الله السيوف ذات حدين، يمسون بها في أياديهم. لذلك يعطي الرب سيفاً من فمه إلى تلاميذه، سيفاً ذا حدين، أعني كلمة تعاليمه. يعطي سيفاً ذا حدين: أي (التفسير) التاريخي والرمزي، الحرف والروح. سيف ذو حدين، يذبح الأعداء، وفي نفس الوقت يحمي المؤمنين. السيف ذو الحدين له رأسان: يتحدث عن العالم الحاضر والعالم العتيد. هنا يضرب المقاومين، وفي العلا يفتح ملكوت السماء.

¹ On Ps. 149.

² Homilies on Psalms, homily 59 on Ps 149.

القديس جيروم

❖ أقوال التعليم الحقيقي تشبّه بسيفٍ ذوات حدين، لأنها توضح الحق، وتحطم الكذب والباطل، ولأنها تقهر أقوال الإلحاد، وتويخ الخاطئين من الشعب. هذه الأقوال الحقيقية هي قيود وأغلال من حديد، تقيد الجدل، وتمنع الكذب والطغيان من جريانه نحو الامتداد والتقدم.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ "تسابيح الله العلوية في حنجرتهم، وسيف ذو حدين في أيديهم، ليصنعوا نقمة في الأمم ودينونة للشعوب" [6-7]. هنا يصور الحرب جنبًا إلى جنب مع الموسيقى، موضحةً أنه بالغناء والتسبيح ينتصرون. إنه يدعو الغناء بالألحان والمزامير والشكر تسابيح علوية¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الْأُمَمِ،

وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ [7].

في تث 7: 1 الخ. يعد الله شعبه بالنصرة الكاملة على الأعداء المقاومين لهم، وعلى الأمم الوثنية التي لا تكف عن مهاجمة الإيمان الحقيقي. تحققت هذه النصر ولا تزال تتحقق، لا بهلاك الوثنيين، بل بأسر ملوكهم بقيودٍ، وشرفائهم بكيولٍ من حديد. من هم هؤلاء الملوك والشرفاء، إلا إبليس وكل قوات الظلمة، الذين يحسبون أنهم رؤساء هذا العالم، أصحاب سلاطين.

❖ لماذا يحمل القديسون مثل هذه السيوف؟ "ليصنعوا نقمة في الأمم" ... لكي يبيدوا كل هرطقة إلى النهاية .-

القديس جيروم

❖ الآن يا إخوة ها أنتم ترون القديسين مسلحين: لاحظوا المذبحة، لاحظوا معاركهم المجيدة. لأنه إذ يوجد قائد يلزم وجود جند، وإن وُجد جند توجد معركة، وإن وُجدت معركة توجد نصره.

¹ On Ps. 149.

² Homilies on Psalms, homily 59 on Ps 149.

ماذا يفعل هؤلاء الذين في أيديهم سيوف محماة من الجانبين؟ " ليصنعوا نقمة في الأمم".

انظروا إن كانت النعمة تتحقق في الأمم. تتم كل يوم، نتممها بالكلام. لاحظوا كيف أن أمم بابل قد قُتلت. لقد دفعت ضعفين، كما هو مكتوب عنها: "ضاعفوا لها ضعفاً نظير أعمالها" (رؤ 28: 6). كيف دفعت الضعف؟... فإن عبادة الأوثان قد انطفأت، والأصنام انكسرت، ولئلا يظنوا أن البشر بالحقيقة يُضربون بالسيف، والدم بالحقيقة يُسفك، الجراحات تتحقق في الجسد، أكمل موضعاً: "وتوبيخات في الشعوب".¹

القديس أغسطينوس

❖ "أفراح الرب في حناجرهم، وسيف ذو حدين في أيديهم، ليصنعوا نقمة في الأمم، وتآديبات في الشعب" (راجع مز 149: 6-7) يليق بنا أن نلاحظ جمال هذه التعبيرات المتباينة ونفعها.

قبلاً قال إن القديسين يفرحون في مضاجعهم، والآن يقول إن أفراح الرب قائمة في حناجرهم. المعنى هنا أنهم لن يتوقفوا عن التسبيح، سواء كان في الفكر أو على اللسان. يسبحون ذلك الذي ينالون منه الهبات الأبدية. يتحرك أيضاً لشرح القوة التي يستخدمونها ببراعة، بالكلمات: " وسيف ذو حدين في أيديهم".

السيف ذو الحدين هو كلمة الرب المخلص، التي يقول عنها المسيح نفسه في الإنجيل: "ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً". (مت 10: 34) إنه سيف ذو حدين، لأنه يحيي عهدين .

الأب كاسيدورس

لَأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقَيْوِدٍ،
وَشَرُفَانِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ [8].
يرى القديس جيروم الملوك هنا هم قادة الهرطقات الذين يعلمون الناس ويضللونهم.

¹ On Ps. 149.

² Cassiodorus: On Ps. 146:6-7.

❖ ألا ترون فيض القوة؟ فإنهم ليس فقط يطردون الأعداء ويقصونهم، وإنما يأخذونهم أيضاً أسرى، ويرجعون حاملين شهادة أمام الكل عن قوة الله آ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نحن نعلم أن ملوكاً صاروا مسيحيين، وإن شرفاء من الأمم صاروا مسيحيين. صاروا هكذا في هذا اليوم. إنهم صاروا وسيصيرون.

"السيف ذات الحدين" ليست عاطلة في أيدي القديسين. ماذا إذن نفهم بالقبود

والسلاسل من حديد التي يُربطون بها؟

أنتم تعلمون أيها الأحباء والإخوة المتعلمين (أقول متعلمين، لأنكم قد تربيتهم في

الكنيسة، واعتدتم أن تسمعوا كلمة الله تُقرأ)، أن الله اختار ضعفاء العالم ليخزي الأقباء،

وجهاً العالم ليخزي بهم الحكماء، وغير الموجود ليبطل الموجود (1 كو 1: 27)...

قال الرب: "إن أردت أن تكون كاملاً، أذهب وبع كل ما لك وأعط الفقراء، وتعال

اتبعني، فيكون لك كنز في السماء" (مت 19: 21). كثير من الشرفاء فعلوا هذا وكفوا عن

أن يكونوا شرفاء الأمم، واختاروا أن يكونوا فقراء في هذا العالم شرفاء في المسيح.

لكن كثيرين بقوا في مراكزهم السابقة كشرفاء، بقوا في سلطانهم الملوكي، ومع ذلك

صاروا مسيحيين، هؤلاء صاروا كمن في قبودٍ وسلاسلٍ من حديد. كيف هذا؟

لقد قبلوا قبوداً تحفظهم من الذهاب إلى أشياء غير شرعية، "قبود الحكمة" (سي 6:

25)، قبود كلمة الله. لماذا هي أغلال من حديد، وليست من ذهب؟ إنها من حديد، إذ هم

يخافون. فليحبوا، فتصبر من ذهب!

لاحظوا أيها الأحباء ما أقول. لقد سمعتم الآن ما يقوله يوحنا: "لا خوف في المحبة،

بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج، لأن الخوف له عذاب" (1 يو 4: 18). هذا قيد

من حديد. ومع ذلك إن لم يبدأ الإنسان بالخوف يعبد الله، لا ينال الحب. "مخافة الرب بدء

الحكمة" (مز 111: 10).

البداية إذن قبود من حديد، والنهاية قلادة من ذهب. فقد قيل عن الحكمة: "قلادة من

ذهب حول رقبتك" (سي 6: 24).

القديس أغسطينوس

¹ On Ps. 149.

² On Ps. 149.

لِيُجْرُوا بِهِمُ الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ.
كَرَامَةً هَذَا لِجَمِيعِ أَتْقِيَانِهِ.
هَلُّوياً [9].

يرى القديس جيروم أن الحكم المكتوب هو الكتاب المقدس، فيليق معالجة الهرطقات بروح الكتاب المقدس.

❖ من له هذا السلاح لا يخشى سلاح العالم... إن كنا لا نخشى الواحد، فإننا نتقبل الآخر.
لنشكر (الله) الذي له ذاك السيف ونباركه إلى أبد الأبد، آمين .

القديس جيروم

❖ هكذا ستكون النصره عظيمه، والنصب التذكاري عجيب وواضح للكل. إنه واضح كما لو كان مكتوباً (منقوشاً) على عمود، ولن يُمسح .

❖ "كرامة هذا لجميع قديسيه" [9]. أية كرامة؟ النصره أو بالحري ليست النصره فقط، وإنما النصره بطريقةٍ هكذا، خلال مساندة الله، خلال النعمة التي من فوق^N.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 149

شعب جديد وتسبحة جديدة!

❖ مراحمك جديدة في كل صباح.
يحملنا روحك القدوس إليك،
فنلمس عنايتك التي لا تشيخ.
تجدد على الدوام مثل النسر شبابنا.
تجدد عهدك معنا باستمرار .
تجعلنا كنيسة جديدة،
تدخل معك في عهدٍ جديدٍ.
حبك لا يشيخ، ونعمتك لا تقدم.

¹ Homilies on Psalms, homily 59 on Ps 149.

² On Ps. 149.

³ On Ps. 149.

❖ تهني تسبيحًا جديدًا، به تتلذذ أعماقي!
بحبك العجيب تقدم لي تسبيحًا جديدًا،
ويتنازلك تقبل هذا التسبيح ذبيحة حب لك!
هذه العطية هي من عندك،
وعندما أقدمها لك تحسبها من عندي.
تشتم فيها رائحتك الذكية،
فتحسبني موضع سرورك!

❖ أقدم لك التسبحة خفية،
إذ لا يقدر أحد أن يسمع صوت قلبي سواك.
لكن قلبي يجد راحته في الشركة مع قلوب إخوتي.
علي البحر البلوري الذي أمام عرشك،
أجتمع مع كل قديسيك.
ويقف السمائيون في دهشةٍ وعجبٍ.
يرون فريق مغنين،
يتكون من ملايين كثيرة.
الكل يحملون قيثارات الروح،
ويترنمون بروحٍ واحدةٍ!

❖ نسبحك يا ملك الملوك،
نغني لك بكل آلة موسيقية:
بقلوبنا وأفواهنا وعواطفنا وعقولنا وطاقاتنا.
ليس لنا، ليس لنا،
كل ما نقدمه هو من فيض عطاياك.
تسكب بهاءك علينا،
فنحسب ملوكًا مملوءين بهاء!

❖ بأية لغة نسبحك، سوي لغة العلويين!
أفواهنا الداخلية ترنم بتسابيح سماوية.

وأيادينا تمسك بك،

أنت هو سلامنا!

❖ تسابيحنا لك هي سهام قاتلة لقوات الظلمة.

لسنا أهلاً أن نقدم هذه التسابيح!

إنها تسابيح نصره الله،

تهبنا بهجة وكرامة.

المزمور المائة والخمسون

تسبيح مسكوني!

طبقاً للنص العبري هذا المزمور هو الأخير لسفر المزامير كله. أما في الترجمة السبعينية، فيوجد المزمور المائة والحادي والخمسون.

جاء هذا المزمور بدون عنوان ولا اسم واضعه في النسخة العبرية كما في كل النسخ القديمة. وهو ينتمي إلي كل خورس المرمنين وهم يرتلون معاً، مستخدمين كل أدوات الموسيقى في داخل الهيكل، مسكن الله مع الناس، عند ختام هلوليا الكبيرة، كختام للمزامير.

يبدأ سفر المزامير بتطويب الإنسان السالك في الوصية الإلهية والمتجنب للعثرة، خاصة مجالس الأشرار، وذلك للتمتع بمجاري مياه الروح القدس كي يحمل المؤمن ثمار الروح التي لا تنقطع (المزمور الأول). وفي هذا المزمور الأخير (حسب النص العبري) ينتهي السفر بدعوة مسكونية كي تشترك كل البشرية في الحياة السماوية المثقلة.

قلنا في المقدمة على سفر المزامير إن كثيراً من الدارسين يرون في هذا السفر تطابقاً مع أسفار موسى الخمسة:

تتغنى الكنيسة كما **بسفر التكوين** (مز 1-41)، حيث يتمتع الإنسان بالخلاص.

و**بسفر الخروج** (مز 42-72)، حيث يتمتع المؤمن بالعضوية الكنسية كطريق

للاتحاد مع المخلص.

و**بسفر اللاويين** (مز 73-89)، حيث يُبهر المؤمن بالهيكل الجديد المقدس المقام في

أعماقه.

و**بسفر العدد** (مز 90-106)، حيث يتقدس الجسد ليكون مع النفس في رحلة نحو

حضان الأب بالسيد المسيح القدوس.

وأخيراً **بسفر التثنية** (مز 107-150)، حيث يجد المؤمن لذته في كلمة الرب الحية

العاملة فيه.

جاء ختام الكتاب الخامس من المزامير يركز على كلمة " **سبحوا**" في المزامير 146

حتى 150. فإن غاية كلمة الرب الدخول بالمؤمن إلى الحياة السماوية المثقلة، وعودة الإنسان

إلى أصله قبل السقوط، بل وإلى ما هو أعظم مما كان عليه، حيث يتأهل للشركة مع

السماويين، فيتحول كما إلى قيثارة يعزف عليها الروح القدس بسيمفونية الحب والفرح الذي لا

ينقطع. لا نجد في هذه المزامير الخمسة أية نغمة للأنين أو الصراخ، بل نسبح بفرحٍ مجيدٍ لا يُعبر عنه.

هذا المزمور الختامي في النص العبري هو دعوة لتسبيح الرب. استخدمت كلمة "تسبيح" هنا 13 مرة.

1. أين نسبح الله؟ على المستوى المحلي والمسكوني، في الهيكل وفي السماوات [1]، نسبهه أينما وجدنا مادمنًا نود أن ننعم بعربون السماء.

2. لماذا نسبحه؟ من أجل أعماله معنا، ولأجله شخصه. كلما تعرفنا عليه وعلى أعماله نستعذب تسبيحه.

3. كيف نسبحه؟ بالصوت (الفم) كما بالآلات الموسيقية التي تشير إلى أعضائنا، بل وإلى كل كياناتنا الجسدي والروحي.

4. من الذين نسبحه؟ كل كائن يتنسم نسمة [6]، بل وحتى المخلوقات التي لا تتنفس تسبحه (148: 7-9). وبالتالي يلزمنا نحن البشر أن نسبحه. نسمة حياتنا هي من عنده (أع 17: 25)، لذا يجب أن نستخدمها لتسبيح اسمه.

النفس هو أضعف شيء فينا، لكننا نستطيع أن نكرسه لأعظم عمل قدمه، وهو التسبيح لله!

فسر القديس إكليمنضس السكندري المزمور 150 الذي تسبحه الكنيسة أثناء التناول من الأسرار المقدسة بطريقة رمزية جميلة، فيها قدّم الكنيسة المقامة بعريسها القائم من الأموات، كأداة موسيقية حيّة، يعزف عليها الروح القدس ليخرج تسبحة حب عذبة. يقول:

[في الخدمة الإلهية يترنم الروح...]

"سبّحوه بصوت البوق"، لأنه بصوت البوق يقيم الأموات.

"سبّحوه بالمزمار"، فإن اللسان هو مزمار الرب.

"سبّحوه بالقيثارة"، هنا يقصد الفم الذي يحركه الروح كالوتر.

"سبّحوه بطبول ورقص"، مشيرًا إلى الكنيسة التي تتأمل القيامة من الأموات، خلال وقع الضرب على الجلود (إشارة إلى الأموات).

"سبّحوه بالأوتار والأرغن"، يدعو جسدنا أرغنًا، وأعصابه الأوتار التي يضرب عليها الروح، فتعطي أصوات بشرية منسجمة.

"سبّحوه بصنوج حسنة الصوت": يدعو اللسان صريرًا، إذ يعطي الصوت خلال

الشفيتين.

لذلك يصرخ إلى البشرية قائلاً: "كل نسمة فلتسبح اسم الرب"، لأنه يعتري بكل مخلوق يتنفس. حقاً إن الإنسان هو آلة السلام.¹

في نفس الفصل الرابع من الكتاب الثاني من "المرّي" أوضح القديس إكليمنضس السكندري أن الكنيسة لم تستخدم في عصره الآلات الموسيقية ، معللاً ذلك بأن هذه الآلات استخدمتها الأمم والشعوب لإثارة الحقد والضئينة في الحروب، فكان شعب *Etruria* غرب وسط إيطاليا يستخدمون البوق، وشعب *Arcadia* باليونان يستخدمون المزمار، والكريتيون يستخدمون القيثارة، والمصريون يستخدمون الطبول، والعرب يستخدمون الصنوج في الحرب. أما آلة السلام الواحدة فهي "الكلمة" الذي به وحده نكرم الله. هذا هو ما نستخدمه! إننا لا نستخدم الآلات القديمة من مزمار وبوق وطبول وصفارة هذه التي يستخدمها المختصون في الحروب وفي حفلاتهم.

1. أين نسبح الله؟
 2. لماذا نسبحه؟
 3. كيف نسبحه؟
 4. من الذي نسبحه؟
- 3-5 (أ).
5 (ب).

1. أين نسبح الله؟

هَلُّوياً.

سَبِّحُوا اللَّهَ فِي قُدْسِهِ.

سَبِّحُوهُ فِي قَلْبِكُمْ قُوَّتِهِ [1].

هذه هي المرة الوحيدة التي جاءت فيها كلمة الله "أيل" مع كلمة "سبحوا"، وليس "يهوه".
فإذ يجتمع الخورس كاملاً، حاملين كل أدوات الموسيقى، ومرتلين جميعاً بصوتٍ واحدٍ في الهيكل، بروح الفرح مع القوة، يسبحون الله القوي الكائن بذاته، المقيم عهداً مع بني البشر، الذي يباركهم ويخلصهم للتمتع بالحياة الأبدية .

يشعر المرنمون وهم مجتمعون معاً في الهيكل كمن هم في السماء حيث المقادس

¹ Paedagogus 2:4.

² Cf. Adam Clarke, Ps. 150. ترجمة مريان فايز.

الإلهية، أو في حضن الله القدوس "قدسه". إنهم قائمون في فلك قوته!
 جاءت كلمة "جلد" هنا المستخدمة في تك 1: 6، وهي مشتقة من فعل معناه يضرب
 أو ينشر بالضرب مثل الذهب. فإله مُسبح بواسطة السمائيين كما بواسطة كنيسته المنتشرة
 والممتدة والمرتفعة كجلد السماء.

إذ يرتفع المؤمن بروح الله عن العالميات، يشهد لعمل الله الخلاصي وقدرته الفائقة،
 فيترنم: "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" (مز 19: 1).

إذ يبدأ المرثل بالتسبيح لله في قديسيه، يعلن التسبيح له في فلك قوته. وكما يقول
 القديس يوحنا الذهبي الفم إنه بهذا يعلن أن الله خلق السماء *sky* لأجل الإنسان، لا الإنسان
 لأجل السماء. كما يرى الذهبي الفم أن الملائكة الساكنين في السماء، يشاركون في التسبيح لله.

❖ من الواجب أن يُسبح الله من قبل السالكين في القداصة والموجودين فيها، لأنه خارج عن
 القداصة والطهارة تكون أرضاً غريبة. فكيف يمكن أن يُسبح الله في أرض غريبة؟ وكيف
 تُطرح القداصات للكلاب، والجواهر أمام الخنازير؟...

يقول النبي المعظم: "سبحوا الله في قديسيه"، أعني سبحوه وأنتم في مصاف القديسين.
 وأيضاً معناه سبحوا الله من أجل القديسين، شاكرين، لأنه جعل الناس بنعمته قديسين،
 وأضافهم إلى الملائكة، لأجل سيرتهم الطاهرة، ومنحهم مواهب عظيمة.

الأب أنسيئس الأورشليمي

❖ "سبحوا الرب في قديسيه" [1]. وفي نسخة أخرى: "في قدسه"، وفي ثالثة: "في المُقدَّس
 له". هنا إشارة إلى الشعب المقدس أو الحياة المقدسة أو القديسين.

لنلاحظ كيف بدوره يختم السفر بالشكر، معلماً إيانا كيف تكون بداية أعمالنا وكلماتنا
 ونهايتها هكذا (بالشكر). هكذا أيضاً يقول بولس: "كل ما عملتم بقول أو فعل، اشكروا الله
 الأب بالمسيح" (راجع كو 3: 17).

هذا هو طريق بداية صلاتنا، حيث نبدأ بالقول: "أبانا"، وهذا يحمل شكرًا، لأجل
 إحساناته، مظهرين أن هذا كله يليق أن يُنسب إلى اسمه.

بالقول: "أبانا" تعترفون بالبنوة، وبالاعتراف بالبنوة تعلنون عن البرّ والتقديس والخلص
 وغفران الخطايا والانقياد بالروح. تُقدم كل هذه أماننا، كما ترون، فنتمتع بالبنوة ونتأهل

¹ Cf. Adam Clarke, Ps. 150. ترجمة مريان فايز

لدعوة الله أبًا أ.

❖ يبدو لي أنه يلمح إلي شيء آخر بقوله: " في قديسيه" ... فهو يشكر، لأنه يقدم مثل هذا الطريق العجيب من الحياة إلى كياننا، بمعنى يجعل الكائنات البشرية ملائكة .
القديس يوحنا الذهبي الفم

2. لماذا نسبحه؟

سَبِّحُوهُ عَلَى قُوَاتِهِ .

سَبِّحُوهُ حَسَبَ كَثْرَةِ عَظَمَتِهِ [2].

نتطلع إلي عظمة قدرته وحبه ورعايته ونعمته وما يعده للمؤمنين من أمجاد سماوية أبدية وبرّه وعدله، لا نكف عن تسبيحه بكل طاقاتنا وبكل وسيلة. لا يُمكن إدراك عظمة الله في كمالها، ولا التعبير عنها، لذا لن نتوقف عن التسبيح له، مع دعوة كل الخلائق لتشاركنا تذوق عذوبة التسبيح له.

تسبيحنا لله العجيب في قدرته ومحبتّه، لا يسكب فقط عذوبة في نفوس مسبحيه، وإنما يهبهم أيضًا شركة معه، فيسكب فيهم من قدرته وصلاحه وبرّه، ويصيرون أيقونة حية تتجذب نحو الأصل.

❖ "سبحوه على قواته" [2]... أي خلال عجائبه، خلال القوة التي يعلنها في كل الأمور، في الذين في الأعالي والذين أسفل، في الجماعة ككل، والأشخاص على وجه خصوصي، في كل شخصٍ تحت أي ظرف، وفي كل الأشخاص في كل الظروف^N.

❖ "سبحوه حسب عظمته" ... ألا ترون عقلاً ملتهبًا بالنار، يجاهد ويعاني لكي يتغلب على محدوديته، ليطير إلى السماء عينها، وفي عبودية لله، يقدم له اشتياقه العميق^O؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. كيف نسبحه؟

سَبِّحُوهُ بِصَوْتِ الصُّورِ .

¹ On Ps. 150.

² On Ps. 150.

³ On Ps. 150.

⁴ On Ps. 150.

سَبَّحُوهُ بِرَبَابٍ وَعُودٍ [3].

صوت الصور (البوق) *showpaar*: جاءت الكلمة الأصلية تعني سمو الصوت

وبهجته وعظّمته .

برباب *neebel*:

العود: أصل الكلمة *kinowr* غير معروف معناها. وقد اقتبست كل اللغات الاسم عن العبرية. ووردت في الترجمة السبعينية قيثارة *kithara* أو كينارة *kinura*. وهي آلة وترية أخرى، يُعزف عليها بالأيادي أو الأصابع .¹ جاء في سفر التكوين (4: 21) أنه اخترعها يوبال. كثيرًا ما ذكرها المرثل (مز 32: 2؛ 43: 4؛ 49: 5) وأيضًا في إش 5: 12.

يرى البعض أن الآلات الموسيقية الواردة في هذا المزمور كانت مستخدمة في العبادة اليهودية. معظمها قد تجمع حاليًا في الأرغن، حتى لا تستخدم بالآلات منفصلة متعددة، بل يمكن لشخص واحد أن يستخدمها في تناغم معًا.

الرباب *nebel*: اشتقت عنها الكلمة اليونانية *nablion* واللاتينية *nablium* و *nabla*. وهي آلة منفوخة *hollow* وترية ربما تشبه الجيتار .² يظن أنها على شكل زجاجة كانت تستخدم في الشرق، ربما على شكل وعاء جلدي، كان يحفظ فيه الخمر (1 صم 10: 3؛ 25: 18؛ 2 صم 16: 1). كانت في البداية تصنع من خشب التنوب *fir*، وبعد ذلك صارت تصنع من شجرة *almug*، ويبدو أنها صارت بعد ذلك تصنع من المعدن (2 صم 6: 5؛ 1 أي 13: 6). كان الجزء الخارجي من الآلة من الخشب، تشد عليه أوتار بطرق مختلفة. يقول يوسيفوس إنه كان لها 12 وترًا، كما يقول إنه كان يُعزف عليها بالأصابع .³

يحسبها هيسخيوس آلة وترية، ويرى أنه كان يُلعب عليها باليدين معًا.

يرى القديس جيروم وايسدروس وكاسيدورس أنها كانت على شكل الحرف دلتا *D*

اليونانية.

سَبَّحُوهُ بِدُفٍّ وَرَقْصُ.

¹ Cf. Adam Clarke, Ps. 150.

² Cf. Adam Clarke, Ps. 150. ترجمة مريان فايز.

³ Cf. Adam Clarke, Ps. 150. ترجمة مريان فايز.

⁴ Cf. Adam Clarke, Ps. 150. ترجمة مريان فايز.

⁵ Antiq. B. viii, ch. X.

سَبِّحُوهُ بِأُوتَارٍ وَمِزْمَارٍ [4].

الدف: بالعبرية *top* وهي الطبلبة *drum*، آلة تضرب بالأيدي.
رقص: كان الرقص عند اليهود يصحبه استخدام الدفوف. يقول آدم كلارك إن الكلمة العبرية *maachowl* لا تعني مطلقاً الرقص.
أوتار أو آلات وترية *miniyim*.

مزمار *nwgaab*: مشتقة من كلمة *aagab* وتعني ينفخ. لم يُذكر عن هذه الآلة أو غيرها من آلات النفخ كانت تستخدم في الهيكل (كالمزمار *pipes*). ويرى البعض أنها ذكرت هنا، لأنها كانت تستخدم في عيد تدشين الأسوار كعلامة عن البهجة. وتمثل كل أصناف الآلات الموسيقية التي بالنفخ.

سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ التَّصْنُوتِ.

سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ الْهَتَافِ [5].

التسبيح بالصنوج بصوتٍ عالٍ وهتافٍ يتناسب مع التسابيح العالية (نح 12 : 27).
ما هي الصنوج العالية، إلا صوت القلب الداخلي الذي يبلغ إلى عرش نعمة الله دون عائق، والذي يترجمه المؤمن ببذل كل جهدٍ، وترك كل شيءٍ، حباً في ذلك الذي بذل ذاته عنا. تشبه الصنوج الأطباق، كل طبق يضرب في آخر، فيحدث صوتاً عالياً.
يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله أوصى باستخدام الآلات الموسيقية في العهد القديم من أجل ضعفهم الروحي، حتى تثيرهم للغيرة المقدسة والتسبيح لله. أما الآن وقد بلغ الإنسان النضوج الروحي، فإنه يستخدم كل أعضاء جسده كآلات موسيقية تعبر عما في قلبه من حبٍ وشكرٍ لله.

❖ إنه يشغل كل الآلات الموسيقية، ويبحث على تقديم الموسيقى له بواسطة جميعها، لتلهب عقولهم وتثيرها. وكما يحث اليهود أن يسبحوا الله بكل آلات الموسيقى، هكذا يحثنا أن نفعل هذا بكل أعضائنا الجسدية: العين واللسان والسمع واليد. وذلك كما أشار بولس في الكلمات: "أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية" (رو 12 : 1)
العين تسبح، كما ترون، عندما يكون بصرها مضبوطة؛ واللسان عندما يرنم، والسمع عندما لا يقبل نغمات شريرة، ولا سب قريبه. والفكر يسبح عندما لا يفكر في خطط شريرة، بل يرتبط بالحب. والقدمان يسبحان عندما لا يجريان نحو الشر، بل لممارسة الأعمال

الصالحة. واليدان عندما لا يُستخدمان في اللصومية والطمع والعنف، بل في تقديم الصدقة والدفاع ضد المخطئين. بهذا يصير الشخص قيّارة ذات نغمات تقدم لله نوعًا من السيمفونية المتناغمة الروحية.

لقد عُهد إليهم استخدام هذه الآلات الموسيقية في ذلك الحين بسبب ضعفهم، ولأجل تهدئة أرواحهم، فتمشى مع الحب والتناغم، ولإثارة عقولهم للعمل بما فيه الكفاية والمساهمة فيما هو لنفعهم، وهي تهدف نحو قيادتهم إلى الغيرة العظيمة خلال مثل هذا الاندماج (في الموسيقى) ^أ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما نرفع أيادنا الطاهرة في الصلاة، دون نزاع أو جدال (1 تي 2: 8)، نعزف على أداة ذات عشرة أوتار للرب. نعزف كما كتب المرثل، بأداة ذات عشرة أوتار وقيثارة، بلحن على قيثارة. أجسادنا ونفوسنا هما قيثارتنا تعمل في تناغم معًا بكل أوتارهم في لحن!

القديس جيروم

4. من الذي نسبحة؟

كُلُّ نَسْمَةٍ فَلْتَسْبِحِ الرَّبَّ.

هَلُّوِيَّا [5 ب].

مع استخدام كل آلة ممكنة للتسبيح، جاءت الدعوة لكل الكائنات العاقلة السماوية والأرضية أن تكون خورس واحدًا متناغمًا، يسبح لله. وكما يقول الرسول: "لكي تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح، بنفسٍ واحدةٍ، وفمٍ واحدٍ" (رو 15: 6).

إن أروع موسيقي تُقدم للتسبيح لله لا تصدر عن آلاتٍ صماءٍ وأوتارٍ لا حياة فيها، إنما عن قلوب ملتهبة بالحب لله والناس. الدعوة هنا موجهة للتسبيح بقلوبٍ مملوءة ثقةً و يقينًا ورجاءً في المخلص. نسبحة خلال ايماننا الحي، به نغلب قوات الظلمة، ونشارك السمائيين حبهم لله وطاعتهم ونقاوتهم ووحدهم معًا.

❖ ليتنا نسبح الله بلا انقطاع، فلا نفشل في تقديم التشكرات عن كل شيءٍ بالقول والفعل. هذه كما ترون، هي ذبيحتنا وتقدمتنا، هذه هي أسمى العبادة، تشبه حياة الملائكة. إن ثابرنّا على

¹ On Ps. 150.

² Homilies on the Psalms, 21.

تسبيح الله بهذه الكيفية، نعم بحياة بلا لوم، ونتمتع بالخيرات العتيدة¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يوجد كثيرون أحياء بالجسد لكنهم أموات ولا يقدرّون على التسبيح لله... ويوجد كثيرون ماتوا بالجسد لكنهم يسبحون الله بأرواحهم. إذ يقال: "باركوا الرب يا أرواح ونفوس الصديقين...". (راجع دا LXX 86:3)، "كل نسمةً فلتسبح الرب" (مز 5:150)، وفي سفر الرؤيا نجد نفوس الذين قُتلوا ليس فقط تسبح الله، بل وتطلب منه (رؤ 9:6-10). وفي الإنجيل يقول الرب للصدوقيين في وضوح تام: "أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، ليس الله إله أموات بل إله أحياء (لأن الكل يحيا فيه)" (مت 31:22-32). وعمن يتحدث الرسول قائلاً: "لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم، لأنه أعد لهم مدينة"² (عب 11:16)! فانفصالهم عن الجسد لا يجعلهم بلا عمل، ولا يفقدهم الإحساس والشعور.

الأب موسى

❖ تحفظ الخليقة كلها عيداً يا إخوتي، وكل نسمة تسبح الرب كقول المرتل (مز 150:5)، وذلك بسبب هلاك الأعداء (الشياطين) وخلصنا. بالحق في توبة الخاطيء يكون فرح في السماء (لو 15:7)، فكيف لا يكون فرح بسبب إبطال الخطية وإقامة الأموات؟ آه. يا له من عيدٍ وفرحٍ في السماء! حقاً. كيف تفرح كل الطغمة السمائية وتبتهج، إذ يفرحون ويسهرون في اجتماعاتنا، ويأتون إلينا، فيكونوا معنا دائماً، خاصة في أيام عيد القيامة! إنهم يتطلعون إلى الخطاة وهم يتوبون، وإلى الذين يحولون وجوههم (عن الخطية) ويتغيرون، وإلى الذين كانوا غرقى في الشهوات والترف، والآن هم منسحقون بالأصوام والعفة. أخيراً يتطلعون إلى العدو (الشيطان) وهو مطروح ضعيفاً بلا حياة، مربوط اليدين والأقدام، فنسخر به قائلين: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟" (1 كو 15:15)

¹ On Ps. 150.

² Cassian, *Conferences* 1:14.

فلنرم الآن للرب بأغنية النصر.

القديس أناسيوس الرسولي

من وحي المزمور 150

هلم نسيح الله في هيكل قدسه!

❖ كل الطغمام السماوية تهتف وتسيح بلا انقطاع!

هم في عيدٍ مستمرٍ،

وفرِحٍ مجيدٍ بلا انقطاع!

أنت سرّ تهليلهم وهتافهم.

تُرى هل أدعوك أن تميل أذنك وتقبل تسابيح قلبي،

أم تهبني روحك، يطير بي إلى سماواتك!

هناك يلذ لي التسبيح بلغة السمائيين.

❖ في الجو السماوي المجيد، لا تقتر شفاه المسبحين،

وها أنت تقيم ملكوتك السماوي في أعماقي!

هب لي أن أترك كل شيءٍ،

وأنسى كل ما هو حولي.

أدخل إلي أعماقي التي تقدسها.

هناك يلذ لي التسبيح!

❖ من يستحق أن يعزف بما يليق بقداستك.

روحك القدوس يتنازل ويحتضني.

يعزف على أوتار نفسي وعقلي وعواظفي،

بل وكل طاقات جسدي وأعضائي،

فأصير بالحق قيثارة فريدة.

هي من عمل روحك العجيب!

❖ يلذ لي أن أسبحك،

فأنت لا تحتاج إليّ تسبيحي، ولا إليّ صلاحي.

تسبيحك يرفعني إليّ سماواتك.

تسبيحك يدخل بي إليّ أحضانك.

تسبيحك يضمّني إليّ طغمة السمائيين.

تسبيحك يفتح بصيرتي،

فأنهل من أعماق معرفتك.

❖ تسبيحك يزيد عطش كل البشرية إليك!

متى أرى كل إنسانٍ قد صار عضواً في الخورس السماوي!

لثُعد يا رب بروحك القدس كل البشر،

فيصير الجميع مع السمائيين خورس تسبيح فريداً وعجيباً!

لك المجد يا واهب التسبيح وقابله ذبيحة حبٍ فائقة!

المزمور المائة والواحد والخمسون

داود للانتصار علي جليات

وُجد هذا المزمور في الترجمة السبعيني ة، وفي النسخة الإسكندرنية. أشار إليه القديسان أنثاسيوس الرسولي ويوحنا الذهبي الفم وأيضا أبوليناريوس وغيرهم، لكنه لا يوجد في النسخة العبرية، ولا في ترجمة فولجاتا.

المزمور 151 وتساييح سبت النور

يحتل هذا المزمور مركز الصدارة في تساييح قيامة رب المجد يسوع. فما أن تحتفل الكنيسة بدفن رب المجد يسوع في الجمعة العظيمة، حتى نتغنى به، إذ ترتفع أنظارنا إلى نفس السيد المسيح وقد انطلقت إلى الجحيم ، لتكسر للذين ماتوا على الرجاء. دخلت نفسه التي لم يفارقها لاهوته، وحملت نفوس جميع المؤمنين الذين سباهم الموت ليطلقها إلى الفردوس، محطماً متاريس الهاوية.

يفتح الكاهن ستر الهيكل في بدء الاحتفال بسبت الفرح، ويحمل الإنجيل ملفوفاً بكتانٍ أبيض، يحمله أمام جبهته، وقد ارتدى ثياب المجد (البرنس) ليقدم هذا المزمور بلحنٍ فريدٍ رائعٍ ومبهجٍ للغاية. كأن الكنيسة اختارت هذا المزمور لتبدأ به الاحتفال بعيد القيامة التي اختبرها الذين كانوا في الجحيم قبل أن يختبره التلاميذ والمريمات في صباح الأحد. يقف الكاهن ليعلن بروح البهجة عن قيامة السيد المسيح وعملها في حياة المؤمنين الذين رقدوا. هذا ما نلمسه في تفسيرنا لهذا المزمور.

ما أكثر المزامير والتساييح التي تنبأت عن القيامة السيد المسيح بكل وضوح وصراحة وبروح الفرح والبهجة، فلماذا اختارت الكنيسة هذا المزمور لتفتتح به الاحتفال الكنسي التعبدي المبهج لسبت الفرح؟

1. حمل كل أب من الآباء البطارقة الأولين (إبراهيم وإسحق ويعقوب) والأنبياء صورة لجانبٍ من جوانب شخص السيد المسيح أو عمله الخلاصي. أما داود النبي فامتاز بأن نُسب إليه السيد المسيح أو المسيا، بدعوته "ابن داود". وقد جاء هذا المزمور يكشف عن علة دعوة المسيح القائم من الأموات بابن داود.
2. بدأ المزمور بالحديث عن داود أصغر إخوته، حتى عندما جاء صموئيل النبي

كطلب الرب أن يختار أحد أبناء يسى ليمسحه ملكاً. قدم يسى كل أبنائه دون الصبي داود الذي كان يرعى غنم أبيه. ولعل في هذا استخفافاً به لأنه أصغرهم. وجاء السيد المسيح ليحتل آخر صفوف البشرية، ليحسب نفسه الأخير بروح التواضع، يفتح ذراعية بالخلاص للجميع.

3. يعلن داود النبي عن اعتزازه بالتسبيح بروح الفرح. فقد دُعي " مرثم إسرائيل الحلو" (2 صم 23: 1). وجاء مسيحنا ليردنا إلى الحياة الفردوسية المتهللة، حتى يحق لنا الانضمام إلى خورس السمائيين، نشاركهم تسابيحهم وفرحهم السماوي.

4. اختياره ليكون مسيح الرب. قيل عن السيد المسيح أنه ممسوح بزيت البهجة، فقد كرس حياته لتقديم الخلاص عن العالم كله. مُسح داود ملكاً على إسرائيل، أما السيد المسيح فيملك على قلوب البشرية، ويقيم منهم ملوكاً وكهنة لله أبيه.

5. يرى داود النبي في إخوته أنهم حسان أو مملوعين جمالاً، لكن ما يُسر به الله هو الجمال الداخلي، الذي لم يستطيعوا أن يتمتعوا به، إنما تمتع به داود الذي يشهد له الرب نفسه أنه وجد ابن يسى رجلاً حسب قلبه (أع 13: 22؛ 1 صم 15: 22). أما السيد المسيح فهو الجمال عينه الذي يسكبه على المؤمنين، فيقيم منهم العروس السماوية المقدسة التي بلا لوم ولا عيب ولا دنس ولا غضن.

6. قائد معركة فريدة: هذا الصبي راعي الغنم الممسوح ملكاً خفية، يقف بدون الأسلحة المتعارف عليها سواء كان سيفاً أو رمحاً أو خوذة، إنما يدخل المعركة بمقلع مع خمسة حجارة صغيرة ملساء أمام الفلسطيني العملاق بأسلحته، وإذ باسم الرب يقذفه بحجرٍ صغيرٍ، فيلقيه أرضاً ويقتله بسيفه. إنها صورة لعمل الصليب حيث يضرب السيد المسيح إبليس في جبهته، وبالصليب الذي أراد إبليس أن يتخلص من السيد المسيح تحطم إبليس، وفقد سلطانه ومملكته على أولاد الله! معركة فريدة انتهت بتحطيم إبليس، وتحرير أولاد الله من أسرهِ، وتقديم مجد القيامة لهم. هكذا نزع السيد المسيح بقيامته العار عن البشرية، ووهبها حق الشركة في الأمجاد الأبدية.

العنوان

جاء في الترجمة السبعينية: " هذا مزمور كتبه داود بيده، مع أنه خارج العدد. عندما

حارب في معركة واحدة مع جليات."

ماذا يعني " خارج العدد"؟ قبل اليهود في كتاب المزامير 150 مزموراً، وحُسب هذا

المزمور خارج كتاب المزامير، لا يدخل في تعداد المزامير.

من الجانب الروحي وأيضًا المسياني، فإن السيد المسيح الذي جاء إلى العالم، وحلّ بين البشرية كواحدٍ منهم، صار مرفوضًا. وكأنه حُسب خارج العدد. "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" (يو 1: 11). حسبته البشر أنه غير أهلٍ ليكون بينهم، فصلبوه خارج المحلة. وكما يقول الرسول بولس: "فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة، حاملين عاره" (عب 13: 13). لقد صلب السيد المسيح ونحن بعد أعداء ليصالحنا مع أبيه (رو 5: 10)، ويدخل بنا إلى حضنه، أما البشر فرفضوه!

حينما يحمل المؤمن سمات مسيحه أو يصير أيقونة له، يتوقع أن يُحسب معه خارج

العدد.

1. الراعي الصغير 1
2. مرثم إسرائيل الحلو 2.
3. مسحه بزيت البهجة 3-5
4. معركة مقدسة 6-8

1. الراعي الصغير

"أنا صغيرًا كنت في إخوتي،

وحدثًا في بيت أبي.

كنت راعيًا غنم أبي" [1].

كثيرًا ما يردد داود المرتل أنه يذكر أعمال الله معه في القدم. إنه لن ينسى أنه إذ كان أصغر إخوته، وأكلت إليه رعاية غنمات أبيه، كان الله يعده لرعاية أعظم، قطيع الله العاقل.

تذكره لصبوته حفظه ليسلك دائمًا بروح التواضع، مدرّكًا أن لا فضل له فيما بلغه من

مراكز أو نجاح. كما قدم له نوعًا من الثقة والانتكال على الله الذي اختاره دون إخوته الحسان

ليكون نبيًا وملكًا على شعب الله!

تواضعه مع ثقته في عمل الله كانا السند له في حياته، ومصدر فرح وترنم وتسييح

حتى في أشد لحظات الضيق.

يرى القديس أغسطينوس¹ في اختيار داود الأصغر دون إخوته الأكبر منه عملاً

¹ On Ps. 78 (9).

رمزيًا لاختيار الأمم كأعضاء في كنيسة العهد الجديد ، فيملكون في الرب دون اليهود الذين سبقوهم في المعرفة ، لكنهم رفضوا الإيمان. وكأن الأمم هم داود الأصغر الذي تقبل نعمة الملكية من قبل الله دون إخوته الأكبر منه، وكما يقول السيد المسيح نفسه: "هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخريين". (مت 20: 16) بنفس الطريقة فضل هابيل عن أخيه الأكبر وإسحق عن إسماعيل ويعقوب عن عيسو المولود معه وهم اتوأمان. وأيضًا فارص عن زراح (تك 38: 29).

اختيار داود الأصغر بين إخوته ملكًا يرمز إلى رب المجد يسوع الذي احتل آخر الصفوف، فصار الصغير بين إخوته، أصغر من في بيت أبيه، لكي يبسط يده، فيحتضن الكل، ويدخل بهم إلى أحضان أبيه. صار عبدًا من أجلنا، لكي بالصليب يملك في قلوبنا. إنه آدم الثاني الذي ملك عوض آدم الأول (رو 5) ليكون رأسًا للبشرية، قادرًا أن يقيمها ويجدها. تطلع المرتل إلى مسيحن المخلص القائم من بين الأموات، فقال: "لأن الرب عالٍ، ويرى المتواضع، أما المتكبر فيعرفه من بعيد". (مز 138: 6) إنه قريب من المتواضع، ويعيد عن المتكبر. فإذ صار الأصغر، إنما ليضم المؤمنين الحقيقيين إلى العضوية في بيت أبيه، فيكون بالحق قريبًا من المتواضعين، لا من جهة المسافة المكانية، وإنما من جهة اتحادهم معه، بكونهم أعضاء في جسده، ليصيروا أهل بيت الله (أف 2: 19). بهذا أعلن رعايته لقطيع أبيه فيقول: "كنت راعيًا غنم (قطع) أبي" [1].

يريد رب المجد أن يجد راحته في قلبك، فيسند فيه رأسه، إن صار متواضعًا كبيت

لعازر.

يُعلّق القديس جيروم على ذهاب السيد إلى بيت عنيا قائلاً: [كان شديد الفقر بعيدًا كل البعد عن التملُّق ، فلم يجد في المدينة الكبيرة (أورشليم) مأوى أو مسكنًا، إنما سكن عند لعازر وأختيته في بيت صغير جدًا في بيت عنيا.]

❖ صار حمل الله حملًا صغيرًا بريئًا، يُقاد للذبح لكي ينزع خطية العالم (إش ٥٣: ٧؛ يو ١: ٢٩). الذي يهب الكلام (الكلمة) لكل صار مقارنًا بحمل صامتٍ أمام جازيه (إش ٥٣: ٧)، لكي نتطهر نحن جميعًا بموته، الذي يُوزع كدواءً ضد تأثيرات العدو، وضد خطية الذين يشناقون إلى قبول الحق. فإن موت المسيح أبطل القوات المقاومة للجنس البشري، وأباد

بسلطانٍ لا يوصف الحياة في الخطية في حياة كل مؤمنٍ .

العلامة أوريجينوس

❖ يكشف ابن الله السرّ السماوي، معلناً نعمته للأطفال وليس لحكاماء هذا الدهر (مت 11: 25). يذكر الرسول بولس ذلك بالتفصيل: "لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يُعرف الله بالحكمة استحسّن الله أن يُخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة" (1 كو 1: 21). من يعرف أن ينتفخ أو يعطي كلماته زنين الحكمة فهو حكيم (هذا الدهر)، أما الطفل فيقول: "يا رب لم يرتفع قلبي، ولم تستعلّ عيناي، ولم أنظر في العجائب والعظائم التي هي أعلى مني" (مز 131: 1)، هذا يظهر صغيراً لا في السن، ولا في الفكر، وإنما بتواضع، خلال ابتعاده عن المديح، لذا يضيف: "لكن رفعتُ عينيّ مثل الفطيم من اللبن من أمّه". تأمل عظمة مثل هذا الإنسان في كلمات الرسول: "إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصّر جاهلاً لكي يصير حكيمًا، لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله" (1 كو 3: 18-19).

القديس أمبروسيو

❖ قام نعمان وذهب واغتسل رمزاً للمعمودية، فصار جسمه كجسم صبي صغير. من هو هذا الصبي؟ إنه ذلك الذي يُولد في جرن التجديد .

العلامة أوريجينوس

❖ نحن السمك الصغير بحسب سمكتنا يسوع المسيح قد وُلدنا في المياه، ولا نكون في أمان بطريق ما غير بقائنا في المياه على الدوام.

العلامة ترتليان

هذا ويليق بنا في تواضعنا ألا نكف عن التمتع بالغذاء الروحي، لكي ننمو ونصير ناضجين بعمل نعمة الله. يقول القديس أمبروسيو: [الإنسان الناضج (روحياً) وحده يتخطى أركان هذا العالم].

❖ طالما بقيت النفس صغيرة وغير كاملة النمو فهي تحت الوصايا والمعلمين. هؤلاء هم

¹ Commentary on John, Book 1:233.

² In Luc. 10.

³ Origen: Comm. Jos 6:47, 48; In Luc - hom 33. Origen: Comm. Jos 6:47, 48; In Lue - hom 33.

الملائكة الذين تَسَمَّوا بحراس الأطفال، ويُعاينون على الدوام وجه الله في السماء. هم إذاً محاكاة للذهب، يُعطي للنفس التي لم تتغذَّ بعد بالغذاء القوي للكلمة.

العلامة أوريجينوس

2. مرثى إسرائيل الحلو

يادي صنعتك الأرعن،

وأصابعي الفت المزمارة. الليلويا [2].

ما هذا العود (أو هذه القيثارة) التي تطرد الروح الشرير لتهب الإنسان راحة (1 صم 16: 23) إلا كلمة الله في العهدين الجديد والقديم، إذ تحوي أوتار الشريعة والنبوت والتساويح والأناجيل والكتابات الرسولية الخ. ، كأوتار متباينة لكنها تعمل معاً في انسجام لتهب المؤمن راحة وسلاماً.

يقول العلامة أوريجينوس: [الكتاب المقدس هو آلة الله الواحدة الكاملة والمنسجمة معاً، تعطي خلال الأصوات المتباينة صوت الخلاص الواحد للراغبين في التعلُّم، هذه القيثارة التي تبطل عمل كل روح شرير وتقاومه، كما حدث مع داود الموسيقار في تهدئة الروح الشرير الذي كان يتعب شاول].

3. مسحه بزيت البهجة

من هو الذي يخبر سيدي؟

هو الرب الذي يستجيب للذين يصرخون إليه [3].

هو أرسل ملاكه،

وأخذني من غنم أبي،

ومسحني بدهن مسحته [4].

السيد المسيح الجالس على الكرسي إلى الأبد، والمسجود له من القوات الملائكية، يملك على الشعب بالحب. إنه البار وحده، الذي بلا خطية، قد مُسح منذ الأزل من قِبَل الآب لتحقيق الخلاص خلال تجسده وحياته بيننا وتقديم نفسه ذبيحة حب عنا. هنا تلتحم إرادته الإلهية مع تقواه الشخصية لتحقيق غايته فينا. وكما يقول الرسول: " أُحِبِّتُ الْبِرَّ ، وَأُبْغِضْتُ

¹ In Matt. Book 2.

الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك". (عب 1: 9)
وأوصت الشريعة الموسوية بمسح أشخاص (الملوك والكهنة)، وأماكن (الهيكل)،
والآنية المكرسة لخدمة بيت الرب الخ. غاية هذه المسحة أن الشخص أو الشيء يصير مكرساً
لله وحده. كان هذا كله عبر الأجيال يشير إلى مجيء المسيح الذي مسحه الآب بزيت البهجة
(مز 45: 7)، ليبشّر المساكين (إش 61: 1). فهو موضع سرور وبهجة الآب، لأنه وهو
الكلمة الإلهي والابن وحيد الجنس، يتجسد ليصالح البشرية كلها مع الآب، فيبعث الفرح
السماوي على المساكين الذين حرّموا من فيض بهجة الحياة السماوية.
مُسح لكي نمسح نحن فيه، بكوننا أعضاء جسده، فحسب مسحاء.

❖ بحق دُعيتم للمسيح، وعنكم قال الله: "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (مز 105: 15).

جُعِلتُم مسحاء بقبولكم نموذج¹ الروح القدس. وكل الأشياء عُمِلت فيكم امتثالاً
(بالمسيح)، لأنكم صورة المسيح. هو اغتسل في نهر الأردن، ونشر معرفة ألوهيته في
الماء. وصعد منها، وأضاء عليه الروح القدس في تمام وجوده وحلّ كذلك عليه. ولكم أنتم
فتشبه ذلك بعد أن سعدتُم من الإنبايع المقدسة صار لكم دهن شبه الذي مُسح به المسيح.
وهذا هو الروح القدس الذي قال عنه المطوّب إشعياء في نبوته عن شخص الرب: "روح
السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني". (إش 61: 1)

لأنهم لم يُمسحوا بالمسيح بأناس بزيت أو دهن مادي، لكن الآب عينه من قبل ليكون
مخلصاً للعالم أجمع، كما قال بطرس: "يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحها الله بالروح
القدس". (أع 10: 38)

صرخ داود النبي أيضاً قائلاً: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة
قضيب ملكك. أحببت البرّ، وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج
أكثر من رفقائك". (مز 45: 6، 7)

وإذ صُلب المسيح ودفن وقام حقاً، أنتم في العماد حُسبتم جديرين أن تصلبوا وتدفنوا
وتقوموا معه على مثاله: هكذا في الدهن أيضاً. وكما مسح بزيت مثالي، زيت الابتهاج،

¹ الكلمة اليونانية "نموذج" لا تعني نموذجاً رمزياً بل كما ورد في عب 24: 9.

لأنه منشئ الفرح الروحي، هكذا أنتم مُسحتم بدهن، إذ أصبحتم شركاء للمسيح وأتباعه .
القديس كيرلس الأورشليمي

❖ من اعتمد يلزم أن يُمسح أيضاً، لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله ويأخذ نعمة المسيح .

القديس كبريانوس

❖ إن اسم المسيح من المسحة، فكل مسيحي يقبل المسحة، إنّما ذلك ليس للدلالة على أنّه صار شريكاً في الملكوت فقط، بل صار من المحاربين للشيطان.

القديس أغسطينوس

إخوتي حسان،

وهم أكبر مني،

والرب لم يُسر بهم [5].

عندما أراد صموئيل النبي مسح الابن الأكبر رآب: (غالبًا هو اليهو الذي صار رئيسًا على سبط يهوذا)، قال له الرب: "لا تنظر إلى منظره وطول قامته، لأنني قد رفضته؛ لأنه ليس كما ينظر الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى العينين، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب" (1 صم 16: 7). وكما يقول القديس إكليمنضس الإسكندري: [لم يمسح من كان وسيماً في هيئته، بل من كان جميلاً في النفس].

اختاره الله من أجل نقاوته الداخلية وجمال نفسه لا من أجل هيئته الخارجية. لقد سبق أن أعطاهم الرب شاول ملكاً، وكان طويل القامة وحسن الصورة حسب طلبهم، أما الآن فيهبهم ملكاً حسب فكره.

هكذا عبّر يسي أولاده السبعة أمام صموئيل، ولم يختار الرب أحداً منهم، وأخيراً استدعى أصغر الأبناء الذي كان يرعى الغنم، ليُمسح راعياً على غنم الله الناطقة.

4. معركة مقدسة

خرجت للقاء الفلسطينيين،

¹ مقال 21 (الأسرار 3): 1، 2.

² Letter, 70.

³ Paed. 3: 2.

فلعنني بأوثانه [6].

قدم لنا قيصريوس أسقف Arles تفسيراً رمزياً لقصة داود وجليات نقلاً عن القديس أغسطينوس، جاء فيه:

[عندما أرسل (يسى) ابنه داود لينظر إخوته، يبدو أنه كان رمزاً لله الأب. أرسل يسى داود يبحث عن إخوته، وأرسل الله ابنه الوحيد الذي قيل عنه: "أخبر باسمك إخوتي" (مز 22: 23). بالحقيقة جاء المسيح يبحث عن إخوته، إذ قال: "لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة" (مت 15: 24).

"قال يسى لداود ابنه: خذ لإخوتك إيفة من هذا الفريك وهذه العشر الخبزات واركض إلى المحلة إلى إخوتك". الإيفة يا إخوة هي ثلاث كيلات؛ في هذه الكيلات الثلاث، نفهم سرّ الثالوث. لقد عرف إبراهيم هذا السرّ جيداً عندما تأهل لإدراك سرّ الثالوث في الثلاثة أشخاص تحت شجرة البطمة بممر، فأمر أن يُعجن ثلاث كيلات دقيق (تك 18: 6). إنها ثلاث كيلات، لذلك أعطى يسى ذات الكمية لابنه. وفي العشر قطع من الجبن ندرك الوصايا العشر للعهد القديم. هكذا جاء داود ومعه الثلاث كيلات والعشر قطع من الجبن ليفتقد إخوته الذين كانوا في المعركة، إذ كان المسيح قادمًا بوصايا الناموس العشر وسرّ الثالوث ليحرر الجنس البشري من الشيطان.

[يقول القديس أغسطينوس: عندما مسح داود بواسطة الطوباوي صموئيل قبل مجيئه إلى هنا قتل أسداً ودباً بغير أسلحة، كما أخبر الملك شاول بنفسه. الأسد والدب يشيران كلاهما إلى الشيطان، إذ تجاسر على الهجوم ضد بعض من غنم داود، فخنقهما بقوته. ما نقرأه إنما هو رمز أيها الأعداء المحبوبون؛ ما رمز به بباود تحقق في ربنا يسوع المسيح، الذي خنق الأسد والدب عندما نزل إلى الجحيم ليحرر كل القديسين من مخالبيهما. أنصتوا إلى توسل النبي إلى شخص ربنا: "أنقذ من السيف نفسي، وأنا وحيد في فك الكلب. خلّصني من فم الأسد". (راجع مز 22: 20-21)

إذ يحمل الدب قوته في مخالبه، والأسد في فمه، هكذا يُرمز للشيطان بهذين الوحشين. لذا قيل عن شخص المسيح إنه ينزع كنيسته الوحيدة من اليد، أي من قوة الشيطان وفمه. إذ جاء داود وجد الشعب اليهودي حالاً في وادي البطم *Terebinth* لمحاربة الفلسطينيين، لأن المسيح - داود الحقيقي - كان يجب أن يأتي كي يرفع الجنس البشري من

¹ Caesarius of Arles: Serm. 121: 1, 2.

وادي الخبية والدموع. لقد وقفوا في الوادي في مواجهة أمام الفلسطينيين. كانوا في وادٍ، لأن ثقل خطاياهم أنزلهم إلى تحت. على أي الأحوال، ك انوا واقفين غير متجاسرين على محاربة الأعداء. لماذا لم يجسروا على ذلك، لأن داود رمز المسيح لم يكن قد جاء بعد. هذا حق أيها الأعرء الأعباء. من يقدر أن يحارب الشيطان قبل أن يحرر ربنا المسيح الجنس البشري من سلطانه؟ الآن كلمة "داود" تعني "كقوي في اليد". من هو أقوى يا إخوة من ذاك الذي غلب العالم كله متسلحًا بالصليب، وليس بسيفٍ!؟

وقف أبناء إسرائيل 40 يومًا ضد الأعداء . تشير هذه الأربعين يومًا إلى الحياة الحاضرة التي فيها لا يكف المسيحيون عن الحرب ضد جليات وجيشه، أي ضد الشيطان وملائكته (رقم 4 تشير إلى الفصول الأربعة للعام، و10 إلى كمال الزمن).

جاء داود ووجد الشعب يحارب ضد الفلسطينيين. لم يوجد من يجسر أن يدخل إلى المعركة بمفرده. ذهب رمز المسيح (داود) إلى المعركة يحمل عصا في يده ضد جليات. بهذا أشار بالتأكيد إلى ما قد تحقق في ربنا يسوع المسيح - داود الحقيقي - إذ جاء وحمل صليبه ليحارب جليات الروحي، أي الشيطان.

لاحظوا يا إخوة أين ضرب داود الطوباوي جليات: في جبهته ، حيث لم توجد عليها علامة الصليب. كما أن العصا رمزت إلى الصليب هكذا الحجر الذي ضرب به جليات يرمز إلى ربنا يسوع، لأنه هو الحجر الحيّ الذي كُتِب عنه: "الحجر الذي رفضه البنا وون هذا صار رأسًا للزاوية" (مز 117: 22).

وقف داود على جليات وقتله بدون سيف ، إنما استخدم سيف جليات نفسه . هذا يشير إلى أنه عند مجيء المسيح يُهزم الشيطان بذات سيفه. حقًا إن الشيطان بمكره وظلمه الذي أجراه ضد المسيح، فقد سلطانه على كل المؤمنين بالمسيح.

وضع داود أدوات جليات في خيمته، ونحن كُنَّا أداة في يد الشيطان، لذلك يقول الرسول: "لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيدًا للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيدًا للبرّ للقداسة" (رو 6: 19). وأيضًا: "ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخبية" (رو 6: 13). حقًا لقد وضع المسيح أدوات عدوه في خيمته عندما استحققنا نحن الذين كنا مسكنًا للشيطان أن نصير هيكلاً للمسيح، وهو يسكن فينا. يؤكد الرسول أن المسيح يسكن في داخلنا بقوله: "ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم" (أف 3: 16-17). يكرر بولس الرسول نفسه أننا نسكن في المسيح بقوله: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح" (غل 3: 27).

ويقول ربنا يسوع لتلاميذه في الإنجيل: "إني أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم". (يو 14: 2)

حقيقة إصابة جليات في جبهته دون أي عضو آخر يرمز إلى أمر يحدث لنا. عندما يُرشم طالب العماد على جبهته يكون ذلك بمثابة ضربة لجليات الروحي، هزيمة للشيطان. يحمل على جبهته مسحة الروح، وكأنه قد وُسم بالعبارة "قدس للرب"، خلالها يتمتع بنعم السيد المسيح التي تقديس الفكر (الجبهة) كمدخل لحياة الإنسان الداخلية.

خلال نعم المسيح يُطرد الشيطان من قلوبنا، لذا نحاول قدر المستطاع بمعونته ألا نقبل الشيطان في داخلنا مرة أخرى بإرادتنا، بأعمالنا الشريرة وأفكارنا الماكرة الفاسقة. لأنه في هذه الحالة (إن قبلناه) يتحقق فينا المكتوب... "إذ خرج الروح النجس من الإنسان، يجتاز في أماكن ليس فيها ماء، يطلب راحة ولا يجد. ثم يقول: أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه. فيأتي ويجده فارغًا مكنوسًا مزينًا. ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أشر منه فتدخل وتسكن هناك، فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله. هكذا يكون أيضًا لهذا الجيل الشرير". (مت 12: 43-45)

الآن، مادمنًا بنعمة المعمودية قد تخلصنا من كل الشرور بدون استحقاق سابق من جانبنا، فلنجاهد بمعونة الرب كي نمثلي بالبركات الروحية. كلما أراد الشيطان أن يجربنا نجدنا دومًا مملوءين من الروح القدس، ومرتبطين بأعمال صالحة، بهذا يتحقق فينا القول: "من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت 10: 22).¹

**لكن أنا سللت سيفه الذي كان بيده،
وقطعت رأسه [7].**

ضرب داود النبي رقبة جليات الجبار بسيفه، وكان في ذلك رمزًا لابن داود الذي استخدم أسلحة إبليس ليضربه بها.

❖ غلب المسيح الشيطان بالوسائل التي غلب بها الشيطان العالم. لقد حاربه بأسلحته الخاصة التي استعملها هو. كيف؟ إليك ذلك:

العذراء، والخشبة، والموت، كانت علامات انكسارنا. **فالعذراء** كانت حواء التي لم تكن بعد قد عرفت الرجل. **والخشبة** كانت الشجرة، **والموت** عقوبة آدم.

فالعذراء والخشبة والموت التي كانت وسائل الانحدار، صارت هي نفسها وسائل

¹ Caesarius of Arles: Serm. 121: 3-8.

الغلبة.

فمریم قامت مقام حواء، وخشبة الصليب بدلاً من شجرة معرفة الخير والشر، وموت المسيح بدلاً من موت آدم. وهكذا ترون أن الشيطان غلب بالوسائل نفسها التي ساعدت على انتصاره.

لقد غلب الشيطان آدم بعود الشجرة، والمسيح صرع إبليس بعود الصليب. عود الشجرة ألقى بآدم في الجحيم، وعود الصليب أنقذ منه من كانوا قد انحدروا إليه. العود الأول عرّى الإنسان من السلاح، وسبّب له الموت، والثاني جرّد هذا الظافر (أي إبليس) من سلاحه، وشهّره، وغلبه على مرأى من العالم.

ملك موت آدم على كل الذين جاءوا بعده، أما موت المسيح فأقام من وُلدوا قبله. من يُخبر بقوة الرب (مز 104: 2). لقد اجتزنا من الموت إلى عدم الموت: هذه هي معجزة الصليب... الرب حارب والإكليل لنا. إذن بما أن الغلبة لنا، ليتنا نفتدي بالجنود، ولننشد اليوم في بهجتنا نشيد الظفر. لنقل مادحين الرب: "قد ابتلع الموت إلى غلبة". فأين شوكتك أيها الموت؟ وأين غلبتك يا هاوية؟ (1 كو 15: 54-55)

هذه هي الإحسانات التي وهبها لنا الصليب، شعار غلبه منصوب ضد الشياطين، وسيف ضد الخطيئة، سيف غلب به المسيح الحية. فالصليب هو مشيئة الآب، مجد الابن، انتصار وتمجيد الروح القدس، وشرف الملائكة، وأمان الكنيسة، وموضوع مجد لبولس، وثرس القديسين، ونور العالم. لأنه كما تُبَدّد ظلمات مسكن مُظلم بإيقاد مصباح ووضعته على مكان عالٍ، هكذا إذ أثار المسيح الصليب كسراج وأقامه منصوباً، طرد كل ظلمات الأرض. وكما أن السراج يحمل نوراً في أعلاه، هكذا الصليب كان يحمل في أعلاه المسيح شمس البرّ الباهرة. ارتعد العالم، واهتزت الأرض، وتشققت الحجارة عندما رآته مصلوباً. تشققت الحجارة لا قسوة اليهود. وانشق حجاب الهيكل ودسيستهم المخزية لم تتراخ.

القديس كيرلس الكبير

ونزعت العار عن بني إسرائيل.

الليلويا [8].

في معركة الصليب، حطّم السيد المسيح مملكة إبليس، ووهبنا سلطاناً، ونزع العار

¹ ميمر للقديس كيرلس الكبير عن الصليب - الكتاب الشهري للشباب والخدام - مارس 2009 - بيت التكريس لخدمة الكرازة.

عنا .

تارة يصف الكتاب المقدس الشيطان ككتين رهيب أو أسد يزمرج أو تمساح يفترس الخ، وأخرى كثعلب صغير لا قوة له. فإن واجه الإنسان عدو الخير بقدراته الذاتية يرتعب أمام هذا العدو العنيف، وإن اختفى في نعمة الله يراه حقيراً، عاجزاً عن الإضرار به.

قيل عن إبليس في سفر أيوب: "أتلعب معه كالعصفور، أو تربطه لأجل فتياتك؟" (أي 41: 5). الطير الذي يُروض يمكن اللعب به لأجل التسلية والترفيه، لكن الأمر ليس هكذا بالنسبة للويثان. لأجل التسلية تُصطاد الطيور، وتوضع في أقفاص، لتقف حولها الفتيات الصغيرات يتمتعن برؤيتها. في بعض البلاد غير المتقدمة يقوم الآباء بربط الطيور بخيط لكي ما يلهو بها أطفالهم كنوع من التسلية.

❖ الشيطان الذي كان ملكاً صار في عارٍ، فنسج لنفسه تيجاناً من الكذب.

فُذف بعرشه، لأن الله في العالم!

"الطفل" جاء في المذود، فطرد الشيطان من مملكته!

❖ نُحر الظلام ليعني أن الشيطان قد انهزم، والنور يظهر.

ليصرخ معلنا أن الابن البكر قد انتصر.

الشيطان المظلم قد اندحر مع الظلام،

والنور الذي لنا غلب مع الشمس .^١

القديس مار أفرام السرياني

❖ هو الذي سيق كحملٍ، وذُبح كخروفٍ، نجَّانا من عبودية العالم كما من أرض مصر، وحلَّنا

من قيود عبودية الشيطان كما من يد فرعون، وختم نفوسنا بروحه وأعضاء جسمنا بدمه.

هو الذي غطى الموت بثوب العار، وجعل الشيطان في ثوب الحداد، كما صنع موسى

بفرعون .^٢

ميريتو من ساردس

❖ ليت المراحم الإلهية تهبنا ألا نجد خصمنا شيئاً من أعماله فينا، فإنه إذ لا يجد شيئاً مما

^١ تسايح الميلاد، 14: 11.

تسايح الميلاد.

³ Paschal Homily, 67-69.

له، يعجز عن أن يحتفظ بنا أو يستدعينا من الحياة الأبدية.
لنمتحن الأماكن السرية لضميرنا ونفحص خبايا قلوبنا، وإذ لا نجد شيئاً يخص
الشیطان نفرح ونشكر الله. بعونه نجتهد قدر ما نستطيع أن تبقى أبواب قلوبنا مفتوحة على
الدوام للمسيح ومغلقة أمام الشيطان إلى الأبد.
إن اكتشفنا شيئاً من أعمال الشيطان أو مكره في قلوبنا، فلنسرع ونلقيه خارجاً،
ونتخلص منه كما من سمٍ مميتٍ. عندئذٍ عندما يريد الشيطان أن يصطادنا في شباكه لا
يجد فينا شيئاً مما له، يرحل في ارتباكٍ، بينما نشكر الله مع النبي صارخين: "حررتنا من
أعدائنا، وجعلت مبغضينا في عارٍ" (راجع مز 44: 7).
لهذا فإن ليئة كما قلنا قبلاً تشير إلى شعب اليهود الذي التصقوا بالمسيح، وراحيل
تشير إلى الكنيسة التي من الأمم. لهذا راحيل وليس ليئة سرقت أصنام أبيها، إذ بعد مجيء
المسيح لم يعرف مجمع اليهود خدمة الأوثان في أي موضع.¹
الأب قيصریوس أسقف آرل

من وحي مزمور 151

أغنية عجيبة في الجحيم

❖ وسط احتفال الكنيسة في العالم كله بدفنك،
يا خالق السماء والأرض،
أقف في دهشة متعجباً!
كيف يُدفن واهب القيامة وسط الأموات؟
تُرى هل أشارك نيقوديموس ويوسف الرامي دموعهما،
وتهتز نفسي لهروب التلاميذ حتى في لحظات دفنك؟
أم تسمح لي باقتحام الجحيم،
فأتمتع برؤية موكب الآباء والأنبياء وكل المؤمنين.
اهتزت أساسات الجحيم حين دخلت نفسك يا مخلصي،
تكرز للمؤمنين بعنتهم من الأسر،

¹ Sermons, 88:4.

وتحملهم كما على كتفيك،

لنتدخل بهم إلى موكب نصره عجيب!

انفتحت أعين الكل ليدركوا أن النبوات قد تحققت.

يوم الخلاص قد جاء!

❖ تُرى هل قاد داود مرثل إسرائليّ الحلو،

الموكب كقائد خورس المرمنين.

إنه لا يحمل عوداً ولا قيثارة ولا مزماراً كعادته،

إنه يغني ويسبح،

يردد المزمور غير المُحصى بين المزامير (مز 151)،

مزمور القائد الجبار، محطم إبليس.

مزمور العريس الإلهي ينبوع الفرح السماوي،

يقدمه بلغة سماوية ملائكية!

❖ حين كان داود على الأرض تعجب،

كان الصغير بين إخوته، واخترته مسيحاً لك.

الآن يرى المسيح الحقيقي، المساوي للآب في الجوهر،

تجسد واحتل آخر صفوف البشرية.

بإرادته صار عبداً مرفوضاً من إخوته،

صار عبداً يُباع بثلاثين من الفضة، كأصغر البشرية!

وهو حجر الزاوية السماوي، احتقره البناعون وردلوه.

حسبوه ثقلاً على البشرية،

لا موضع له بينهم،

لا خلاص منه إلا بصلبه خارج المحلة!

❖ وقف داود أمام ابن داود وربه!

في دهشة يقول: بغير إرادتي كنت صغيراً،

لكنك بإرادتك صرت يا أيها السماوي أصغر من الجميع!

كنتُ صغيراً بين إخوتي،

أما أنت، فصرت صغيراً بين الذين جبلتهم يداك.
كنت حدثاً في بيت أبي،
أما أنت فجئت غريباً ليس لك أين تسند رأسك.
كنت أنا راعياً لغنم أبي.
أما أنت فأتيت تبحث عن الخطاة والزناة.
تضمد النفوس المجروحة،
وتحمل على منكبيك كل ضعيف.
جئت ترعى الذين قدموا عداوة لك، يا أيها العجيب في حبه!

❖ زمماري لم يفارقني حتى في أيام شدتي.
كنت أسبحك بلساني كما بقيتارتي.
أما أنت، فأتيت لتقيض بالفرح على كل البشرية.
تحول حياتنا إلى قيثارة، يعزف عليها روحك القدوس.
وتقيم من الكنيسة خورس شبه سماوي،
لا يتوقف على الشكر والحمد.

❖ أرسلت لي نبيك صموئيل، مسحني بدهن مبارك.
أقممتني ملكاً على شعبك.
رفعتني من المزيلة، لأجلس مع أشرف أشرف شعبك.
أما أنت فالقدوس ملك الملوك.
أرسلك الأب لأجل خلاصنا.
تحقق إرادته الواحدة مع إرادتك.
فليس ما يشغلك مثل خلاصنا.
تقدسنا بروحك القدوس،
وتهيئنا لشركة الأمجاد الأبدية.

❖ وهبني أن أقتل أسداً ودباً،
لكي أنقذ خرافاً غير عاقلة.
كنت سلاحي الخفي،

باسمك التقيت بجليات الجبار .
بسيفه قطعت رأسه، لأنه كان رمزًا لإبليس .
به نزعت العار عن شعبك .
أما أنت، فقدت المعركة في مواجهة مع إبليس نفسه .
أعدّ لك الصليب، لكي يتخلص منك .
ولم يدرك أنه بالصليب تحطمَ وفقد سلطانه .
حرك بكل طاقاته الكثيرين لكي تموت وتُدفن .
وها أنت قادم لكي تحطم الموت ،
تحملنا كغنائم، وتحررنا من الموت الأبدي .
تدخل بنا إلى الفردوس، لننعم بنورك الإلهي .
لك المجد يا من ملأت كل مؤمنيك فرحًا وبهجة!

المحتويات

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالْثَلَاثُونَ: شَخْصِكَ الْعَجِيبِ وَأَعْمَالِكَ تَدْفَعُنَا لِلتَّسْبِيحِ! 7

1. دعوة للتسبيح، 2. دوافع التسبيح، أ. اختياره لنا شعبًا له، ب. إله الخليفة القدير، ج. إله التاريخ، د. إله البهجة الأبدية، 3. ختام تسبيحي.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالْثَلَاثُونَ: تَسْبِيحُ مَحَبَةِ اللَّهِ الْحَانِيَةِ 27

1. رب الأرباب الصالح، 2. الخالق المبدع، 3. المنقذ، 4. القائد، 5. المحارب، 6. المعين، 7. المخلص، 8. المعتني بنا، 9. السماوي.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ وَالْثَلَاثُونَ: إِنَّ نَسِيئَكَ يَا أُورُشَلِيمَ! 46

1. بكاء على أنهار بابل، 2. حب قلبي لأورشليم، 3. بابل المُخْرَبَةَ.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ وَالْثَلَاثُونَ: التَّسْبِيحُ وَقْتُ الضِّيقِ 66

1. شكر وحمد من أجل خلاص إلهي، 2. الله الديان منقذ مؤمنيه.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ وَالْثَلَاثُونَ: اللَّهُ الْعَجِيبُ لِلغَايَةِ فِي عِلَاقَتِهِ مَعِي 81

1. الله العالم بكل شيء، 2. الله الحاضر في كل مكان، 3. الله صانعنا في الرحم، 4. الله حامينا من الأشرار، 5. اختبرني يا الله.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: مَعْرَكَةٌ دَائِمَةٌ! 115

1. المتآمرون، 2. صرخة إلى الرب مخلصنا، 3. طريق الخلاص، 4. رد الشر على الشرير.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ: احْفَظْنِي مِنَ الشَّرِّ وَالشَّرِيرِ! 141

1. تقديس الجسد مع النفس، 2. صراخ إلى الرب، 3. ضع حارسًا لفمي، 4. الإيمان التام.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ: لَيْسَ مِنْ يَسْأَلُ عَنِ نَفْسِي! 168

1. رفع دعواه، 2. السقوط في مأزق، 3. أنت نصيبي وملجأ، 4. رجاء وإحسان.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُونَ: صَرْخَةُ جُنْدِي رُوحِي فِي الْمَعْرَكَةِ 184

1. أصغ إلى تضرعاتي، 2. أجبنا يا رب، 3. علّمنا أن نعمل رضاك، 4. أحيينا.

209

المزمورُ المِئَةُ والرَّابِعُ والأَرْبَعُونَ: المعركة الروحية

1. الله صخرتي ورحمتي، 2. متى يتحقق تجسدك، 3. عدو مخادع، 4. لماذا يسمح الله بمقاومة العدو؟

232

المزمورُ المِئَةُ والخَامِسُ والأَرْبَعُونَ: دعوة للتسبيح

1. مجدلة افتتاحية، 2. الرب كلي الجلال، 3. الرب محب البشر، 4. الرب الملك معضد الساقطين، 5. الرب والعناية الإلهية، 6. الرب كلي الرحمة، 7. الرب قريب، 8. الرب سامع الصلوات، 10. مجدلة ختامية.

257

المزمورُ المِئَةُ والسادسُ والأَرْبَعُونَ: حياة التسبيح

1. الشعب: دعوة للتسبيح الدائم، 2. نصيحة كهنوتية: عدم الاتكال على البشر، 3. تطويب كهنوتي، 4. الشعب: اعترفوا بالإيمان، 5. لحن ختامي.

280

المزمورُ المِئَةُ والسَّابِعُ والأَرْبَعُونَ: التسبيح وأورشليم الجديدة!

1. التسبيح صالح وملذ، 2. التسبيح والبناء الكنسي، 3. التسبيح شفاء للنفس، 4. التسبيح والكواكب السماوية، 5. التسبيح والتمتع بالقوة الإلهية، 6. التسبيح والشركة مع الله، 7. التسبيح والتمتع بالوصية الإلهية.

314

المزمورُ المِئَةُ والثَّامِنُ والأَرْبَعُونَ: خورس الخليفة العجيب!

1. دعوة السمايين للتسبيح، 2. دعوة السماء للتسبيح، 3. دعوة الأرض وكل ما عليها للتسبيح، 4. دعوة القادة للتسبيح، 5. دعوة الشعب للتسبيح، 6. دوافع التسبيح لله، أ. اسمه عظيم، ب. مجده يملأ السماء والأرض، ج. رعايته لشعبه.

340

المزمورُ المِئَةُ والتَّاسِعُ والأَرْبَعُونَ: دعوة كنيسة العهد الجديد للتسبيح

1. دعوة الكنيسة للتسبيح، 2. الامتيازات العظيمة لشعب الله، 3. نصره ومجد للكنيسة.

361

المزمور المائة والخمسون: تسبيح مسكوني!

1. أين نسبح الله؟، 2. لماذا نسبحه؟، 3. كيف نسبحه؟، 4. من الذي نسبحه؟

372

المزمور المائة والواحد والخمسون: لداود للانتصار علي جليات

1. الراعي الصغير، 2. مرثم إسرائيل الحلو، 3.

مسحه بزيت البهجة، 4. معركة مقدسة.

بعض المراجع المفضلة لنصوص الآباء عن تفسير المزامير بتوسع:

1. *Nicene & Post-Nicene Fathers, Series 1,2.*
2. *Fathers of the Church.*
3. *Ancient Writings of the Church.*
4. *St. John Chrysostom: Commentary on the Psalms, vol.1, 2, translated by Robert Charles Hill.*

الراهب القس صموئيل السرياني: تفسير المزامير، 1988، جزءان.